



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان-

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

آراء أقطاب الجامعة الإسلامية وصداها

في بلدان المغرب العربي

جمال الدين الأفغاني - محمد عبده - رشيد

رضا - شكيب أرسلان، نماذج

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل. م. د) في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إشراف الأستاذ الدكتور:

لخضر عبدلي

إعداد الطالب:

منير صغيري

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د مبخوت بودواية	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د لخضر عبدلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
أ.د حنيفي هلايلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	عضوا
د. معمر العايب	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	عضوا
د. حمادو بن عمر	أستاذ محاضر (أ)	جامعة وهران (2)	عضوا
د. صحراوي عبد القادر	أستاذ محاضر (أ)	جامعة سيدي بلعباس	عضوا

السنة الجامعية: 1436 - 1437هـ / 2015 - 2016م





الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان-

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

آراء أقطاب الجامعة الإسلامية وصداها

في بلدان المغرب العربي

جمال الدين الأفغاني - محمد عبده - رشيد

رضا - شكيب أرسلان، نماذج

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د) في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إشراف الأستاذ الدكتور:

لخضر عبدلي

إعداد الطالب:

منير صغيري

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د مبخوت بودواية	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د لخضر عبدلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
أ.د حنيفي هلايلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	عضوا
د. معمر العايب	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	عضوا
د. حمادو بن عمر	أستاذ محاضر (أ)	جامعة وهران (2)	عضوا
د. صحراوي عبد القادر	أستاذ محاضر (أ)	جامعة سيدي بلعباس	عضوا

السنة الجامعية: 1436 - 1437هـ / 2015 - 2016م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الإهداء

إلى الوالدين الكـريـمـين حفظهما الله ومرعاهما وأطال في عمرهما  
إلى نـزـوجـتي، إلى كل أفراد العائلة الصغيرة والكـبـيرة، إلى  
كل أساتذة المعهد الوطني لتكوين الأئمة باتنة، إلى كل من  
علمني حرفاً .  
أهدي هذا العمل .

منير صغيري

## شكر وعرفان

أشكر الله العلي العظيم على توفيقه لي في إنجاز هذا العمل .

ثم أشكر الأستاذ المشرف الدكتور محضر عبدلي الذي لم يخل علي بتوجيهاته

وإرشاداته وجميل حلمه وصبره .

كما أوجه شكري وتقديري لأعضاء لجنة المناقشة على جهودهم في قراءة هذه

الدراسة وعلى ملاحظاتهم القيمة .

كما لا يفوتني تقديم جزيل الشكر إلى كافة أسرة قسم التاريخ بجامعة تلمسان من

إدارة وأساتذة .

منير صغيري

مقدمة

لقد ارتبط المغرب العربي بصلات دينية وثقافية-حضارية وسياسية مع المشرق العربي الإسلامي ولعل أهم صلة هي رابطة الدين الإسلامي، ذلك أنها جعلت من المغرب القديم؛ مغربا إسلاميا عربيا ضمن المجال السياسي للجامعة الإسلامية التي أسس النبي صلى الله عليه وسلم نواتها الأولى، ثم تحولت أرض المغرب إلى مجال خصب يستقطب مختلف الأفكار المشرقية خاصة المتلونة بالصبغة الدينية-العقدية، فما إن ظهرت الرؤى السياسية التي تحولت إلى منظومات عقدية حتى كرسّت الخلاف على مستوى الأصول من خوارج وشيعة، وما تبعها من ظهور الحركات الانفصالية، ثم ما فتئ الدعاة المشاركة يخلّون بأرض المغرب حتى جعلوا لهم بأقطاره أملاكا سياسية. من هذا المنطلق فقد ارتبط المغرب بعلاقات تأثيرية أكثر منها تأثيرية، استمرت طيلة مراحل تبعيته السياسية لمختلف الجامعات الإسلامية التي حكمت العالم الإسلامي انطلاقا من مبدأ الخلافة، بما فيها الجامعة الإسلامية السياسية العثمانية التي ظلّت طيلة قرون تمثل السلطة المركزية السياسية والروحية للعالم الإسلامي، إلى غاية تسرب الضعف والشتات السياسي والتخلف الحضاري والفكري إلى الدولة المركزية ومجالها السياسي، لدرجة تسميتها ب"الرجل المريض" الذي يجب التعجيل في اقتسام تركته، بما فيها أملاكه السياسية بالمغرب العربي.

في خضم هذه الظروف برز جمهرة من أقطاب الإصلاح في المشرق الإسلامي، ونظروا لمشروع استهداف ملمة الشتات السياسي للعالم الإسلامي، وإقامة الوحدة بقيادة الجامعة السياسية العثمانية وكبح المد الاستعماري الأوربي، وكذا هندسة منظومة إصلاحية لتوجيه الفكر الإسلامي الذي جنح إلى الجمود والركود والتحجر. وهي بالجملة الأركان والمعالم الكبرى للجامعة الإسلامية في مفهومها المعاصر كحركة إصلاحية نهضوية، ومن منطلق العلاقة التأثيرية الفكرية للمشرق على المغرب، فقد شكل موضوع الجامعة الإسلامية أهم قضايا الفكر الإصلاحي لدى الحركات الوطنية المغاربية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، من حيث مدى تفاعلها وتجاوبها مع الآراء التي هندست المنظومات الإصلاحية لأقطابها الممثلين في كل من "جمال الدين، محمد عبده



محمد رشيد رضا وشكيب أرسلان"، وقد كانت هذه الآراء وصددها في بلدان المغرب العربي محور أطروحتنا هذه؛ التي استهدفنا فيها التعريف بالجامعة الإسلامية، واستقصاء آراء أقطابها ثم تسليط الضوء على مظاهر وتجليات تأثيرها على بلدان المغرب العربي.

وقد دفعني جملة من الأسباب الذاتية والعلمية لاختيار هذا الموضوع نوجزها فيما يلي:

1 - الدافع الذاتي المرتكز على الرغبة العلمية-البحثية في مجال قضايا الفكر الإصلاحية الإسلامي في المغرب العربي، كون جل الدراسات تبجح لطرق المواضيع ذات الأبعاد السياسية العسكرية، على حساب المواضيع الفكرية الحضارية، التي تعبر عن بناء الفكر المغاربي .

2 - الأهمية التي تكتسيها مواضيع الفكر الإصلاحية القائم على مبادئ الجامعة الإسلامية التي تعتبر العامل الأساسي لحركة النهضة واليقظة لدى الحركات الوطنية المغاربية، ثم إرساء المنظومة الفكرية الدينية-العقدية القائمة على التجديد ونقد النظم التقليدية، وهي اليوم تؤسس لمرجعيات الفكر المذهبي الديني داخل المغرب المعاصر.

3 - التعريف بأراء أقطاب الجامعة الإسلامية عن كتب والممثلين في "جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، محمد رشيد رضا وشكيب أرسلان". ثم إسقاط تلك الآراء على الساحة الفكرية النضالية المغاربية، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

4- أهمية طرق المواضيع الفكرية المغاربية ذات الأبعاد الإستراتيجية، التي تؤسس للقومية المغاربية.

5 - إبراز علاقة أقطار المغرب العربي بالجامعة الإسلامية العثمانية، وما تبعه من إحياء لمعاني التضامن والتآزر والجماعة والوحدة العالم الإسلامي.

من خلال اطلاعتي المسبقة فإن موضوع "الجامعة الإسلامية" استحوذ على فكر المؤرخين في المشرق والمغرب، كونه مصدر التغذية الأساسي لحركة اليقظة الإسلامية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وإلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث شكّل قاعدة الفكر الإصلاحية الإسلامي للحركات الوطنية في العالم الإسلامي بما فيها المغاربية، وقد استهدف مشروع الجامعة الإسلامية إحياء العقيدة الإسلامية الصحيحة، ودرء عقيدة القدر والجبر، ودفع المسلمين لبذل أسباب النهضة

والحضارة وصد الاستعماري الأوربي، وأكثر من ذلك لا تزال أفكار أقطاب الجامعة الإسلامية تشكل قاعدة المرجعيات الدينية للمنظومات العقديّة في أقطار العالم الإسلامي. من هذا المنطلق فإن الدراسات التاريخية الأكاديمية السّابقة لموضوع الجامعة الإسلامية والمغرب العربيّ عاجلت الموضوع بنزعة أكاديمية بناءً من الزاوية التاريخية السياسية في إطار مشاريع الوحدة المغاربية ضمن حركة الجامعة الإسلامية، أو متخصصة في بلد من بلدان المغرب العربيّ، وهي على سبيل الذكر لا الحصر أطروحة الدكتوراه ل: الصادق دهاش؛ بعنوان "مشروع الوحدة التحرري لحركة الجامعة الإسلامية في بلدان المغرب العربيّ". ورسالة الماجستير ل: أحمد دراوي؛ بعنوان "الجزائر والجامعة الإسلامية" وفي دراستي هذه سأركز على فكر أقطاب الجامعة الإسلامية (الشخصيات المخصوصة بالدراسة) من الزاوية العقديّة والنزعة التجديديّة ذات الأبعاد النقديّة للنظم الفكرية التقليديّة، والدعوة للوحدة والجماعة ضمن الإطار السياسي للخلافة العثمانية الإسلامية، وما صاحبها من يقظة ونهضة وتأسيس للحركات الإصلاحية في بلدان المغرب العربيّ؛ والتي أرسّت فيما بعد بعض معالم المرجعيات الدينية في المغرب المعاصر.

من خلال موضوع الأطروحة، وعبر مسمّيات مفرداته البحثية الرئيسية يمكن طرح الإشكال التالي:

- ما هي الجذور التاريخية للجامعة الإسلامية؟ وما هو مفهومها؟ وما هي أهدافها؟ وما هي أبرز تياراتها؟
- ما هي المعالم الرئيسية للمنظومة الفكرية الإصلاحية التي جسدت آراء أقطاب ورواد الجامعة الإسلامية الممثّلين في "جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، محمد رشيد رضا، شكيب أرسلان"؟
- ما هي الجذور التاريخية للجامعة الإسلامية في بلدان المغرب العربيّ؟ وما مدى تفاعل الحركات الإصلاحية المغاربية مع آراء وأفكار أقطاب الجامعة الإسلامية وأهدافها في مفهومها الحديث؟ وما هي مظاهر وتجليات ذلك التفاعل؟

وللإجابة عن التساؤلات المذكورة أعلاه قمت بهندسة خطة علمية تتناول الموضوع من الزوايا البحثية المطروقة، في خضم المساحة الزمنية الواقعة بين نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، تتناول المفردات الرئيسة لعنوان الأطروحة بتسلسل منطقي، بداية بالجامعة الإسلامية ثم آراء أقطابها ثم صداها في بلدان المغرب؛ الجزائر، تونس، ليبيا والمغرب الأقصى، بحيث أسقطت تلك الآراء على الحركات الإصلاحية المغاربية، وجعلت لكل منها فصلاً مستقلاً فخصّصت الفصل الأول للجامعة الإسلامية كتمهيد للدراسة، وتعرضت فيه للظروف العامة للعالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر من الناحية السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية والحضارية، والتي شكّلت المناخ الذي ظهرت فيه حركة الجامعة الإسلامية التي فصلنا فيها من حيث جذورها التاريخية كون فكرة الجامعة الإسلامية قديمة قدم الإسلام بمبادئه الحائثة على الجماعة، وتعرضت لمفهومها التاريخي على عهدها الأول ثم الحديث كحركة إحياء وبعث من منطلق الوحدة السياسية للعالم الإسلامي، ثم عرّجت على ذكر أهدافها وتياراتها الفكرية والعقدية، وأخيراً أوردت موقف الدولة العثمانية الممتثلة في سلطاتها عبد الحميد الثاني من مشروع الجامعة الإسلامية، من حيث توظيفه كشعار رسمي للدولة ونتائج ذلك.

وقد خصّصت الفصل الثاني لآراء أقطاب الجامعة الإسلامية؛ وهم: "جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، محمد رشيد رضا، شكيب أرسلان"، فتعرضت لكل واحد منهم على حدا، من حيث النشأة والسيرة العلمية وأفكار والآراء في مختلف جوانب الفكر الإصلاحي والتي أسست بمنظومتها الفكرية الإصلاحية لمشروع الجامعة الإسلامية، لرأب الصدع والشرح الذي أصاب العالم الإسلامي خصوصاً فيما تعلق بجمود وتحجر الفكر الإسلامي، وتأخره عن مواكبة التطورات الحاصلة في الفكر الإنساني.

ثم أسقطت في الفصل الثالث آراء أقطاب الجامعة الإسلامية على الجزائر وأبرزت دورها في بث عوامل اليقظة ومنبهات الحركة الإصلاحية، بداية بذكر جذورها التاريخية في الجزائر، وبوادر النهضة من منطلق التأثير بأفكار روادها في خضم النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين

وذكرت أهم مظاهر وتحليلات ذلك التأثير، ثم عرجت على ذكر أهم منافذ ومعايير تلك الآراء إلى الجزائر، وفي النهاية أوردت صدى سياسة الجامعة الإسلامية الرسمية في الجزائر خلال الحرب العالمية الأولى، ومدى تفاعل الشعب الجزائري بنخبه معها.

أما الفصل الرابع فتعرضت فيه لصدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس، بداية بذكر جذور الجامعة السياسية فيها، ثم تعرضها للاحتلال الفرنسي وما تبعه من ظروف صنعت المناخ المستقطب لآراء منظري الجامعة الإسلامية عبر منافذها الرئيسية، ثم عرجت على بوادر اليقظة في خضم نشاط رواد الجامعة الإسلامية بما فيها الرسمية، وأهم مظاهر وتحليلات ذلك.

وجعلت الفصل الخامس لصدى أفكار أقطاب الجامعة الإسلامية في كل من ليبيا والمغرب الأقصى، نتيجة تماثل ظروف القطرين وتزامن تاريخ احتلالهما الذي تأخره إلى بداية القرن العشرين حيث خصّصت الجزء الأول لليبيا وتعرضت فيه لصدى أفكار الجامعة الإسلامية وجهود أقطابها في بذل أسباب حماية ليبيا قبل الاحتلال والدفاع عنها بعده. ثم تعرضت في الجزء الثاني لصدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في بلاد المغرب الأقصى، بدايةً بذكر تطور علاقة الجامعة الإسلامية العثمانية بالمغرب الأقصى، ثم صدى سياسة الجامعة الإسلامية الرسمية في البلاد خلال الحرب العالمية الأولى، ثم تعرضت لدور رواد الجامعة الإسلامية في التأسيس للحركة الإصلاحية المغربية.

وقد اعتمدت على المنهج التاريخي الوصفي-التحليلي، كوني في مقام وصف آراء أقطاب الجامعة الإسلامية ثم تحليلها ومن ثم إسقاطها على الحركات النهضوية في المغرب العربي، واستنتاج مظاهر وتحليلات تأثير تلك الأفكار في التأسيس للمنظومات الإصلاحية، كما اعتمدت على المنهج المقارن في بعض المواضع عندما كنت بصدد المقارنة بين أفكار أقطاب الجامعة الإسلامية، أو بين الحركات الإصلاحية المغربية.

أما المادة العلمية فقد حاولت قدر المستطاع تنويعها بين مصنفاتٍ مصدرية ومراجع معاصرة من كتب ودوريات، وقد اشتملت المصنفات المصدرية على ما كتبه أقطاب الجامعة الإسلامية من مؤلفات ضمنوها آراءهم كالأعمال الكاملة لمحمد عبده، والأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني

## مقدمة

وتاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده لمحمد رشيد رضا، ورسالة التوحيد لمحمد عبده، والسيد محمد رشيد رضا أو إحياء الأربعين سنة لشكيب أرسلان، وحاضر العالم الإسلامي ل: "لوثورب ستودارد" علّق عليه شكيب أرسلان، ولماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم لشكيب أرسلان... وغيرها من مؤلفات شخصيات الدراسة. كما اعتمدت على الدوريات المصدرية كمجلة المنار لصاحبها محمد رشيد رضا، والعروة الوثقى لجمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، وجرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كالبصائر والمنتقد، والصراط والسنة. إضافة إلى المصنفات المصدرية المغاربية نذكر منها: الحركة الأدبية والفكرية بتونس لابن عاشور محمد الفاضل والنازلة التونسية للسنوسي، والحركات الاستقلالية في المغرب العربي لعلال الفاسي، وحياة كفاح لأحمد توفيق المدني. أما المراجع فهي كثيرة ومتنوعة وظفتها حسب مسميات فصول الدراسة، إضافة إلى بعض الكتب والدوريات باللغة الأجنبية. وفيما يخص الصعوبات التي واجهتني في عملي العلمي فهي شساعة الإطار الزمكاني للدراسة، عدا ذلك نشكر الله سبحانه وتعالى، ثم كل من قدّم لنا يد العون لانجاز هذه الدراسة.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية

### نشأتها وتطورها

أولاً: أوضاع العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر.

1- الأوضاع السياسية.

2- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

3- الأوضاع الثقافية والحضارية.

ثانياً : ظهور حركة الجامعة الإسلامية وتطورها.

1 - مفهوم الجامعة الإسلامية.

2- جذور الجامعة الإسلامية وتطورها:

3- تياراتها وأهدافها.

ثالثاً: الجامعة الإسلامية والسلطان عبد الحميد الثاني

1 - الجامعة الإسلامية الرسمية (العثمانية).

2 - وسائل تحقيق الجامعة الإسلامية الرسمية.

3 - خلع السلطان عبد الحميد الثاني وإلغاء الخلافة العثمانية.

### الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

بعد سقوط الدولة العباسية على يد المغول دخلت الخلافة الإسلامية الجامعة في حالة فراغ قيادي ونتيجة لذلك برز "آل عثمان" ووضعوا أسس خلافةٍ سميت بالعثمانية، بعد أن ورثت النظام السياسي والمجال الجغرافي للخلافة العباسية، ثم ما لبثت أن أصبحت قوة ذات ثقل سياسي دولي، ووزن حربي عسكري لدرجة أن أحد سلاطينها وهو "محمد الفاتح" فتح القسطنطينية رمز القوة والقداسة للعالم الأوربي<sup>(1)</sup>، وسار خلفاء الفاتح - مثل سليم الأول وسليمان القانوني - على نفس النهج، فتمّ بسط نفوذ الدولة العثمانية على الشام ومصر والجزيرة العربية وبلاد المغرب العربي، وأجزاء واسعة من أوروبا (البلقان).

ومع مرور الوقت ونتيجة الظروف المستجدة على المستوى الدولي، دخلت الدولة العثمانية في مرحلة الضعف وتحولت موازين القوى لصالح الدول الأوربية، وبذلك شهد العالم الإسلامي خاصة خلال القرن التاسع عشر أوضاعاً توحى بسواد التخلف والضعف والتشتت السياسي؛ فظهر ثلة من المصلحين على رأسهم جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده؛ وهندسوا مشروع الجامعة الإسلامية كخيار وحدوي؛ نهضوي شمل مختلف الميادين خاصة الفكرية والسياسية، وقبل التعرض للجامعة الإسلامية نورد الظروف العامة للعالم الإسلامي في ظل الحكم العثماني إبان القرن التاسع عشر:

### أولاً: أوضاع العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر

شهد العالم الإسلامي بقيادته الجامعة السياسية الممثلة في الخلافة العثمانية خلال القرن التاسع أوضاعاً وظروفاً سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية متدنية ومتدهورة، شكلت بإفرازاتها بيئة تحوي العوامل المساعدة على اجتذاب الاستعمار الأوربي، بالرغم من محاولات الإصلاح التي جاءت في وقتٍ متأخر. وقد كان المغرب العربي جزءاً لا يتجزأ من العالم الإسلامي حيث تأثر بتلك الظروف وتعرض لهجمةٍ شرسةٍ من طرف القوى الأوربية الاستعمارية.

(1) للاستزادة؛ انظر: نيقولو باربارو: الفتح الإسلامي للقسطنطينية، يوميات الحصار العثماني 1453، ترجمة: حاتم عبد الرحمان، ط1، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية، مصر، 2002.

### 1- الأوضاع السياسية:

لقد تميّزت الأوضاع السياسية للعالم الإسلامي بعدم الاستقرار، نتيجة تحول موازين القوى لصالح الدول الأوروبية، الأمر الذي جعلها تتجه بأنظارها إلى الدول الأم التي كانت تمثل الجامعة السياسية للعالم الإسلامي، فشرعت في حيك المخططات وحياسة المؤامرات بغية إضعافها أولاً، ثم تفتيتها وتقسيمها ثانياً، حتى اصطلح على تسميتها برجل أوروبا المريض<sup>(1)</sup> تسمية تُوجب الإسراع في اقتسام تركته المشتتة على مجالٍ سياسي واسع شمل جل أصقاع العالم الإسلامي وأجزاء واسعة من أوروبا<sup>(2)</sup>. توفرت جملة من الظروف والعوامل جعلت العالم الإسلامي المحكوم من طرف الخلافة العثمانية غير متماسك سياسياً، بعد أن كان في وقت سابق يمثل وحدة سياسية قوامها الخلافة المركزية، وثقل عسكري يقف في وجه المد الصليبي الأوربي، وذلك نتيجة التخلف العلمي؛ بحيث انصرف العثمانيون للاهتمام بالجانب العسكري، بتقوية الجيش البري والأسطول البحري وتعبئة الجيوش وإعدادها للقتال دون خوض غمار المعركة العلمية الحضارية، في الوقت الذي كانت أوروبا تقطع خطوات واسعة في المجال العلمي، لإحداث نهضة علمية شاملة منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر، وفي مقابل ذلك بقي العالم الإسلامي بقيادة الجامعة الإسلامية العثمانية يعتمد على النظم القديمة التقليدية، وقد نجم عن ذلك تخلف علمي وفكري. كما لعبت الامتيازات الأجنبية دوراً هاماً في المساس بالسيادة العثمانية على العالم الإسلامي، وفتحت الباب على مصراعيه أمام الأطماع الأوروبية، ومن أمثلة ذلك اتفاقية "سليمان القانوني" مع ملك البندقية سنة 1521 التي رخصت لفرنسا حق التصرف في تركات النصارى<sup>(3)</sup>، واتفاقه مع ملك فرنسا "فرونسوا الأول" سنة 1535 لإعطائه الحق في حماية

(1) نتيجة ضعف الدولة العثمانية وتقهرها في مختلف المجالات خاصة العلمي الذي أثر على الجانب العسكري أطلق "نيقولا الأول" قيصر روسيا عبارة "رجل أوروبا المريض" عام 1844.

(2) انظر: محمد ثابت الشاذلي: المسألة الشرقية، دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية 1299-1923، مكتبة وهبة للطباعة، مصر، 1989.؛ وانظر كذلك: مصطفى كامل: المسألة الشرقية، ط1، مطبعة الآداب للنشر، القاهرة، مصر، 1889، ص 10 وما بعدها.

(3) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، العهد العثماني، ج8، ط1، المكتبة الإسلامية، بيروت، لبنان، 1986، ص71، 73.



## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

البعثات التبشيرية بفلسطين والعناية بالأماكن المقدسة (كنيسة القيامة)، ثم انتشرت هذه الامتيازات الدينية لتمسّ جلّ الأقليات المسيحية في العالم الإسلامي<sup>(1)</sup>. لقد تحكمت الدولة العثمانية في أجزاء واسعة من أقطار العالم الإسلامي والأوربي الصليبي، بما يحتويه هذا المجال من تنوع عرقي وعقدي، كل ذلك أثر سلبيًا على أوضاعها الداخلية، خاصّة مع ضعف السلاطين المتأخّرين الذين لم يكن بمقدورهم كبح المعارضة الداخليّة خلال المرحلة الأخيرة من الخلافة العثمانية، مما أدى إلى التفكك والانهيار، والموالاتة للغرب الذي اتخذ من المعارضة وسيلة لحبك المؤامرات ضد الدولة.

وقد تجسّد ذلك في نشاط الحركات الانفصالية عبر أقطار الدولة، خاصة في شقها الأوربي الممثل دويلات البلقان التي بقيت على ملتها ونصرانيتها، وكانت محكومة قهرا وجبرا، وفي بلاد المغرب العربي استقل والي طرابلس الغرب "القرملي" بالولاية في 1711، كما استقل محمد علي باشا بمصر، وقد كان للحقد الصليبي الدفين دوره في تنشيط الحركات الانفصالية، بل وحتى الحملات الأوربية المتحالفة ضد العالم الإسلامي الممثل في خلافته العثمانية، فباسم الإسلام غزا "محمد الفاتح" القسطنطينية؛ عاصمة العالم النصراني وحول اسمها إلى إسلام بول (بلاد الإسلام) وباسم الإسلام برزت طلائع الجهاد التي أنجحت مسلمي شمال إفريقيا من الهجمات الصليبية الشرسة<sup>(2)</sup>.

ومن العوامل الخطيرة التي كرّست التشتت والتنافر السياسي داخل القصر زواج السلاطين بالأجنبيات<sup>(3)</sup>، وقد شكّلت الظروف المذكورة أعلاه المناخ المناسب لنشاط الحركة الاستعمارية الأوربية، في تراب العالم الإسلامي فمنذ 1830 سقطت الجزائر في يد فرنسا، والتي جعلتها كقاعدة

---

(1) انظر: محمد قن: الخلافة العثمانية وصدى سقوطها في الجزائر ومصر، رسالة ماجستير، إشراف: بن يوسف تلمساني، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص 20.

(2) عبد العزيز محمد الشناوي: الدولة العثمانية المفترى عليها، ج2، ط1، المكتبة الأنجلو-مصرية، مصر، 1984، ص14-16.

(3) كان بعض سلاطين الدولة العثمانية يتزوجون بالأجنبيات المسيحيات، لأغراض ذاتية أو سياسية غير أنهن لعبن أدوارا خطيرة على استقرار الخلافة، من خلال تنافسهن على ولاية العهد لأبنائهن، ومن ذلك دساتس "روكسلان" الروسية زوجة "سليمان القانوني" كي يتولى ابنها "سليم الثاني" الحكم. انظر: محمد الخير عبد القادر: نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية، ط1، مكتبة وهبة للطباعة، 1985، ص 97.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

لتوغّل جنوباً في أعماق إفريقيا، وشرقاً فتّم احتلال تونس سنة 1881، وغرباً باحتلال المغرب الأقصى سنة 1912<sup>(1)</sup> كما تمكّن الإيطاليون من احتلال ليبيا 1911، وفي نفس السياق وبتشجيع من الدول الأوروبية تمكن محمد علي باشا من الاستقلال بمصر تمهيداً، لاحتلالها من طرف القوى الأوروبية من منطلق سياسة التجزئة؛ فبعد حروبه رفقة ابنه إبراهيم ضد الدولة العثمانية والتي انتهت بإقرار الحكم الذاتي لمصر في مؤتمر لندن سنة 1840، تم احتلالها من طرف الإنجليز سنة 1882، كما تمكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب من تعبئة أهالي الحجاز وتحقيق الاستقلال عن تاج الخلافة بقيادة حلفائه آل سعود.

وقد وجدت الجمعيات الأدبية والعلمية وحتى السياسية - ذات الطابع القومي التي أُسست سرياً - المناخ مناسباً لنشاطها بغية تحقيق الاستقلال في إطار القومية<sup>(2)</sup> والانفصال عن التاج العثماني، حيث انقسم القوميون إلى تيارات متعددة وذلك حسب الأصول والدين والتوجه، وأمام هذه الأوضاع الخطيرة التي كان يعيشها العالم الإسلامي، كان لزاماً على رجاله إطرء إصلاحاتٍ لنهوض الأمة الإسلامية واللحاق بركب الدول الأوروبية التي قطعت أشواطاً كبراً في التحضر، من هذا المنطلق شرع المفكرون ورجال الإصلاح في محاولة معرفة مواضع الخلل ومكامن الضعف، ومن ثمة معرفة الحلول المناسبة من خلال تقديم تقارير للسلطين العثمانيين، وقد كان القاسم المشترك بين هذه الدّعوات الإصلاحية هو التركيز على إصلاح جهاز الحكم المركزي أو الخلافة في إسطنبول والذي كان يعيش الضعف والتشتت وظاهر الانحراف، حيث اعتمدت هذه الدّعوات الإصلاحية على استلهام أحكام الشريعة الإسلامية السمحة ذات المرتكزات العقدية الصحيحة والمقاصد الحكيمة لتكون الدّواء للدّاء

---

(1) يعتبر المغرب الأقصى من الدول العربية الإسلامية التي أعلنت رفضها في التّبعية للتاج العثماني، بالرغم من أن الدولة العثمانية كانت تعتبر بمثابة الاستمرارية للخلافة العباسية التي سقطت منذ 1256، وبالتالي فمن حقها أن تبسط نفوذها وحماتها على كل بلاد الإسلام.

(2) لقد كانت الدولة العثمانية من منطلق نظام الخلافة تتحكم في قوميات عدة صهرتها نوعاً ما في بوتقة واحدة من منطلق رابطة الإسلام عدة وهي القومية العربية، القومية الفارسية، القومية التركية.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

الذي أصبح ينخر في جسم الدولة مثل الشُّوس<sup>(1)</sup>. ومن منطلق نظام الحكم العثماني، فقد ركّزت حركة الإصلاح بالدرجة الأولى على الجانب العسكري لأن الجيش كان يمثل الدعائم الأساسية التي تركز عليها الدولة، وكان أحد عوامل ضعفها وتقهقرها فيما بعد، وقد كان الإصلاح يتضمن في الأساس تغيير نظام الانكشارية الذي مثل ثقلًا عسكريًا مهيبًا طيلة رده من الزمن أين كانت الدولة في أوج قوتها العسكرية ومهابتها السياسية، ثم تحول إلى وبال ومعول هدم في أواخر عهد الدولة، ذلك المؤسسة العسكرية -الممثلة في الإنكشارية- أصبح قادة الجند فيها يتدخلون في تسيير الخلافة، ولا يترددون في قتل الصّدر الأعظم الذي لا يرضون عنه وكذا الوزراء وعزل السلاطين<sup>(2)</sup>، الأمر الذي جعل الجامعة السياسة العثمانية تفقد هيبتها الخارجية.

كل ذلك دفع برجال الدولة ذوي الثقل في مختلف المواقع إلى انتهاج سياسية إصلاحية عرفت بالتنظيمات الهادفة إلى الاقتباس من الغرب الأوربي؛ فيما يتعلق بتسليح الجيش وتطويره وفق متطلبات العصر وكذا الاتجاه تدريجياً نحو العلمانية، بالحياد عن النظم السياسية الإسلامية التقليدية إلى مركزية السلطة في العاصمة والولايات<sup>(3)</sup>، وقد ارتكزت تلك التنظيمات على جملة من القوانين أولها "خط شريف كلخانة" الذي صدر في 3 نوفمبر 1839 وقرر عدل نظام الضرائب، والمساواة بين كل رعايا الدولة، ثم صدر "خط همايون" الذي جاء ليؤكد ويتم بنود خط "كلخانة"، وفي عام 1876 صدر أول دستور للدولة العثمانية تضمن المساواة بين الرعايا وحماية حريات الأقليات الدينية، كما نص على إنشاء مجلسين تشريعيين من الأعيان والنواب وإنشاء مجالس للولايات<sup>(4)</sup>.

(1) محمد حرب : الدولة العثمانية ، شركة سفير للنشر ، القاهرة ، مصر ، (د.ت) ، ص 54.

(2) يمكن أن نشبه ذلك بما حدث للدولة العباسية عندما قام المعتصم ب شراء الجنود الأتراك لكبح جماح الفرس والعرب وأنشأ لهم مدينة سمراء، ولكن تحولوا فيما بعد إلى وبال، وكانوا لا يترددون في قتل كل خليفة لا يرضون عنه أو سمل عينيّه.

(3) محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي(1514-1914) ، دار تكنو-برنت للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر 1985 ، ص 213.

(4) على المحافظة : الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914 ، ط2 ، دار الأهلية للنشر ، بيروت لبنان ، 1978 ، ص 21 ، 22.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

لقد بادر السلطان عبد الحميد الثاني إلى تبني سياسة الجامعة الإسلامية كخيار نهضوي لإعادة لملمة الشّتات السياسي للعالم الإسلامي، من جهة أخرى فقد استجابة للضغوط الأوربية لإقامة إصلاحات تخدم مصالحها، لكسب المزيد من الوقت فأصدر دستور 1876<sup>(1)</sup>، ناهيك عن تشجيع وتبني هذه السياسة الأوربية من طرف الشّخصيات العثمانية الليبرالية من أمثال "مدحت باشا"<sup>(2)</sup>.

لقد كانت الضغوط غلى الأوربية البادرة الأولى للحصول على مطامع ومكاسب كثيرة، وكان موضوع الامتيازات قديم يعود أيام عز الدولة على يد سلاطينها الذين كانوا على قدر كبير من الرشد غير أنهم أهملوا قضية، دمج مختلف القوميات في بوتقة المواطنة الإسلامية خاصة الأقطار الأوربية في البلقان التي بقية على ملتها محكومة بالقهر والجبر لا الرضى، الأمر الذي أدى اندلاع الثورات الانفصالية. ثم منح الامتيازات للقوى الأوربية النامية خصوصا الاستعمارية التقليدية منها الممثلة في فرنسا وبريطانيا من أجل خلق ممهّدات لتفتيت الدولة إلى وحدات سياسية ومن ثم السيطرة عليها بما فيها أملاكها السياسية في المغرب الإسلامي، التي شرعت في خلق في الذرائع والأسباب لاحتلالها، ثم ظهرت الامتيازات على الساحة بقوة في خضم القرن التاسع عشر، جعلت من الأوربيين يتدخلون في تسيير شؤون الدولة خاصة الأقاليم الأوربية النصرانية، وأصبح السلاطين دمي في أيادي رجال السياسة الأوربيين.

ويبدو أن السلطان عبد الحميد قد أصدر الدّستور مرغما وتحت الضّغط الداخلي الممثل في كتلة المتنورين العثمانيين الذين ينتهجون سياسية التفتح واللامركزيّة، وكذا الضّغط الخارجي المتمثّل في فرض

---

(1) يذهب جورج أنطونيوس إلى أن هندسة الدّستور كان نتيجة لنمو الوعي لمختلف القوميات المنضوية تحت تاج الدولة، لذلك بادر السلطان عبد الحميد لإصداره؛ ليمتص الغضب داخل الدولة، وليموه الأوربيين الضّاغطين عليه لكي لا يترك لهم فرصة التدخل في السيادة العثمانية. انظر: جورج أنطونيوس: **يقظة العرب**، ط3، ترجمة: ناصر الدين الأسد وإحسان حقي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 130.

(2) مدحت باشا (1822-1883) رجل إصلاح عثماني، ظهر على مسرح الدولة العثمانية خلال سنواتها الأخيرة، اظهر نزعة معرّضة ضد السلطان عبد الحميد الثاني، وكان له دوره في إجباره على إصدار دستور 1876، ونتيجة لنشاطه الحثيث نفي إلى الطائف، وفي النهاية تم اغتياله. انظر: عبد المتعال الصعيدي: **المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر**، دار الحمّامي للطباعة، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص 486-489.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

جملة الإصلاحات من طرف الدول الأوروبية، بحجة حماية جميع رعايا الدولة باختلاف ألسنتهم وأصولهم لخدمة المصالح الأوروبية وفتح المجال للتدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية، تمهيدا لتفتيتها ثم السيطرة عليها، ولكن السلطان سرعان ما تراجع عن تطبيقه، منتهجا سياسة الحكم المركزي المحكم<sup>(1)</sup>.

لقد ظهرت معارضة نشيطة في ظل حكم السلطان عبد الحميد الثاني عرفت بحركة تركيا الفتاة والتي تحولت منذ 1889 إلى جمعية سرية عرفت باسم "الإتحاد العثماني" هدفها محاربة الحكم الحميدي وإعادة العمل بالدستور الملغى، وبالموازاة مع ذلك ظهرت الجمعيات العربية في الأستانة والشام ومصر لمحاربة الحكم العثماني<sup>(2)</sup>، ومن الجمعيات نذكر جمعية بيروت السرية، وجمعية حقوق الملة العربية، وجمعية جامعة الوطن العربي وجمعية العهد<sup>(3)</sup>، ونتيجة نشاط المعارضة التي تزعمتها "جمعية الاتحاد والترقي" تم عزل السلطان عبد الحميد الثاني، وتفعيل العمل بالدستور الملغى بعد تحالفها مع ممثلي القوميات والأديان. في خضم هذه الأحداث التي عاشتها الدولة العثمانية، تأثرت

(1) انظر: ساطع الحصري: الدولة العثمانية والبلاد العربية، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1960، ص 99.

(2) لقد اختلف في موضوع شرعية الخلافة العثمانية، فمنهم من يرى بأحقية العرب القرشيين بالخلافة، معتمدين على النصوص النقلية ودليلهم في ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم "إنما الخلافة في قريش"، وعلى النقيض من ذلك ذهب فريق آخر خلاف ذلك ودليلهم في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "من ولي من أمر المسلمين شيئا، فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه، فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين". والجدير بالذكر أن سياسة العثمانيين اللاحقة كانت مختلفة فالمشرق تم إحقاقه عن طريق القوة والقهر والجبر، بينما كان إحقاق المغرب العربي بالدولة عن طلب والاستنجد وبالتالي فقد كان نظام الحكم في المغرب مختلف تماما عن المشرق، الذي كان عسكريا في المشرق وأكثر انفتاحا في المغرب، وقد تبانت الكتابات حول طبيعة التواجد في المشرق والمغرب. انظر: عبد العزيز الدوري: التكوين التاريخي للأمة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية لبنان، 1984، ص 170. وقد جسد معارضة الحكم العثماني واشتراط القرشية و عبد رحمان الكوكبي للاطلاع على آرائه انظر: عبد الرحمان الكواكبي: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ط1، مؤسسة ناصر الثقافية، بيروت، لبنان، 1950، ص 18 وبعدها. كذلك: عبد الرحمان الكواكبي: أم القرى، ط1، مؤسسة ناصر الثقافية، بيروت، لبنان، 1981.

(3) للمزيد حول الجمعيات العربية ونشاطها زمن العهد العثماني خلال الحكم الحميدي. انظر: سهيلة الرماوي "صفحات من تاريخ الجمعيات في بلاد الشام 1850 - 1908 من الجمعيات العلمية إلى الجمعيات السياسية"، مجلة دراسات تاريخية، عدد 7، جانفي 1982، ص 134، 135. كذلك: محمد عزة دروزة: نشأة الحركة العربية الحديثة، ط2، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1971، ص 94.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

كل الأقطار الإسلامية التابعة لها، فكانت تعيش حالة من الفوضى السياسية والضعف والتقهقر، فقد ظهرت العصبية المحلية في الولايات العربية، تلك العصبية التي كانت في جملتها جهود شخصية لأفراد معظمهم من العنصر التركي أو من الولاة المغامرين كان هدف كل منهم الجلوس على كرسي الحكم والحصول على المكتسبات المادية، ونتيجة لذلك وجد الاستعمار الجو مناسباً لنهب وتقسيم تركة الرجل المريض، في شكل حملات شرسة استهدفت جلّ الأقاليم الإسلامية، حيث تحققت السيطرة الإنجليزية على الهند، إضافة إلى مصر والسودان وأقطار الجزيرة العربية، بينما هيمنت روسيا على أواسط آسيا، في الوقت الذي وجد فيه الاستعمار الفرنسي طريقه إلى أقطار شمال إفريقيا الإسلامية. فتم احتلال الجزائر في وقت مبكرة ثم تونس فالمغرب وليبيا، وعليه فقد عاش العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر أوضاعاً سياسية توحى بالتشتت والضعف وأكثر من ذلك فقدان السيادة، انطلاقاً مما كانت تعاني الجامعة الإسلامية العثمانية الأم، هذا ما جعل العالم الإسلامي يحوي بيئة ذات ظروف ترسخ ظاهرة القابلية للاستعمار.

### 2- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

انطلاقاً من الأوضاع السياسية السالفة الذكر التي سادت العالم الإسلامي والتي تميزت بالتأزم والضعف-الأمر الذي جعل بقاعه محالاً خصباً للأطماع الاستعمارية- فقد تدهور الاقتصاد وتدنى المستوى الاجتماعي، ومعلوم أن الوضع السياسي في حالة تأثير دائم على المجالات الرئيسية الأخرى للدولة، خاصة ما تعلق منها بالجانب الاقتصادي والاجتماعي، لذلك فقد كان اقتصاد الأقاليم الإسلامية على قدر كبير من التدهور، مما خلق ظروف اجتماعية متدنية في جميع مستويات ونواحي الحياة؛ فانتشر الفقر وعمت البطالة الجهل والأمية نتيجة السياسة الاستغلالية الأوربية للأقاليم الإسلامية. ثم كان للامتيازات الأجنبية دور خطير في ضرب اقتصاد الأمة، من خلال السيطرة على الموارد الاقتصادية الرئيسية لها، وغدت تلك الامتيازات مطية للتدخل في شؤون الدولة الأم الداخلية

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

وبالتالي المساهمة المباشرة في صياغة وتشكيل قرارها السياسي والاقتصادي<sup>(1)</sup>.

يشير قطب الجامعة الإسلامية الشيخ محمد رشيد رضا إلى خطورة تلك الامتيازات وإفرازاتها الاقتصادية والاجتماعية بقوله: «وهكذا صارت حياة المسلمين نهباً للأجانب المحتمين بالامتيازات فكانت تلك الأيام وبالأعلى على حكام المسلمين وعلى الأهالي جميعاً وكانت سعداً وريعاً للتجار وأرباب البنوك (المصارف) الغرباء الدخلاء الذين انتشروا بين أبناء البلاد انتشار الذئاب بين الأغنام أثقلت كواهل الفلاحين وغيرهم من الوطنيين بالديون الهائلة، واضطرتهم العجز لبيع أملاكهم ورهن عقاراتهم وأراضيهم أو الانسلاخ منها بالكلية فأحاط بهم الفقر وصاروا في أسوأ حال»<sup>(2)</sup>. من جهة أخرى فقد كانت موازين القوى الدولية في تغير مستمر<sup>(3)</sup>.

ونتيجة لذلك عايش العالم الإسلامي بمختلف بقاعه أزمة اقتصادية حادة وخانقة<sup>(4)</sup> منذ نهاية القرن الخامس عشر، خاصة بعد ظهور حركة الكشوف الجغرافية الأوروبية، ذلك أن الدولة العثمانية جامعة العالم الإسلامي كانت تسيطر على الطرق البرية والمضائق المائية، والتي سرعان ما تحولت

---

(1) قيس جواد العزاوي : الدولة العثمانية، قراءة جديدة لعوامل الانحطاط ، ط2 ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، لبنان ، 2003 ، ص26. انظر ذلك: لوتسكي : تاريخ الأقطار العربية ، ترجمة : عفيفة البستاني ، ط7 ، دار الفراي ، بيروت ، لبنان ، 1980 ، ص 382 .

(2) انظر : محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده ، ج1 ، ط2 ، دار الفضيلة ، 2006 ، ص 56 ، 57.

(3) لقد كانت الأوضاع السياسية للعالم الإسلامي مع نهاية القرون الوسطى وبداية القرون الحديثة في تغير مستمر، نتيجة تحول موازين القوى لصالح الأوروبيين، بفعل النهضة الأوروبية التي شملت مختلف الميادين، خاصة ما تعلق بالاقتصاد أو ما أصطلح عليه بالثورة الصناعية، التي كانت المحرك الأساسي للحركة الاستعمارية والتي كان هدفها البحث عن الأسواق الخارجية واليد العاملة والمواد الأولية لتزويد المصانع الأوروبية التي لا تتوقف. وقد كانت الدولة العثمانية محور الأطماع الاستعمارية بين ثلاثة دول : إنجلترا تريد تأمين طرق مواصلاتها إلى الشرق الأقصى والهند، روسيا القيصرية تبحث لها عن منفذ للمياه الدافئة، وفرنسا لها أطماع في شمال إفريقيا وفي مختلف أقصاء العالم الإسلامي الذي يقع ضمن المجال السياسي للدولة الجامعة الأم. انظر: السيد رجب حراز : الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب 1840 – 1909 ، معهد البحوث والدراسات العربية ، مصر ، (د.ت) ، ص 16.

(4) كانت أوضاع اقتصادية متدهورة وعلى درجة خطيرة من التردّي، ويظهر ذلك من خلال الأزمة الخانقة من أبرز مظاهرها ارتفاع الديون، نتيجة لذلك أصبحت الدولة شبه فاقدة للسيادة، لا سيما في النصف الأخير من القرن 19، وكان الاقتصاد العربي المحلي يسير نحو التقهقر. انظر: حسين ضناوي: السيد رشيد رضا، فكره، نضاله السياسي ، ط1 ، دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر لبنان ، 1995 ، ص 50.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

لصالح الإسبان والبرتغال، كما كان لاكتشاف العالم الجديد آثارا جد وخيمة على الاقتصاد الإسلامي حيث تحوّلت التجارة إلى يد الأوربيين<sup>(1)</sup>. لقد عانى العالم الإسلامي من أوضاع سياسية وأمنية متأزمة، على غرار الأوضاع الاقتصادية التي كانت تصطبغ دوماً بالمتغيّرين السابقين، مع ذلك نسجل بعض المحاولات النهضوية المتأخرة في الميدان الاقتصادي والاجتماعي من طرف بعض الولايات أو الدويلات الإسلامية المستقلة حديثا نتيجة نجاح حركة الانفصال، وعلى رأسها محاولة محمد علي باشا في مصر الذي حاول النهوض بالاقتصاد المصري عن طريق الاقتباس من النظم الاقتصادية الأوربية، ولكن كان مصير البلاد يسير نحو الاستعمار<sup>(2)</sup>.

في ذات السياق لجأت بلدان المغرب العربي لإطراء جملة من الإصلاحات، في مختلف الميادين وعلى رأسها تونس التي شرع رجالها في تطبيق سلسلة من الإصلاحات على عهد " أحمد باي"<sup>(3)</sup> الذي جعل وزيره "مصطفى خزندار" صاحب الصلاحيات الواسعة يشرف على تلك المشاريع الإصلاحية إلا أن دوره أصبح مصدر خطر لشؤون الدولة الاقتصادية والمالية، فانتهج سياسة الاقتراض من الدول الأجنبية بعد فراغ الخزينة وإفلاسها، وانتهى الأمر إلى تكوين لجنة المراقبة المالية لضمان سداد الديون الأوربية، مما جعله يثقل كاهل الشعب بالضرائب. واعتُبر مما هيأ الظروف

(1) ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة، 1798-1939، ترجمة: كريم عزقون نوفل، 1997، ص 46.

(2) لقد ساد العالم الإسلامي في المجال الإقتصادي زمن العثمانيين النظام الشبه الإقطاعي على غرار مصر، لذلك سعى محمد علي باشا للانفتاح على رؤوس الأموال الأجنبية، وفتح الباب بمصرعيه أمام الأجانب للاستثمار، وكذا الاقتراض، وسار على ذلك ابنه إسماعيل. انظر: كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط10، 1984، ص 100-102.

(3) أحمد باي حكم تونس خلال (1837-1855) وكانت الأوضاع السياسية الداخلية والظروف الدولية توحى بالخطر الداهم الذي كان يحدّق بتونس، من هذا المنطلق شرع هذا الباي في إحداث مجموعة من الإصلاحات شملت كافة المجالات بما فيها تحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية، وقد تأثر أحمد باي في سياسته الإصلاحية بصاحب التجربة الإصلاحية الرائدة في العالم العربي الإسلامي محمد علي باشا، وبطبيعة الحال فإن نقطة التقاطع بين المصلحين هي الاقتباس من النظم الغربية و على رأسها الفرنسية.



## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

لوقوع تونس بين مخالب الاستعمار<sup>(1)</sup>. وما يقال على تلك الإصلاحات أنها كانت ارتجالية، ذلك الأوضاع الداخلية والظروف الدولية والمصالح الاستعمارية المتضاربة حالت دون نجاحها وأكثر من ذلك فقد أدت إلى إفلاس الخزينة التونسية وتراكم الديون على تونس<sup>(2)</sup>.

إن كثرة المتطلبات والنفقات العسكرية التي كانت الدولة ملزم بها وفق الإصلاحات المرادجة استلزمت أموالا ضخمة طائلة، الأمر الذي إلى زيادة ديون البلاد التونسية، والجدير بالذكر أن السياسة التونسية الإصلاحية سارت نحو التطوير العسكري من خلال تحديث جيشها وتجهيزه بكامل الأسلحة والمعدات اللازمة الحديثة، مما أدى إلى استنفاد أموال كثيرة فاضطرت الدولة إلى اقتراض الأموال من الخارج، ورفع الضرائب وإثقال كاهل التونسيين بها، مما خلق نوعا من التذمر والنقمة<sup>(3)</sup>. وأمام هذه الأوضاع الاقتصادية المتدهورة والاجتماعية المتدنية؛ كان على أصحاب الوطنية التونسيين المخلصين الأقحاح إيجاد الحلول المناسبة، ولعل أهمهم على الإطلاق "خير الدين التونسي"، وأول المهام التي اضطلع بها صيانة الأموال التونسية وحمايتها من النهب والاختلاس الداخلي مما دفع الباي أحمد إلى ترقيته وتقريبه، حيث ثم شارك في وضع قانون عهد الأمان<sup>(4)</sup> وعيّن على الوزارة سنة

---

(1) بيزم محمد الخامس : القطر التونسي في صفة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار ، تحقيق وترجمة : علي الشنوفي وآخرون ، بيت الحكمة ، قرطاج ، تونس ، 1989 ، ص 157.

(2) يشير خير الدين التونسي إلى أن ديون تونس قد وصلت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر مليون ريال . انظر: خير الدين التونسي : أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ، تحقيق : منصف الشنوفي ، ط2 ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1986 ، ص 31.

(3) بسبب إثقال كاهل الشعب بالضرائب اندلعت الثورات في البلاد بعد فترة من الهدوء، ثم إن الحركة تقدمت نحو التعاضم، بحيث بلغت ذروتها سنة 1884 وهي السنة التي اندلعت فيها ثورة "علي بن غدهم" التي أشعت البلاد بتمامها وكما لها، وجعلتها تقف ضد الباي وماليكه وسياسته الجبائية الإصلاحية. انظر : محمد الهادي الشريف : تاريخ تونس ، تعريب : محمد الشاوش ومحمد مجينة ، ط3 ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993 ، ص 98. للمزيد انظر كذلك: البشير بن سلامة : ثورة بن غدهم ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1967.

(3) Mustapha kairam : **La Tunisie précoloniale** , tom 1 , état gouvernement administration , Tunis , 1979 , p 52.

(4) محمد الفاضل بن عاشور : تراجم الأعلام ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1970 ، ص 50 ، 51.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

1873 حيث تمكّن من القيام ببعض الإصلاحات الهامة خاصة في ميدان الاقتصاد الذي كان السبب الرئيسي للتدهور تونس وفتح الباب أمام الأطماع الأوربية للتغلغل في البلاد تمهيدا لاحتلالها كما اهتم بتعديل لجهاز الإداري بما يتوافق مع أوضاع تونس الداخلية والخارجية، وتنظيم الوزارات وشؤون التعليم والأحباس، وحاول أن يوقف سياسة التبذير وصرف أموال الدولة في غير وجهها السليم الصحيح.

لقد عاشت تونس خلال القرن التاسع عشر على غرار البلدان المغاربية الأخرى أوضاعا اقتصادية واجتماعية جد متدهورة، فرضتها الحالة السياسية للبلاد والظروف الدولية المصطبغة بالنزعة الاستعمارية الاستغلالية للدول الأوربية، التي وجدت أقطار العالم الإسلامي مهيباً للاستعمار والاحتلال، بما فيها البلاد التونسية التي استغلت ظروفها الاقتصادية والمالية خاصة بعد إيقاعها بالديون الأمر الذي جعلته القوى الأوربية مطية وذريعة لاحتلالها، وعلى رأسها فرنسا التي تمكنت من خلق كل الذرائع والحجج للاحتلال تونس وإضفاء الشرعية على ذلك، من هذا المنطلق سارت الحملة الفرنسية إلى تونس، حيث وجدت المشاشة وضعف الدفاعات، وعليه توقيع معاهدة الحماية في 12 أيار 1881. ونفس الأمر وقع في مصر مع تجربة محمد علي باشا بعد انفصاليه عن تاج الخلافة العثمانية، حيث شرع في اقتباس النظم الأوربية في مختلف المجالات بمساعدة أوربية مما فتح الباب للتدخل الأجنبي في البلاد ثم احتلالها.

وفي نفس السياق حاول ملوك المغرب العلويين<sup>(1)</sup> إحداث نهضة اقتصادية واجتماعية، ولعل أهمها محاولة مولاي محمد بن عبد الله (1790-1857) الذي أكثر الاتصال بالدول الأوربية من أجل

---

(1) ينتسب العلويين الحاليون إلى علي الشريف المنحدر من ذرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد استقروا في سجلماسة بتفاليات بقيادة مولاي رشيد، حيث قضى على الزاوية الدلائية والتي كانت تنازعه السياسية، ولكنه أبقى على علمائها لكسب التأييد الشعبي، كما قضى على إمارة الشبانان بمراكش، أحوال السعديين، وبذلك صفى له الجو. انظر: أبو العباس بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج7، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954. انظر كذلك:

Brigmon.J et Amin.A : **Histoire du Maroc** , Librairie national , Casablanca , Maroc , 1967 , p 240.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

الاستفادة منها اقتصاديا واجتماعيا، وشجع التجار المغاربة على توثيق العلاقات التجارية مع مختلف الدول الأجنبية، مما جعل البضائع الأوربية تحمل إلى الموانئ المغربية دون انقطاع، كما بنى ثغر الصّويرة كي يقوم مقام ثغر أغادير الذي كان يتعرض لهجمات الثوار من حين لآخر. وأصلح مرسى الدار البيضاء وغيرها، وأعفى التجار الأجانب المقيمين في الثغور من الضرائب حتى ينشطوا في حركتهم التجارية التي تعود بالنفع العميم على المغرب<sup>(1)</sup>. إضافة إلى إصلاحاته الاقتصادية، فقد اهتم مولاي محمد بتحسين الظروف الاجتماعية والثقافية من خلال بناء المساجد والمدارس عبر كامل التراب المغربي، وأصلح برنامج التعليم وفق المنهاج المقرّر المرتكز على الأسس الحديثة، واعتنى بأحوال القضاة والأئمة ماديا ومعنويا، ثم واصل المولى حسن (1290-1331هـ) مسيرة الإصلاح الاقتصادية والاجتماعية من خلال تحسين الخدمات الاجتماعية ونشر التعليم بين الأهالي، وكذا تشجيع التبادل التجاري مع الدول الأجنبية، وقد سعى لتحديث دولته من خلال الاقتباس من النظم الأوربية التقدمية الحديثة كالتلفون والتلغراف والسكّة الحديدية، وإصلاح الطرق، واستخراج المعادن من باطن الأرض غير أنه كان حذرا من مغبة التدخل الأجنبي في شؤون المغرب الداخلية ذلك أنه أسند تلك الأعمال إلى مهندسين أوريبيين، وكان يأمل أن تتهيأ في المستقبل طائفة من المهندسين المغاربة فيتولون القيام بهذه المشاريع الإصلاحية في البلاد<sup>(2)</sup>.

لقد كانت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمغرب متوسطة إن لم نقل حسنة خلال القرن التاسع عشر مقارنة مع الأقطار المغربية الأخرى، ذلك انه لم يدخل تحت لواء الدولة العثمانية والتي كانت مع بداية تواجدها بأرض المغرب تشكل حصنا منيعا ضد الغزو الأوربي الصليبي، ولكن مع مرور الوقت ونتيجة تعفن جهازها السياسي على مستوى القصر حادت عن نهجها القويم، الأمر الذي وفر للمغرب هامشا من الحرّية لتطوير الاقتصاد وكذا تحسين الخدمات الاجتماعية ورفع مستوى

(1) محمد الأمين ومحمد علي الرحمانى : المفيد في تاريخ المغرب ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب ،(د.ت) ، ص 228-230.

(2) محمد الأمين ومحمد علي الرحمانى : مرجع نفسه ، ص 238.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

التعليم، اعتمادا على جهاز سياسي مغربي ممثل في الأسر الحاكمة (العلوية)، ناهيك عن تأخر احتلال المغرب إلى غاية مطلع القرن العشرين، يمكن أن نسقط ذلك على ليبيا التي كانت شبه مستقلة عن الخلافة المركزية، وكذا تأخر احتلالها إلى غاية بداية القرن العشرين، وبالتالي لم تنهب ولم تستغل ثرواتها وحافظت على بنيتها الاجتماعية، واستمرت منضوية تحت لواء الدولة العثمانية، إلى غاية استعمارها من طرف الطليان سنة 1911.

وفيما يخص البلاد الجزائرية، فقد كانت تتمتع باقتصاد زراعي تقليدي، يتماشى ومتطلبات المجتمع الجزائري، إلى درجة تحقيق الاكتفاء الذاتي<sup>(1)</sup>، وهذا خلال مرحلة الحكم العثماني في الجزائر (1518-1830) وبعد نجاح الحملة الفرنسية على الجزائر وتوقيع معاهدة الاستسلام في 5 جويلية 1830 تغير الاقتصاد الجزائري، حيث صار يستجلب المخططات الفرنسية الرامية إلى هدمه وتفكيكه، وأكثر من ذلك أصبح مستخرا لخدمة الاقتصاد الفرنسي، من خلال انتهاج سياسة اقتصادية استغلالية تجسدت في مصادرة ملايين الهكتارات من الأراضي الخصبة في شتى أصقاع الجزائر<sup>(2)</sup>، واحتكار جميع الأنشطة الزراعية والتجارية والصناعية ووضعها في يد المعمرين، إلى جانب تسخير أصحاب الأرض لخدمتهم، وخدمة الاقتصاد الفرنسي، فصار الجزائريون غرباء في أرضهم

---

(1) لقد تمتعت الجزائر خلال العهد العثماني باقتصاد تقليدي قوي، يعتمد أساسا على الزراعة، والتي كانت تعتمد على وسائل بسيطة، غير أنها حققت الاكتفاء الذاتي، وأكثر من ذلك فقد كانت تصدر الفائض للخارج، وخير دليل على ذلك تلك الإعانات التي قدمتها لفرنسا أيام ثورتها 1789 الأمر الذي جعل من الجزائر قوة سياسية في المنطقة، من هذا المنطلق، سارعت الدول الأوروبية لإقامة علاقات سياسية وتجارية مع الجزائر، وأهم الدول فرنسا التي عقدت معها حوالي 57 معاهدة ابتداء من القرن 16 إلى نهاية القرن، بالإضافة إلى باقي الدول الأوروبية. للمزيد من التفاصيل حول مكانة الجزائر العثمانية في حوض البحر المتوسط انظر: مولود قاسم نابت بلقاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية**، ج 1، دار الأمة، الجزائر، (د.ت).

(2) لقد كانت الزراعة أول قطاع اقتصادي، بسطت فرنسا نفوذها عليه، وقد كانت الأرض محور رأس مال الأهالي في المجتمع الجزائري الذي كان خلال تلك الفترة مجتمع فلاحي بطبعه. لذلك لم تدخر فرنسا أي جهد في مصادرة أراضي الجزائريين، وطردتهم إلى الجبال والفيافي والمناطق الصحراوية، ومنحها للمعمرين الوافدين من كل أصقاع أوربا وقد بلغت المساحة المصادرة منذ 1830 و إلى غاية النصف الأول من القرن العشرين ما يفوق 2 مليون هكتار، وكانت توجه منتجاتها لخدمة الاقتصاد الفرنسي. انظر: شارل روبري أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصر**، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1986، ص 126.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

باعتبار الفرد الجزائري أن ذلك فلاح بطبعه، يستمد لقمة عيشه من خدمة أرضه، فتحول إلى سفوح الجبال والأراضي الجرداء.

وأما الصناعة فقد كانت الجزائر تعتمد بصفة أساسية على الصناعات الحرفية التقليدية التي كانت منتجاتها تنشط التجارة الداخلية عبر الأسواق الجزائرية في كامل أنحاء البلاد، مثل الدباغة والنحاسة والصباغة والحدادة والتجارة، ولكن بدأت هذه الصناعات في التراجع بسبب تدهور الأوضاع الأمنية وكذا نتيجة السياسة الفرنسية الرامية إلى تحطيم الاقتصاد المحلي، لذلك انحصرت وأصبح وجودها مقتصرًا على المدن العريقة القديمة مثل تلمسان، بجاية وقسنطينة. زيادة على ذلك فقد أرهقت فرنسا كاهل الجزائر بأنواع مختلفة من الضرائب كضريبة الرأس واللزمة والعشور... الخ ونتيجة هذه الظروف الاقتصادية، أصبح المجتمع الجزائري يعاني من ويلات الفقر المدقع، وانتشار البطالة والجهل وأمية ولكن مع ذلك حافظ على قيمه الاجتماعية على رغم من كل محاولات الاستئصال.

لقد تحول العالم الإسلامي إلى مجال خصب للاحتلال من طرف القوى الأوربية التي ما فتئت تستعمر أقطاره المترامية في أطراف المعمورة، بداية بالجزائر، وتونس ثم ليبيا ونتيجة لذلك عاش أوضاعا اقتصادية متدهورة واجتماعية متدنية، رسمت مختلف السياسات الأوربية ملامحها في بلدان المشرق والمغرب، ولعلها تشترك في نقاط محورية تتلخص في استغلال خيرات وثروات البلاد، وأكثر من ذلك استعباد أصحاب الأرض وتحويلهم إلى أقنان في أرضهم وكل ذلك من إيجاء واقع القوة التي كانت صالح العالم الغربي.

### 3- الأوضاع الثقافية والحضارية:

لقد تعاقب على حكم العالم الإسلامي عدّة دول جامعة، ملمت شتاته السياسي عبر أنحاء المعمورة في دولة مركزية واحدة قوامها الخلافة الإسلامية، وخلال هذه المساحة الزمنية عاش العالم الإسلامي فترات من رقي وتقدم وازدهار بانته ملامحها في حواضر، أذهلت نظيراتها من معاصراتها ونخص بالذكر منها الحضارة الأندلسية الزاهرة والحضارة العباسية التي تعد الحضارة الإنسانية المعاصرة

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

مدينة لما بقواعدها وأصولها من خلال حفظها للتراث الإنساني الذي جمع في بيت الحكمة ليتم ترجمته، ثم اتخاذه كقاعدة علمية للتطوير والابتكار<sup>(1)</sup>.

ولكن لما طال الأمد على المسلمين، بدؤوا يجيدون عن مسار حضارة الأسلاف الراقية، وأخذ التخلف يخيّم على الأمة الإسلامية مع بداية العصور الحديثة، في الوقت الذي كانت فيه أوربا تعيش نهضة شملت مختلف الميادين. ولعل أهم مقوم لهذه الأمة هو الإسلام الذي وحدها عبر المحطات المذكورة ( الجامعات الإسلامية التاريخية ) عن طريق وحدة العقيدة ولكن هذه الأخيرة انقسمت وتحوّلت إلى شيع وطوائف، ومجرد طقوس خرافية؛ وخطر كل الخطر إذا حاد المسلمون عن عقيدتهم الأولى الصحيحة، وهذا هو الداء العضال الذي أصابهم، حتى انتشرت وشاعت البدع والخرافات التي تجسدت في مختلف مظاهر الشرك، حتى صار العالم الإسلامي يعيش عصور الظلام التي عاشتها أوربا قبله.

لقد عبر عن ذلك الوضع المستشرق الأمريكي " لوثرورب ستودارد " تعبيراً دقيقاً من خلال قوله: «... و أما الدين فقد غشيتته غاشية سوداء، فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجفاً من الخرافات وقشور الصوفية، وختلت المساجد من أرباب الصلوات وكثر عديد الأعداء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمام والتعاويد والسبحات ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور، وغابت عن الناس فضائل القرآن فصار يشرب الخمر والأفيون في كل مكان، وانتشرت الرذائل وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء. ونال مكة المكرمة

---

(1) لقد نشطت حركة الترجمة خلال العهد العباسي، فتم نقل المؤلفات اليونانية والفارسية، بفضل تشجيع الخلفاء، فبدأ أبو جعفر المنصور عهده بترجمة الكتب فنقل له ابن اسحق بعض كتب أبقراط وغالينوس في الطب ونقل ابن المقفع بعض الكتب مثل كلية ودمنة، ولقيت حركة الترجمة العناية التامة في عهد هارون الرشيد وعهد المأمون، فأرسلت البعثات إلى القسطنطينية لإحضار المصنفات الفريدة، و لولا حركة الترجمة خلال العهد العباسي لاندثر التراث اليوناني. انظر : إبراهيم أيوب : التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، 1989 ، ص 211 و ما بعدها.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

والمدينة المنورة ما نال غيرها من سائر مدن الإسلام، فصار الحج المقدّس الذي فرضه النبي على من استطاعه ضرباً من المستهزآت، وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين وهبطوا مهبطاً بعيد القرار، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يدهي الإسلام، لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وعبدة الأوثان<sup>(1)</sup>.

إن عزة العالم الإسلامي في وحدة عقيدته وصفاء دينه الإسلام الذي انطلق في بيئة صحراوية لا تكاد تتوفر على شروط الحضارة، ولكن لما كان الرعيل الأول من المسلمين على عقيدة واحدة صحيحة وعلى الجماعة، تأتي لهم تأسيس دولة بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم في ظرف وجيز جدا استطاع من خلالها أن يقهر الروم والفرس، أعنت القوى السياسية والعسكرية أنذاك.

ولكن إذا تخلف الشرط تخلفت النتيجة المشروط فلما تخلف الإيمان والتوحيد الصحيح وحل محله الشرك والبدع والخرافات، تخلفت النصر والتمكين والظهور والسيادة، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾<sup>(2)</sup>.

أمام هذا الواقع كان لا بد على أقطاب الإصلاح (جمال الدين ومحمد عبده...) أن يجدوا الحلول الفكرية المناسبة للنهوض بالعالم الإسلامي، من خلال الدعوة للتجديد ونبد التقليد، واقتباس النظم العلمية الحديثة والعودة إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة، ونتيجة لذلك برزت عدة شخصيات تجديدية على رأسها محمد بن عبد الوهاب، الذي شنّ حملة إصلاحية استهدفت إصلاح العقيدة وتصفيتها من برائن الشرك والبدع والخرافات، والعودة بالمسلمين إلى منهج السلف الصالح الذي

(1) لوثرورب ستودارد : حاضر العام الإسلامي ، تعريب : عجاج نويهض ، تعليق : شكيب أرسلان ، ج 1 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (د.ت) ، ص 259 ، 260.

(2) سورة النور الآية 55.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

يستند إلى أصول الدين التي لا جدل فيها وهي القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو منهاج الخلفاء الراشدين<sup>(1)</sup>.

لقد ساهم محمد بن عبد الوهاب بحق في بث الوازع الديني في أوساط المجتمعات الإسلامية من خلال حركته الإصلاحية، وبالموازاة مع ذلك ظهرت حركات مشابهاة كالسنوسية والمهدية، كلها تقع ضمن تيارات حركة الجامعة الإسلامية التي استهدف أقطابها إحياء العقيدة الصحيحة المساهمة في بث الوعي في نفوس المسلمين والبحث الأسباب الحقيقية للنهضة، التي كانوا يبحثون عنها عند قبور الأولياء الموتى؛ وعن هذه الحركة يقول صاحب حاضر العالم الإسلامي: "فالدعوة الوهابية إنما هي دعوة إصلاحية خالصة بحتة غرضها إصلاح الخرق ونسخ الشبهات، وإبطال الأوهام، ونقض التفاسير المختلفة والتعاليق المتضاربة التي وضعها أربابها في عصور الإسلام الوسطى، ودحض البدع وعبادة الأولياء وعلى الجملة هي الرجوع إلى الإسلام والأخذ به على أوله وأصله، لبابه وجوهره، أي إنما الاستمسك بالوحدانية التي أوحى الله بها إلى صاحب الرسالة صافية والاهتداء ولائتمام بالقرآن المنزل المجرد وأما ما سوى ذلك فباطل وليس في شيء من الإسلام. و يقتضى ذلك الاعتصام بأركان الدين وفروضه وقواعد الآداب، كالصلاة والصوم وغير ذلك..."<sup>(2)</sup>.

لقد تميز الوضع العلمي والثقافي خلال القرن التاسع عشر للعالم الإسلامي بالجمود والانحطاط حيث صار يعتمد على المناهج التقليدية التي لا تتماشى مع روح العصر، فمراكز العلم انحصرت في الكتاتيب والزوايا والمساجد وكان قد خيم عليها العقائد المنحرفة التي حادت عن الاعتقاد الصحيح الصافي، فالاستعمار والتخلف العلمي عندهم قدر محتم يجب الرضا به، وبذلك ألغوا عنصر تقديم الأسباب التي لن تكون نهضة إلا ببذلها، ورضوا بالتقليد والحمول والكسل، وأغلقوا باب الاجتهاد

(1) لاستزادة حول الإصلاح الإسلامي؛ انظر: جمال قنان: " نظرة حول حركة الإصلاح الإسلامي والجامعة الإسلامية في القرن التاسع عشر "، مجلة المصادر، العدد 11، السادس الأول، 2005، ص 18.

(2) لوثرورب ستودارد: مصدر سابق، ج 1، ص 264.



## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

الذي كان منتعشا ونشيطا مع المسلمين الأوائل<sup>(1)</sup>.

وكانت مصر عبر التاريخ الإسلامي منارة علمية لوجود جامع الأزهر على أرضها، ولكن أصبح يعيش حالة من الانحطاط والتخلف، بسبب الاعتماد على المناهج القديمة التقليدية في التعليم المقتصرة على الاجترار وشروح المتون القديمة والاكتفاء بذلك، وغلق باب الاجتهاد والإحجام عن الخوض في القضايا المستحدثة والعلوم المعاصرة الأخرى، من هذا المنطلق رسخت عقلية التحجر وأكثر من ذلك؛ مجابهة أية حركة إصلاحية هدفها إصلاح الأوضاع العلمية والثقافية للحاق بالركب العلمي الأوربي، يصف الشيخ محمد عبده وضع التعليم في مصر والعالم الإسلامي؛ من خلال حوار مع الشيخ البحري عضو مجلس إدارة الأزهر حول منهج التعليم، فأصر البحري على المنهج القديم أي التقليد وغلق باب الاجتهاد، فعقب عن ذلك الشيخ محمد عبده بقوله: «إن كان لي حظ في العلم الصحيح الذي أتذكر، فإنني لم أحصله إلا بعد أن مكثت عشر سنين أكنس من دماغي ما علق فيه من وساخة الأزهر، وهو إلى الآن لم يبلغ ما أريده له من النظافة»<sup>(2)</sup>، وفي ذات السياق يشير إلى ذلك أحمد أمين بقوله: «... كان التعليم في عصر محمد عبده يقوم على الفلسفة اللفظية، ويعلم طالبه الدقة في الفهم الخاطئ والقدرة على الجدل ولكن لا يستخدم هذه الدقة لا في اللفظ ولا في الجدل، ولكن تجعل صاحبها غارقا في الاحتمالات بما يراه في الحواشي والشروح من التأويلات، فكل شيء يجوز حتى دخول الجملة في البندقية»<sup>(3)</sup>.

وفي نفس السياق ظل جامع الزيتونة ولزمن طويل يمثل منارة علمية ومركز إشعاع علمي، يأتيه الطلاب من كل فج عميق على غرار الأقطار المغاربية، لتزود بشتى العلوم العقلية والنقلية. ولكن ما فتى أن تحول إلى مركز تقليدي، يعتمد المناهج القديمة في التعليم.

(1) Ali Merad : **l'islam contemporain** , , Edition Dahleb , Alger , 1995 , p 16.

(2) محمد عبده : الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ، تحقيق وتقديم : محمد عمارة ، ج3 ، ط1 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1993 ، ص 194.

(3) أحمد أمين : زعماء الإصلاح ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، 1971 ، ص311.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

لقد شهد العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر أوضاعا خطيرة انطلقا من الوضعية السياسية التي تميزت بالضعف وفقدان السيادة، نتيجة احتلال جل أقطار العالم الإسلامي واستخلاصها من الجامعة الإسلامية العثمانية التي كانت تقاوم مقاومة الشاة المذبوحة، ومن خلال ما سبق يمكن أن نلخص أوضاع العالم الإسلامي من خلال ما يلي:

1 - تحول موازين القوى لصالح العالم الصليبي، والتي ظلّت لردح طويل من الزمن لصالح الجامعة الإسلامية عبر محطاتها التاريخية الكبرى، بما فيها العثمانية التي ركز قوادها على المجال العسكري وفق الإمكانيات التقليدية الموجودة والمتاحة، وكل ذلك على حساب الميدان العلمي والفكري، في الوقت الذي كانت فيه أوربا قد قطعت أشواطاً في هذا المجال عن طريق النهضة الأوربية التي شملت مختلف المجالات.

2 - احتلال معظم أقطار العالم الإسلامي في المشرق والمغرب من طرف القوى الأوربية، وسيّر الخلافة العثمانية وجامعتها السياسية نحو الزوال والتلاشي.

3 - استغلال الإمكانيات الاقتصادية والبشرية لأقطار العالم الإسلامي من طرف الدول الأوربية المحتلة لها، وفق سياسة السلب والنهب.

4 - شيوع الفقر وانتشار الجهل، والزّذائل والأخلاق الفاسدة، بسبب البعد مبادئ الدين الإسلامي الصحيح وانتشار العقائد المنحرفة التي حولت الدين إلى مجرد طقوس خرافية، وأكثر من ذلك جمدت العقل الإسلامي وأقبرت عنصر المبادرة وبذل الأسباب، ومسايرة التطورات الحاصلة، والرضا بتلك الأوضاع كقدرٍ محتم.

ثانيا : ظهور حركة الجامعة الإسلامية وتطورها.

نتيجة الأوضاع السالفة الذكر، ظهرت الجامعة الإسلامية كمشروع ورفع أقطابه ومنظوره جملة من الأهداف والمبادئ، لعلاج الأمراض في مختلف الميادين؛ والتي كانت تنخر في جسم العالم الإسلامي مثل السنوس.

### 1 - مفهوم الجامعة الإسلامية:

في خضم البيئة التي وقفنا على ظروفها سالفًا، برز رجال اليقظة وشرعوا في تشخيص مواضع الضعف ومسبباتها، في مختلف أقاليم العالم الإسلامي ودولته الجامعة؛ ليقفوا على الحلول المناسبة لجمع الشتات السياسي وإقامة الوحدة، وبعث سبل الحضارة الإسلامية، اعتمادا على رابطة الدين الإسلامي الذي حاول رجال السياسة والإصلاح من خلاله بث روح النهضة واليقظة في أوساط المجتمعات الإسلامية على اختلاف أعراقهم باعتبار الدين الإسلامي قاسما مشتركا بينهم، من هذا المنطلق ظهرت فكرة الجامعة الإسلامية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بمثابة حركة هدفها إحياء الخلافة ووحدها السياسية، وإخراجها من دائرة التخلف.

من المعلوم أن أقطاب الجامعة الإسلامية اعتمدوا على مقوم الإسلام لهندسة مشروع الجامعة الإسلامية بغية مقاومة الاستعمار والتخلف وإحياء الجامعة السياسية<sup>(1)</sup> انطلاقا من النصوص النقلية الحاتة على الوحدة بين المؤمنين على اختلاف أعراقهم، التي جعل منها رفقاء محمد عبده أصولا للوحدة؛ ومنها قوله تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(2)</sup>. لقد كان تأليف القلوب نافذة الإسلام إلى تحقيق نعمة الوحدة والأخوة بين المسلمين

(1) تعني كلمة جامعة في اللغة العربية المكان الذي يجمع فيه الناس، ومنه سمي الجامع جامعا لأنه يجمع المؤمنين على اختلاف ألسنهم وعرقهم كذلك تحمل معنى الوحدة والتكافل والتضامن والوحدة، والأخوة التي أساسها الدين الإسلامي، فالذي يقطن ماليزيا أو الفلبين هو أخ للذي يسكن المغرب الأقصى أو ألبانيا .

(2) سورة التوبة، الآية 71.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

ومن ثمة تحقيق التكامل والرشد في الدعوة إلى الله وقال كذلك: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وادكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾<sup>(1)</sup> فقد أمر الأمة جميعاً بالاعتصام بحبل الله. وقال: ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله آلف بينهم إنه عزيز حكيم﴾<sup>(2)</sup>. وقال كذلك: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾<sup>(3)</sup>.

في ذات السياق وردت أحاديث كثيرة للنبي صلى الله عليه وسلم حول الجماعة نذكر بعضها ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ»<sup>(4)</sup>. وقال عليه الصلاة والسلام «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد مجبوحة الجنة فيلزم الجماعة»<sup>(5)</sup>. وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى»<sup>(6)</sup>. وفي الصحيحين قال صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبك بين

(1) سورة آل عمران، الآية 103.

(2) سورة الأنفال، الآية 62.

(3) سورة التوبة، الآية 71.

(4) رواه مسلم في صحيحه.

(5) رواه الترمذي في سننه.

(6) حديث متفق عليه.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

أصابعه<sup>(1)</sup>. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَى بِدِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ»<sup>(2)</sup>.

ارتكزت حركة الجامعة الإسلامية على عنصر الإسلام الذي يشكل القاسم المشترك بين مختلف الأمم المنتمية إليه، والإسلام بدوره يدعو الجماعة التي تذوب فيها مختلف الفروق المتعلقة باللسان والعرق وحتى الجغرافيا وينفر من الفرقة والشقات والتنافر، لذلك فالعالم الإسلامي أمة واحدة، بموجب عقيدته يشعر المسلمون بالأخوة. من هذا المنطلق ظهرت فكرة الجامعة الإسلامية، كمشروع إصلاحي هدفه جمع الشقات السياسي لمختلف الأمم الإسلامية الواقعة في دائرة التخلف أو بين مخالف الاستعمار الأوربي، وقد وجد هذا المشروع تجاوبا من طرف الشعوب الإسلامية خاصة بلدان المغرب العربي<sup>(3)</sup>.

فالجامعة الإسلامية تعني أن للإنسان المسلم انتماء يحدده ويحدد هويته وهوية الكيان السياسي والحضاري الذي يمنحه الولاء وهذا الانتماء، يرفض القول بفكرة الوطن عند حدود دائرة الإقليم، بل يتجاوز دائرة الوطن القومي العربي إلى العالم الإسلامي، الذي يضم مختلف الأقاليم و القوميات، وهو يعني وجود طابع حضاري لهذا الانتماء الإسلامي، فعلاقات الأقاليم الإسلامية والقوميات التي يضمها لا تقف عند حدود حسن الجوار، أو مصالح سياسية، أو اقتصادية، وإنما تعني فوق ذلك وجود وحدة في الحضارة الإسلامية، تجعل من عالم الإسلام بأقاليمه وقومياته منظومة حضارية متميزة بين الحضارات العريقة<sup>(4)</sup>.

(1) رواه مسلم والبخاري.

(2) رواه أحمد وأبو داود.

(3) لقد توفرت عوامل وأسباب وحدة المسلمين عبر التاريخ من دين وتاريخ وحتى لغة القرآن. للاستزادة؛ انظر: الجندي أنور:

الوحدة الإسلامية وضرورتها والوسائل العلمية لتحقيقها، دار الصّحوة، القاهرة، 1994.

(4) محمد عمارة: جمال الدين الأفغاني المفترى عليه، ط 1، دار الشروق، بيروت- القاهرة، 1984، ص 161، 162.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

يعرفها " لثورب ستودارد" صاحب حاضر العالم الإسلامي بقوله « الجامعة الإسلامية بمعناها الشامل ومفهومها العام إنما هي شعور بالوحدة العامة والعروة الوثقى التي لا انفصام لها بين جميع المؤمنين في المعمور الإسلامي »<sup>(1)</sup>، لقد اقتبس ستودارد هذا التعريف من قوله تعالى ﴿ فَكُنْ لَهُمْ مَوَدَّةً وَسَدْرًا ﴾. ويدل ذلك على البعد الديني العميق لحركة الجامعة الإسلامية، التي تركز على جانب روحي رسخته الشريعة الإسلامية ويتمثل أساسا في تحبيب الجماعة والتمسك بالعروة الوثقى، ونبد الفرقة والشقاق التي تولد الضعف والوهن، وبالتالي عدم القدرة على مواجهة الأخطار الخارجية التي تحدق بالعالم الإسلامي المستهدف من طرف قوى النصارى الأوربيين. يقول مصطفى كامل « لقد راجت الأضاليل والأكاذيب والخزعبلات بين العامة باسم الدين، ولا سبيل لإبادة جيش الباطل الذي ألف باسم الدين إلا بالدين نفسه. إن حركة الجامعة الإسلامية بمعنى الحرب الدينية لا وجود لها بالمرّة. ولا يوجد مسلم متنور يدعو إلى تأليف عصبة إسلامية ضد المسيحية... لقد أدرك المسلمون من زمان بعيد استحالة العيش في معزل عن العلم. وأن ميل الإنسان لأبناء دينه أمر طبيعي وشرعي يزكّيه أن لتأخر المسلمين أسبابا واحدة وبالتعليم والنور وإحياء الأفكار ونشر المعارف، وإرشاد المسلمين إلى الحقيقة الدينية يتقدم المسلمون »<sup>(3)</sup>.

ويعرفها محمد عمارة بقوله « الجامعة الإسلامية، تعني في الأساس، ذلك التيار الفكري والسياسي الذي أبصر قاداته وأنصاره أن هناك عدد من التحديات التي تواجه الفكر الإسلامي والشعوب والأمم الإسلامية، سواء أكانت تلك التحديات آتية من داخل الأوطان الإسلامية كالتخلف الفكري والروحي والانحدار الحضاري والسياسي والصراعات الإقليمية والقبلية، أو آتية من الخارج في شكل المد الاستعماري والامبريالي الذي زحف من أوروبا على الشرق، وخاصة في القرن التاسع عشر. تيار الجامعة الإسلامية هو الذي أبصر أصحابه هذه التحديات، ثم آمنوا بأن تشخيصها في مختلف هذه البلاد، له كذلك طريق واحد يؤدي إلى تلك الغاية الواحدة المنشودة، وهي

(1) لثورب ستودارد : مصدر سابق ، ج 1 ، ص 287 ، 288.

(2) سورة آل عمران ، الآية 102.

(3) محمد عمارة : الجامعة الإسلامية وفكرة القومية، نموذج مصطفى كامل ، ط1، دار الشروق ، بيروت - القاهرة ، 1994 ، 48.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

التغلب على هذه التحديات، والعودة بهذه الأمم والشعوب الإسلامية إلى دائرة التأثير الإنساني والعطاء الحضاري كما كانت قبل أن تقهرها هذه التحديات<sup>(1)</sup>. وهي بذلك ليست تنظيماً آلياً بقدر ما هي عليه من إحساس وشعور جارف، ورد فعل قوي للعالم الإسلامي ضد أوروبا، خاصة بعد سقوط العديد من أقطاره تحت نفوذها، وزاد في تأجيجه تحريض أوروبا للحركات الانفصالية في البلقان للانفصال عن المجال السياسي للدولة العثمانية، كلها عوامل دفعت بالمسلمين من مختلف بقاع الأرض للتوجه نحو الجامعة الإسلامية ومؤازرتها، ليقفون على الأقل في وجه الخطر الأوربي الزاحف على بلادهم. يمكن أن نقول أن الجامعة الإسلامية هي حركة إصلاحية دينية وفكرية، ذات طابع سياسي<sup>(2)</sup> يستهدف إحياء نظام الخلافة، ونشاط دبلوماسي نضالي خفي بين أقطابها وأقطاب الحركات الوطنية التحررية<sup>(3)</sup>، ظهرت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

### 2- جذور الجامعة الإسلامية وتطورها:

تعود فكرة الجامعة الإسلامية بجذورها إلى عهد دولة الوحي<sup>(4)</sup> التي ثبت دعائمها النبي محمد صلى الله عليه وسلم، في أرض المدينة التي هاجر إليها بعد مكوثه في مكة ثلاثة عشرة سنة، وهو يدعو قومه إلى الإسلام ولكن صناديد قريش كانوا له بالمرصاد، فوجد في المدينة الآذان الصاغية (الأوس والخزرج) والأرض الخصبة لإقامة الدولة الإسلامية، وقد عمد النبي صلى الله عليه وسلم إلى

(1) محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 50.

(2) إن الحالة النفسية التي كان عليها المسلمون خصوصاً إبان الربع الأخير من القرن التاسع عشر كانت مهيأة للاستشارة والابتزاز والانسياق وراء أي إنذار، يكون هدفه صد الخطر الأوربي الزاحف، هذا ما دفع بالعديد من المفكرين في تغليب البعد السياسي للجامعة دون بعدها الروحي. انظر رفيق العظم : " الجامعة الإسلامية " مجلة المنار ، مج 10 ، ج 8 ، شعبان 1325 / 18 أكتوبر 1907 ، القاهرة ، ص 592. كذلك

Sanhoury.A : **Le Califat: évolution vers une société des nations orientales** , paris ,1926 , p 506.

Landau : **the politics of panislam ideologie and organisation** , oxford , 1988 , 261.

(3) جمال قنان: " لمحة حول نشاط الجامعة الإسلامية من خلال المراسلات الدبلوماسية 1900-1924 "، مجلة الأمير عبد القادر ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، عدد 19 ، رمضان 1426 / أكتوبر 2005 ، قسنطينة ، الجزائر.

(4) مصطفى حلمي: **نظام الخلافة في الفكر الإسلامي** ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2004 ، ص 20.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

تنظيم المجتمع في المدينة على أسس كلها توحى بأهمية الجماعة والوحدة والتكافل والتضامن أولها المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار<sup>(1)</sup>، ثم كتابة الوثيقة التي جاءت بنودها لترسخ مبدأ الجامعة والوحدة السياسية بين المسلمين على اختلاف أصولهم وأعراقهم وألسنتهم بما فيهم اليهود، وتجعلهم في بوتقة واحدة أساسها رابطة الإسلام<sup>(2)</sup>، وفيما يلي أهم بنودها الداعية للجماعة والوحدة الإسلامية: ((هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجهادهم معهم

- أمة واحدة من دون الناس.

- هؤلاء المسلمون على اختلاف قبائلهم يتعاقلون بينهم، و يُفدون عانيهم (أسيرهم) بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

- إن المؤمنين لا يتركون مفرحا (مثقلا بالديون) بينهم أن يعطوه في فداء أو عقل.

- إن المؤمنين المتقين على من بغى أو ابتغى دسيعة (عظيمة) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، و أن أيديهم عليه جميعا و لو كان ولد أحدهم.

- إن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن في قتال في سبيل الله إلى على سواء و عدل بينهم.

- ذمة الله واحدة، يجير عليها أديانهم، و المؤمنون بعضهم موالي بعض دون الناس.

- يهود بني عوف أمة مع المؤمنين و لليهود دينهم، و للمسلمين دينهم، إلا من ظلم و أثم فإنه لا يوتغ (يهلك) إلا نفسه و بيته.

---

(1) لقد آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار على الحق والمواساة والتناصر وإن يتوارثوا بينهم بعد الممات بحيث يكون أثر الأخوة الإسلامية في ذلك أقوى من أثر الرحم.

(2) بعد أن قام النبي صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار و استوى له الأمر في المدينة، بحيث لم تمضي سوى فترة قليلة في المدينة حتى اجتمع له إسلام وتجدرت رابطة بين عامة أهل المدينة ولم يبق من العرب دار من دور الأنصار إلا وأسلم أهلها عدا عددا أفراد من قبيلة الأوس.



## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

- إن على اليهود نفقتهم و على المسلمين نفقتهم وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة<sup>(1)</sup>. كذلك قام النبي صلى الله عليه وسلم ببناء المسجد<sup>(2)</sup>، وهو المكان الجامع، أو الجامعة التي يجتمع فيها المؤمنون على اختلاف أعراقهم وأصولهم للعبادة يعبدون إلهًا واحدًا ويتوجهون فيه إلى قبلة واحدة، وبذلك تزول الفوارق بينهم وتتألف قلوبهم على الأخوة والوحدة في الإسلام، ومنه جاءت فكرة الجامعة الإسلامية في العصر الحديث لترسخ هذه المبادئ وتنشرها بين مختلف الشعوب الإسلامية، فالجامع يجمع الناس للعبادة، والجامعة الإسلامية تجمعهم في بوتقة واحدة هي الأمة الإسلامية.

يُرْجِعُ الْمُسْتَشْرِقُ الْأَمْرِيكِيُّ لِثَوْرِبِ سِتْوِدَارْد؛ مَنشَأَ الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى جِهْودِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي عَمِلَ عَلَى تَرْسِيخِهَا فِي نَفُوسِ الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقُولُ: «... وَهِيَ قَدِيمَةٌ بِأَصْلِهَا وَمَنْشَأُهَا عَهْدُ صَاحِبِ الرَّسَالَةِ، أَي مَنذُ شَرَعِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجَاهِدُ فَالْتَفَ حَوْلَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ مَتَعَصِبِينَ مَعَهُ بِعَصَابَةِ الْإِسْلَامِ لِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ. وَقَدْ أَدْرَكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطُورَةَ الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَعَلُوَ مَنْزِلَتَهَا فِي الْمُسْلِمِينَ حَقَّ الْإِدْرَاكِ، وَعَلِمَ كُلُّ الْعِلْمِ مَا لَهَا مِنَ الشَّأْنِ وَجَلَّ الْمَقَامَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، فَغَرَسَ غَرِيصَتَهَا بِيَدِهِ فِي نَفُوسِهِمْ، فَنَمَتْ وَتَغَلَّغَتْ وَامْتَدَّتْ جَذُورُهَا وَبَسَقَتْ أَغْصَانُهَا وَفُرُوعُهَا وَأَيَّعَتْ ثَمَارُهَا. فَقَدْ كَرَّ عَلَيْهَا أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ عَشْرِ قَرْنًا فَمَا أَوْهَنَ كَرُورُ هَذِهِ الْقُرُونِ مِنَ الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ جَانِبًا وَلَا ضَعْفُهَا لَهَا كَيَانًا، بَلْ كَلِمًا تَقَادِمٌ عَلَيْهَا الْعَهْدُ وَتَنَاسُخُ الْمُلُوكِ زِدَادَاتُ الْجَامِعَةِ شِدَّةً وَقُوَّةً وَمَنَاعَةً وَاعْتِرَازًا. حَقًّا إِنْ الْجَامِعَةُ الْيَوْمَ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْمُسْلِمِ لِأَقْوَى مِنْهَا بَيْنَ النَّصْرَانِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ. وَلَا يَنْكُرُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَتَقَاتَلُونَ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ قِتَالًا شَدِيدًا بِيَدِ أَنْ هَذَا الْجِدَالِ لَيْسَ لَهُ مِنَ الشَّأْنِ أَكْثَرُ مِمَّا لِأَحْقَرِ نِزَاعٍ يَنْشَأُ بَيْنَ أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ الْوَاحِدَةِ الْمَشْتَبِكَةِ

(1) انظر : صفى الرحمن مباركيوري : الرِّحْقُ الْمَخْتُومُ ، دار الوفاء ، مصر ، 2003 ، ص 148.

(2) نظرا لأهمية المسجد في ترسيخ مبدأ الجماعة أمر النبي صلى الله عليه وسلم، ببناء المسجد في المدينة عندما حل بها، فشرع الصحابة ببناء المسجد وقد ظل المسجد يقوم بأهدافه النبيلة، ويرسخ الجماعة فيجتمع فيه المؤمنون خمسة مرات في اليوم. على غرار الجمعة التي تجمع المسلمين في مؤتمر أسبوعي، يتعلمون من خلاله التواضع والتآلف والتضامن، بعيد عن كل الفوارق.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

الأرحام، إذ لا حقد في الإسلام فعند الشدائد تذهب الأحقاد من بين المسلمين، فيصطلحون على الأمر الذي فيه يختلفون ويتألبون جموعاً مترابطة متماسكة لقتال العدو المهاجم ورد الخطر الدايم... و في الواقع ليس من دين في الدنيا جامع لأبنائه بعضهم مع بعض موحد لشعورهم دافع بهم نحو الجامعة والاستمساك بعروتها كدين الإسلام»<sup>(1)</sup>.

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقعت الدولة الإسلامية الجامعة الفتية في حالة فراغ قيادي فسارع الأنصار لعقد اجتماع لهم، عرف في التاريخ الإسلامي باجتماع "سقيفة بني ساعدة"، تمخض عنه ميلاد الخلافة الإسلامية لأول مرة<sup>(2)</sup>، التي تعاقب عليها الخلفاء الراشدين الأربعة، واستمرت قرابة ثلاثين سنة، عرفت خلالها الدولة الإسلامية أوضاع سياسية متقلبة بين الاستقرار و عدمه، خاصة منذ أواخر عهد عثمان بن عفان وطيلة عهد علي بن أبي طالب، بحيث بدأت تظهر بوادر الانقسام وظهور الفرق الإسلامية في شكل رؤى سياسية؛ سرعان ما تحولت إلى عقائد قائمة بذاتها، انجر عنها ميلاد الفرق الإسلامية الكبرى و الممثلة في الشيعة والخوارج<sup>(3)</sup>. لقد مثلت مرحلة الخلافة الراشدة العصر الذهبي للجامعة الإسلامية المثالية، بعد مرحلة الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك أنها المرحلة التي رسمت معالم العالم الإسلامي، من خلال نشاط حركة الفتوحات الإسلامية عبر كافة الجبهات. فتم ترسيخ وتجذير الإسلام في تلك المناطق وبذلك أصبحت الجامعة الإسلامية أكثر انتشاراً وتماسكاً

(1) لثورب ستودارد : مصدر سابق ، ج 1 ، ص 288. للاستزادة؛ انظر كذلك: محمد رشيد رضا : الخلافة ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، 1994 ، ص 15 وما بعدها.

(2) اجتماع السقيفة وهو اجتماع تشاوري عقده الأنصار عشية وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، بحيث أرادوا أن يعينوا خليفة منهم، لأن فضلهم كان كبيراً على نصرته الدعوة الإسلامية، في أوقاتها الحرجة، و على أرضهم تم تأسيس القاعدة الأولى للدولة الإسلامية، وبين هم كذلك التحق بهم كل من أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيد الجراح، فتكلم أبو بكر كلاماً أثنى فيه على دور الأنصار، وبعد مشاورات التف المؤمنون حول أبو بكر كخليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وحتجهم في ذلك أن الرسول قد استخلفه في الصلاة وقت مرضه، فقالوا قد رضيه لدينا فكيف لا نرضاه لدينا، وبذلك ظهرت الخلافة الراشدة. كجامعة سياسية إسلامية بعد دولة النبي. للاستزادة حول نشأة الخلافة والجامعة الإسلامية انظر أبو الأعلى المودودي : الخلافة والملك ، ترجمة : أحمد عزت ، شركة الشهاب ، الجزائر ، 1988.

(3) ظهرت هذه الفرق بشكل جلي بعد موقعة صفين، والتي انتهت بقبول علي رضي الله عنه وشيعته لفكرة التحكيم بحيث برزت طائفة معارضة للفكرة وخرجت عن جيش علي رضي الله عنه وسموا بالخوارج بينما واصل شيعته المسير وسموا الشيعة.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

وعليه فقد شكّلت تلك المناطق مجتمعة الأمة الإسلامية بغض النظر عن الأعراف والأصول. انتهت فترة الخلافة الراشدة بعد مقتل علي رضي الله عنه، ذلك أن ابنه الحسن كان على قدر كبير من الحلم فتنازل عن الخلافة للصحابي معاوية بن أبي سفيان سنة 41هـ، وفي هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (( إن ابني هذا سيّد ولعلّ الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين)).

وبذلك استبدأ فترة جديدة في تاريخ الجامعة الإسلامية وهي فترة الجامعة الأموية، وقد عرفت الرابطة الإسلامية نوعاً من التراجع، ذلك أن أفكار الفرق الناشئة من الخوارج و الشيعة بدأت تتسرب إلى كافة أقطار العالم الإسلامي خاصة بلاد المغرب، حيث ساد التشيبت و انتشرت الثورات. ثم تمكنت المعارضة الممثل في الحزب العباسي من سحب البساط من تحت أقدام الأمويين وتأسيس الجامعة الإسلامية العباسية سنة 132هـ والتي عمرت ما يزيد عن خمسة قرون شهدت خلالها الرابطة أو الجامعة الإسلامية نوعاً من الاستقرار، ذلك استطاعت أن تدمج مختلف العناصر الاجتماعية الجديدة في بوتقة الجامعة السياسية - الحضارية الإسلامية، من خلال انفتاح العقل الإسلامي على الثقافات الأخرى التي جاءت بها مختلف الفئات الأجنبية المنضوية تحت لواء الجامعة الإسلامية خصوصاً خلال عهد الخلفاء الأقبوياء أمثال هارون الرشيد وأبنائه<sup>(1)</sup>، ولكن كثرة الثورات والحركات الانفصالية، عجل بسقوطها على يد المغول سنة 656هـ<sup>(2)</sup>.

(1) لقد انفتح العقل الإسلامي على الثقافات الأخرى للأجناس التي أسلمت، الأمر الذي كان له تأثيرات عميقة وبالغة على المسار التاريخي الحضاري للأمة الإسلامية في عصر الإبداع والابتكار. انظر:

Anawati(G) : **Histoire de la philosophie musulmane**, Librairie philosophique J. Vrin , Paris, 1974, p 30.

(2) لقد عمرت الدولة العباسية قرابة ستة قرون، وكان سقوطها الحد الفاصل بين عهد الحضارة والانحطاط وبداية تراجع المسلمين كون الدولة العباسية عاش خلالها العالم الإسلامي أوج حضارته ورفيقيه، وقد تعود جذور الضعف والتشتت إلى زمن ميلاد الخلاف العقدي وانفلاق العقيدة الإسلامية بعد موقعة صفين التي كرس الانقسام والتشتت وميلاد الفرق الإسلامية التي صارت كل واحدة منها تبحث عن ملك سياسي لها يكون الأرض الخصبة لتحسيد معتقداتها انظر: مالك بن نبي : **وجهة العالم الإسلامي** ، ط5 ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1986.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

نتيجة سقوط الدولة العباسية الجامعة للعالم الإسلامي تحت لواء الإسلام، برز آل عثمان وأسسوا الدولة العثمانية<sup>(1)</sup>، التي اضطلعت بمسؤولية قيادة العالم الإسلامي، واستطاعت بفضل نشاطها العسكري أن توحد معظم أجزائه الموجودة في القارات الثلاثة، في الوقت الذي شنت فيه أوروبا الصليبية حربا ضد مسلمي الأندلس ودويلات المغرب الإسلامي، وأكثر من ذلك تمت السيطرة على أقاليم جديدة في أوروبا، وبذلك تم تجديد الرابطة الإسلامية أو الجامعة الإسلامية التي ظلت حية، إلى غاية بداية القرن التاسع عشر حيث عاش خلاله العالم الإسلامي ظروفًا خطيرة في شتى الميادين، في الوقت الذي بدأت فيه أوروبا تستعيد عافيتها وبذلك أصبحت موازين القوى لصالح الأوربيين الذين ما فتئوا، يشتون أقطار العالم الإسلامي ويحتلون، ووسط هذه الظروف تلاشت الرابطة الإسلامية وضعفت وكان لزاما إحيائها، لذلك ظهرت محاولات لأجل ذلك في شكل مشروع لإحياء الجامعة الإسلامية هندسه أقطاب النهضة؛ جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، محمد رشيد رضا وشكيب أرسلان، بدعم عثماني ممثل في مساعي وجهود السلطان عبد الحميد الثاني. ونتيجة لذلك ظهرت عدة تيارات خادمة لمبادئ وأهداف الجامعة الإسلامية.

### 3- تياراتها وأهدافها:

لقد كان العالم الإسلامي في أمس الحاجة إلى بذل أسباب اليقظة والنهضة، من خلال بث الوعي النهضوي في أوساط الشعوب الإسلامية بما فيها نخبها المثقفة، ونخبها السياسية، التي ما فتئت تتخبط في غياهب الجهل والتخلف والفوضى السياسية، كما رأينا ذلك سالفًا، من هذا المنطلق ظهرت حركة الجامعة الإسلامية في شكل تيارات، سطرّت أهدافًا مشتركة تتمحور أساسًا حول توحيد الشعوب الإسلامية وطاقاتها المختلفة لصد الخطر الأوربي ونشر الوعي للخروج من دائرة التخلف.

---

(1) تنسب الدولة العثمانية إلى عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة سنة 1299، وموطن العثمانيين الأصلي هو أواسط آسيا ثم استقروا في شرق آسيا الصغرى تحت حماية الدولة السلجوقية التي منحت زعيمهم أرطغرل رقعة أرض تقديرا له على نصرته إياها في قتالها ضد المغول. ثم تحولت قوة وأصبحت جامعة إسلامية سياسية ورثت مجالها السياسي عن العباسيين؛ للاستزادة انظر إبراهيم بك حليم : الدولة العثمانية العلية ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، 1988. كذلك: أحمد عبد الحليم مصطفى: أصول التاريخ العثماني ، دار الشروق ، بيروت ، 1993، ص 18.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

### 1- تياراتها:

تعتبر حركة الجامعة الإسلامية في العصر الحديث والمعاصر، مشروع فكريا وسياسيا وحضاريا وضع خطوطه العريضة أقطاب الإصلاح في المشرق وهم " جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، محمد رشيد رضا وشكيب أرسلان" وكان المشروع يعمل على إصلاح الدين وإقامة وحدة دينية بعيدا عن التعصب من منطلق العقلانية، وتجديد الصّلات الحضارية مع الغرب، واقتباس المناسب منها - كما صنع المسلمون في العصر العباسي - حتى يتمكن العالم الإسلامي من العودة إلى دائرة التأثير والعطاء الحضاري والمحافظة على السلطنة العثمانية وتنمية جوانبها الإيجابية، والعمل على تجديد شبابها، من منطلق الضرورات التي يحتمها التصدي الاستعماري الأوربي الزاحف على بلاد المسلمين في مختلف البقاع<sup>(1)</sup>. من جهة أخرى ظهر تيار مثله عبد الرحمن الكواكبي ( 1848 - 1902 ) تبني فكرة الجامعة الإسلامية من حيث تجديد الفكر الإسلامي، وبذل أسباب النهضة، غير أنه نادى بمحاربة الحكم العثماني الذي اعتبره تسلط واستبداد<sup>(2)</sup> وطالب بجماعة إسلامية سياسية تكون فيها القيادة للعرب، وانطلاقا من أن حركة الجامعة الإسلامية حركة دينية بالأساس استمدت مبادئها من تعاليم

(1) محمد عمارة : الجامعة الإسلامية وفكرة القومية، نموذج مصطفى كامل ، مرجع سابق ، ص 53. وانظر :

.Kedourie , (E) : **Afghani and Abduh – An Essay on Religious unbelief and Political Activism in modern Islam** , New york , 1966.

Keddie , ( N.R) : **An Islamic Response to Imperialism, political and Religious Writings of Sayyed Jamal Al-Afghani** , University of California Press , 1968.

(2) لقد اتجه الكواكبي نحو معاداة الحكم العثماني، ونفسر طبيعة الحكم هناك في المشرق بجذور التواجد التركي في المنطقة الذي كان احتلالا وتدخلا عسكريا مباشرا، لذلك ارتسمت السياسة العثمانية في المنطقة ببعض الاستبداد، لذلك نجد الكثير من المفكرين المشاركة يهاجمون التواجد العثماني على أرضهم بما فيهم الكواكبي الذي دعا للتحرر من الاستبداد التركي. أنظر: محمود قاسم : " الإصلاح بين الكواكبي والسنوسية " ، مجلة الثقافة ، العدد 95 ، سبتمبر 1986 ، الجزائر ، ص 129. كذلك: سهيلة الزيموي : " تطور مفهوم اللامركزية عند العرب العثمانيين 1900 - 1918 " مجلة دراسات تاريخية ، العدد 14 ، أكتوبر 1983 ، سوريا ، ص 143؛ كذلك:

Tapièro (N) : **Les idées réformistes d' Elkawakibi** , Paris , 1956 , p 10.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

الإسلام من خلال أصوله الممثلة في القرآن والسنة، الحائثة على الجماعة وبذل أسباب الحضارة والنهضة فقد ظهر لها عدة تيارات دينية هي:

### أ - تيار الوهابية:

ظهرت الحركة الوهابية في شبه الجزيرة العربية على يد محمد بن عبد الوهاب<sup>(1)</sup>، وشكّلت النواة الأولى لفكرة الجامعة الإسلامية، من حيث التجديد الديني، ونقد النظم العقدية السائدة آنذاك<sup>(2)</sup> وقد بدأت في شكل حركة إحياء للدين الإسلامي الذي حرف بشيوع الشرك، والبدع والخرافات، في وسط سياسي عفن، ثم كان ظهورها السياسي عندما تحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع أمير الدرعية محمد بن سعود، الذي استطاع أن يدخل المدينة المنورة ويهدم قباب قبورها ومزاراتها، فتم إخضاع مكة، ويومئذ طرد من كان بمكة من رجال الدولة الأتراك، وظهرت الدعوة الوهابية كحركة فكرية سلفية ترى رأى ابن حنبل في ضرورة أن تكون الخلافة الإسلامية الجامعة في قبيلة قريش وحدها

---

(1) ولد محمد بن عبد الوهاب التميمي في 1703 أو 1700 في نجد بالعيينة ونشأ في أسرة علمية ميسورة الحال، تتلمذ على أبيه، وحفظ القرآن الكريم وعندما بلغ العاشرة من عمره، أحاط في حلقة أبيه بكتب السلف، وبخاصة بمؤلفات بن تيمية التي وقد تأثر بها، وكان لها ولشخصية بن تيمية أثر واضح في تكوين شخصيته إلى جانب أثر أبيه وما تلقاه من علم على يديه ثم أثر الرحلات التي قام بها في طلب العلم، فقد زار الحجاز حاجا وهو يافعا، ومختلف مناطق والقبائل وشاهد هناك مظاهر كثيرة للشرك من تعظيم القبور، واستغاثة بالموتى، كما أنه تأثر كثيرا بما شاهده بالمسجد الحرام من حلقات طلاب العلم حول مشايخ يدرسون مختلف العلوم النافعة، وبما لاحظته من وحدة إسلامية متحلية في مشاعر الحج، وكانت هذه الانطباعات حافزا له لمواصلة تعليمه ثم زار المدينة المنورة، ورجع إلى بلده العيينة، ولكنه سرعانما رجع مرة أخرى إلى الحجاز لتلقي العلم على علمائه وهناك أدرك حاجة الأمة بعمامة، وحالة نجد والحجاز بخاصة للإصلاح، وارتحل مرة أخرى إلى البصرة لطلب العلم فدرس فيها الفقه والحديث على يد عدد من علمائها، وفي البصرة رأى الشيخ محمد كثيرا من الأمور التي كانت مخالفة للحق مثل تقديس الشيعة للأضرحة، والمزارات والأئمة فاستنكر كل ذلك في مجالسه، مما أثار عليه بعض العامة، فعاد إلى العيينة حيث بدأ تطبيق مبادئ دعوته فقام هو وأتباعه بقطع الأشجار التي يتوسل لها الجهال، وهدم القبة المبنية على القبور. انظر: تاج السر أحمد حران : **حاضر العالم الإسلامي** ، ط1 إشبيليا للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية 2001 ، ص 105 ، 106. كذلك: عبد الله صالح العثيمين : **الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره** ، ط1 الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ص 1992 ، ص 28 - 63.

(2) محمد محمود بوعباد آخرون : **المجتمع العربي والقضية الفلسطينية** ، تقديم : حسن الساعتي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1981 ، ص 349.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

أي في العرب، وبذلك يجب استرجاعها من العثمانيين، الأمر الذي سيتحول إلى حرب بين الدولة والدعوة<sup>(1)</sup>. وقد قامت الدعوة الوهابية على المبادئ التالية :

1 - العودة بالإسلام إلى صفائه الأول، وترك مختلف البدع والخرافات التي شابت العقيدة، ورَسَّخت ظاهرة التقليد والحمول والتحجّر، وذلك بالرجوع إلى الكتاب والسنة في معالجة أمور الحياة.

2 - الدعوة إلى التوحيد، وتحرير الذات الإنسانية من الاستعباد للبشر، فلا اله إلا الله وحده والخلاص من كل ما يتنافى مع التوحيد وكماله مثل التبرّك بالأولياء والتمسّح بالمشايخ والتقرّب إلى الله بزيارة القبور.

3 - إنكار تأويل القرآن والاهتمام بظاهر النص.

4 - فتح باب الاجتهاد وتحرير الفكر الإنساني من مذلة التقليد وإتباع السابقين، إلى أن يكون عملا نتبعه نفهمه، عمله الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه، فذلك إتياع لا تقليد.

5 - الدعوة إلى الإسلام بالجهاد في سبيل الله أمرا بالمعروف ، أو نهي عن المنكر، أو انتهاء به<sup>(2)</sup>.

وقد كان لهذه الدعوة آثار واضحة في عدد من بلدان العالم الإسلامي، حيث تأثرت بها دعوات إصلاحية أخرى سواء كان ذلك في شرق آسيا كالهند، واندونيسيا، وتايلاند أو في غرب إفريقيا وفي شمالها ( بلدان المغرب العربي مع ظهور التيارات السلفية ). وكان لصددها الواسع في العالم الإسلامي الأسباب التالية:

1 - أن الدعوة قامت وترعرعت وقويت في أواسط الجزيرة العربية، بعيدا عن التحديات الخطيرة التي واجهها العالم الإسلامي بأكمله.

2 - انبعاثها في أواسط جزيرة العرب، مهد الإسلام، واستهدافها كل المسلمين القادمين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي قاصدين الحج الذي يعتبر أهم عناصر الوحدة الإسلامية على مر التاريخ<sup>(3)</sup>.

(1) محمد عمارة : تيارات الفكر الإسلامي ، ط2، دار الشروق ، القاهرة ، 1997 ، ص 257.

(2) انظر : عبد الله صالح العثيمين : مرجع سابق ، ص 101 - 139.

(3) تاج السر أحمد حران : مرجع سابق ، ص 108 ، 109.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

و نتيجة خطورتها على المصالح الاستعمارية<sup>(1)</sup> في المنطقة، وكذا تهديدها للدولة العثمانية، أوعزت هذه الأخيرة إلى واليها على مصر محمد علي باشا - وابنه إبراهيم - للقضاء عليها، فجرد لها جيوشا ضخمة، وتمكن من إسقاط دولتها في الدرعية، ولكنه لم يستطع القضاء على الدعوة وفكرها<sup>(2)</sup> فاستطاعت أن توسع مداها فتأثر بها الدعاة في الهند<sup>(3)</sup>، والعراق، والشام، ومصر، والمغرب العربي فكان من تلاميذها الألووسي الكبير في بغداد، جمال الدين قاسمي في الشام، خير الدين التونسي في تونس، أحمد بن عرفان الشهيد، وصديق حسين خان في الهند، وعثمان دن فوديو في غرب إفريقيا وعبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي... من الجزائر<sup>(4)</sup>.

### ب - تيار السنوسية:

هي إحدى التيارات الإصلاحية الإسلامية التي عملت على تقوية الرابطة الدينية، تحت لواء الجامعة الإسلامية، نشطت في أنحاء متعددة من العالم الإسلامي، بهدف القضاء على البدع والخرافات، والعودة بالإسلام إلى نقائه الأول، وقد تأثرت الحركة السنوسية بالحركة الوهابية. وتتفق معها الوهابية في بعض مبادئها كمحاربة الضلالات والخرافات، والاعتماد على القرآن والسنة، وفتح باب الاجتهاد، وذم التقليد، كما تضمنت السنوسية النهي عن حياة الترف وإتباع قواعد الدين في أبسط مظاهره، وإبقاء الصبغة الصوفية في معناها الحقيقي الداعي إلى الصفاء والنقاء وتربية الروح على مكارم الأخلاق<sup>(5)</sup>.

(1) لقد حاربت الدعوة مبدأ التواكل والقدرية المقرر من طرف بعض العقائد التي تعتبر أن التخلف و الاستعمار قدر مقدر من عند الله، وهذا ما لم يعجب القوى الاستعمارية ورأت فيها الخطر الداهم

(2) خصوصا في مجال التوحيد والتوكل ونبث الشرك، وقد اعتمد محمد بن عبد الوهاب على ما كتبه بن تيمية وابن القيم الجوزية في العقيدة، للمزيد حول المنظومة العقدية الوهابية انظر: محمد بن عبد الوهاب : رسالة التوحيد ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، مصر ، (د.ت) .

(3) انظر : أبو مكرم بن عبد الجليل : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في شبه القارة الهندية بين مؤيد ومعارض ، مطبعة الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1988 ، ص 29 وما بعدها.

(4) تاج السر أحمد حران : مرجع سابق ، ص 110.

(5) انظر: لثورب ستودارد : مصدر سابق ، ج 1 ، ص 295.



## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

واستطاعت السنوسية أن تحقق عدّة نجاحات من خلال التّحديات التي رفعتها الجامعة الإسلامية، منها إصلاح المجتمع اللّبي البدوي، حيث أوجدت في الصحراء مجتمعا متحدا ومتعاون كما أنّها أوجدت سلطة دينية تولت الإشراف على الفرد والجماعة في تلك الأوصقاع الصحراوية ونشرت العلم والمعرفة الدينية عن طريق الزوايا، ثم استطاعت أن توجد مقاومة عسكرية ذات فعالية ضد الغزو الإيطالي، وأكثر من ذلك قاومت الاستعمار الفرنسي في الشّمال الإفريقي، وكان لها صدى واسعاً في أقطار المغرب، كما سنرى ذلك في قسم ليبيا.

### ج - الحركة المهدية:

ظهرت هذه الحركة على يد محمد أحمد المهدي<sup>(1)</sup> في السّودان كتيار إسلامي تمهيدي إصلاحية، يهدف إلى إصلاح أحوال المسلمين الدينية السياسية والاقتصادية، وذلك بإقامة حكومة إسلامية موحدة تحت لواء خلافة جامعة موحدة، وكغيرها من الحركات الدينية المعاصر لها فقد تبنّت مبادئ الجماعة وتصفية الدين الإسلامي، من خلال:

1 - العودة بالإسلام إلى ما كان عليه في أيّامه الأولى، بالاعتماد على الكتاب والسنة.

2 - التّوحيد بين المذاهب السّنيّة الأربعة، والإنفراد بمذهب اجتهادي خاص.

---

(1) محمد أحمد المهدي ( 1844-1885 ) ولد في مدينة دنقلة، لأسرة قيل أنّها من الأشراف، وقد حفظ القرآن في صغره في خلوة القرية، ثم تجول في أنحاء السودان طلباً للعلم، فزار الخرطوم، وتعددت اتصالاته برجال الدين السّودانيين، وحتى ببعض رجالات الطرق الصّوفية، وكان لترحاله هذا ودخوله في إحدى الطرق الصّوفية، ثم خروجه منها أكبر الأثر في الدّعاية له، كرجل عابد زاهد، يتأفف عن أكل الحرام، ويأكل من كده، حتى يكون مطعمه حلال، وقد ساعدته هذه السمعة الطيبة على تكوين جماعة جديدة تأتمر بأمره وتنفيذ إرشاداته، كما أنّ تجواله ذلك مكنه من الإطلاع على أحوال المسلمين السيئة في شتى أنحاء السودان وتفشي البدع والضلالات بينهم كتعلقهم بالأولياء وتعظيم القبور وممارسات كثير من الأمور البدعية والشركية. إضافة إلى ذلك فقد اطلع المهدي في رحلاته تلك على أحوال البلاد السياسية الفاسدة الأمر الذي جعله يفكر في كيفية إصلاح أحوال السودان الدينية والدنيوية، وهو في هذا يشابه أصحاب الدّعوة السنوسية والوهابية، وقد واجه كلاهما أوضاعاً دينية وسياسية في بلده كالتّي واجهها المهدي. وقد اشتهر محمد المهدي بالزهد والورع والتّقشف، الأمر الذي دعاه إلى الانتقال والعيش في جزيرة نائية على النيل الأبيض - جزيرة أبا - بغرض الاختلاء والتعبّد. وربما لجمع الأتباع حوله استعداداً لبدء حركة تعمل على إصلاح أحوال المسلمين في السودان الدينية والسياسية.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

3 - تحريم زيارة قبور الأولياء، وتحريم الرقص والغناء، ومنع البكاء وراء الميت، وإبطال السحر، وكتابة الحجب والدخان والخمر.

4 - القضاء على الفساد السياسي في السودان، وبقيّة الأقطار الإسلامية<sup>(1)</sup>.

وقد نجح المهدي في تحويل دعوته إلى دولة (المهدية) وظلت قائمة على حكم السودان حتى قضت عليها الحملة المصرية التي قادها جنرال بريطاني " كتشنز " في عام 1899 والذي استطاع بسط الحكم الثنائي على السودان؛ المصري- الانجليزي<sup>(2)</sup>.

### د - تيار الإسماعيلية:

ظهرت الإسماعيلية على يد " أغاخان " ( 1877 - 1957 ) لخدمة مبادئ الجامعة الإسلامية الهادفة إلى لم شمل المسلمين تحت راية واحدة، وفي هذا يقول " أغاخان " « إن هناك جامعة إسلامية حقة صريحة ينضم إلى لوائها الحر كل مسلم مؤمن مخلص، أعني بذلك الرابطة الروحانية الوجدانية، والوحدة الجامعة بين أصحاب الرسالة الإسلامية، فهذه الوحدة الإسلامية الروحانية التهديبية يجب أن تتعهد فتتمو أبدا، لأنها عند أتباع النبي جوهر النفس»<sup>(3)</sup>.

### ز - التيار العثماني (السياسية الرسمية):

قاد هذا التيار السلطان العثماني عبد الحميد الثاني ( 1842 - 1918 ) وهو التيار الذي كانت تعني فكرة الجامعة الإسلامية لديه وحدة الخلافة العثمانية، في كل أجزاء العالم الإسلامي باعتبارها وريثة الخلافة العباسية الشرعية، وعليه يجب إحيائها، قبل موتها، وهذا هو البعد السياسي للجامعة الإسلامية-الرسمية العثمانية، أي جعل مشروع الجامعة الإسلامية الذي نادى به كل من

(1) انظر : علي المحافظنة : مرجع سابق ، 65.

(2) تاج السر أحمد حزان : مرجع سابق ، ص 113-115.

(3) لثورب ستودارد : مصدر سابق ، ج 1 ، ص 320 .

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، محمد رشيد رضا وشكيب أرسلان؛ كواجهة سياسية للدولة العثمانية في سياستها الخارجية تجاه دول العالم الإسلامي<sup>(1)</sup>.

### 2 - أهدافها:

لقد سعت حركة الجامعة الإسلامية بقيادة أقطابها، لتحقيق جملة الإصلاحات على العالم الإسلامي بقيادة جامعتها السياسية؛ الدولة العثمانية، وفق الأهداف التالية:

أ - إحداث النهضة واليقظة والتحرر من التخلف: لقد عانى العالم الإسلامي من التخلف والجمود، بفعل الفهم الخاطئ للدين الإسلامي، حيث راجت البدع والخرافات والقدرية، وما صحبها من عبادة القبور، والتبرك بالأولياء والاعتماد على قدراتهم الخارقة، كذلك نتيجة العزلة المفروضة عليه من الخارج، ومنه استهدف رواد الجامعة الإسلامية بذل أسباب النهوض والتحرر من التخلف، عن طريق تحرير العقل الإسلامي وإطلاق عنانه، بطرق العلوم والمناهج الحديثة للحاق بمصاف الدول الأوروبية المتقدمة.

ب - تحقيق الوحدة الإسلامية: استهدفت دعوة الجامعة الإسلامية تحقيق الوحدة الإسلامية من خلال رابطة الإسلام التي تذوب فيها مختلف القوميات والجنسيات المنتمية للإسلام<sup>(2)</sup>.

ج - مقاومة الاستعمار الأوربي: يعتبر الاستعمار الأوربي من الأسباب الرئيسية التي عجلت بتخلف المسلمين، نتيجة نهب خيراتهم وثرواتهم والقضاء على مقومات الأمة، وعلى رأسها الإسلام منطلق وحدة الأمم الإسلامية ومبعث الحماس الجهادي، لذلك فقد جاءت فكرة الجامعة الإسلامية لتحرض الشعوب والحركات الوطنية على التحرر من قيود الاستعمار في وقت واحد، وبذلك إمكانية تحقيق الاستقلال بسبب التزامن في تفجير المقاومات والثورات.

(1) محمد عمارة : الجامعة الإسلامية وفكرة القومية، نموذج مصطفى كامل ، مرجع سابق ، ص 59.

(2) انظر : أنور الجندي : اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار منذ ظهورها إلى أوائل الحرب العالمية الأولى ، دار الاعتصام ، القاهرة ، (د.ت) ، 145.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

د - التحرر من استبداد الحكام: اتجه بعض أقطاب الجامعة الإسلامية إلى التحرر من الحكم الاستبدادي المفروض على المسلمين سواء كان من الحكام العثمانيين أو غيرهم من حكام الأقطار الإسلامية الأخرى، لأن هذا الحكم الاستبدادي القهري يتعارض مع مبادئ الجامعة الإسلامية التي تدعو إلى الشورى والجماعة<sup>(1)</sup>.

لقد تعددت تيارات الجامعة الإسلامية في مختلف أصقاع العالم الإسلامي، ولكن مشربها واحد وهو الإسلام الذي عدّ أصلاً وأساساً لإحداث نهضة ويقظة و وحدة تكون كفيلاً بالتصدي للأخطار المحدقة بالعالم الإسلامي، وعلى رأسها المد الاستعماري الزاحف على البلاد الإسلامية وكذا تفشّي الجهل والقدرية "والمكتوب"، وغلق باب الاجتهاد في الوقت الذي كان فيه المسلمون بأشد الحاجة إلى الاجتهاد والتدبر في حالهم وما آل إليه، ومن ثمّة تحديد جملة من الأهداف الإستراتيجية للخروج من تلك البيئة الخطيرة، أهمها نشر العلم النافع، والوعي في أوساط الحركات التحررية، والقضاء على العقائد الفاسدة، والوقوف في وجه المد الصليبي، وتحقيق وحدة تشمل كل أرض بلغها الإسلام في شكل جامعة سياسية.

### ثالثاً: الجامعة الإسلامية والسلطان عبد الحميد الثاني

تعدّدت مذاهب الجامعة الإسلامية، على اختلاف مشاربها غير أنّها اشتركت في جل أهدافها المسطرة من قبل أقطابها، من خلال توظيف رابطة الدين الإسلامي وما اشتملت عليه من معاني الوحدة والجماعة، بغرض توحيد طاقات المسلمين في كل أنحاء العالم، من جهة أخرى كان مشروع الجامعة الإسلامية بحاجة إلى تأييد ودعم رسمي من طرف الخلافة العثمانية، من هذا المنطلق تبنى السلطان عبد الحميد الثاني المشروع وأضفى عليه الصبغة الرسمية، وجعله كسياسة إصلاحية للعالم الإسلامي.

(1) رأفت الشيخ : تاريخ العرب الحديث ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، القاهرة ، 1994 ، ص 272.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

### 1 - الجامعة الإسلامية الرسمية (العثمانية):

لقد تولّى السلطان عبد الحميد الثاني<sup>(1)</sup> حكم الدولة العثمانية في خضم أوضاع وظروف خطيرة<sup>(2)</sup> اضطبغت بإفرازات الحركة الاستعمارية الأوربية التي استهدفت جل بقاع العالم الإسلامي الواقع تحت النفوذ السياسي للخلافة العثمانية، وكذا حالة التخلّف الفكري والعلمي، ناهيك عن الوضع الاقتصادي المتدهور<sup>(3)</sup> في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تعيش نهضة علمية واقتصادية، ووحدة سياسية أفرزت ظهور دول أوربية قومية جديدة<sup>(4)</sup> ستدخل بدورها حلبة الصراع والتنافس من أجل اقتسام تركة الدولة المنهارة، بما فيهم طوائف اليهود<sup>(5)</sup>، الذين اجتهدوا في وضع مخططات من أجل القضاء على الخلافة العثمانية والحصول على امتيازات داخل الدولة العثمانية خاصة استخلاص أرض فلسطين لتأسيس وطنهم القومي هناك<sup>(6)</sup>. من جهة أخرى وجدت مختلف القوميات المنضوية

---

(1) السلطان عبد الحميد الثاني بن السلطان عبد المجيد الأول، ولد في 1258هـ/1842م، تلقى تعليمه بعناية فائقة، شأنه شأن الصبيان الذين ينشأون في القصور الملكية، ليعدون كملوك، تولى عرش الدولة العثمانية في (31 - 05 - 1876م / 1285هـ) وحضر لمبايعته الوزراء والأعيان وكبار الموظفين في القصر، وتلقى التهاني جزاء جلوسه على كرسي العرش من مختلف رؤساء الطوائف المختلفة، وأطلقت طلقات المدافع في مختلف مناطق الدولة. انظر: محمد حرب : السلطان عبد الحميد الثاني ، ط2 ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، 1991 ، ص 31.

(2) جواد رفعت آلنحان : الخطر المحيط بالإسلام ، ترجمة : وهي عز الدين ، (د.م) ، بغداد ، 1965 ، ص 60.

(3) تولى السلطان حميد الحميد الثاني السلطة، والأزمات المختلفة تحيط به من كل جانب، ففي الجانب الاقتصادي كانت الدولة تعاني من أزمة نتيجة الحصار المفروض على الدولة العثمانية، وكذا التخلّف الاقتصادي نتيجة تغير موازين القوى الاقتصادية لصالح الدول الأوربية، وناهيك عن كثرة التكاليف العسكرية لوقف الخطر الاستعماري الزاحف أو مختلف الحركات الانفصالية خاصة في البلقان فخرانة الدولة مفلسة، وأكثر من ذلك هي مدانة بثلاثمائة ليرة عثمانية. انظر: السلطان عبد الحميد الثاني : مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني ، ترجمة وتقديم : محمد حرب ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، 1991 ، ص 67.

(4) نقصد بما الوحدة الألمانية و الوحدة الايطالية سنة 1870.

(5) أحمد نوري النعيمي : اليهود والدولة العثمانية ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، القاهرة ، 1997 ، ص 13 وما بعدها.

(6) لقد عمل يهود الدومنة ويهود الصهيونية العالمية على إحباط مشروع الجامعة الإسلامية الذي يتعارض وهدفهم الرامي إلى تأسيس وطن قومي في فلسطين، وأمام تمسك السلطان عبد الحميد بالمشروع لجئ اليهود إلى إغرائه بالمال لتفتيت العالم الإسلامي ومنحهم الأرض المقدسة فلسطين، مستغلين الأوضاع المتدهورة للدولة، حيث توالى المحاولات واتخذت وسائل منها وساطة الإمبراطور غليوم ولقاء اليهود الثلاثة ( مزراحي قراصو، جال ، ليون ) ولقاء هرتزل في الدولة العثمانية ولقاء السفير اليهودي "غرش" وهي سابقة على مقابلة اليهود الثلاثة ثم لقاء هرتزل للسلطان ورجال قصره، وقد عرض خلال هذه اللقاءات مشروع=

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

تحت تاج الدولة العثمانية الفرصة مناسبة، للانفصال خاصة الدويلات الواقعة في البلقان<sup>(1)</sup>.

لم تكن الظروف السابقة الذكر والمركزة أساسا حول الغزو الأوربي، وعمل رجاله على تحريض الدويلات الأوربية الواقعة تحت النفوذ العثماني وحدها السبب في تبني السلطان عبد الحميد الثاني لسياسة الجامعة الإسلامية، بل هناك جزئيات أخرى داخلية، تتعلق بتخوّف السلطان من تنامي النزعة القومية لدى العرب، فينتفضوا لطلب الخلافة من الأتراك لأنهم الأحق بها، فسوريا ولبنان عرفتا نهضة أدبية وثقافية نتيجة إنشاء المطابع ونشاط الصحف وكذا حركة المهاجرين العائدين من المهجر وقدمهم بأفكار تركز على القومية، على غرار تأسيس المدارس والإرساليات التبشيرية.

وقد ساهمت هذه العوامل مجتمعة في تحريك الحس القومي العربي ضد السيطرة التركية والذي بدأ يتبلور أكثر مع تأسيس الجمعيات والنوادي ذات الطابع القومي، مثل "جمعية العلوم والفنون" التي تأسست في بيروت سنة 1847 من روادها ناصف اليازجي وبطرس البستاني<sup>(2)</sup>. ومما زاد الطين بلة

---

=يرمي إلى تقديم قرض بـ 50 مليون مقابل السماح لليهود بإنشاء مستعمرة صغيرة في القدس ينزل بها بني جلدته المشتتين في العالم، وقد كان رد السلطان عبد الحميد قاطعا وصارما، ووضع حدا لهذه المحاولات السافلة "فإني لست مستعدا أن أتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد لتذهب إلى الغير، فالبلاد ليست ملكي بل ملك شعبي روى تراهما بدمائه. فليحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب، فغن الدولة العلية لا يمكن أن تحتبئ وراء جدران بنيت من أموال أعداء الإسلام، لست مستعدا لأتحمل في التاريخ وصمة بيع بيت المقدس لليهود وخيانة الأمانة التي كلفنا بها المسلمون. انظر : أنور الجنيدي: السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، دار ابن زيدون، بيروت، لبنان، 1997، ص 85، 86.

(1) نتيجة الظروف التي كانت تمر بها الدولة العثمانية، شرعت دويلات البلقان في شن ثورات انفصالية، بحيث قام أهالي الهرسك بحركة تمرد في 1876م، وكان رد السلطان بإعلان مجموعة من الإصلاحات تمحورت حول فصل القضاء عن الدولة، والمساواة في الضرائب بين الرعايا المسلمين والنصارى. وفي نفس السنة ثار أهالي البلغار على الدولة العثمانية، وفي ذات السنة طالب أمير الجبل الأسود وأمير الصرب السلطان التنازل له عن أجزاء من بلاد الهرسك، فكانت رد السلطان بالرفض، مما أدى إلى المواجهة المسلحة انتهت بهزيمة أمام العثمانيين، وأم تدخل الدول الأوربية اضطر الباب العالي لتقديم مجموعة من التنازلات، تمحورت حول منح الاستقلال الذاتي. انظر : محمد على الصلابي : الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط ، ط 1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2004، ص 440، 441.

(2) لقد كان يذكي نار القومية النصارى الأجانب الذين دخلوا البلاد في شكل إرساليات، في إطار الدعاية للدين المسيحي من أجل تأليب الوضع على الدولة العثمانية وكذا العرب النصارى بأرض الشام، وفي هذا الإطار أنشأ اليسوعيين بدعم من فرنسا "الجمعية الشرقية". انظر : محمد عمارة : الجامعة العربية و الجامعة الإسلامية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، بيروت ، 1982 ، ص 145-175.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

نشوب الحرب الأهلية اللبنانية سنة 1860، الأمر الذي زاد من عزيمته القوميين في الانفصال عن تاج الدولة العثمانية، خاصة وأن هذه الأخيرة دخلت في حرب ضد عدوتها اللدود روسيا، هذا الأمر حرك الحس القومي لدى السوريين وورغبتهم في الانفصال، ونتيجة لذلك أسس مجموعة من الشباب النصارى " جمعية بيروت السريّة " التي ناضلت من أجل الانتصار لفكرها القومي، وتجسيده على المجال السياسي للدولة العثمانية، ومنه استقلال بلاد الشام<sup>(1)</sup>.

لقد بادر السلطان عبد الحميد الثاني منذ توليه أمور الخلافة إلى محاولة إعادة تنظيم الدولة واحتواء مختلف الأزمات التي كانت تمر بها الدولة داخليا وخارجيا، من خلال إحداث إصلاحات إدارية ودستورية من شأنها كبح جماح الفكر القومي وإذابته في الجامعة الإسلامية<sup>(2)</sup>، كما حاول إحداث نهضة علمية وفكرية تجلّت في تقريبه للعلماء والعمل بمجلة الأحكام العدلية، وفق الشريعة الإسلامية، وبناء مساجد جديدة وترميم وتعمير القديم منها، وقد استفاد السلطان من النظم الغربية فشيّد عددا من المؤسسات الحديثة من أكاديميات عسكرية ومدارس ومعاهد مختلفة، وأرسل البعثات العلمية إلى الخارج، واعتنى بالتعليم بمختلف أنواعه ومراحلها، وأنشأ المدارس ودور لتكوين المعلمين المعلمين، ونظم التجارة والصناعة والزراعة<sup>(3)</sup>، واهتم بتسليح وتدريب الجيش بمختلف مهامه، وربط أجزاء الدولة بثلاثين ألف كيلومتر من خطوط البرق والهاتف، كما شيّد مستشفيات عامة ومتخصصة

(1) ياسين حكمت : مرجع سابق ، ص 46.

(2) لقد عمل السلطان عبد الحميد الثاني على إطاره جملة من الإصلاحات الدستورية من خلال تنظيم مجلس العموم الذي يضم مجلس الأعيان ومجلس المبعوثين، ثم قام بتعيين "مدحت باشا" صدرا أعظم للدولة، ثم أصدر دستورا جديدا للدولة، احتوى على اثني عشر مادة، من خلاله تم تحديد حقوق وامتيازات قصر الحكم، وحقوق العامة لرعايا الدولة، الذين أطلق عليهم " الرعايا العثمانيين "، ما يلاحظ على هذا الدستور أنه قلص من سلطات الصدر الأعظم، وأصبح السلطان يتمتع بسلطات واسعة لم يتمتع بها من قبل السلاطين، فأصبح يملك الحق في تعيين الوزراء وإقالتهم وعقد المعاهدات وإعلان الحرب وإقامة الصلح، هذا في الجانب السياسي، وفي الجانب العسكري يعتبر السلطان القائد العام للقوات العثمانية. انظر : أحمد عبد الرحيم مصطفى : مرجع سابق ، ص 234.

(3) لقد مدّ السلطان عبد الحميد الثاني السكة الحديدية من دمشق إلى المدينة المنورة، خدمة للحجاج ولربط مختلف البلاد الإسلامية مع بعضها البعض.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

ووسع معمل الطرابيش وافتتح مصنع السيراميك<sup>(1)</sup>.

كل تلك الإصلاحات استهدف منها السلطان عبد الحميد خدمة مشروع الجامعة الإسلامية بغرض تجميع طاقات المسلمين في كل مكان، وتوحيدها لمواجهة الخطر الأجنبي بواسطة إقامة وحدة سياسية لكل مناطق العالم الإسلامي بغض النظر عن الأصول، بقيادة الدولة العثمانية، ومن هذا المنطلق نادى السلطان عبد الحميد الثاني باعتباره خليفة للمسلمين، نداءً هز كيان العالم الغربي «يا مسلمي العالم اتحدوا»<sup>(2)</sup>.

لقد توجه السلطان عبد الحميد الثاني بندائه إلى كافة مسلمي العالم، بواسطة رابطة الإسلام، التي تجمع كل الأمم المنتمية للعالم الإسلامي، لما للإسلام من أهمية بالغة في تفعيل الوحدة والتضامن وترسيخ التماسك بين تلك الأمم، فالتاريخ يثبت بأنها توحدت في أكثر من محطة سياسية تاريخية بل إن الدولة العثمانية واحدة من تلك المحطات، غير أن الظروف المستجدة عجلت بوهنها وضعفها جزاء الضربات المتتالية من قوى الاستعمارية، فكان هذا النداء بمثابة إحياء للخلافة والجامعة الإسلامية التي كانت تحتضر.

وعقب نداء السلطان عبد الحميد الثاني لمسلمي العالم بالاتحاد والالتفاف، هبت الشعوب الإسلامية في مختلف البقاع الإسلامية لمناصرته (شمال إفريقيا، الفرس، الهند) وقد وجدت في معانيه (بالاتحاد والتآزر والتضامن) الشعوب الإسلامية الوسيلة الأمثل للتخلص من قيود الاستعمار والعبودية، والخروج من دائرة التخلف، وقد ساعد على هذا التفاعل بين السلطان والشعوب مساندة رواد فكرة الجامعة الإسلامية كجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وكذا الدعاية الصحفية الواسعة كما سنرى في ثنايا هذا البحث. لم يكن السلطان عبد الحميد الثاني يملك القوة العسكرية الكافية ليواجه

(1) موفق بن المرجة : صحوة الرجل المريض ، صقر الخليج للنشر ، الكويت ، 1984 ، ص 85.

(2) أنور الجنيدي : السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 79. ويشير بعض الكتاب إلى أن هدف السلطان عبد الحميد الثاني هو الحكم والسيطرة بواسطة الجامعة الإسلامية دون الجانب الروحي. انظر: كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1984 ، ص 101.



## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

بها أوروبا والغرب المتحد، فجنح إلى رابطة الإسلام؛ فتحت لواء الخلافة قوة عارمة تخشاها أوروبا بأسها وتحسب لها ألف حساب مخافة أن يتحرك المسلمون الموالون لسلطان في البلدان المحتلة خاصة بريطانيا وفرنسا، في شمال إفريقيا وشبه القارة الهندية. وقد مضى السلطان في تنفيذ مخططه في ثبات وسرعة بحيث شملت الدعوة كل الأفاق الإسلامية، وذاعت في كل مكان، وحملت معها عملا إيجابيا نافعا خاصة بعد تكوين مدرسة لتخريج الدعاة للترويج لفكرة الجامعة الإسلامية ممن انتشروا في كل أطراف العالم الإسلامي، كالهند والصين والجزائر وأفغانستان ومصر وأطراف المملكة العثمانية، كما عقد مع الأمراء في شتى هذه البقاع العقود والمراسلات، وعمق روابط الود والإخاء الإسلامي فيما بينهم وبين دولة الخلافة، حتى قيل أنه لم يبق مسلم واحد لم يعرف طرفا عن هذه الدعوة.

وقد جعل السلطان عبد الحميد أمامه أمرين هامين أولهما أن يكون أهل البلاد العربية هم محور هذه الدعوة وروادها وأقطابها، فجمع حوله علماء وأمراء من الجزائر والشام ومكة ومنه أبناء الأمير عبد القادر الجزائري ومحمد السنوسي... وغيرهم من الشخصيات الإسلامية ذات الثقل النضالي وثانيهما هو إنهاء الخلاف الذي أحجه الاستعمار بين السنة والشيعة، أو بين الأتراك والفرس وقد استخدم لذلك علامة كبيرا هو جمال الدين الأفغاني، فأجرى صلحا مع شاه فارس وصفى أمر الخلافات كلها<sup>(1)</sup>.

إن من أهم معوقات الجامعة الإسلامية -بما فيها الرسمية- النزاعات المذهبية والخلافات المحلية ذلك أن قوامها وأساسها هو الإسلام والذي بدوره شكل مجموعات إسلامية مذهبية فهمته حسب المنظومة العقديّة التي ورثتها عن الأوائل منذ عهد الفتنة الكبرى، وإنه من الخطورة إذا تشتت الإسلام إلى الطوائف عدة يكون الخلاف بينها على المستوى العقدي دون المستوى الفقهي، لذلك ركز الخليفة على احتواء هذه الخلافات وتحويل أطرافها إلى الاتحاد ضد الخطر الحقيقي وهو الاحتلال الأوربي.

(1) أنور الجنيدي : السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 80. وانظر: فاروق أبو زيد : أزمة الفكر القومي في الصحافة المصرية ، القاهرة ، مصر ، 1976 ، ص 133.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

وعليه فقد توجّست الدول الأوروبية والبابوية والصهيونية خيفةً من خطر<sup>(1)</sup> الجامعة الإسلامية وأخذت في التماس كل وسائل التآمر والغدر في سبيل تحطيم الخطة الهادفة إلى ملمة شتات الأمة الإسلامية وتوحيد طاقاتها في الهند والصين وشمال إفريقيا... والقضاء على القائمين عليها، وعلى رأسهم السلطان عبد الحميد الثاني؛ عن طريق إثارة قضايا الأقليات، وإشعال الفتن بين المسلمين وأهل الذمة، وكذا بين المسلمين أنفسهم عن طريق إثارة النعرة المذهبية بين السنة والشيعة، بل وتحريض الطورانية وسياسة التتريك لتشجيع التناحر بين العرب والترک وتكريس ظاهرة القومية التي تتنافى سياسية الجامعة الإسلامية، إضافة إلى دور الإرساليات التبشيرية والاستشراقية التي عملت على تدمير نظام الملة العثماني، مثل السوس الذي كان ينخر في جسم الدولة.

لقد تولى السلطان عبد الحميد الثاني مقاليد الحكم العثماني في ظروف خطيرة وقاسية، كانت دولته آنذاك تحتضر وسط المكائد والمؤامرات الأوربية الاستعمارية، والصهيونية العالمية، والعواصف السياسية الداخلية ونشاط الحركات الانفصالية، ولكن السلطان عبد الحميد الثاني استطاع أن يصمد في وجه ذلك مدة طويلة من الزمن، وظل طيلة ثلاثين عاما يرفع سياسة الجامعة الإسلامية كشعار رسمي للدولة، ويحاول تجميع وتوحيد طاقات وإمكانيات الشعوب الإسلامية في مختلف بلدان العالم لمواجهة الخطر الداهم الممثل في الاستعمار الأوربي والتخلف، بشتى الوسائل والطرق.

### 2 - وسائل تحقيق الجامعة الإسلامية الرسمية:

تبنى السلطان عبد الحميد الثاني سياسة الجامعة الإسلامية، كمشروع إصلاحى للنهوض بالدولة العثمانية حيث حاول التمديد في عمر الخلافة وإحيائها، من هذا المنطلق حاول السلطان توحيد

---

(1) لقد اقتنعت أوروبا الاستعمارية بحقيقة مفادها، أن السلطان عبد الحميد وسياسته المرتكزة على الوحدة الإسلامية والتضامن الإسلامي يشكلان خطرا محققا، بمصالحها الاستعمارية في العالم الإسلامي المحتل، فالخلافة الإسلامية الممثلة في شخص السلطان عبد الحميد الثاني تستطيع تعبئة الشعوب الإسلامية وتحركهم عن طريق قاسمهم المشترك وهو الإسلام، من هذا المنطلق يستطيع السلطان أن يهدد أوروبا بمسلمي ألبانيا، وروسيا بمسلمي جنوب غرب آسيا مثل أفغانستان وأذربيجان والشيشان... والمجترا بمسلمي الهند والصين، وفرنسا بمسلمي شمال إفريقيا. انظر: محمد مصطفى الهلالي: السلطان عبد الحميد الثاني بين الإنصاف والجهود، ط 1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2004، ص 43.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

طاقات الشعوب الإسلامية وتكريس التضامن والتآزر لمواجهة مختلف التحديات الداخلية والخارجية وذلك من خلال الاعتماد على الوسائل التالية:

### أ - الدعاية الصحفية الواسعة لصالح الجامعة الرسمية:

اعتمد السلطان عبد الحميد الثاني لتجسيد سياسة الجامعة الإسلامية على الدعاية الصحفية لما لها من أهمية كبرى واثر بالغ على الرأي العام الإسلامي العالمي، من هذا المنطلق شرعت الصحف الرسمية في الأستانة في بث دعاية واسعة، منها صحيفة الكوكب العثماني، وجريدة المعلومات وجريدة الجوانب، والجرائد الأخرى الخاصة مثل المنار، والعروة الوثقى<sup>(1)</sup> وثمرات الفنون وجريدة طرابلس وجريدة تركيا - هذه الصحف وصل الكثير منها إلى تونس والجزائر -<sup>(2)</sup>.

### ب - توظيف الشخصيات الإصلاحية ذات الثقل النضالي لخدمة الجامعة الرسمية:

إن فكرة الجامعة الإسلامية ليست من إبداع السلطان عبد الحميد الثاني، بل هي من إيجاء أقطاب النهضة كموقف الشرق العلامة جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده ورشيد رضا وشكيب أرسلان كلهم شكلوا تيارا سياسيا وفكريا ناضل تحت شعار الجامعة الإسلامية من أجل يقظة العالم الإسلامي وتوحيده وتكريس التضامن والتآزر، ونبذ الصراعات المذهبية والطائفية، على أساس وحدة العقيدة الإسلامية، وعلى أساس من التأييد والمساندة للخلافة العثمانية التي وجب تجديدها وتقويتها كراية يحتشد العالم الإسلامي من خلفها ضد الخطر الأوربي، وفي هذا يقول جمال الدين الأفغاني «لقد نظرت إلى الشرق أقتل أدوائه انقسام أهل بيته وتشتت أرائهم، واختلافهم على الإتحاد وتوحدتهم على الاختلاف، فعملت على توحيد كلمتهم وتنبههم للخطر الغربي المحقق بهم»، ويقول الأستاذ الشيخ محمد عبده «... يكثر المسلمون اليوم من ذكر الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد

(1) حول المجلة ونهجها؛ انظر: العروة الوثقى، ج 1، 12 مارس 1884.

(2) لقد كانت الجرائد والصحف الوسيلة الأمثل للتعبير عن رغبة الدولة العثمانية الممثلة في سلطانها في إقامة الوحدة والتآزر والتكاتف عن طريق تحريك الحس التضامني الإسلامي لدى لشعوب الإسلامية في وقت متزامن ومنظم. انظر: الحفناوي عميرية: الصحافة وتجديد الثقافة، دار التونسية للنشر، تونس، 1998، ص 158.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

ويعلّقون آمالهم بجمته وكثير منهم يدعون لعقد الولاء له وهذا أمر لا ينبغي أن يدهش أحدا، فإن هذه الدولة هي أكبر دول الإسلام وسلطانها أفخم سلاطينهم، ومنهم يرتجى إنقاذ ما بين يديهم من المسلمين مما حل بهم، وهو أقدر الناس على إصلاح شؤونهم، وعلى مساعدة الدّاعين إلى تمحيص العقائد وتهذيب الأخلاق بالرجوع إلى أصول الدين الطاهرة النقية<sup>(1)</sup>.

لقد ارتبط السلطان عبد الحميد مع أقطاب الجامعة الإسلامية بعلاقة تبادلية، ذلك انه رأى فيها الوسيلة الأمثل للحفاظ على دولته الجامعة، وفي نفس الوقت رأى أقطاب الجامعة الإسلامية في الخلافة العثمانية الممثلة في سلطانها عبد الحميد الثاني الراية السياسية المثلى لجمع لشتات أقطار العالم الإسلامي، بعيدا عن أي تمييز، بل على أساس وحدة العقيدة الإسلامية، جنسية كل مسلم في أنحاء العالم؛ جاء في جريدة العروة الوثقى<sup>(2)</sup> «لا جنسية للمسلمين إلا في دينهم، وأن المسلمين لا يعرفون لهم جنسية إلا في دينهم واعتقادهم»<sup>(2)</sup> وفي ذات السياق يقول جمال الدين الأفغاني «أنا لا أطلب أن يكون مالك الأمر في الجميع شخص واحدا، فإن هذا ربما كان عسيرا، ولكنني أرجوا أن يكون سلطان جميعهم القرآن، ووجهة وحدتهم الدين، وكل ذي ملك ملكه، يسعى بجهد له لحفظ الآخر ما استطاع فإن حياته وبقائه ببقائه...»<sup>(3)</sup>.

### ج - الطرق الصوفية:

لقد تميز الوضع الديني والثقافي للمسلمين إبان الحكم العثماني بانتشار الطرق الصوفية، وذلك تماشيا مع السياسة العثمانية التي ترمي إلى بسط نفوذها على أقطار العالم الإسلامي بواسطة شيوخ الطرق الصوفية الذين يتمتعون بنفوذهم الروحي في المجتمعات الإسلامية، وكان السلطان عبد الحميد

(1) محمد عبده : الأعمال الكاملة لمحمد عبده ، ج3 ، مصدر سابق ، ص 232 ، 233.

(2) جمال الدين الأفغاني : الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني ، دراسة وتحقيق : محمد عمارة ، ج1 ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، مصر ، 1968 ، ص 342.

(3) جمال الدين الأفغاني : مصدر نفسه ، ص 345.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

قد تأثر منذ نعومة أظافره بأستاذه الدمشقي "محمود أبو الشمات" شيخ الطريقة الشاذلية<sup>(1)</sup>، فكان صوفيا "شاذليا". من هذا المنطلق لفَّ السلطان عرشه بجمهرة من كبار الصوفية و" الدراويش " وأكرمهم وقربهم أمثال أبي الهدى الصيادي<sup>(2)</sup> و أحمد سعد وغيرهم، بحيث شرعوا في الترويج للصوفية الإمامية التي تعتبر الخليفة ظل الله في الأرض<sup>(3)</sup>، ولخدمة شعار الجامعة الإسلامية الرسمية عمل شيوخ الطرق الصوفية كمستشارين لدى السلطان لبحث سبل الترويج لها في مختلف أمصار العالم الإسلامي خاصة في الحرم المكي الذي يأتيه المسلمون من كل فج.

### د - كسب التأييد الشعبي عن طريق خدمة الإسلام ورموزه:

لقد شرع السلطان عبد الحميد في انتهاج سياسة إسلامية قائمة على خدمة رموز الإسلام من خلال تشجيع العلوم التقليدية وتعميم تدريسها في مختلف أرجاء الدولة، وفتح المدارس والجامعات. كما اهتم السلطان بالمساجد نظرا لأهميتها في حياة المسلمين، ويذكر أن السلطان استجاب لنداء أهالي منطقة "خماسي" بغانا فقام ببناء مسجد لهم وزوده بالمصاحف والكتب، بالرغم من أن المنطقة لم تكن ضمن المجال السياسي للدولة العثمانية، وأنشأ معهدا إسلاميا خاصا بتكوين الأئمة ودعاة الوحدة وأكثر من ذلك أسس واحدا في الصين سمي "معهد العلوم الحميدية"، كما ركز السلطان عبد الحميد على نشر اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم وأن كل الشعوب الإسلامية تميل إليها، لذلك منح مناصب عليا في الدولة لرجال عرب، وأنشأ مدارس العشائر لتعليم اللغة العربية في منطقة الشام

(1) لقد لازم السلطان شيخه واستمر على محبته وتقديره حتى الرمق الأخير من حياته، وكان يجد الراحة النفسية في إفضائه إليه بمومه، وطلب نصيحته وسؤاله دعواته الصالحة. انظر: موفق بن المرجة، مرجع سابق ص 121.

(2) أبو الهدى الصيادي 1849-1909 هو ابن حسن وادي، المعروف بأبي الهدى الصيادي، درس في مسقط رأسه على بعض شيوخ الكتاب القرآن والقراءة والكتابة تولى نقابة الأشراف، قلده السلطان عبد الحميد مشيخة الإسلام بالأستانة عند توليه الحكم 1876، من مؤلفاته تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار، داعي الرشد لسبيل الإتحاد والانقياد. انظر: منير موسى: الفكر العربي في العصر الحديث، دار الحقيقة، القاهرة، (د.ت)، ص 139-147.

(3) موفق بن المرجة: مرجع سابق، ص 121.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

والحجاز واليمن<sup>(1)</sup>. ومن أجل الربط بين مختلف المناطق الإسلامية خاصة المقدسة، بادر السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1900 إلى الأمر بإنجاز خطوط السكك الحديدية، لربط مختلف الأقاليم؛ وما تبع ذلك من نشرٍ للوعي الوحدوي في المجتمعات الإسلامية وكسب الولاء للدولة العثمانية وربط أجزاء الدولة المتباعدة، الأمر الذي ساعد على إحكام السيطرة على الولايات ذات الأهمية الإستراتيجية للدولة وجعلها تندمج في الدولة وتساهم في الدفاع عن الخلافة<sup>(2)</sup>.

لقد استمرت الجامعة الإسلامية كواجهة سياسية للدولة طيلة حكم السلطان عبد الحميد الثاني وقد سجلت نجاحا نسبيا، بالنظر إلى صداها في أقطار العالم الإسلامي خاصة في بعث نشاط حركاتها الوطنية ضد الاستعمار الأوربي، غير أنها لم تحقق أهدافها النظرية خصوصا إقامة وحدة سياسية واقعية بين كل الأمصار الإسلامية، تكون بمثابة الوعاء السياسي تزول فيه كل الفوارق والخلافات، ذلك أن الاستعمار والعصبية القومية المقيتة والصراع المذهبي حال دون ذلك، فقد كان هناك صراع مذهبي محتدم بين السنة والشيعة<sup>(3)</sup>، وكان الفرس يريدون الإطاحة بالخلافة العثمانية في إطار الحركة الشعوية - التي تهدف إلى إحياء أجداد الفرس الغابرة فيما قبل الفتح الإسلامي لبلادهم - كما برز تيار التتريك كأكبر عائق. كلها أسباب عجلت بسقوط شعار الجامعة والخلافة الإسلامية.

### 3 - خلع السلطان عبد الحميد الثاني وإلغاء الخلافة العثمانية :

لقد سعت البابوية والصهيونية والماسونية العالمية، لإسقاط آخر خلافة للمسلمين، نظرا للخطر الذي تمثله بالنسبة لأهدافها الإستراتيجية التي سطرتهما، وقد توفرت عوامل وأسباب زوالها، من تشتت سياسي والضعف والتقهقر، وأوضاع ثقافية وعلمية توحى بالتخلف، دفعت بتلك القوى لتجهز عليها، ولكن الظروف ذاتها حركت رجال النهضة والإصلاح لمحاولة إحياء الخلافة من خلال مجموعة

(1) انظر : موفق بن المرجة ، مرجع سابق ، ص 85 - 113. وانظر: محمد حرب : السلطان عبد الحميد الثاني ، مرجع سابق ، ص 199 - 204.

(2) موفق بن المرجة ، مرجع سابق ، ص 113.

(3) انظر : محمد رشيد رضا : " الجامعتان الإسلامية والعثمانية " ، مجلة المنار ، مج 15 ، ج 10 ، 30 شوال 1330 هـ / 11 أكتوبر 1912 م ، القاهرة ، ص 735.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

من النظريات التي أسست للجامعة الإسلامية، وساهمت في إرساء للقواعد الإصلاحية في العالم الإسلامي بما فيه أقطار المغرب العربي.

كان السلطان عبد الحميد الثاني بحق الشوكة في حلق القوى المعادية، والعقبة التي وقفت في طريقهم، خاصة لليهود وتأسيس كيانهم قومي على أرض فلسطين، وقال كلمات سجلها تاريخ العزة والغيرة الإسلامية بماء من ذهب عندما ساومه رأس الصهاينة "تيودور هرتزل" بأن أرض الإسلام ليست للبيع ولن يتنازل عن شبر واحد من أرض الإسلام" وعلى هذا النهج سار في خدمة الوحدة والتضامن بين المسلمين واستنهاض همهم ضد الهيمنة الاستعمارية. فكادوا له في الخفاء وقاموا بانقلاب ناجح ضده سنة 1909، نظمته الخلايا السرية "الجمعية الإتحاد والترقي".

وقبل الانقلاب، أجبرت "جمعية الإتحاد والترقي" السلطان عبد الحميد الثاني على العمل بالدستور الملغى، ثم تعاون كبار أعضائها مع أقطاب الأقليات الدينية، وأعلنوا الثورة بتمرد الضابط "باشي نيازي"<sup>(1)</sup> على رأس وحدة من المشاة، ثم اشتعلت الثورة في مناطق واسعة من البلاد في الأستانة وسوريا، وازداد الأمر خطورةً بعد انضمام جمع من الضباط للحركة، ووسط هذه الظروف القاهرة تمكّنت المعارضة من خلع السلطان عبد الحميد الثاني<sup>(2)</sup>، وتسلم الاتحاديون حكم الدولة العثمانية؛ منذ هذا التاريخ بدأت سياسة الجامعة الإسلامية تسير نحو الزوال والتلاشي.

لقد وظفت الحكومة الجديدة تجربة الجامعة الإسلامية التي ظلّت سياسة رسمية للدولة طيلة ثلاثين عاما - كوسيلة لا غاية - في كسب الدعم لمواجهة التحديات الدولية المستجدة خاصة الحرب على ليبيا والحرب العالمية الأولى، وفي ذات الوقت ظل رواد الجامعة الإسلامية يروجون لها في كيان الحركات الوطنية الاستقلالية والأوساط الشعبية الإسلامية، فقد عبر الغزو الإيطالي لليبيا عن عمق التضامن الإسلامي، يشير إلى ذلك صاحب كتاب حاضر العالم الإسلامي<sup>(3)</sup> وأخذت نتائج الجامعة الإسلامية

(1) لقد تمكن دعاة الانقلاب من كسب المؤسسة العسكرية، ومن الصعوبة أن يواجه السلطان الجمعية في نشاطها السياسي وجناحها العسكري.

(2) لتفاصيل أكثر حول الانقلاب؛ انظر: مصطفى طوران : أسرار الانقلاب العثماني ، ترجمة : كمال خوجة ، ط2، دار السلام ، بيروت ، 1978.

## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

تبتدى ففي طرابلس الغرب انبرى التُّرك والعرب يقاتلون جنبا إلى جنب بروح عجيبة تبعثها فيهم الجامعة الإسلامية<sup>(1)</sup>. وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى، دخلت الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا وشنت حملة دعائية واسعة تلونت بالفتوى السياسية<sup>(2)</sup> في أوساط الشعوب الإسلامية لاستنهاض الهمم للجهاد مع الكتلة العثمانية-الألمانية ضد الحلفاء وكان لها صدى واسعاً خصوصاً في أقطار المغرب العربي المحتل. لقد انقشع غبار الحرب الكونية الأولى، ليظهر أن العالم الإسلامي بقيادة "اتحاديين" الدولة العثمانية يسير إلى الأسوأ، وأن الخلافة الإسلامية الجامعة تخطو نحو الزوال والتلاشي وسط مكائد الصهاينة ومؤامرات الأوربيين الذين لم يترددوا في اقتسام أرض الإسلام في الشام من خلال تجسيد قرارات الاتفاق الذي حصل بين الفرنسي "بيكوا" والبريطاني "سايكس" في سان ريمو سنة 1920، فتم احتلال أجزاء الشام أولاً ثم تكريس ظاهرة القطرية والفرقة السياسية بعد أن كانت الشام أرضاً واحدة، غير أن أخطر ما أصاب الأمة الإسلامية أن ذلك هو وفاء البريطاني "بلفور" بوعدده لليهود من خلال منحهم أرض فلسطين لتأسيس وطنهم القومي الموعود<sup>(3)</sup>. وفي مارس من سنة 1923 قرر الاتحاديون بقيادة مصطفى كامل أتاتورك<sup>(4)</sup>، إلغاء الخلافة وتعويضها بالنظام الجمهوري بحيث أصبحت جمهورية تركيا، ثم بدأت هذه الجمهورية بقيادة مصطفى تسير نحو تهميش عنصر الإسلام من خلال علمنة الجمهورية الجديدة. لقد ظلَّت الخلافة الإسلامية صامدة منذ

(1) لوثرور ستودارد : مصدر سابق ، ج 1 ، ص 312.

(2) لتعبئة الجماهير واستنهاض الهمم للجهاد عملت السلطات العثمانية الممثلة في حزب الاتحاديين على اللعب على وتر حساس وهو الإسلام المقوم المقدس لدى الشعوب الإسلامية، من خلال استصدار فتوى ذات طابع سياسي تبيح الجهاد إلى جانب النصارى الألمان.

(3) لا تكاد تخلو حروب المسلمين ضد الأوربيين الصليبيين من النزعة الدينية، التي تهدف إلى الاستحواذ على مقدسات الشرق الأوسط، ثم حروب الاسترداد التي شنها الصليبيون على سكان الأندلس والمغرب الإسلامي، وما عبارة الجنرال البريطاني "النبي" إلا دلالة على ذلك "الآن انتهت الحروب الصليبية" وقول القائد الفرنسي أمام قبر صلاح الدين "إنا قد جئنا ثانياً ولن نعود". انظر: مالك بن نبي : مدكرات شاهد القرن ، ج 1 ، دار الفكر ، الجزائر ، 1984 ، ص 40.

(4) مصطفى كمال (1881-1938) من أصل تركي وقيل من أصول يهودية -الدونمة- ترقى المناصب العسكرية ونتيجة براعته الحربية كما قيل خاصة في البلقان، وأصبح أول رئيس للجمهورية التركية. انظر: علي حسون الخربوطي : الإسلام والخلافة ، دار بيروت للطباعة ، لبنان ، 1969 ، 283.



## الفصل الأول (التمهيدي): الجامعة الإسلامية، نشأتها وتطورها.

---

نشأتها زمن الرّاشدين، واستمرارها مع الأمويين والعباسيين ونهايتها مع جامعة العثمانيين، التي مكثت أكثر من خمسة قرون وهي تحمل لواء الإسلام وتحمي المقدسات وتذود عن الديار وتحارب الاستعمار وتصد غاراته المتتالية على بلاد الإسلام في قاراته الثلاثة، واستمرت على ذلك حتى ساعة احتضارها وما الدعوة إلى الوحدة والتضامن والجامعة الإسلامية إلا برهان ساطع على ذلك، بالرغم من ذلك تبقى مسألة الوحدة الإسلامية مطروحة على الأقل ضمن المجال السياسي للعالم العربي وامتداده الجغرافي المتواصل<sup>(1)</sup>.

---

(1) للمزيد حول الوحدة العربية واتجاهاتها؛ انظر: سعد الدين إبراهيم : اتجاهات الرأي العام العربي نحو مسألة الوحدة ، ط3 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1985.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

أولاً: جمال الدين الأفغاني.

- 1 - مولده ونشأته.
- 2- معالم فكر السيد جمال الدين الأفغاني.
- 3 - جمال الدين الأفغاني والجامعة الإسلامية السياسية.

ثانياً: الشيخ محمد عبده.

- 1 - المولد والنشأة.
- 2 - ملامح فكر محمد عبده.
- 3 - منهج الشيخ محمد عبده في الإصلاح.

ثالثاً : محمد رشيد رضا.

- 1 - المولد والنشأة.
- 2 - منهج الشيخ محمد رشيد رضا في الإصلاح.
- 3 - الشيخ محمد رشيد رضا والجامعة الإسلامية السياسية.

رابعاً: شكيب أرسلان.

- 1 - المولد والنشأة.
- 2- الفكر الإصلاحي عند شكيب أرسلان.
- 3- الجامعة الإسلامية السياسية وشكيب أرسلان.

### الفصل الأول: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

لقد بلغت الأمة الإسلامية درجة كبيرة من الانحطاط والتخلف والضعف والتقهقر والتشتت السياسي خلال القرن التاسع عشر، ما جعلها فريسة سهلة في يد المتربصين الذين شرعوا في احتلال أقطارها عبر القارات الثلاثة، واضطهاد شعوبها واستغلال ثرواتها، ومحاوله القضاء على مقومها المشترك الجامع "الإسلام" الذي انطلقت منه الجامعة الإسلامية منه وجعلته الحجر الأساس لبناء سياستها الجامعة للأمم الإسلامية في مختلف أصقاع العالم. هكذا ظهرت حركة الجامعة الإسلامية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر كمحاولة للنهوض بتلك الأمم، من خلال تنبيه نخبها الوطنية بالخطر الاستعماري الزاحف وتحليصها من عقلية التقليد والحمول، ببذل أسباب الحضارة وجمع شتاتها في وحدة سياسية موحدة تحت قيادة جامعة ممثلة في الخلافة الإسلامية، التي ذهب بعض رواد الإصلاح إلى جعلها في الخلافة العثمانية، التي ورثتها عن القيادة العباسية، كلها أهداف سطرها أعلام الجامعة الإسلامية آنذاك على اختلاف توجهاتهم، ولعل أهمهم (المختصين بالدراسة) جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، محمد رشيد رضا وشكيب أرسلان.

#### أولاً: جمال الدين الأفغاني.

يعتبر جمال الدين من أهم الشخصيات التي نظرت لمشروع الجامعة الإسلامية على الإطلاق وأكثر من ذلك فقد ظهرت الفكرة على يده، إلى درجة اعتباره الأب الروحي لها، ذلك أنه كرس حياته لخدمة الأمم الإسلامية وحثها على الوحدة والتآزر والتضامن، لمواجهة مختلف التحديات والمخاطر المحدقة بها. وفيما يلي نتعرف على السيرة الذاتية والنضالية لجمال الدين مع معرفة آرائه وأفكاره الإصلاحية.

#### 1 - المولد والنشأة:

اختلف الباحثون في مكان مولده ونشأته الأولى، فبعضهم يقول أنه ولد في أفغانستان في قرية اسعد آباد التابعة "لكنر" من أعمال كابل العاصمة، ويقول آخرون أنه ولد في إيران في قرية "اسعد

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

آباد" التابعة لهمذان، غير أنهم مجمعون حول تاريخ الولادة بأنها كانت سنة 1254 هـ الموافق لـ: 1838م<sup>(1)</sup>.

ويعود سبب هذا الاختلاف إلى الغموض الذي اكتنف نشأته الأولى وعدم وجود وثائق صادرة عن هيئات رسمية تحدد مكان ميلاد جمال الدين، ذلك أن تسجيل الحالة المدنية لم يكن موجودا ليحفظ مكان وتاريخ الميلاد، إضافة إلى ذلك كثرة تنقلاته وأسفاره بين جل أنحاء العالم الإسلامي والأوربي، وعدم استقراره في أفغانستان أو إيران-على اختلاف الروايات- جعل مكان ميلاده محل غموض. يستدل القائلون بأفغانية جمال الدين إلى تصريحاته، حيث قال: "وأي نفع لمن يذكر أنني ولدت في سنة 1254 هـ 1838م، وعمّرت أكثر من نصف عصر... واضطرت لترك بلادي الأفغان مضطربةً تتلاعب بها الأهواء والأغراض"<sup>(2)</sup>. وقوله: "لقد جمعت ما تفرق من الفكر ولمت شعث التصور، ونظرت إلى الشرق وأهله فاستوقفني الأفغان وهي أول أرض لمس جسمي تراها..."<sup>(3)</sup>. أما القائلون بأن أصله إيراني فلديهم أدلة كثيرة، يرجع بعضها إلى أقوال إيرانيين عرفوا ولادته وأقرباءه مثل قول "عناية الله خان" ملك الأفغان أنه إيراني، وبعضها يرجع إلى المشاهدات لآثارٍ باقية تتصل بمولده أو بأصوله وفروعه مثل ادّعائهم وجود أسرته في قرية "سيدان" بإيران- تعرف بالأسرة الجمالية- في خضم هذا الخلاف، برز تيار ثالث حاول فض الخلاف من خلال رؤيا وسطية تتجلى في أنه فارسي الأصل أفغاني المنشأ، وهذا قول الشيخ مصطفى عبد الرزاق أحد تلاميذ محمد عبده، ويمثله أخذ الشيخ عبد القادر المغربي أحد تلامذة جمال الدين<sup>(4)</sup>، والراجح أنه أفغاني لا إيراني

(1) مصطفى فوزي بن عبد اللطيف غزال : دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام ، ط1 ، دار طيبة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1983 ، ص 9. كذلك جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده : العروة الوثقى ، إعداد وتقديم : سيد هادي خسرو شاهي ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، 2002 ، ص 60.

(2) صلاح زكي أحمد : أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث ، مركز الحضارة العربية ، القاهرة ، مصر ، (د.ت) ، ص 119.

(3) مصطفى فوزي بن عبد اللطيف غزال : مرجع سابق ، ص 10.

(4) للمزيد؛ انظر: قاسم محمود : جمال الدين الأفغاني: حياته وفلسفته ، مكتبة الانجلو-مصرية ، القاهرة ، (د.ت) ، ص 9-85.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

بالنظر إلى تصريحات جمال الدين نفسه بأنه أفغاني، وكان يكتفى في حياته بالأفغاني، غير أنا نرى أن الشخصيات ذات الشهرة والوزن النضالي في العالم الإسلامي، مثل جمال الدين تكون محل تجاذب بين مختلف الأطراف، فكل يريد إثبات أصله على اختلاف المذاهب والتوجهات فالقائلون بأنه إيراني سيحاولون أن يثبتوا أنه شيعي المذهب.

ويرى البعض أن الأفغاني ينتمي إلى الأشراف وتنحدر سلالته من المحدث الشهير الإمام الترمذي صاحب " سنن الترمذي " والذي بدوره يرتقي نسبه إلى سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، هذا ما جزم به الشيخ محمد عبده المترجم الأول لأستاذه جمال الدين<sup>(1)</sup>. واسمه الصريح جمال الدين بن "صفدر" أو "صفتر"<sup>(2)</sup>، من خلال جل المصادر التي تثبت نسبه الشريف الذي ينتهي إلى آل البيت، فقد كانت أسرة جمال الدين تتوارث منزلة عليية في قلوب الأفغانيين، على غرار الشعوب الإسلامية التي تكن الاحترام المطلق لآل البيت، وأكثر من ذلك فقد قامت دول شريفة على أساس النسب الشريف في شتى أصقاع العالم الإسلامي، لذلك فقد كانت لعائلة الأفغاني السيادة على جزء من الأراضي الأفغانية تستقل بالحكم فيه، ولكن فقدت الأسرة هذه الإمارة بعد أن استلبت من أحد الأمراء، ونتيجة لذلك تم نقل أفرادها إلى مدينة كابل<sup>(3)</sup>. ولد جمال الدين ونشأ وسط أسرته، حيث أشرف والده على تعليمه حتى سن العاشرة فحفظ القرآن الكريم، ودرس العربية وظهر ولوعه في المناقشة، وبرزت هويته في حب الأسفار والرحلات، ثم انتقل إلى "مدرسة قزوين" التي كان والده يدرس فيها، وفي تلك الفترة ظهرت منه اهتمامات بدراسة العلوم وخاصة علم الفلك والنجوم، ثم انتقل به أبوه إلى المدن الإسلامية الكبرى أنذلك ليصقل موهبته في المغامرة، فزار طهران

(1) انظر: علي شلش: جمال الدين الأفغاني بين دارسيه، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1987، ص10.

(2) لقد وقع خلاف في اسم أبيه، فمنهم من يقول " صفدر " وهي كلمة فارسية، من ألقاب الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مركبة من كلمة "صف" العربية "ودر" الفارسية من فعل "ديردان" بمعنى افترس واقتحم، أو فرق ومنه مفرق الصفوف وهي صفة من صفات علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لأنه كان يفرق الجموع في الهجوم على أعدائه. و منهم من يقول "صفتر" بمعنى مصحف وهي كلمة غير معروفة في الفارسية، وردها القائلون بأن أصله فارسي إيراني.

(3) المهدي البوعبدلي: " دور الأفغاني في يقظة الشرق ونهضة المسلمين "، مجلة الأصالة، العدد 44، السنة السادسة، ربيع الثاني 1397، أبريل 1977، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ص 29.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

وعمره 12 سنة، وهناك ظهرت نباهته وذكاؤه عندما جالس أكبر علمائها، فطلب من والده أن يقتني له عباءة وعمامة، ليتشبه بالعلماء، الكبار ويكون في مصافهم.

لقد كان جمال الدين الأفغاني كثير الملازمة لوالده، فبعدما انتقل معه إلى مدرسة قزوين، وطهران سافر رفقة إلى النجف، ومكث فيها أربع سنوات درس فيها التفسير والحديث والفلسفة والمنطق وعلم الكلام والأصول والطب والتشريح وعلم النجوم<sup>(1)</sup>، أنهى دراسته في النجف وعمره 16 سنة ثم غادرها وكانت وجهته الهند التي تنقل بين مختلف مدنها، وتعرف على مختلف علمائها، ثم قصد مكة المكرمة للحج وعمره 19 سنة، ثم عاد أدراجه إلى النجف، فكريلاء، فأسد آباد، ثم طهران ثم ارتحل إلى أفغانستان، وتعرف على أميرها "دوست محمد خان"، وألف له كتابا باللغة العربية في تاريخ الأفغان<sup>(2)</sup>.

من هذا المنطلق بدأ السيد جمال الدين حياته السياسية من خلال وقوفه إلى جانب الأمير "محمد الأعظم خان"<sup>(3)</sup> ضد أمير البلاد "دوست محمد خان" فعينه رئيسا للوزراء وعمره 33 سنة، بحيث لعب دورا بارزا في تلك الصراعات المستمرة بين الأمراء للجلوس على كرسي عرش الإمارة، ثم كانت الغلبة للأمير "شير علي خان" الذي نجح في توسيع نفوذه السياسي ليشمل "كابل" العاصمة، ونتيجة لذلك ارتحل الأمير "محمد الأعظم خان" إلى إيران، وبقي السيد جمال في "كابل" تحت الإقامة الجبرية، فطلب السفر إلى الحجاز للتخلص من هذا القيد ولكن كانت وجهته الهند، ونتيجة نشاطه النضالي، ضد الهيمنة الاستعمارية فرضت عليه السلطات البريطانية قيودا مشددة، ثم ارتحل إلى مصر فدخل القاهرة أول مرة، ومكث فيها أربعين يوما، ومنها تنقل إلى الآستانة عاصمة الدولة العثمانية

---

(1) لقد كان علماء ذلك العصر وما قبله يعرفون بالموسوعية - على خلاف العصور المعاصرة التي تعرف بالتخصص - بحيث كانوا يدرسون مختلف العلوم بصفة عامة، فتجدهم إلى جانب نبوغهم في العلوم الدينية، يحيطون بمختلف العلوم العقلية، مثل الفلك والرياضيات والطب، ومثال ذلك بن سينا الذي اشتهر بالطب والكتابات في التصوف.

(2) مصطفى فوزي بن عبد اللطيف غزال : مرجع سابق ، ص 11.

(3) كان الأمير "دوست محمد خان" قد قام بانقلاب على عشيرة جمال الدين ونقلهم إلى مدينة كابل كما أسلفنا الذكر، فقد وقعت حروب بين رودس وبعض أقربائه انتهت بانتصار الثورة بقيادة محمد الأعظم خان. انظر: المهدي البوعبدلي : مقال سابق ، ص 29.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

وكانت تحت حكم السلطان عبد العزيز محمود، فرحب به الصدر الأعظم، وكبار رجال الدولة بمن فيهم السلطان نفسه، وتم تعيينه عضواً في المجلس الأعلى للمعارف، فظهر نشاطاً حثيثاً ومقدرة فائقة في حل المشاكل المستعصية<sup>(1)</sup>، وكان له ذلك نافذة اتّصل من خلالها بالجماهير مستعملاً الخطب والأحاديث التي كان يلقيها في جامع الفتح الكبير<sup>(2)</sup>.

لقد كان جمال الدين الأفغاني يصول ويجول بين مختلف أقطار العالم الإسلامي، ناشراً لأفكاره النهضوية، وما إن حل بقطر من أقطاره المستعمرة حتى صار محل مطاردة من طرف المحتلين، فقد أخرجته الإنجليز من الهند عندما وجدت أفكاره الثورية قبولا عند الكثير من شيوخ وشباب المسلمين هناك، كذلك لم يرحب به في مصر، حيث أخرجته الإنجليز، وكل ذلك يدل على ثقله الثوري والنضالي في العالم الإسلامي.

غادر جمال الدين الأستانة في 1871 وكانت وجهته مصر مرة أخرى، وهناك اجتمع برئيس الدولة "مصطفى رضا باشا" الذي استماله إليه وخصّص له راتباً شهرياً قدره ألف قرش مصري، ورعّبه في الإقامة في مصر، فلزم بيته هناك وصار محل استقطاب لطلبة العلم، ونخبة من المفكرين المصريين وكان يتردد على الأزهر أيام الجمعة ولكن لم يقدم يوماً على عقد حلقة من الحلقات الدروس فيه، بل

---

(1) لقد كان جمال الدين ينهج سراط تقويم وإصلاح التعليم، وشأن محمد عبده يعارضه خصومه، على رأسهم حسن فهمي أفندي وعند حلول شهر رمضان 1870 طلب مدير دار الفنون "تحسين أفندي" من جمال الدين إلقاء محاضرة في موضوع "الترغيب في التصنيع" فاعتذر لعدم إحاطته باللغة التركية، ولكن الشيخ أصر، فكتب جمال الدين درسا، عرضه على وزير المعارف صفوة باشا وعلى القائد العسكري علي شرواني زادة، وإلى منيف باشا ناظر المعارف، فلقي إعجابهم، وكان السيد جمال الدين على قدر كبير من الحيطة والحذر خاصة من خصومه الذين سيستغلون هذا الخطاب لتأويله بما يشوه سمعته الدينية والعقدية، من هذا المنطلق اتهموه بالزندقة والزيف، لأنه صنّف النبوة كصناعة وأن الكون مثل الجسم الحي ذا الأعضاء، وتحدّث عن روجه وقال إما هي الحكمة المكتسبة، أو النبوة التي يصطفي الله لها ما يشاء، وعن الموضوع قال أحمد أمين "رمي بالاحاد وهو في الأستانة عند زيارته لها لأول مرة، إذ خطب في دار الفنون خطبة ذكر فيها أن المعيشة الإنسانية أشبه ببدن الحي، وأن كل صناعة بمنزلة العضو، فالملك كالمخ والحدادة كالعضو والزراعة كالكبد... الخ. ولا حياة للجسم إلا بالروح وروح المعيشة الإنسانية النبوة والحكمة. فاتهموه بالاحاد لهذا وشنعوا عليه بأنه يقول بأن النبوة صناعة، وأكثروا عليه حتى نصح له بالخروج من الأستانة. فلما جاء إلى مصر اتهمه العلماء كالشيخ عليش وبعض العامة بالاحاد". انظر: أحمد أمين: مصدر سابق، ص 110. كذلك: مصطفى فوزي بن عبد اللطيف غزال: مرجع سابق، ص 11.

(2) انظر: عبد القادر المغربي: جمال الدين الأفغاني، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1948، ص 37.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

كان يعقدها في بيته، حرصاً منه للحفاظ على مكانة الفقهاء والعلماء، بالرغم من ذلك ثاروا عليه واتهموه بالإلحاد والزندقة، وفي ذات السياق سعى قنصل إنجلترا في مصر "مستر فيغيان" لتحريض "الخيدوي محمد توفيق باشا" لإخراجه من مصر، وتمكّن من إقناعه فأصدر أمره بإخراجه من القطر المصري في سبتمبر 1871<sup>(1)</sup>.

بعد طرد جمال الدين من مصر كانت وجهته "حيدر أباد" بالهند، وظل بها طيلة ثلاث سنوات يستنهض الهمم، ولكن بعد اندلاع ثورة العراقي بمصر نقل من "حيدر أباد" إلى "كلكتة" التي ألزم بالإقامة الجبرية فيها، ثم أذن له في الذهاب إلى أوربا، فمّر على لندن، ثم استقرّ بباريس فأنشأ فيها جمعية العروة الوثقى السرية<sup>(2)</sup>، وجريدة العروة الوثقى<sup>(3)</sup> التي كان ييثر من خلالها آراءه السياسية والدينية التي تهدف إلى لم شمل شتات الأمة في جامعة إسلامية، وكان تلميذه محمد عبده - الذي لحق به في باريس بعد أن نفي هو الآخر من مصر - يعاونه في أمور تحرير الجريدة التي صدر منها ثمانية عشر عدداً، ولكن منعت الجريدة من دخول الهند وصور الكثير من أعدادها في بقية أصقاع العالم الإسلامي المحتل<sup>(4)</sup>.

ونتيجة لذلك غادر فرنسا سنة 1885 إلى روسيا، ثم إلى إيران، وأخيراً اسطنبول التي أقام بها في رحاب السلطان عبد الحميد الثاني الذي وجد في مشروعه الوسيلة المثلى لتحقيق الوحدة وإنعاش خلافته التي كانت تحتضر، وقد طال به المقام هناك حتى وافته المنية في 9 مارس 1897 إثر مرض

(1) لقد تمّ طرد جمال الدين من مصر، بسبب خوف الخيدوي أن يتحول ضده، بالنظر إلى ثقله الثوري في الأوساط الاجتماعية وخطابه المباشر لهم بضرورة التغيير. ويجمع جل المترجمين لجمال أن ثورة أحمد العراقي بمصر كانت من إيجاء السيد جمال الدين يقول شكيب أرسلان " و إن كان هب على ذلك الزرع من سموم الجهل ونقصان التربية السياسية، ولفحة الدّسائس الأجنبية شأن تلك الدسائس على كل نفضة تحدث في الشرق، أو حركة إصلاح تشفق من ورائها الدول أن تتمزق حجب الغباوة التي هي أصدق عوامل الاستعمار " للمزيد من التفاصيل؛ انظر : ستودارد : مصدر سابق ، ج 1 ، ص 289-303.

(2) لقد انتهجت الجمعية نهج السرية التامة نتيجة أهدافها ومبادئها الثورة الهادفة إلى تحريك الشعوب نحو الوحدة والجماعة، ضد الاستعمار الاوربي، لذلك كان على أعضائها أداء اليمين لخدمة أغراضها السرية؛ انظر الملحق رقم 01.

(3) محمد أبو دية : جمال الدين الأفغاني ، دار المعارف ، القاهرة ، 1961 ، ص 81.

(4) المهدي البوعبدلي : مقال سابق ، ص 34.



## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

عضال<sup>(1)</sup>. لقد عمّر السيد جمال الدين الأفغاني قرابة قرن من زمن، ظل ينافح من أجل وطنه الإسلامي من خلال بث الحس النهضوي في أوساطه الشعبية والسياسية لمواجهة مختلف المخاطر التي كانت تترص بالعالم الإسلامي، وقد كان رحمه الله على قدر كبير من الأخلاق إذ وصفه تلميذه محمد عبده بأنه «ذو سلامة في القلب سائدة في صفاته وحلم عظيم يسع ما شاء الله أن يسع إلى أن يدنو منه أحد ليمس شرفه أو دينه فينقلب الحلم إلى غضب وتنقض منه الشهب. بينما هو حلیم أبواب إذ هو أسد وثاب، وهو كريم، يذل ما بيده، قوى الاعتماد على الله لا يبالي ما تأتي به صروف الدهر عظيم الأمانة سهل لمن لا يناله، صعب على من خاشنه طموح إلى مقصده السياسي، إذا لاحت له بارقة منه تعجل السير للوصول إليه، وكثيراً ما كان التعجل علة الحرمان وهو قليل الحرص على الدنيا، بعيداً من الغرور لزخارفها، ولوعٌ بعظائم الأمور، عزوفٌ عن صغارها، شجاعٌ مقدامٌ لا يهاب الموت كأنه لا يعرفه إلا أنه حديد المزاج كثير ما هدمت الحدة ما فعلت الفطرة، إلا أنه صار اليوم في رسو الأطواد وثبت الأوتاد، فخورا في نسبه إلى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، لا يعد لنفس مزية أرفع ولا أعز أمنع من كونه سلالة ذلك البيت الطاهر هذا»<sup>(2)</sup>.

### 2- معالم فكر السيد جمال الدين الأفغاني:

لقد برز السيد جمال الدين الأفغاني كقطب من أقطاب الإصلاح في بيئة إسلامية كالذين سَخَرُوا جهودهم لخدمت عالمهم الإسلامي من خلال فكره الإصلاحية الذي شكّل منظومة فكرية استهدفت علاج مختلف الأمراض التي أصابت المجتمع والجهاز السياسي المركزي، وفيما يلي نورد الملامح الكبرى لفكر السيد جمال الدين في مختلف المجالات:

### أ - نظرة جمال الدين الأفغاني للعقل:

من خلال السيرة العلمية لجمال الدين الأفغاني - السابقة الذكر - يتبين لنا انه كان عالماً موسوعياً ملماً بالعلوم النقلية والعقلية، شأنه شأن علماء عصره، خاصة وأنه أظهر قريحة علمية وقادة

(1) انظر : محمد المخزومي : خاطرات جمال الدين الأفغاني ، دار الحقيقة ، بيروت ، لبنان ، 1980 ، ص 19 - 44.

(2) جمال الدين الأفغاني : الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 49.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

منذ صباه، جعلته يغوص في الفلسفة العربية القديمة، والفلسفة الأوربية الحديثة، من هذا المنطلق وضع السيد جمال الدين العقل في منزلة عالية رفيعة حيث قال: «فالحكم للعقل والعلم، حتى ولو كانت حقائق العلم وأحكام العقل لا ترضي العامة الذين يساندون رجال الدين وتجار الديانات، ذلك لأن العقل لا يوافق الجماهير، وتعاليم العقل لا يفهمها إلا نخبة من المتنوّرين والعلم على ما به من جمال لا يرضي الإنسانية كل الإرضاء، وهي تتعطش إلى مثل أعلى، وتحب التحليق في الآفاق المظلمة السّحيقة». ويضيف «إن الإنسان من أكبر أسرار هذا الكون، بالعلم وبإطلاق سراح العقل إلى تصديق تصورات، فيرى ما كان من تصورات مستحيلا قد صار ممكنا، وما صورة جموده وتوقف عقله عنده لأنه خيالا قد أصبح حقيقة»<sup>(1)</sup>. لقد أعطى السيد جمال الدين الأفغاني مكانة متميزة للعقل تلك المكانة التي خصّها به الإسلام ولكن في حدود، ذلك أن العقل البشري يبقى قاصرا عاجزا عن إدراك كل الحقائق المحيطة بالإنسان خاصة ما تعلق منها بالأمر الغيبية الميتافيزيقية، التي لا يمكن تفسيرها إلا بالاعتماد على النقل لذلك يبقى العقل البشري بحاجة دائمة إلى هداية النصوص النقلية لمعرفة مختلف المسائل كحقيقة نشأة الكون وخلق الإنسان ومصيره<sup>(2)</sup> وفي السياق ذاته أمر الشارع الإنسان بإعمال عقله لإدراك الحقائق الممكن إدراكها، ومنه تكون العلوم العقلية الدنيوية النّافعة فالعقل والنقل هما في حالة تكامل دائم لا يمكن لأحدهما الاستغناء عن الآخر.

(1) جمال الدين الأفغاني : الأعمال الكاملة... ، مصدر سابق ، ص 102.

(2) في هذا الصدد حارب السيد جمال الدين الأفغاني آراء المذهب المادي أو الدهريين والذين حاولوا بالاعتماد على عقولهم فقط معرفة حقيقة وجود الإنسان، وباقي الكائنات والأجناس من خلال نظرية التطور التي صاغها "داروين" في كتابه أصل الأجناس والتي تعتبر أن أصل الكائنات واحد كان عبارة عن خلية واحدة ( أحادي الخلية ) ثم شرعت في التفرع والتطور، والتكيف حسب الظروف الخارجية والمناخية إلى أن صارت ما هي عليه الآن فالإنسان عندهم كان قردا، واستطاع مع مرور العصور أن يرتقي ليصبح إنسانا، وأن الزنوج هم أول أفراد البشر تطورا، وأن الإنسان القوقازي الأوربي هو أرقاهم على الإطلاق، ألف السيد جمال الدين الأفغاني كتابا للرد على هؤلاء ضمنه أدلة مفحمة تبطل تلك الأهواء والترهات، للمزيد حول الموضوع انظر: جمال الدين الأفغاني : رسالة الرد على الدهريين ، ترجمة: الشيخ محمد عبده ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، مصر ، 1925.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

### ب - الإصلاح الديني والاجتماعي عند جمال الدين الأفغاني:

يعتبر السيد جمال الدين الأفغاني من المصلحين ذوي النزعة الدينية، الذين اعتمدوا على مقوم الإسلام للنهوض بأمة كانت تنن جزاء ظروف القهر الاستعمارية، والجهل والتخلف، نتيجة الفهم الخاطئ لتعاليم الدين الإسلامي، مما كرس انتشار ظاهرة التواكل والقدرية، باعتباره مأساة المسلمين أن ذلك قدرٌ محتم مكتوب عليهم في الغيب لا سبيل لهم به؛ واللجوء إلى الاستغاثة بأهل القبور والأولياء وما إلى ذلك من خرافات عهد الجاهلية الأولى. من هذا المنطلق حاول السيد جمال الدين الأفغاني إصلاح أحوال المسلمين<sup>(1)</sup>.

الاعتقاد السليم عند الأفغاني هو الإيمان بحرية الإنسان والإنكار لفكرة الجبر، و"المكتوب" كما هي مفهومة لدى جل الشعوب الإسلامية أنذلك، والكثير من الغربيين الذين ينسبونها خطأ إلى الإسلام وهو منها بريء، حيث يفسر الأفغاني " القضاء والقدر " بمفهوم مخالف لعقيدة الجبر وأن الإنسان غير مخير، ما يجعله يبرر أفعاله القبيحة، أو أوضاعه المتردية أو الاستعمار الأوربي بالقدر المقدر عليه، فالعقل عند يجب أن يتحرر من قيود المكتوب ليدع ويخترع<sup>(2)</sup>.

وقد أشار الشيخ عبد القادر المغربي في حديث له مع السيد جمال الدين الأفغاني، أنه سأله عن الطريقة القومية التي ينبغي أن نسلكها للتوصل إلى التمدن الحقيقي لمساواة شعوب أوربا ؟ فأخبره جمال الدين: " لا بد من حركة دينية لأننا إذا نظرنا في سبب انقلاب أوربا من الخشونة إلى المدنية نراه حركة دينية"<sup>(3)</sup> فقال له الشيخ المغربي متسائلاً "إن دينهم فاسد فأصلحوه وديننا بحمد الله تعالى

(1) نصر الدين عبد الحميد نصر : مصر و حركة الجامعة الإسلامية (1882-1914) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1984 ، ص 28- 41 .

(2) انظر: عثمان أمين: " جمال الدين الأفغاني والتجديد الإسلامي " ، مجلة الأصاله ، العدد 52 ، السنة السادسة ، ذو الحجة 1397 /ديسمبر 1977 ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزائر ، ص 65-73 .

(3) لقد عاشت أوربا سنين العصور الوسطى الجهل والتخلف وشيوع كل مظاهر الفساد، نتيجة سيطرة الكنيسة الكاثوليكية على أمور الدين والدنيا، فكان البابا يملك السلطة الروحية والسلطة الزمنية على العالم الأوربي، فلا يمكن القيام بأمر ما في مختلف =المجالات إلا بالرجوع إلى الكنيسة بما فيها أعمال العقل والاكتشاف العلمي، ونذكر أن "غاليليو" أعدم لما قال أن الأرض كروية الشكل، فلا يمكن التجرد على الكنيسة. ونتيجة لذلك برز أحد المصلحين الدينيين وهو مارتين لوتر الألماني، الذي جاء بمذهب

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

للآن محفوظ من التبدل والتغيير، فكيف تكون حركتنا الدينية وعلى أي شيء مبناها؟ فأجابه بقوله: «حركتنا الدينية هي اهتمامنا بقلع ما رسخ في عقول العوام والخواص من فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية في غير وجهها الحقيقي... فلا بد من بث العقائد الدينية الحقة بين الجمهور وشرحها له على وجهها المناسب ولا بد أيضا من تهذيب علومنا وتنقيحها وتأليف كتب فيها قربة المأخذ، سهلة الفهم لنستعين بها على تقدمنا لا أن نجعلها علما مقصودا لذاته كعلم النحو والبلاغة يصرف الإنسان حياته فيها ولا يقتدر على إنشاء مقالة يعبر بها عما يقوم في نفسه من أفكار والأمر التي يرجع إليها إصلاح الوطن، والتعزيز للدين والتقوية للأمة»<sup>(1)</sup>.

لقد ركز السيد جمال الدين الأفغاني عمله الإصلاحية على إحداث حركة إصلاحية دينية عملية شاملة انطلاقا من الأوضاع الثقافية والحضارية التي كان يعيشها العالم الإسلامي، سبب تخلف وتراجع دورهم الحضاري الريادي على عهد أسلافهم الأوائل المسلمين، من خلال انتشار البدع والخرافات والأباطيل؛ غير أن أخطرها ظاهرة التواكل وفساد العقيدة، وما لذلك من تبعات وأثار وخيمة على سيرورة حركة النهضة والصحو، ثم الرقي والأزدهار، وعليه فقد استهدفت حركة جمال الدين الأفغاني إحياء العقيدة الإسلامية الصحيحة والسليمة من خلالها القضاء على البدع والخرافات، وبذل أسباب النهضة والحضارة الإسلامية المندثرة، ونشر العلوم النقلية الصحيحة وكذا العلوم الدنيوية النافعة، والكف عن التقليد والحمول والكسل.

---

جديد سمي ب: البروتستانت بمعنى المحتجين، انتقد فيه عقائد الكاثوليك واعتبرها فاسدة، وأحدث ثورة دينية في أوربا، كان من نتائجها القضاء على سيطرة الكنيسة وإطلاق العنان للعقل الأوربي الذي ما فتئ يكتشف ويخترع فشهدت أوربا ما يسمى في التاريخ بالنهضة الأوربية. من هذا المنطلق ذم الأفغاني التعصب الديني والتزمت والتحجر، واعتبره عائق خطير في وجه تقدم الأمم ووحدها. انظر: جمال الدين الأفغاني: " اتبعوا ما انزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء - التعصب - " ، العروة الوثقى ، ج4 ، 13 مارس 1884 ، ص138.

(1) أنظر : محمد طهاري : مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1992 ، ص 20. كذلك : محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده ، ج1 ، مصدر سابق ، 83.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

لقد تميّز المجتمع الإسلامي خلال عصر جمال الدين الأفغاني بالانحلال والتشتت، نتيجة انتشار العادات السيئة وتفشي الأخلاق الفاسدة وتخميم الجهل عليهم وانتشار بعض العقائد المنحرفة، يشير إلى ذلك لوثرورب ستودارد صاحب حاضر العالم الإسلامي بقوله: «فألبيت الوجدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجفا من الخرافات وقشور الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات وكثر عديد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمام والتعاويد والسبحات ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور، وغابت عن الناس فضائل القرآن فصار يشرب الخمر والأفيون في كل مكان، وانتشرت الرذائل وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء... فصار الحج المقدس الذي فرضه النبي صلى الله عليه وسلم على من استطاعه ضربا من المستهزآت...»<sup>(1)</sup>.

ولعل أخطر آفة اجتماعية - ذات أبعاد عقدية - أصابت الأمة الإسلامية؛ هي آفة التواكل التي كبتت الحراك الاجتماعي نحو الإبداع والاختراع، وقيدت العقول الإسلامية، ونحن نعلم أن الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره ركن من أركان العقيدة الإسلامية الصحيحة، ولكن الشريعة الإسلامية السمحة لم تمنع من بذل الأسباب المطلوبة لبلوغ الأهداف المسطرة؛ فالنتائج المحققة بعد تقديم الأسباب هي كذلك قضاء وقدر. من هذا المنطلق سعى جمال الدين الأفغاني جاهدا لبند عقيدة التواكل والجبر ومحاربتها وتعريف المسلمين بأصول العقيدة الصحيحة التي تدعو إلى العمل والجد في سبيل النهضة والرقى والحضارة، فالمسلمون الأوائل استطاعوا بعقيدة التوكل - على خلاف عقيدة التواكل - أن يشيدوا حضارة راقية في ظرف وجيز تضاهي وتفوق الحواضر آنذاك ( الروم والفرس) لأنهم قدموا الأسباب، وتوكلوا على الله، ويشير إلى ذلك الأفغاني بقوله: «اندفع المسلمون في أوائل نشأتهم إلى الممالك والأقطار يفتحونها ويتسلطون عليها، فأدهشوا العقول وحيروا الأبواب بما دخلوا الدول وقهروا الأمم، وامتدت سلطتهم من جبال " البيربي " الفاصلة بين اسبانيا وفرنسا إلى

(1) لوثرورب ستودارد : مصدر سابق ، ج1 ، ص ، 259 ، 260.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

جدار الصين، مع قلة عددهم وعدتهم، وعدم اعتيادهم على الاهوية المختلفة وطبائع الإقطاع المتنوعة<sup>(1)</sup>. والحق أن انتشار الشرك والبدع كان سببا في تجذر عقيدة التواكل وانتشار الأخلاق الفاسدة، والتي لا سبيل إلى إصلاحها إلا من خلال العودة للعقيدة الصحيحة الداعية إلى التوكل مع بذل الأسباب، ويشير إلى ذلك الأفغاني بقوله: «الاعتقاد بالقضاء يؤيده الدليل القاطع بل ترشده الفطرة، وسهل على من له فكر أن يلتفت إلى أن كل حادث له سبب يقارنه في الزمن، وأنه لا يرى من سلسلة الأسباب إلا ما هو حاضر لديه، ولا يعلم ماضيها إلا مبدع نظامها، وأن لكل منها مدخلا فيما بعده بتقدير العزيز الحكيم»<sup>(1)</sup>.

لقد حاول جمال الدين الأفغاني اجتثاث مختلف الأمراض التي أصابت المجتمع الإسلامي انطلاقا من سلطة الدين، والذي كان الفهم الخاطئ له سبباً في الانحطاط والتخلف، لذلك سعى جاهدا لتعريف المسلمين بالعقيدة السليمة التي تدعو إلى توحيد الله سبحانه وتعالى ودرء الشرك بكل مظاهره، وبذل الأسباب في سبيل الحضارة والرقي والتقدم، والكف عن التواكل والتضرع للقبور والاستغاثة بالموتى... والابتعاد عن الأخلاق الفاسدة التي تتنافى مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة كشرب الخمر والفواحش والنهب، كل ذلك لخلق مجتمع إسلامي متماسك ومتحضر له أسس ومبادئ نبيلة ذات قيم عليا، جديرة بأن تجعله محل تقليد من المجتمعات الأخرى.

### 3 - جمال الدين الأفغاني والجامعة الإسلامية السياسية:

لقد ارتكزت جهود جمال الدين الأفغاني الإصلاحية في جميع الميادين حول فكرة الجامعة الإسلامية التي يعتبر الأب الروحي لها في العصر الحديث ومنظرها الأول، من خلال تأسيسه لنواتها السرية الأولى سنة 1882 باسم جمعية العروة الوثقى، التي صار لها فروع في عدة مناطق من نواحي العالم الإسلامي بما فيها المغرب العربي، وأخذ يروج لها رفقة أقرانه في الفكر الإصلاحي في الأوساط الشعبية والسياسية، بغية إقامة وحدة سياسية للعالم الإسلامي بقيادة الدولة العثمانية.

(1) انظر : محمد طهاري : مرجع سابق ، 101 ، 102. كذلك: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده : العروة الوثقى ، مصدر سابق ، ص 63 وما بعدها.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

اجتهد جمال الدين الأفغاني لتحقيق الوحدة الإسلامية، عن طريق صهر مختلف الأقطار السياسية للعالم الإسلامي في وحدة سياسية كبرى، تكون بمثابة الخلافة الإسلامية الجامعة، فمنذ نشأة الدولة الإسلامية الجامعة في العهد الأول، وهي تتوفر على عوامل الوحدة، ذلك أن الإسلام بشموليته وعالميته<sup>(1)</sup> تمكن من جمع مختلف الأقاليم التي انضوت تحت تاجه عبر مختلف أصقاع العالم ( الروم ، الفرس ، العرب ، الأمازيغ الترك...) ولذلك مظاهر وتجليات سجلها التاريخ الإسلامي عبر محطاته السياسية الحدودية، تجسدت في دولة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة والتي ضمت مختلف القبائل والأعراق، وقد شكلت تلك الدولة النواة الأولى للدولة الإسلامية التي سبني سرحها الخلفاء الراشدون المهديون الأربعة، ويؤسسون لأول مرة دولة الخلافة الإسلامية، والتي حكمها من بعدهم آل أمية، ثم دولة الخلافة العظمى "الدولة العباسية" التي بلغ نفوذها السياسي معظم أقطار العالم القديم ثم استخلفهم آل عثمان في الدولة العثمانية. وفي ذات المرحلة شهد المغرب الإسلامي عديد المحطات السياسية الحدودية التاريخية انطلاقا من دولة الفاطميين التي ضمت كل أقطار المغرب الإسلامي ثم دولة المرابطين فالموحدين ذات النزعة القومية، ومنه فإن معطيات وحدة العالم الإسلامي في دولة إسلامية كبرى جامعة موجودة ومتوفرة انطلاقا من أهم عنصر موحد وهو الإسلام، ثم التاريخ المشترك.

وتحقيق الوحدة الإسلامية في رأي جمال الدين الأفغاني أمر ممكن إذ انضوت جميع شعوب الأمة الإسلامية على اختلاف أوطانها وجنسياتها تحت حكم خليفة واحد تجمع في يديه السلطتين الدينية والزمنية، وبذلك يعود للمسلمين ما كان لهم من قوة ومنعة زمن الخلافة الأول، وخلال العصر الذهبي

---

(1) لقد بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم لقریش خاصة ولعامة الناس كافة، وقد استطاع صلى الله عليه وسلم أن يؤسس دولة في بيئة سياسية صعبة جدا، تتميز بالتشتت و تجذر العصبية القبلية، فقد كانت شبه جزيرة العرب عبارة عن قبائل متشتتة ومتناحرة ، تقوم الحروب بينهم لأتفه الأسباب ولم يكن لهم ملك سياسي بمثابة دولة، تضاهي الروم والفرس، ووسط هذه الظروف صهر النبي صلى الله عليه وسلم تلك الوحدات السياسية في دولة واحدة تشكّلت ملامحها في أرض المدينة بعد الهجرة، وإذا علمنا أن من خصائص الديانة الإسلامية الشمولية والعالمية فقد تمكن خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم في قيادة الدولة من نشر الإسلام عبر مختلف بقاع العالم، وعبر الدول الكبرى، ليتم ضم كل المناطق التي وصلها الإسلام لتتاج الدولة الإسلامية عبر القارات الثلاثة.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

للعثمانيين، ولكن بشرط أن يتبنى الخليفة الواحد حكما حديثا يأخذ بأسباب الحضارة الغربية المادية التي لا تتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي<sup>(1)</sup>. وفي هذا المقام ذكر جمال الدين في جريدة العروة الوثقى ما نصّه: «واعتصموا بحبال الرابطة الدينية التي هي أحكم رابطة اجتمع فيها العربي بالتركي والفارسي بالهندي، والمصري بالمغربي وقامت لهم مقام الرابطة النسبية حتى أن الرجل منهم ليألم لما يصيب أخاه من عاديات الدهر، وإن تناءت دياره وتقاصت أقطاره... وأن المسلم في تبديل حكوماته لا يأنف ولا يستنكر ما يعرض عليه من أشكائها وانتقالها من قبيل إلى قبيل، ما دام صاحب الحكم حافظا لشأن الشريعة ذاهبا مذهبها»<sup>(2)</sup>. وقد سعى السيد جمال الدين الأفغاني إلى المحافظة على الخلافة العثمانية وإحيائها باعتبارها رمز الوحدة للمسلمين والمنبر الجامع للتصدي للعدو الرئيسي وهو الاستعمار الأوربي الزاحف على البلاد الإسلامية، ومن أجل ذلك لم يناصر تيارات الفكر القومي التي سعت للاستقلال عن الخلافة<sup>(3)</sup>، لأنه كان يبصر أن هناك تحديات مفروضة على العالم الإسلامي أخطرها الاستعمار الأوربي الذي تخدمه عقليّة الشتات والفرقة<sup>(4)</sup>. وانطلاقا من هذا التأييد السياسي للدولة العثمانية، اجتهد جمال الدين الأفغاني كي يجعل من

(1) أحمد أمين : مصدر سابق ، ص 68.

(2) انظر: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده : العروة الوثقى ، مصدر سابق ، ص 158 ، 165.

(3) لقد كان السيد جمال الدين الأفغاني يدعو الشعوب الإسلامية للوحدة ضمن خلافة إسلامية موحدة ذات سيادة داخلية وخارجية. ورغم أن السيد جمال الدين من أفغانستان على أشهر الأقوال، وأنه زار العديد من أقطار العالم الإسلامي والأوربي إلا أنه لم يتعلق ببلد من البلاد على أنه وطن ولم تدخل فكرة الوطنية أو القطرية بمعناها في فكره السياسي، غير أنه كان يدعو لوحدة اللسان وهو العربي أو اللغة العربية، على اختلاف أجناسهم وأعراقهم، لأن اللسان العربي هو لسان الدين وهذا الأخير هو المقوم الأساسي لوحدة الشعوب الإسلامية وإقامة الجامعة الإسلامية، ومن ثمة ظهرت فكرة جامعة اللسان التي تعتبر وسيلة مهمة في نظر الأفغاني لتحقيق الوحدة والتماسك لأنه من الضروري توفير كل معطيات الوحدة على أن أهم معطى هو الدين الإسلامي ولغته العربية.

(4) لقد رأى السيد جمال الدين الأفغاني في عبد الحميد الثاني سلطان الدولة العثمانية وخليفة المسلمين الأب الأكبر لعموم المسلمين وأنه الأجدد بمسلمي العالم أن يلتفتوا حوله كسلطان جامع للشتات السياسي للعالم الإسلامي، بتحويل الإمبراطورية العثمانية إلى مملكة الممالك أي مركز الاتحاد الإسلامي، بتنظيمها على أساس لا مركزي حقيقي، وأن هذا الاتحاد سيدفع كل الأقطار الإسلامية للانضمام لتاج المملكة العثمانية بما فيها أفغانستان و فارس والهند انظر: محمد عمارة : الجامعة الإسلامية وفكرة القومية نموذج مصطفى كامل ، مرجع سابق ، ص 53.



## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

علاقة الدين والمعتقد بديلاً للعلاقات القومية (الجنسية) التي كانت تنمو يومئذ في عدد غير قليل من الأقطار المحكومة من طرف دولة آل عثمان، وقد جاء في مجلة العروة الوثقى<sup>(1)</sup> «لا جنسية للمسلمين في دينهم وأن المسلمين لا يعرفون لهم جنسية إلا في دينهم واعتقادهم»<sup>(1)</sup>.

وفي الإطار نفسه فإن أهمية أفكار جمال الدين الأفغاني والتقاءها موضوعياً مع مصلحة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني جعلت هذا الأخير يسارع إلى توظيفها والاستفادة منها قدر الإمكان، لما للرجل من سدادة الأفكار والوجاهة وذياق الصيت في أرجاء العالم الإسلامي، لذلك فما إن حلّ الأفغاني بإسطنبول<sup>(2)</sup> حتى تلقاه عبد الحميد بالمبرة والكرامة، وقربه منه ورفع منزلته... وقلده رئاسة العمل في سبيل الدعوة للجامعة الإسلامية [الأمر الذي يحملنا القول] بأن ما ناله السلطان عبد الحميد من نجاح في سياسته في سبيل الجامعة الإسلامية إنما كان على يد جمال الدين...<sup>(2)</sup>.

كما دعا السيد جمال الدين إلى إنهاء الحكم الاستبدادي المسلط عليهم سواء كان من سلاطين الدولة العثمانية أو من غيره من حكام الأقطار الإسلامية الأخرى، لذلك فقد سعى الأفغاني إلى إحياء نظام الشورى- الذي أقبر منذ عهد الخلفاء الراشدين- القادر على إرجاع الدولة الإسلامية إلى عصورها الذهبية الغابرة<sup>(3)</sup>.

وفي السياق ذاته نادى الأفغاني إلى مقاومة الاستعمار الأوربي، لأنه لا سبيل لتحقيق الوحدة الإسلامية والتحرر من التخلف، والاستعمار جاثم على جل أقطار العالم الإسلامي، لأن الاستعمار يعد من أخطر المعوقات التي تقف في وجه إقامة الجامعة الإسلامية وتجسيد أهدافها المسطرة، ذلك أنه كان يهدف إلى تكريس ظاهرة القطرية والشّتات السياسي والفرقة؛ لأن ذلك يخدم مصالحه الاستعمارية في البلاد الإسلامية، وفي هذا الصدد قال في جريدة العروة الوثقى<sup>(3)</sup> «لقد نظرت إلى الشرق وأهله فوجدت أقتل أدوائه انقسام أهله وتشتت آرائهم، واختلافهم على الاتحاد واتحادهم على

(1) جمال الدين الأفغاني : الأعمال الكاملة... ، مصدر سابق ، ص342.

(2) لشورب ستودارد : مصدر سابق ، ج1، ص306.

(3) نصر الدين عبد الحميد : مرجع سابق ، ص32.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

الاختلاف، فعملت على توحيد كلمتهم وتبنيهم للخطر الغربي المهدق بهم<sup>(1)</sup>، وقد صاحب الغزو الاستعماري غزو عقدي من خلال نشر الديانة النصرانية، باستعمال أدوات الحضارة الحديثة من معاملة كريمة إنسانية، والتعليم والطب وهي أشياء كان يجهلها المسلمون، ومن ثمة وجب مقاومة الاستعمار بنفس أدواته أي نفس السلاح الحضاري المادي الذي لا يتعارض مع تعاليم الإسلام وكان الأفغاني يرى في الخطر الأوربي ليس فقط ضد الوحدة الإسلامية، ولكنه في المقام الأول خطر يقوم على أساس ديني، بل هو حركة صليبية موجهة ضد الإسلام، وأن هذا الخطر ليس مجرد استعمار انجليزي أو فرنسي أو روسي بل إن أدوات الاستعمار الحضارية خطر على الإسلام والمسلمين لا يمكن التصدي له إلا بتجمع إسلامي سياسي وتماسك فكري عقدي<sup>(2)</sup>.

وقد استهدف الأفغاني إقامة وحدة واقعية سريعة ومباشرة للشعوب الإسلامية، من خلال بناء دولة إسلامية نموذجية في كبرى الدول الإسلامية التي لم تكن قد خضعت بعد للاستعمار في ذلك الوقت أولاً، ثم حشد وتعبئة المسلمين ضد الاستعمار الغربي ولاسيما البريطاني ثانياً. ودعا ثالثاً الدول الإسلامية المستقلة إلى الاتحاد لحماية استقلالها والمساعدة في تحرير البلاد الإسلامية المستعمرة وهذه الأهداف مجتمعة شكلت فكرة الجامعة السياسية الإسلامية عند جمال الدين الأفغاني.

وقد اختلف السيد جمال الدين الأفغاني مع الشيخ محمد عبده في طريقة التغيير السياسي الذي ارتكز عند جمال الدين على الخوض الفعلي المباشر في السياسة والتعجيل في ذلك، واستهداف أقطاب السياسة في العالم الإسلامي بغية إقناعهم بالوحدة والعمل المشترك القائم على الجامعة الإسلامية وشرح سبل تحقيق ذلك، وفي ذات الوقت نشر الوعي الثقافي وأسباب التقدم. بينما ركز الشيخ محمد عبده على عنصر بث الوعي الإصلاحي الديني دون السياسي، أي التنظير الفكري ثم العمل الميداني، من خلال تأليف العقول السليمة والمنظومات العقدية الصحيحة التي تستطيع خوض

(1) جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده: العروة الوثقى، مصدر سابق، ص 13.

(2) نصر الدين عبد الحميد: مرجع سابق، ص 39.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

غمار المرحلة اللاحقة، وحجته في ذلك أنه يستحيل تطبيق مشروع الجامعة الإسلامية في مناخ سياسي وثقافي يسوده الجهل والتخلف والتعصب.

### ثانياً: الشيخ محمد عبده

يعتبر الشيخ محمد عبده قطبا من أقطاب الجامعة الإسلامية، والأب الروحي لها بعد أستاذه السيد جمال الدين الأفغاني، ذلك انه عمل رفقته على إيقاظ العالم الإسلامي من سباته العميق الذي كان يغط فيه، من خلال شن حملة نهضوية شملت شتى الميادين، خاصة الميدان الحضاري الفكري من خلال الحث على بذل أسباب الحضارة والرقى والتقدم، وكذا السياسي عن طريق جمع الشتات السياسي للعالم الإسلامي في جامعة إسلامية توحدته وتصهره في وحدة متماسكة، وفيما يلي نتعرف على شخصية محمد عبده من حيث المولد والنشأة وسيرته النضالية من خلال منظومته الفكرية:

#### 1 - المولد والنشأة:

هو محمد عبده حسن خير الدين المصري ولد بقرية " شبشير " من قرى "المحافظة الغربية"، نشأ ببلدته " محلة نصر " إحدى قرى مركز " شبراخيت " بمحافظة البحيرة سنة 1226هـ الموافق لـ: 1849م، حيث نشأ والده ونشأت أسرته من قبله، تعلم في قريته حيث حفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى الجامع الأحمدى بـ " طنطا "<sup>(1)</sup> لتلقي دروس تجويد القرآن الكريم سنة 1862، وكان حينها عمره لا يتجاوز ثلاثة عشر عاما، لكن عقم أساليب التدريس به وعدم نجاعتها جعلته في حالة عزوفٍ عن الدراسة ومواصلتها، فهجرها عائداً إلى للقرية بعد عام واحد، وفكر جدياً في احتراف الزراعة مثل والده وأخويه " علي ومحروس " غير أن والده رفض رغبة الابن، لما لاحظته من علامات الذكاء والاستيعاب العلمي، وقرر إعادته إلى الجامع الأحمدى في سنة 1864، فهرب من القرية حيث التقى بخال والده "الشيخ درويش خضر" وكان صوفياً مستنيراً فعادت إليه الرغبة في طلب العلم، فرجع إلى الجامع الأحمدى<sup>(2)</sup>. ثم انتقل إلى جامع الأزهر بالقاهرة عام 1866 ليواصل

(1) رأفت الشيخ : مرجع سابق ، ص 280.

(2) صلاح زكي أحمد : مرجع سابق ، ص 64.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

تحصيله العلمي، وقد تعلم محمد عبده على يد مشايخ الجامعيين ( الأحمدي والأزهري ) وعلى طريقتهم تعلم، وإن كان قد وقف على أحوال هؤلاء مشايخ الذين يعيشون في عزلة عن العالم فلا يشعرون بما أصاب الإسلام والمسلمين، ولا يهتمهم إلا أنفسهم داخل محيطهم الضيق، وبقوا على الجمود في العلوم القديمة دون الأخذ بأسباب الحضارة الحديثة<sup>(1)</sup>.

لقد نشأ محمد عبده في صباه، نشأة بسيطة شأنه شأن علماء ذلك العصر، الذين كان لهم من الإمكانيات والمؤهلات الذهنية ما جعلهم يتفوقون ويتجاوزون مختلف العقبات التي تقف في طريقهم كالفقر، وظروف الريف القاسية، فمحمد عبده لم يُعَدَّ ويُجَهَّز منذ البداية ليكون عالماً، ومصلحاً ذا ثقل نضالي في العالم الإسلامي، بل إن ظروف عصره وإمكانياته الفكرية وإحساسه الدائم بالمسؤولية جعلاه يبرز ويلتحق بمصاف علماء ومشاهير العالم الإسلامي، الذين كان الملوك يحسبون لهم ألف حساب؛ قال فيه خصمه الخيديوي عباس " أنه يدخل علي كفرعون " وداعبه أستاذه الأفغاني " قل لي : ابن أي ملك من الملوك أنت ؟ "<sup>(2)</sup>. وقد استفاد محمد عبده من علم وتوجيه بعض المشايخ المتنورين أمثال الشيخ درويش الصوفي النزعة، السلفي المذهب<sup>(3)</sup>، والذي كان يكره الجهل والبدع والخرافات والشعوذة وعقيدة التواكل وأمثال الشيخ حسن الطويل من علماء التجديد، وفي نفس الوقت ضاق ذرعاً ببعض المشايخ الجامدين أمثال الشيخ "عليش" الذي كان معروفاً بجموده الفكري التقليدي<sup>(4)</sup>. وبعد أن أتم محمد عبده دراسته الأزهرية، خرج إلى الحياة العامة وكان السيد جمال الدين الأفغاني إبناً قد وفد إلى مصر سنة 1871 فالتقى به وقد أعجب بحكمته ونباهته وغزارة علمه فلقنه الأفغاني الدروس الأولى في الدعوة والإصلاح، والارتكان إلى العقل في فهم أمور الدين، وقد

(1) رأفت الشيخ : مرجع سابق ، ص 280.

(2) محمد عمارة : تيارات الفكر الإسلامي ، مرجع سابق ، ص 293.

(3) من خصائص المذهب السلفي محاربة البدع والخرافات، وقد ظهر هذا التيار الفكري الإسلامي نتيجة الأوضاع الدينية والفكرية والحضارية التي كان يعيشها العالم الإسلامي، والتي تميزت بتفشي الجهل وكل مظاهر الشرك، لذلك فهو تيار موجه بالأساس لمحاربة الطرق الصوفية المنحرفة التي امتهنت الشعوذة ونشرت فكر التواكل والشرك في أوساط المجتمعات الإسلامية عبر جل أصقاع العالم الإسلامي بما فيها المغرب العربي الذي عششت فيه الطرق الصوفية.

(4) رأفت الشيخ : مرجع سابق ، ص 280.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

كان للأفغاني وفكره الديني والسياسي والاجتماعي بالغ الأثر في حياة محمد عبده ومسيرته النضالية<sup>(1)</sup> بحيث استفاد من أفكاره وصاحبه طيلة فترة وجوده في مصر ليُتم معه الرسالة الإصلاحية النهضوية للمسلمين التي يعمل من أجلها، وعندما رحل الأفغاني عن مصر استمر تلميذه محمد عبده في الدعوة إلى الإصلاح والتغيير الهادئ<sup>(2)</sup>.

لقد أبدى محمد عبده شجاعة أدبية في مواجهة العلماء التقليديين الأزهريين، من خلال نقد طرق التدريس القديمة ومحتوى المادة العلمية المدرسة من حيث التنوع، ومسائرتها للأوضاع التي كان يعيشها العالم الإسلامي بغية التغيير والتجديد، واجتثاث مسببات التخلف والجمود، وبالتالي خلق أوضاع ثقافية وفكرية وحضارية تكون قادرة على إخراج العالم الإسلامي من دائرة التخلف، وكذا شجاعة سياسية في إبداء آرائه أمام حكام وملوك أقطار العالم الإسلامي، بما فيها مصر التي عايش ظروفها السياسية<sup>(3)</sup>، وكانت مجالا خصبا لمختلف الأطماع الأجنبية الاستعمارية، وكأن البلاد في حالة فراغ سياسي وقيادي من أبناء البلاد الأصليين، من هذا المنطلق أبدى الشيخ محمد عبده روح المسؤولية تجاه وطنه الإسلامي، وهي سمة يتميز بها رجال الأمم الناهضة.

وكان الشيخ محمد عبده بعد حصوله على العالمية من جامع الأزهر عام 1877، قد شغل عدة وظائف بدأها بالتدريس في جامع الأزهر، ثم نُقل للتدريس بمدرسة "دار العلوم" في العام الموالي

---

(1) كما كان لشيخه في الأزهر حسن الطويل الأزهري أثر بالغ كذلك في صنع شخصية محمد عبده العلمية، فقد علمه الشجاعة في إبداء الرأي والجرأة والصراحة في التعبير عن النفس مع أصحاب المناصب والمقامات، والزهد في الحياة الدنيا. انظر: صلاح زكي أحمد : مرجع سابق ، ص 64 ، 65.

(2) رأفت الشيخ : مرجع سابق ، ص 281.

(3) كانت الشيخ محمد عبده على مرأى مما يقع في البلاد الإسلامية بما فيها مصر ، حيث أنشئ صندوق الدين كإمتياز ثنائي لفرنسا وإنجلترا لمراقبة مصر ماليا، ورأى بعينه كيف يتوغّل الحكم الأجنبي في بلاده، مقوضا سلطتها، مبددا هيبتها فانخرط في النشاط السياسي المناوئ لاستبداد الخديوي إسماعيل بالسلطة، والتدخل الأجنبي، ذلك النشاط الذي استخدم فيه " التنظيم الفكري والسياسي " من مثل " الحزب الوطني الحر " الذي أسسه السيد جمال الدين الأفغاني، وبدأ عمله سرّيا، ورفع شعار " مصر للمصريين " وهو الحزب الذي ضم أغلب القيادات التي أسهمت في تفجير ثورة العرابية سنة 1881. انظر : صلاح زكي أحمد : مرجع سابق ، ص 65.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

(1878) لتدريس التاريخ، ثم عمل مدرسا للغة العربية بمدرسة الألسن، إلى جانب كتابته مقالات أدبية واجتماعية بجريدة الأهرام أكدت ميله إلى العلوم العصرية والبحث في الأصول الدينية ونتيجة نزعته النقدية المتأثرة بنهج السيد جمال الدين الأفغاني، فقد طرد من التدريس عام 1879 وهو العام ذاته الذي نفى فيه الأفغاني من مصر، ثم عمل في العام التالي بجريدة الوقائع المصرية، ثم صار عضوا بمجلس إدارة الأزهر، وقد انخرط في الحزب الوطني، وأيد مطالب العراقيين، وبعد الاحتلال البريطاني لمصر، نفى إلى لبنان<sup>(1)</sup>.

وخلال سنوات المنفى دعاه أستاذه السيد جمال الدين الأفغاني إلى زيارة أوروبا وبالضبط باريس حيث كان الأفغاني يقيم، فلبى الشيخ دعوته، فضلا عن اشتياقه لمواصلة الكفاح رفقة أستاذه، وفي باريس تم إصدار مجلة " العروة الوثقى " لسان حال جمعية العروة الوثقى السرية، والتي كانت تعمل على بث مسببات الصحوة في العالم الإسلامي. وقد زار لندن بوصفه نائبا لرئيس الجمعية، دخل مصر سرا سنة 1884 ليشرف على تنظيم الجمعية وليرقب عن كذب أحداث الثورة المهدية في السودان.

وبعد توقف مجلة "العروة الوثقى" عن الصدور، وانقضاء السنوات الثلاثة المحكوم عليه أن ينفى خلالها خارج مصر، تسرب اليأس إلى نفسه من جو العمل السياسي المباشر والثورة الذي لم يكن موافقا لطبعه وتكوينه ومزاجه، وبدأ مسعا للعودة لبلاد المشرق فغادر باريس إلى بيروت سنة 1885 وهناك تفرغ للتربية والتعليم والتجديد الديني، فأسس جمعية سرية للتقريب بين الديانات السماوية وكتب الفصول في الصحف والمجلات وأتم ترجمته لرسالة الأفغاني " الرد على الدهريين " ووضع برنامجا وعرائض لإصلاح التعليم الإسلامي في مختلف الأصقاع، وشرع في تحقيق كنوز التراث العربي القديم، وحوّل "المدرسة السلطانية" من مدرسة ابتدائية إلى مدرسة شبه عالية عندما درس بها الأدب والبلاغة، تلك التي جسّدت منهجه التجديدي، فاجتذبت خاصة بيروت، وعامتها

(1) رأفت الشيخ : مرجع سابق ، ص 282.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

المسلمين منهم والمسيحيين المستنيرين<sup>(1)</sup>، وبعد عودته إلى مصر عُيِّن سنة 1899 مفتيا للديار المصرية، وفي عام 1900 أسَّس جمعية إحياء العلوم الإسلامية<sup>(2)</sup>، واستمر الأستاذ الإمام<sup>(3)</sup> محمد عبده في دعوته الإصلاحية إلى أن وافته المنية سنة 1905 وله من العمر سبع وخمسون سنة.

### 2 - ملامح فكر محمد عبده:

يعتبر محمد عبده من رواد الحركة الإصلاحية والفكرية في العالم الإسلامي إبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، من خلال نشاطه الحثيث الذي كان مرتكزا بالدرجة الأولى على إصلاح حال المسلمين الذين كانوا يعيشون أسوأ مراحل تاريخهم، ومن خلال طبيعة تكوين شخصية محمد عبده العلمية والظروف التي عاشها في خضمها، فقد ارتسمت لديه جملة من الأفكار التي شكَّلت منظومته الفكرية الإصلاحية.

### أ - النقل والعقل عند الشيخ محمد عبده:

بالنظر إلى حيثيات تكوين محمد عبده المتمحورة بالدرجة الأولى حول العلوم النقلية- التي تبحر فيها بشتى أقسامها وفروعها- تكونت شخصية محمد عبده العلمية وتحملى ذلك في المكانة العلية التي أعطاها للنقل، فمن دون النقل لا يمكن للعقل البشري الاهتداء إلى حقيقة الأشياء وطبيعتها، وفي هذا يقول: «إن الإسلام يعتبر من موازين العقل البشري التي وضعها الله من شططه وتقلل من خبطه وخلطه»<sup>(4)</sup>.

لذلك فالدين في نظر الشيخ محمد عبده يكمل العقل ولا قيمة ولا هداية لعقل من دون نقل

(1) صلاح زكي أحمد : مرجع سابق ، ص 65.

(2) رأفت الشيخ : مرجع سابق ، ص 282.

(3) يرجع السبب في تسمية الشيخ محمد عبده بالأستاذ الإمام إلى أن دعوته الإصلاحية التجديدية قامت على أمور ثلاثة هي :

- تحرير الفكر من قيد التقليد لا يخضع لسلطان غير سلطان البرهان، ولا يتحكم فيه زعماء الدنيا ولا زعماء الأديان.

- اعتبار الدين صديقا للعلم لا موضع لتصادمهما، إذ لكل منهما وظيفة يؤديها، وهما حاجتان من حاجات البشر لا تغني إحداهما عن الأخرى.

- فهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى.

(4) محمد طهاري : مرجع سابق ، ص 22.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

يقول: « إن العقل وحده لا يستقل بالوصول إلى ما فيه سعادة الأمم بدون المرشد الإلهي، كما يستقبل الحيوان في إدراك جميع المحسوسات بحاسة البصر وحدها بل لا بد من السَّمْع لإدراك المسموعات مثلا، كذلك الدين هو حاسة عامة لكشف ما يشتهه على العقل من وسائل السعادات والعقل هو صاحب السلطان في معرفة تلك الحاسة وتصريفها فيما منحت لأجله والإذعان لما تكشفه له من معتقدات وحدود أعمال كيف ينكر على العقل حقه في ذلك وهو الذي ينظر في أدلتها ليصل منها إلى معرفتها وأنها آتية من قبل الله، والإسلام يعتمد على العقل قبل كل شيء وقد رفع القرآن من شأن العقل و وضعه في مكان ينتهي إليه أمر السَّعادة، والتَّمييز بين الحق والباطل والضار والنافع»<sup>(1)</sup>.

ومن خلال تعاليم الدين الإسلامي وشريعته السمحة فإنه يدعو إلى إعمال العقل للتدبر في حقيقة الخلائق والكون، من خلال إدراك النظام المحكم الذي يسيره الذي وجد منذ الأزل، ولم يعرف خللا ولا عطلا فلا الشمس تأخرت يوما ولا النَّهار ولا الليل ولا الفصول الأربعة، بل هي تتعاقب في توقيت زمني دقيق. من هذا المنطلق وجب على الإنسان تسخير طاقاته العقلية لإدراك ومعرفة عظمة الخالق، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في أكثر من آية، قال الله تعالى ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ﴾<sup>(2)</sup> وقال تعالى ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه إنَّا صببنا الماء صبًّا ثم شققنا الأرض شققًا فأنبتنا فيها حَبًّا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبًّا متاعا لكم ولأنعامكم ﴾ يقول محمد عبده في كتابه "رسالة التوحيد": « وإن ذلك الصانع واحد لوحدة النظام في الأكوان وأطلق للعقل البشري أن يجري في سبيله الذي سنته له الفطرة واستنهضه للنظر في الخالق والتأمل فيما في الكون من آيات تدل على قوة الله وحكمته، وأن يتدبر فيها ليصل إلى معرفة الله»<sup>(3)</sup>.

(1) انظر: محمد عبده: رسالة التوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، بيروت - لبنان، القاهرة - مصر، دار الفكر الإسلامي، 1994، ص 10 وما بعدها.

(2) سورة الغاشية، الآية 17-20.

(3) انظر: محمد طهاري: مرجع سابق، ص 23. كذلك: محمد عبده: رسالة التوحيد، مصدر سابق، ص 20.



## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

لقد أعطى الشيخ محمد عبده مفهوما لطبيعة العلاقة بين العقل والنقل، وهي تتميز عنده بالتكامل فلا هداية للعقل بدون النص النقلي، ولا يمكن أن يفهم النقل من دون العقل، وفي حالة التعارض يقول الشيخ «اتفق أهل الملة إلا قليلا ممن لا ينظر إليه على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل، وبقي في النقل طريقتان: طريقة التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه وتفويض الأمر إلى الله في عمله وطريق الثانية تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق معناه مع ما أثبتته العقل»<sup>(1)</sup>.

لذلك فإن الشيخ محمد عبده كان يدرك جيدا المهمة الإصلاحية الملقاة على كاهله وهي تقريب المسلمين من النظرة الصائبة التي تراها المنظومة العقديّة الإسلامية لطبيعة علاقات العقل بالنقل ليكون سببا في تخلصهم من سباتهم العميق ويستنهض همهم، من جهة أخرى لكي يبين للمفكرين الغربيين حقيقة العقل ومكانته في العقيدة الإسلامية، وعلى رأسهم رواد مدرسة الفكر المادي والتي تذهب إلى أن كل شيء محسوس؛ يبين الشيخ مصطفى صبري حقيقة الإدراك في "كتابه موقف العقل والعلم والعالم من ربّ العالمين": «أن أصل الخطأ عنده أنه يفهم أن كون الإدراك موجودا ذهنيا لا يمنع من أن يكون موجودا في نفس الأمر أيضا، بل أن الكلام في الإدراك الواقع فعلا وكون هذا الإدراك في الذهن، إنما هو ناشئ من أن المحل اللائق بالإدراك الواقع فعلا هو الذهن، لا من عدم كونه موجودا عينيا، فهو موجود ذهنيا وعينيا، ولا جرم أن وجود هذا الإدراك يستلزم وجود مدرك وجود عينيا، وفي محله اللائق به وهو خارج الذهن، إذ الإدراك الواقع لا يكون فعلا المدرك الذي يوجد في الذهن ولا وجود له في الخارج»<sup>(2)</sup>.

(1) محمد طهاري : مرجع سابق ، ص 23

(2) للاستزادة حول فلسفة عبده الشرعية؛ انظر: علال الفاسي : " الشيخ محمد عبده، موقفه من الشبه والمتشابه " ، مجلة دعوة الحق ، وزارة عموم الأوقاف ، المغرب الأقصى ، العدد 9 ، السنة الأولى ، شعبان 1388 / مارس 1957 ، ص 05.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

وهذا ما يفسر لنا اهتمام الشيخ محمد عبده بعلم الكلام<sup>(1)</sup>، وكتابته لرسالة التوحيد لإحياء مناهج المسلمين في حقيقة النظر والبحث وتنشيط وإعمال العقل الإسلامي، للرد على المستشرقين وتبيان حقيقة المنظومة العقدية الإسلامية على أنها لا تعارض مع العقل بل تؤيده وهو يؤيدها كذلك، وتعتبره الحد الفاصل بين الطبيعة الحيوانية والإنسانية، والنص النقلي دائم التأكيد لأهمية هذه الميزة التي افرد الله بها الإنسان.

### ب - التخيير والتسيير عند الشيخ محمد عبده:

أعطى الشيخ محمد عبده مفهومه بالنسبة للتخيير والتسيير وقضية " المكتوب " واعتبر أن الإنسان مخير في أفعاله، فقد بين له الشرع الخير والشر وتركه حراً ليختار فإن اختار الشر فله جزاؤه وإن اختار الخير فله جزاؤه، وانه على المؤمن أن يعمل ويقدم الأسباب ليرى النتائج، وقد عبر عن ذلك قائلاً ((... الوجدان يشهد والحس يشهد أن الإنسان مختار في بعض أفعاله، كمن يقتل آخرًا مثلاً...))<sup>(2)</sup> فالمسلم مخير في أفعاله التي أمره الشارع بتقييدها وفق الشريعة الإسلامية، وعليه أن يتحمل مسؤولية نتائج أفعاله، يقول الشيخ: «فوجب على كل مسلم أن يعتقد بأن الله خالق كل شيء، على النحو الذي يعلمه وأن يقر بنسبة عمله إليه كما هو بديهي عنده، ويعمل بما أمره به، ويتجنب ما نهاه عنه باستعمال ذلك الاختيار الذي يجده من نفسه، وليس عليه بعد ذلك أن يرفع بصره إلى ما وراءه»<sup>(3)</sup>.

(1) لقد ظهر علم الكلام عندما توسعت الدولة الإسلامية ( الدولة العباسية ) التي أصبحت بمثابة الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، حتى قال هارون الرشيد أحد أشهر خلفائها لسحابه أمطري: حيث شئت سيأتي خراجك، وفي نفس الوقت أصبحت تتحكم في قوميات عديدة انضوت تحت لواء الدولة، فأدى ذلك إلى تغير البنية الديموغرافية للسكان الذين كانوا في غالبيتهم عرب فأصبحت تحكم الفرس الأمازيغ بعض أجزاء الروم، فأدى ذلك تنشيط العقل عن طريق طرح التساؤلات عقلية من قبل العناصر الاجتماعية الجديدة، حول العقيدة مثلاً، فكان لا بد على المفكرين المسلمين من استخدام الحجج العقلية لرد عليهم، فأدى ذلك إلى ظهور الفلسفة الإسلامية باسم علم الكلام، وتفرعت إلى فرق كلامية كل ونهجها وعقيدتها.

(2) انظر: محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الشيخ محمد عبده ، ج2 ، مصدر سابق ، ص 267. كذلك: محمد طهاري:

مرجع سابق ، ص 27.

(3) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الشيخ محمد عبده ، ج2 ، مصدر سابق. كذلك: محمد طهاري : مرجع سابق ص 27.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

لقد كان محمد عبده ورفقاؤه في الإصلاح يواجهون قضية خطيرة، كانت من أهم المعوقات والعقبات التي حالت دون تقدم العالم الإسلامي، إنها مسألة القدرية و" المكتوب" التي جعل منها المسلمون حجة دامغة قائمة على أسس عقديّة ليبروا تخلفهم واستعبادهم، على أن كل ما أصابهم ويصيبهم مكتوب من عند الله ولا يد لهم في ذلك، فالتخلف والاستعمار مقدر إن شاء الله دفعه عنهم وإن شاء جعلهم أمة متماسكة راقية، لذلك وجب الصبر والقناعة والرضا بقضاء الله وقدره. على هذا الأساس اجتهد الشيخ لتبيان حقيقة القدر، وأن الله قد خير عباده في أفعالهم، ولم يمنعهم من تقديم الأسباب للحصول على أهدافهم المرجوة، فالحرية مرهونة بنهضة الشعوب لتخليص بلادها من براثن الاستعمار، والتقدم والرقي والازدهار مرهون ببذل أسباب الحضارة ونشر العلم الصحيح وإطلاق العنان للعقل الإسلامي ليبدع ويخترع.

### ج - علوم المادة في فكر الشيخ محمد عبده:

لقد كان المفكرون الغربيون، يمتنون الدين الإسلامي وينظرون إليه على أنه سبب تخلف المسلمين وسبب ذلك تبنينهم للعقيدة الفاسدة، وجعلها منهاجا لحياتهم العلمية، مما جعلهم يستخرون طاقاتهم في شروح المتون وشرح الشروح، لذلك ذهب الشيخ محمد عبده إلى حث المسلمين على البحث ودراسة الظواهر الطبيعية وكشف أسرارها، لمعرفة عظمة الخالق، وكذا توظيفها لخدمة الإنسان، قال في ذلك الشيخ عبده<sup>(1)</sup> «والقرآن لا يقيد العقل، وهو في كثير من آياته يدعو الإنسان إلى النظر في آيات الكون ولو أردت سرد جميعها لأتيت بأكثر من ثلث القرآن بل نصفه»<sup>(1)</sup>. ذلك أنه لا وجود للتعارض بين العلوم الحديثة والدين، بل إن الدين احتوى في نصوصه النقلية على العديد من الحقائق العلمية منذ أربعة عشر قرن في شتى الميادين ( الجغرافيا ، البيولوجيا ، الجيولوجيا ، الطب الفيزياء التاريخ ،العلوم الطبيعية، علم الإنسان... الخ، والتي اكتشفها العلم الحديث، ومنه فقد حاول الشيخ التعرض لبعض المسائل التي أثارها العلم الحديث، كأصل الكون ونشأته والحياة الطبيعية وتطورها وحاول توظيف النص لإثبات بعض الحقائق عن نشأة الكون من الغازات... لأن القرآن يؤكد كل

(1) انظر: علال الفاسي : مقال سابق ، ص 6-9. كذلك : محمد طهاري : مرجع سابق ، ص 25.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

معلومة علمية صحيحة، ويفند كل باطل مثل "نظرية داروين"، وقد نهج الشيخ محمد عبده نهج أستاذه جمال الدين الأفغاني الذي رد على الدهريين وأصحاب المذهب المادي في رسالته "الرد على الدهريين".

### 3 - منهج الشيخ محمد عبده في الإصلاح:

لقد كانت البيئة الإسلامية إبان عصر الشيخ محمد عبده، بمثابة الأرض الخصبة لتجسيد منظومته الفكرية في شكل حركة إصلاحية شملت مختلف التّواحي، ففي ميدان التعليم حاول الشيخ إصلاح مناهجه التقليدية ليواكب التطورات الحاصلة في العصر، وكذا تربية النشء تربية صالحة، ليكون التغيير الاجتماعي على قواعد وأسس ثابتة وبث الوعي التّحرري للتّخلص من قيود الاستعمار الأوربي المهيم على الأمم الإسلامية، وكذا نشر الوعي الوحدوي في الأوساط السياسية والاجتماعية، بغية توحيد الشتات السياسي للعالم الإسلامي.

### أ - منهج الشيخ محمد عبده في إصلاح التعليم:

في خضم الظروف الحضارية والثقافية-الفكرية التي أوردناها سالفًا، وانطلاقًا من حس الشيخ محمد عبده الإصلاحي ووعيه بما يحيط بالأمّة الإسلامية سعى جاهداً لتشخيص مواطن الضعف بما فيها فساد التعليم، الذي عمد إلى إصلاحه بما يتماشى مع مستجدّات العصر وجعله قادراً على صناعة عقول مؤهلة لمواكبة التطورات المستجدة في مناهج التعليم والتفكير الحديث. وقد لاحظ الشيخ محمد عبده عندما كان طالباً في الثالثة عشر من عمره بالجامع الأحمدي أو في الأزهر عقم أساليب التدريس، فجعلته في حالة انقطاع عن الدراسة ومزاولتها، ذلك أن التعليم كان تقليدياً يقوم بحشو الأدمغة بالمعلومات دون أن يتعلم الطالب طريقة معينة في التّفكير بسبب الاعتماد على المناهج القديمة التقليدية في التعليم، التي اقتصر على الاجترار وشروح المتون القديمة والاكتفاء بذلك وغلق باب الاجتهاد والخوض في القضايا المستجدة والحقائق العلمية المكتشفة، من هذا المنطلق ترسخت عقلية الجمود والتحجر، بل ومجابهة أي حركة إصلاحية تجديدية هدفها إصلاح الأوضاع العلمية والثقافية، والشيخ محمد عبده يورد حقيقة مناهج التعليم في الجامع الأزهر

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

بقوله: « إن كان لي حظ في العلم الصحيح الذي أتذكر، فإنني لم أحصله إلا بعد أن مكثت عشر سنين أكنس من دماغي ما علق فيه من وساخة الأزهر، وهو إلى الآن لم يبلغ ما أريده له من النظافة»<sup>(1)</sup>. من خلال تصريح الشيخ محمد عبده يظهر لنا مدى احتقاره لطريقة التعليم في الأزهر وعلمائه المتزمتين المحافظين ووصفها بأنها كانت في أغلبها جامدة وعقيمة ومحصورة في المختصرات لا تهتم إلا بشروح الحواشي كما أنها لم تكن تتصل في أغلبها بالحياة اليومية إلا في إطار العبادات فضلا عن أن أغلب مشايخ الأزهر لم يكونوا يستقصون ما أصاب الإسلام والمسلمين من تدهور وتخلف وانحصرت اهتماماتهم على أنفسهم.

لقد كان محمد عبده يهمل دروسه في جامع الأزهر خلال الفترة الممتدة بين 1865 و 1877 ويتغيب عنها ليقراً على أستاذه السيد جمال الدين الأفغاني، ذلك أنه كان يكره الشيوخ المتزمتين لأن عقولهم لا تحاول الفكك من قيود فرضتها عليهم عصور الجهل والاستبداد. وكان يعتز بعلمه وثقافته العالمية التي تتماشى والتطورات الحاصلة، ولذلك دبرّت حوله الدسائس وحاول "الشيخ عليش" وغيره تعجيزه في الامتحان العالمية، حيث قال الشيخ عبده: «... عرضت نفسي على مجلس الامتحان في 13 جمادي الآخر سنة 1294 هـ وأبليت في الامتحان أشد الابتلاء، لتعصت الأكثر من أعضائه مع المرحوم "الشيخ عليش" وكان يعاديني على الغيب إتباعا لآراء من لا رشد عندهم من بلداء الطلبة، وكانوا قد أجمعوا أمرهم على أن يمنحوني درجة ما في العلم، وجرت أمور قبل الامتحان يطول شرحها، ولكن كان أمر الله أغلب فخرجت من هذا الامتحان بالدرجة الثانية وصرت مدرسا من مدرسي الجامع الأزهر...»<sup>(2)</sup>.

لقد كان الشيخ محمد عبده رجلا متأثرا بحق، يسعى إلى تغيير أساليب وطرائق التعليم العقيمة، عن طريق ثورة علمية تكون بمثابة نهضة علمية إسلامية، فعندما كان أستاذا في كلية دار العلوم تمرد على نظم التعليم فيها والتي كانت منذ أمد طويل تتخبط في دائرة ضيقة جدا، فرفض الشيخ أن يعلم

(1) محمد عبده : الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ، ج3 ، مصدر سابق ، ص 194.

(2) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده ، ج1 ، مصدر سابق ، ص 103.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

طلّبه المواد التقليدية، بل درس لهم كتباً في التاريخ، الذي يبيث فيهم حس الثورة والانقلاب وفكر التغيير وأساليبه والحكم والعبر والعظات المستخلصة من ذلك، مثل "تاريخ المدن الأوربية" للسياسي الفرنسي "جيرو" إضافة إلى مقدمة ابن خلدون قاعدة الفكر الاجتماعي الحديث، ونتيجة لذلك تم طرده لأنه في نظرهم مُستحدث مُبتدع<sup>(1)</sup>. استهدف الشيخ محمد عبده إصلاح التعليم ذلك أنه الحجر الأساس لكل تغيير ونهضة، والأمة الإسلامية أن ذلك كانت تعيش في جهل، وأكثر من ذلك فقد كان التعليم يزيد الجهل ويعمقه ويعلم المسلمين التواكل والخمول، بالاعتماد على تدريس العقائد الفاسدة، وبعض المواد التي تستمد مادتها العلمية من مصادر تجاوزها الزمن، لذلك فقد حاول الشيخ محمد عبده إحداث ثورة علمية من خلال التجديد في المواد المدرسة والاعتماد على المصادر الحديثة التي تؤتي أكلها في إحداث الثورة العلمية، وبالتالي النهضة والتغيير.

### ج - القيم الأخلاقية في منهج محمد عبده الإصلاحية:

تعتبر القيم والأخلاق مجالاً خصباً للمفكرين، للتنقيب والتقصي في ماهيتها ومصدرها على اختلاف توجهاتهم ومشاربهم، فذهب الأوربيون منهم في ذلك مذاهب شتى، وكذلك المسلمون خاضوا في هذا الميدان، وعلى رأسهم الفرق الكلامية الإسلامية كفرقة المعتزلة والأشعرية، وقد كان للشيخ محمد عبده موقفه وآراؤه من ذلك، فهو يرى أن الإنسان بعقله يستطيع إدراك قيمة الخير والشر وجمال الأشياء وقبحها، ويستند في ذلك إلى العقل لأنه لا يتناقض مع ذلك أن النصوص النقلية جاءت لتحديد الخير والشر والحسن والقبيح، فالعرب قبل مبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم كانت على قدر كبير من الجاهلية وما شابهها من انتشار لكل مظاهر الفساد والانحلال، فبعث محمد صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الأخلاق من منطلق الوحي الرباني، ومن ذلك يرى الشيخ أن الأخلاق موجودة لدى المسلم وتحتاج للإحياء والتوجيه، لخلق مجتمع إسلامي صالح ذي قيم عليا<sup>(2)</sup>.

(1) صلاح أحمد زكي : مرجع سابق ، ص 65.

(2) لقد أورد الشيخ محمد عبده آراءه حول ماهية القيم والأخلاق، بنظرة شرعية إسلامية في كتابه رسالة التوحيد الذي ضمّنه فصلاً كاملاً خاض فيه تفاصيل الموضوع. انظر : محمد عبده : رسالة التوحيد ، مصدر سابق.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

### د - الإصلاح الاجتماعي والسياسي عند الشيخ محمد عبده:

إن إصلاح المجتمع هو صلاح الأمة الإسلامية، فلا يمكن لمجتمع فاسد أن يخوض غمار النهضة والتغيير والثورة، من هذا المنطلق فقد ركّز الشيخ محمد عبده على إصلاح الفرد كونه يمثل جزءاً من الكل وصلاحه يعني صلاح المجتمع، وفساده يعني فساد المجتمع كله، وركز في ذلك على إصلاح الناشئة وتربيتهم تربية اجتماعية صالحة قادرة على إحداث التغيير الاجتماعي الهادئ، عن طريق صنع فكر راقٍ لديهم، وتنقيته من كل الشوائب التي أصابت سابقهم، وكل ذلك لن يتأتى إلا عن طريق خلق منظومة تعليمية عصرية، ومنه فقد استهدف الشيخ محمد عبده تكوين قاعدة اجتماعية متينة ستضطلع بمهمة النهضة مستقبلاً.

وفيما يخص منهج محمد عبده في الإصلاح السياسي، فمن خلال تتبع سيرته النضالية، نجد أنه قد خاض في السياسة، خاصة بعد لقائه بالشيخ جمال الدين الأفغاني الذي تأثر به أيما تأثر، ولكن فيما بعد اقتنع أن التغيير السياسي لن يتم إلا عن طريق التغيير الاجتماعي، ذلك أنّ أفراد المجتمع الواعي الصالح هم الذين يقع على كاهلهم مهمة التغيير السياسي، فلا يمكن لمجتمع يعيش كل مظاهر الجهل والتخلف والانحطاط أن يخوض غمار الثورة، وعليه فقد سخر الشيخ محمد عبده كل جهوده الإصلاحية النضالية من أجل صنع مجتمع واع مثقف يعرف المهمة الصعبة التي تنتظره، ولن يتم ذلك إلا عن طريق تربية الناشئة وإعداد الأجيال من أجل الثورة للتخلص من مظاهر التخلف والاستعباد المسلطة من طرف المستعمر الأوربي<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً : محمد رشيد رضا.

لقد كان محمد رشيد رضا من أبرز شخصيات القرن التاسع عشر وأهم أقطاب الجامعة الإسلامية نتيجة نشاطه الدؤوب والحديث لبث الوعي الوجدوي والتحرري في أوساط الشعوب الإسلامية وحثه على صنع عوامل النهضة والحضارة وإخراج العالم الإسلامي من قوقعة الانحطاط معتمداً على أفكار

(1) انظر: محمد رشيد رضا: " الشيخ محمد عبده والجامعة الإسلامية " ، مجلة المنار ، ج 2 ، ص 15 ، صفر 1330 / فيفري 1912 ، القاهرة ، ص 133.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

الشيخ محمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، فهو تلميذ محمد عبده وحفيد الأفغاني. من هذا المنطلق نافح الشيخ محمد رشيد رضا عن أفكار الجامعة الإسلامية، وفيما يلي نستعرض شخصيّة الشيخ محمد رشيد رضا من حيث المولد والنشأة والتكوين العلمي وكذا الحياة الإصلاحية والنضالية.

### 1 - المولد والنشأة:

هو محمد رشيد رضا بن علي رضا بن محمد شمس الدين ، البغدادي الأصل الحسيني التّسبب<sup>(1)</sup>، ولد في قرية "القلمون" بجبل لبنان عام 1865، وهو من أسرة شريفة أحد فروع الأسرة الحسينية التي تنتهي لآل البيت<sup>(2)</sup>، وقد كان لمثل هؤلاء الأشراف ميزة خاصّة في المجتمع الإسلامي فهم يحضون بالاحترام والتقدير، بدأ تعليمه كباقي أقرانه في ذلك الزمن بحفظ القرآن الكريم، في كتاب القرية ودرس قواعد الحساب واللغة العربية والخط، ثم دخل المدرسة الرشدية - بطرابلس قرب الشام والتي كان فيها التعليم بالتركية<sup>(3)</sup> وكان سنه آنذاك سبعة عشر سنة، يتحدث الشيخ رضا عن ذلك «ثم دخلت في المدرسة الرشدية في مدينتنا وهي مدرسة ابتدائية للدولة يدرس فيها الصرف والنحو والحساب ومبادئ الجغرافيا وعلم الحال واللغة التركية واللغة العربية ولكن جميع التدريس فيها باللّغة التركية، فأقمت فيها سنة ثم لم أعد إليها لأنني لم أحب أن أخدم الحكومة، ثم دخلت المدرسة الوطنية الإسلامية وهي أرقى من المدرسة الرشدية وجميع التعليم فيها باللّغة العربية إلا اللّغتين التركية والفرنسية، وتدرس فيها العلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية وكان أستاذنا العلامة الشّهير حسين الجسر الأزهري،...»<sup>(4)</sup>.

(1) خير الدين الزركلي : الأعلام قاموس تراجم الأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين ، ج3 ، ط2 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1995 ، ص 56.

(2) لقد أورد الشيخ محمد رشيد رضا كلاما يؤكّد نسبه الشّريف: «وأهل البيت ممتازون فيهم بأهم أهل العلم والإرشاد والرياسة ويلقبون بالمشايخ للتمييز، وجددي الثالث هو الذي بنا لهم المسجد المعروف بجانب بيتنا القديم الذي ولدت فيه، وكان لهم مسجدا قديما تقاسموا حجراته لغلبة الجهل عليهم». انظر : محمد رشيد رضا : المنار والأزهر ، مطبعة المنار ، القاهرة ، مصر ، 1934 ، 133.

(3) رأفت الشيخ : مرجع سابق ، ص 284.

(4) محمد رشيد رضا : المنار والأزهر ، مصدر سابق ، ص 139.



## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

من خلال حيثيات مرحلة التعليم الأولى التي عاشها الشيخ محمد رشيد رضا يتضح لنا أنه متنوع الثقافة، فقد حفظ القرآن الكريم، باعتباره مصدرا أساسيا للعلوم الدينية والدينية النافعة، ثم اللغة العربية وأصولها، وفن الخطوط العربية، ثم تدرج خلال مكوثه في المدرسة الرشدية في العلوم الآلة والفلسفة من جغرافيا وحساب، ونحو وصرف وعلوم شرعية، ثم دخل المدرسة الوطنية الإسلامية والتي كانت أكثر نظامية، وأسلوب التعليم فيها راقٍ، وعليه يمكن القول أن محمد رشيد رضا حظي بتعليم أولي نظامي أو أكاديمي، كونه درس في المدارس النظامية، على خلاف ذلك الوقت الذي كان جل التعليم في مرحلته الأولى يكون في المساجد والكتاتيب والزوايا، وما صحب هذه المؤسسات التعليمية من اقتصار على المناهج التقليدية.

وقد اعتمد محمد رشيد رضا في هندسة معالم منظومته الفكرية، على أمهات الكتب والمصادر ولعل أهمها على الإطلاق القرآن الكريم، كتب الحديث وهي كتب الصحاح، ثم ارتكز على أهم مؤلفات المفكرين الإسلاميين، وعلى رأسهم الشيخ المجدد أبي حامد الغزالي ومصنفه " إحياء علوم الدين" وقد قال عنه "فهو الذي طالعه كله وكنت أكثر مراجعة وقراءة بعض أبوابه عودا على بدء ثم صرت أقرأ للناس وكان له أكبر التأثير في ديني وأخلاقي وعلمي وعملي"<sup>(1)</sup>. وقد كان شيخه محمد عبده يعلمه مبادئ الإصلاح للجامعة الإسلامية، عن طريق المشافهة أو مجلة العروة الوثقى التي ضمنها السيد جمال الدين الأفغاني وعبده أفكارها، قال عنها رشيد رضا: "إنما هي التي وجهت نفسي للسعي في الإصلاح الإسلامي العام بعد أن كنت لا أفكر إلا فيما بين يدي، وأرى كل الواجب علي أن أظهر في دروسي العقيدة الصحيحة والأخلاق الفاضلة، وأمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر، وأنفر من المعاصي، وأنا لا أعلم سبب الفساد الذي فعل في العقائد والأخلاق ودفع المسلمين إلى مزالق الزلل حتى هدتني العروة الوثقى إلى المناشئ والعلل"<sup>(2)</sup>.

(1) محمد رشيد رضا : المنار والأزهر ، مصدر سابق ، ص 139.

(2) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده ، ج 1 ، مصدر سابق ، ص 84.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

لقد بدأ الشيخ محمد رشيد رضا مسيرته النضالية في وقت مبكر واتضحت ملامحها السياسية بعد وفاة شيخه محمد عبده، - صار وريثا للحركة الإصلاحية في مصر والعالم الإسلامي - وقد كان ذا جراءة سياسية وثورية في الطرح دائم الإحساس بالمسؤولية تجاه قضايا عصره ضمن عالمه الإسلامي فقد حضر الشيخ رشيد رضا اجتماعا ترأسه حاكم طرابلس الشام باسم الدولة العثمانية وهو "حسن باشا سامي" - كان من أنصار الحرية - فخطب الشيخ رشيد رضا خطابا تحدث فيه عن طبقات الأمة الحاكمين والمحكومين وحب أن يكون العمل هو معيار التمايز بين الطبقات، وهو طرح استاء منه البعض وخشي عليه أصحابه مغبته، لكن الحاكم التركي أعجب به، فعينه عقب ذلك عضوا في "شعبة المصارف"<sup>(1)</sup>. وبعد التضييق عليه فيما بعد عزم على الرحيل قاصدا مصر، ليواصل مشواره النضالي الإصلاحي، واستمر كذلك يبت أفكاره من مصر عن طريق المنار إلى أن وافته المنية بعد ظهر يوم الخميس 22 أغسطس سنة 1935<sup>(2)</sup>.

وقد خلف الشيخ رصيذا علميا ثريا تمثل في عدة مؤلفات، شملت مختلف مجالات الفكر الإسلامي السياسي الاجتماعي والثقافي، نذكر أهمها: إنجيل برنابا، تفسير سورة يوسف عليه السلام تفسير سورة الفاتحة وست صور من الخواتم، الوحي المحمدي، الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده وخلاصة سيرته، ذكرى المولد النبوي، مختصر المولد النبوي خلاصة السيرة المحمدية، محاورات المصلح والمقلد، الخلافة أو الإمامة العظمى، شبهات النصارى وحجج الإسلام، الوهابيون والحجاز، سر الإسلام وأصول التشريع العام، تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، المنار والأزهر، نداء الجنس اللطيف، ترجمة القرآن وما فيها من مفسدات حقوق

---

(1) لقد سجل التاريخ السياسي في مختلف حقبة، أن صاحب السلطة التي وصلها عن جدارة واستحقاق يعجب برجال المعارضة ذوي المبادئ الثابتة، والنبيلة بالرغم من الخطر الذي يشكلونه على حكمه، لكن يُكن لهم الاحترام والتقدير، من دون أن يشعروا بخلاف أولئك الذين يذعنون ويخونون، فهو معجب بهم للخدمات التي يقدمونها له، ويحتقرهم لأنهم خونه لا خير فيهم لأنهم خانوا المبادئ و المثل ولا يترددون في خيانتته هو نفسه، فهم مع القوي، فلا مبادئ ثابتة يدافعون عنها.

(2) شكيب أرسلان : السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة ، تعليق : مدحت يوسف السبع ، دار الفضيلة ، القاهرة ، مصر ، 2006 ، ص 05.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

النساء في الإسلام، عقيدة الصلب والوفاء، المسلمون والقبط والمؤتمر المصري، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مجلة المنار في حوالي خمسة وثلاثون مجلد، من خلال المصنفات السالفة الذكر فإن محمد عبده كان بحق رجل علم واسع الثقافة متنوع المعارف و رجل إصلاح جريء، غير هيب يمضي إلى تحقيق أهدافه بخطى ثابتة، سخر حياته كلها لخدمة الإسلام والمسلمين الموجودين في شتى أصقاع وبقاع العالم.

### 2 - منهج الشيخ محمد رشيد رضا في الإصلاح:

يعتبر الشيخ محمد رشيد رضا من رواد وأعلام الإصلاح خلال الفترة الدراسية، ذلك أنه سخر كل طاقاته وجل عمره لخدمة الأمة الإسلامية في كافة أنحاء المعمورة، والتي كانت تعاني من ظروف قاسية سلطها عليها الاستعمار الأوربي الحديث، وعلى غرار أقرانه من رجال الإصلاح سارع الشيخ محمد رشيد رضا إلى بث الحس الإصلاحي لدى مختلف الحركات الوطنية، خصوصاً بعد وفاة أستاذه الشيخ محمد عبده، من خلال منظومة إصلاحية متكاملة، نحاول فيما يلي التعرض إلى بعض ملامحها:

### أ - الإصلاح الديني عند الشيخ محمد رشيد رضا:

استهدف الشيخ محمد رشيد رضا إصلاح العقيدة، بمحاربة الحتمية والقدرية وما نجم عنها من أخلاق فاسدة، وقد بدأ ذلك مع أهالي قريته وبلده، فأعلن الإنكار لما يحدث في مجالس الذكر "جماعة المولوية" وكان يقرأ الدروس في المسجد بطريقة سهلة بسيطة، ويحث في خطب الجمعة على الإصلاح، بل يذهب إلى المقاهي وينصح من فيها على أداء الصلاة ويسط في تعليمهم أبواب الفقه ويقرب قواعده للعامة، ويجذر من التبرك بأصحاب القبور الذين صاروا منقذين أصحاب قدرات خارقة، ومحل استغاثة شأن الجاهلية الأولى، ويأمر بقطع الأشجار التي يتبرك بها العوام، ويبيّن لهم أنها لا تنفع ولا تضر، وأنها عقيدة فاسدة كان عليها أجدادنا زمن الجاهلية، كما انتقد الطريقة ونقدها وأخذ الصافي منها، فلم يأخذ بمثل عقيدة الجبر، والتأويلات الأشعرية والغلو في الزهد، والغناء وبعض

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

العبارات الباطنية والمبتدعة<sup>(1)</sup>، لقد كان محمد رشيد رضا أحد دعاة الحركة الوهابية من الناحية العقدية، باعتبارها دعوة ارتكزت على التوحيد وتصحيح العقيدة وتنقيتها من الشوائب، غير أنه خالفها في بعض القضايا انطلاقاً من تأثره بالطرق الصوفية الصحيحة<sup>(2)</sup>.

### ب - الإصلاح الاجتماعي عند الشيخ محمد رشيد رضا:

ذهب الشيخ محمد رشيد رضا في إصلاحه الاجتماعي إلى التركيز على العادات الدينية وإعطائها بعداً اجتماعياً، انطلاقاً من ملامح نهجه السلفي، مثل ممارسة بعض العادات الاجتماعية التي لا قبل للمجتمع الإسلامي بها، وتعد دخيلةً كالخمر والفسوق والفواحش، لذلك دعا المجتمع الإسلامي أن يحافظ على عاداته وتقاليده المحمودة والأصيلة من غير تقليد، وفي ذات السياق انتقد بعض أفعال الطرقية التي صنعت في أذهان أفراد المجتمع مظاهر شركية كاستغاثة بالموتى وإقامة الولائم قرباً للأولياء وهي تجليات توحى بمدى تخلف المجتمع الإسلامي أنذاك إذا قارنها بالمجتمعات الأوربية التي انتهجت النهج المادي ونجحت فيه وارتقت، والمسلمون كانوا يتخبطون في دائرة الخرافات والبدع والعادات الاجتماعية المنحرفة<sup>(3)</sup>.

من القضايا الاجتماعية التي عالجها الشيخ محمد رشيد رضا قضية المرأة، ودورها في الحياة الاجتماعية، ومسألة الحجاب ومساواتها مع الرجل، وقد بيّن موقفه من ذلك على ضرورة تفعيل دور المرأة الاجتماعي كتنقيتها وتعليمها وتنوير عقلها حتى لا تبقى جاهلة، ذلك أن مبادئ الشريعة الإسلامية تتوافق مع ذلك، فقد كانت المرأة زمن الجاهلية ترتب في الدرجة السفلى من السلم الاجتماعي، ومع مجيء الإسلام تحررت المرأة وصار لها مرتبة راقية بعد أن كانت متدنية، من هذا المنطلق اعتبر رشيد رضا أن تخلف المرأة المسلمة في ذاك الوقت ليس سببه الإسلام والحجاب، بل هو

(1) خالد بن فوزي بن عبد الحميد آل حمزة: محمد رشيد رضا طود وإصلاح دعوة وداعية، ط2، دار علماء السلف، المملكة العربية السعودية، 1994، ص 14.

(2) رأفت الشيخ: مرجع سابق، ص 286.

(3) لمعرفة آراء الشيخ تجاه الصوفية؛ انظر: محمد رشيد رضا: "مشائخ الطرق الصوفية"، مجلة المنار، مج1، ج21، القاهرة، ربيع الأول 1316هـ/أغسطس 1898، ص 401.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

نظرة المجتمع القاصرة لها، نتيجة ترسخ الأعراف التي تجسد العادات والتقاليد المنحرفة عن تعاليم الشريعة الإسلامية، وعليه نادى الشيخ بحقوق المرأة وتثقيفها ووزن قيمتها الاجتماعية مع قيمة الرجل بميزان الإسلام العادل<sup>(1)</sup>. لقد كانت المرأة إبان القرن التاسع عشر تعيش التخلف وسط ظروف اجتماعية قاهرة، ناتجة عن الأعراف والعادات الفاسدة، كحرمان المرأة من حق التعليم، و المساهمة في صنع القرار داخل الأسرة، وحق الميراث وغيرها من الحقوق التي كفلها لها الشرع، انطلق الشيخ محمد رشيد رضا من هذه المعطيات لإعادة بعث مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي، على أن تعليم المرأة وفق أسس شرعية وإعطائها مكانة وسط الأسرة والعائلة، ذلك أنه أدرك أن إصلاح المرأة وأوضاعها يعد أهم خطوة في مسار الإصلاح الاجتماعي، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال نبذ التعصب.

### ج - إصلاح التعليم عند الشيخ محمد رشيد رضا:

لقد نادى الشيخ محمد رشيد رضا بالإصلاح في مجال التربية والتعليم، وحذر الراغبين في إصلاحه من تقليد المدارس الحكومية السائدة، ذلك أن التعليم الحكومي يستهدف إعداد الطلاب والتلاميذ للوظائف فقط، وهذا النوع من التعليم هو آلي يقوم بحشو العقول، لا يهدف إلى صناعتها وتجديدها وتنويرها بفكر التغيير، بل بتكوينها لمختلف الوظائف<sup>(2)</sup>.

وقد بين الشيخ رشيد رضا العلوم والفنون التي يجب إدخالها في ميدان التعليم لمسايرة ركب العلم والمعرفة، منها العلوم العقلية، والدينيوية النافعة كعلم الاجتماع، تقويم البلدان والتاريخ، تدبير المنازل و علم الاقتصاد، والحساب، وعلوم الطب والصحة، علم اللغة والخطوط. وفي ذات السياق توجه الشيخ محمد رشيد إلى إصلاح المراكز العلمية الإسلامية والتي كانت تضطلع بمسؤوليات عظمى تجاه المجتمعات الإسلامية، مثل الأزهر الذي كان على مر السنين الغابرة منارة علمية، ولكن نتيجة سيطرة النزعة التقليدية تحول عن أداء مهمته الشريفة، مما جعل محمد رشيد رضا يتحمل مسؤولية إصلاحه

(1) انظر: محمد رشيد رضا : " الجمع بين مسألة الذكور والإناث في المدارس ومسألة التجديد و التجدد : ، مجلة المنار ، مج2 ، ج2 ، القاهرة ، صفر 1348هـ/ يوليو 1929 ، ص 126.

(2) انظر : محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده ، ج1 ، مصدر سابق ، ص 102.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

خصوصا بعد وفاة الشيخ عبده، وألف حوله كتاب " المنار والأزهر " .

لقد ارتكزت جهود رشيد رضا لإصلاح التعليم حول مسألة تحديد المناهج، وإدخال علوم أخرى والمصادر تخدم روح العصر، يشير إلى ذلك الشيخ رضا بقوله: « وإنما غرضنا أن نبين يسر الشريعة وحكمة التشريع وكون الاجتهاد رحمة للأمة وإنما يعرف من مجموعة كلام المجتهدين ويفوت من قصر نظره على مذهب واحد من المذاهب من مذاهبهم، وان طلاب الإصلاح للأمة الإسلامية مازالوا يقترحون تأليف جمعية من علماء المذاهب المتبعة، كلها تضع للأمة كتبا في العبادات والمعاملات تؤخذ من نصوص الكتاب والسنة، ومن اجتهاد جميع المجتهدين، يراعى فيها اليسر ورفع الحرج، ودرء المفاسد، ومراعاة المصالح ومراعاة العرف، وغير ذلك من القاعد العامة، وهذان الكتابان من أعظم الوسائل لذلك فهو الفائدة السابقة لما تقدم من فوائدهما، وما وضعناه عليهما من تعليقات منها في الفقه، ونسأله تعالى أن يعيد لهذه الأمة، وحدتها وهدايتها، ولن يصلح آخرها إلا ما صلح بها أولها»<sup>(1)</sup> وتجسيدها لتلك الأفكار الإصلاحية أنشأ الشيخ محمد رشيد رضا معهدا لتكوين الدعاة والمرشدين لنشر الوعي الإصلاحي<sup>(2)</sup>. حيث افتتح المعهد في ربيع الأول 1911/1330 وكان يمنح الطالب شهادة مرشد بعد تخرجه تؤهله للدعوة والإرشاد، وشهادة أخرى من خلالها يصبح داعية لغير المسلمين ، وكان لهذا المعهد أثر كبير في الدعوة والإصلاح، استمرت إلى غاية سنة 1916 حيث أقفلت نهائيا بسبب نقص الأموال<sup>(3)</sup>.

### 3 - الشيخ محمد رشيد رضا والجامعة الإسلامية السياسية:

يعد الشيخ محمد رشيد من أبرز دعاة الجامعة الإسلامية السياسية، ذلك أنه ساند السلطان عبد الحميد من خلال الدفاع عن استمرارية الخلافة، على أن يتم إصلاحها فيما بعد، فذلك أهمية قصوى

(1) خالد بن فوزي بن عبد الحميد آل حمزة : مرجع سابق ، ص 21 ، 22.

(2) وكان مما مهد السبيل إلى افتتاح المعهد بأن كتب في المنار عن الرسائل التي كتبت إليه من العالم الإسلامي تطلب منه العون والمساعدة ضد الإرساليات التبشيرية التي أغرقت البلاد بمبشرتها ومدارسها، فقام رشيد رضا على إثر ذلك بنشر عدة مقالات في المنار. انظر : خير الدين الزركلي: مرجع سابق ، ص 231 . خالد بن فوزي بن عبد الحميد آل حمزة : مرجع سابق ، ص 23.

(3) خالد بن فوزي بن عبد الحميد آل حمزة : مرجع نفسه ، ص 24.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

في جميع طاقات المسلمين عبر أنحاء العالم ضد العدو الأكبر، وهو الخطر الغربي الاستعماري الزاحف، لذلك صرّح الشيخ بأنه يسير في فلك الدولة العثمانية التي تجسد الخلافة الشرعية بقيادة السلطان عبد الحميد الثاني، قال في افتتاحية مجلة المنار<sup>(1)</sup> عثمانية المشرب حميدية اللهجة، تحامي عن الدولة العلية بحق وتخدم مولانا السلطان الأعظم بصدق<sup>(1)</sup>.

من هذا المنطلق تبنى الشيخ محمد رشيد رضا فكرة الجامعة الإسلامية ودافع عنها كخيار إصلاحي يهدف لبعث النهضة للعالم الإسلامي عبر مختلف بقاعه، ورسم الخطوط العريضة التي تبين سياسته تجاه هذا المشروع الذي فضل أن يبدأه كنهضة فكرية علمية ثقافية، تمس جميع المجتمعات الإسلامية، بغية صناعة العقول والفكر وترسيخ العقيدة الصحيحة ومن خلال عناصر هذا المركب يتم بناء قاعدة فكرية ثابتة يمكن الاعتماد عليها لبعث الحضارة الإسلامية المندثرة<sup>(2)</sup>، ثم ملمت شتاتها السياسي في وحدة سياسية، بقيادة الخلافة العثمانية، ومنه فقد استهدف محمد رشيد رضا في رؤيته لتجسيد مشروع الجامعة الإسلامية، "التنظير تم التّجسيد" (نهج الشيخ محمد عبده) أي تربية المجتمع الإسلامي وخاصة الناشئة على مبادئ الوحدة والأخلاق الإسلامية العليا، عن طريق تأليف جمعية إسلامية مركزية تمثل كل شعوب العالم الإسلامي عبر فروع تابعة لها تؤلف في مختلف البلاد الإسلامية، تنشط تحت لواء الدولة العثمانية ثم ستكون الوحدة نتيجة منطقية آلية<sup>(3)</sup>. لقد نادى الشيخ محمد رشيد بجامعة إسلامية تجمّع العالم الإسلامي، في دولة واحدة، وبما أن بقايا الدولة العثمانية لا زالت تمثل نظريا الخلافة، فقد وقف الشيخ إلى جانبها وسعى إلى الترويج للجامعة

(1) محمد رشيد رضا: "فاتحة السنة الثانية عشرة"، مجلة المنار، مج 12، ج 1، القاهرة، محرم 1327/1909 فيفري 1909، ص 2. انظر كذلك: محمد رشيد رضا: "المشروع الحميدي الأعظم"، مجلة المنار، مج 3، ج 14، القاهرة، محرم 1318/1909، ص 312.

(2) السيد يوسف: رشيد رضا والعودة إلى منهج السلف، ط 1، ميريت للنشر، القاهرة، مصر، 2000، ص 42.

(3) للمزيد حول آراء الشيخ بخصوص الجامعة الإسلامية وموقفه منها، انظر: محمد رشيد رضا: "الجامعة الإسلامية وآراء الكتاب فيها"، مجلة المنار، مج 2، ج 22، القاهرة، ربيع الثاني 1317/1 أغسطس 1899م، ص 337. كذلك: محمد رشيد رضا: "الإصلاح الديني المقترح على مقام الخلافة الإسلامية"، مجلة المنار، مج 1، ج 40، القاهرة، شعبان 1316هـ/يناير 1899، ص 792.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

العثمانية أو للبعد السياسي للجامعة<sup>(1)</sup> كمحاولة للإطالة في عمرها السياسي. وقد ارتكز مشروع الجامعة الإسلامية عند الشيخ محمد رشيد رضا على ضرورة التهيئة عن طريق إعداد الناشئة والتركيز على نشر مبادئ و أفكار الشريعة الإسلامية السمحة في شكل تربية إسلامية ذات بعد سياسي في إطار الخلافة العثمانية، ثم ترسيخ الجماعة والوحدة السياسية الفعلية كهدف استراتيجي.

### رابعاً: شكيب أرسلان.

يعتبر الأمير شكيب أرسلان من أبرز أقطاب الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي، التي ارتكزت على مفاهيم الإتحاد والوحدة والجماعة الخادمة لأهداف الجامعة الإسلامية، بغية تحقيق نهضة واسعة وشاملة، والوقوف في وجه مختلف الأخطار المهددة للمجال السياسي الإسلامي، من هذا المنطلق يعتبر أرسلان من رواد الإصلاح والنشاط السياسي الذين ذاع صيتهم، بفعل نشاطه المتواصل لبث أفكاره الناشرة للوعي الوحدوي التّهضوي والتحرري عبر كل الدول الإسلامية في العالم، وفيما يلي سنتتبع شخصية شكيب أرسلان من حيث المولد والنشأة وكذا الحياة النضالية وأهم أفكاره الإصلاحية.

### 1 - المولد والنشأة:

هو شكيب بن حمود بن حسن بن يونس بن فخر الدين بن حيدر بن سلمان ويمتد نسبه حتى الأمير أرسلان الذي توفي سنة 171هـ وينتهي نسبه إلى المنذر بن ماء السماء اللخمي<sup>(2)</sup>، ولد سنة 25 ديسمبر 1869م، بحارة الأمراء بحمي "أرسلان" بـ "الشويفات" جنوب غرب بيروت<sup>(3)</sup> من أسرة

(1) انظر: محمد سليمان عبد الله أبو رمان : السلطة السياسية في فكر محمد رشيد رضا ، رسالة ماجستير ، اشراف: مصطفى منجود ، معهد بيت الحكمة ، جامعة آل البيت ، 2000.

(2) شكيب أرسلان : بنو معروف أهل العروبة والإسلام ، تقديم : سعيد المولى ، دار الدعوة ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) ، ص 49.

(3) أحمد الشرباطي : شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، مصر ، 1963 ، 15. وانظر : شكيب أرسلان : السيرة الذاتية ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، 1969 ، ص 23.



## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

عريقة، تحظى بنصيب وافر من الشرف والأصالة والعراقة، إذ امتازت بعادتها في إمداد العالم الإسلامي برجال ذاع صيتهم في ميادين عديدة كالأدب والعلم والسياسة.

فقد كان والده الأمير "حمود أرسلان" مدير الناحية "الشويفات"، واشتهر الأمير شكيب أرسلان بين إخوته - وكانوا أربعة - إذ تنوّعت نشاطاته وتعددت اهتماماته، فكان رجل سياسة وأدب وفكر نادرا ما اجتمعت كل هذه الصفات في شخص واحد؛ وهذا يعود من دون شك إلى عاملين أساسيين أولاهما انتمائه إلى أسرة عريقة مشهورة بالعلم والوجاهة، حتى قيل عن أمرائها "أمراء سيف وحكم وعلم"<sup>(1)</sup>، وثانيهما إلى طبيعة تكوينه الرزين، حيث بدأ حياته العلمية في قرية "الشويفات" أين عكف في سن الخامسة على التّعلم رفقة أخيه "نسيب"، حيث جعل لهما والدهما معلما خاصا وهو "الشيخ مرعى شاهين سلمان" فتلقيا على يده مبادئ القراءة والكتابة الأولية، ولما انتقلت العائلة إلى "عين عنوب" أحضر "الأمير حمود" لولديه معلما خاصا آخر وهو "أسعد فيصل" علمهما قراءة القرآن وحفظهما جزءا منه، وبعد رجوع العائلة إلى "الشويفات" دخل الشقيقان المدرسة الأمريكية بالقرية فتعلما بها الجغرافيا والحساب ومبادئ الإنجليزية، وفي سنة 1978 دخل شكيب أرسلان مدرسة الحكمة في بيروت وهي المشهورة بإجادة تعليم اللّغة العربية، حيث درس بها ثمانية سنين، وكان أقوى الشيوخ تأثيرا على شخصية شكيب الأدبية الشيخ عبد الله البستاني، كما تعلم بها اللغة الفرنسية والتركية واليونانية<sup>(2)</sup>.

وفي سنة 1887، دخل "المدرسة السلطانية" المشهورة في بيروت وأقام فيها سنة كاملة، حيث تلقى الفقه في هذه المدرسة على يد الإمام "محمد عبده" الذي كان مبعدا آنذاك عن مصر بعد اتهامه بالمشاركة في الثورة العرابية، فلازمه واستفاد منه، ونظرا لتعلّقه بالشيخ محمد عبده فقد لحقه سنة

(1) سامي الدهان : الأمير شكيب أرسلان ، حياته وأثاره ، دار المعارف، القاهرة ، مصر، 1960، ص 65.

(2) وأثناء إقامة الأمير شكيب أرسلان بمدرسة الحكمة في بيروت زارها الشيخ محمد عبده، فأعجب الشيخ بذكاء الفتى شكيب الذي بدأ يقرض الشعر، واستشرف الإمام مستقبله الزاهر، ومنذ ذلك الوقت بدأت العلاقة بين شكيب ومحمد عبده، وازدادت توثقا بعد زيارة الشيخ لعائلة الأمير بالشويفات، وأصبح على علاقة بوالده الأمير حمود، فكانا يتراسلان، وبذلك كانت البوادر الأولى لظهور شكيب النضالي، كونه احتك برجاله في سن مبكرة. انظر: أحمد الشرباطي : مرجع سابق ، ص 24 ، 25.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

1890 إلى مصر ولازمه، وخلال إقامته بها اطلع على أحوالها وما سادها من تخلف فكري وسط بيئة تميزت بالقهر الاستعماري<sup>(1)</sup>.

وخلال إقامته بمصر التقى بالعديد من الشخصيات السياسية والفكرية كسعد زغلول، والشيخ علي يوسف صاحب جريدة "المؤيد" والأديب أحمد زكي باشا، ونتيجة نزعه التأليفية ذات الأهداف الإصلاحية؛ شرع في نشر مقالات في الجرائد المصرية مثل "الأهرام" و"المؤيد"<sup>(2)</sup>. وفي أواخر سنة 1890 سافر الأمير شكيب إلى الآستانة، والتقى هناك بالمصلح الشهير السيد جمال الدين الأفغاني الذي أعجب بسماته الإصلاحية<sup>(3)</sup>. وفي سنة 1892 سافر إلى فرنسا، وتعرف فيها على أمير الشعراء أحمد شوقي<sup>(4)</sup>، ثم عاد شكيب إلى بلدته الشويفات وعين مديرا لها سنة 1908 ثم أصبح "قائم مقام" لمقاطعة "شوف"، ولما صدر الدستور العثماني سنة 1908 وتألف مجلس "المبعوثان" بالآستانة سنة 1909 اختير شكيب ليكون نائبا عن الحوران<sup>(5)</sup> ومن خلال اتّصاله بزعماء الإصلاح ذوي النزعة الإسلامية آنذاك كجمال الدين الأفغاني، محمد عبده ومحمد رشيد رضا<sup>(6)</sup> تكونت لديه قناعة بضرورة تولي مهمة الإصلاح ومواصلة المسيرة النضالية التي كان قد بدأها الشيخ عبده والأفغاني حيث أدرك من خلال تنقلاته بين الشام ومصر وتركيا وأوروبا، تلك الدسائس والمؤامرات التي كانت تحاك ضد الخلافة الإسلامية والدول الإسلامية التابعة لها، وبدأ يناضل من أجل المحافظة على وحدة

(1) لثورب ستودارد: مصدر سابق، ج 1، ص 283.

(2) أحمد الشرباطي: مرجع سابق، ص 27، 28.

(3) انظر: الأمير شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا أو إخاء الأربعين سنة، مصدر سابق، ص 7.

(4) يقول شكيب عن لقائه بأحمد شوقي وصدافته معه: "وما عدت أتذكر كيفية اجتماعنا، وتعارفنا مع بعض، ولكن لم نجتمع حتى صرنا كأخوين، وغدونا نجتمع كل يوم مرة بل مرتين، وأكثر تلاقينا كانا في مقهى يقال له مقهى داركور Dharcourt .

انظر: أحمد الشرباطي: مرجع سابق، ص 28.

(5) أحمد الشرباطي: مرجع نفسه، ص 29.

(6) يتحدث شكيب عن محمد رشيد رضا وصدافته معه، وكذا اعجابه بنبوغه وعلمه في حاضر العالم الاسلامي. انظر: ستودارد

لثورب: مصدر سابق، ج 1، ص 284.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

الخلافة الإسلامية وجامعتها السياسية العثمانية، فلما انهارت سنة 1924 أصبح من كبار المدافعين عن استقلال العرب ووحدتهم<sup>(1)</sup>.

استمر شكيب ببث نشاطه النضالي لصالح العالم الإسلامي بما فيه بلدان المشرق العربي الإسلامي، ثم بلدان المغرب العربي الواقعة تحت السيطرة الأوربية، والتي نافح عنها وارتبط بصلات نضالية وثيقة مع أقطاب حركاتها الوطنية وسعى لاستنهاض همهم من خلال جريدة "الأمة العربية" - كما سنوضح ذلك في حيثيات بحثنا- إلى غاية وفاته في 9 ديسمبر 1946. إلى جانب مساره النضالي المحمود فقد خلف رصيда علميا في مختلف الفنون؛ نذكر بعض مصنفاته: "شوقي أو صداقة الأربعين سنة" وكتاب "لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم" وكتاب "تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط" وكتاب "رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة".

### 2- الفكر الإصلاحى عند شكيب أرسلان:

يعتبر شكيب أرسلان من أقطاب الفكر الإصلاحى في العالم الإسلامي، نتيجة عدة ظروف وعوامل مساعدة؛ منها تكوينه الأكاديمي المتزن الذي اضطلع به والده بعناية فائقة، واحتكاكه برواد الإصلاح في سن مبكرة كالشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغانى، ناهيك عن معاشته لظروف عصره التي اتسمت بتراجع مكانة العالم الإسلامي، فخلال الفترة الممتدة بين 1869 و1946 عاش أرسلان؛ وهي المساحة الزمنية حافلة بالوقائع والأحداث، ففي خضم هذه المرحلة، تفتت ظاهرة التخلف الفكرى-الحضارى التي ضربت بجذورها في أعماق العالم الإسلامي؛ في الوقت الذي استأسد فيه الغرب النصرانى وتنافست قواه على اقتسام أقاليمه المحكومة من طرف جامعته الإسلامية العثمانية، وخلال تلك الفترة ظهرت القومية العربية ضد الخلافة العثمانية، وفيها سقطت جامعة آل عثمان، وخلالها وقعت الحربان العالميتان الأولى والثانية، وفيها ظهرت الأطماع الأوربية الفرنسية-الانجليزية في المنطقة العربية الشرقية، وتم تجسيدها باقتسام الهلال الخصيب في "سايكس-بكو"، من

(1) انظر: أحمد توفيق المدني: "شكيب أرسلان بطل الجهاد في كل الميادين"، مجلة الثقافة، العدد 76، جويلية 1976، الجزائر، ص 70.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

خلال مسّيات قانونية لسد الدّرائع باسم الحماية والانتداب و الوصاية، وخلالها جُسد وعد "بلفور" واقتطعت أرض فلسطين لليهود، فظهر الاحتلال الإسرائيلي، وبانت "القضية الفلسطينية" وغيرها من الأحداث.

وعليه فقد عاش الأمير شكيب خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين، وهي فترة مشخنة بالأحداث القاسية على العالم الإسلامي، ولعل أهم داء ومرض استهدفه شكيب وإخوانه في العقيدة الإصلاحية هو التخلف الذي خيم على أذهان وعقول المسلمين وجعلوا من دينهم الإسلامي مصدرا للتخلف بعدما مزجوه بمختلف الانحرافات التي قيدت الإبداع والابتكار، وجعلته عاجز عن مواكبة التطورات الحاصلة في العالم الغربي النصراني، خصوصا في المجال العلمي، وجسد ذلك ميدانيا من خلال استقصائه وتفتيشه عن سبب تخلف المسلمين، في شكل مصنفٍ صاغ عنوانه بطريقة استفهامية " لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟" وفيه أوضح العوامل الحقيقية التي حالت دون تقدم المسلمين. ومن خلال آرائه التي ضمنها مؤلفه، نحاول أن نورد أهم أفكاره الإصلاحية:

### أ - إصلاح المنظومة الأخلاقية:

لقد جعل شكيب إرسال تفشي الأخلاق الفاسدة في المجتمع الإسلامي من أسباب شيوع التخلف، فخلال عصر الأمير انخرق المسلمون عن قيمهم الراقية وأخلاقهم الحميدة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، والتي كانت حائلا بين عهد الجاهلية التي كانت تعيشها بيئة الدعوة الإسلامية مع بدايتها زمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وبين زمن الحضارة التي شيّد صرحها خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم، الذين جسدوا أرقى الحواضر الإنسانية في التاريخ<sup>(1)</sup>، فلما طال عليهم الأمد حادوا

(1) لقد كانت الأمة الإسلامية سبابة إلى تبني منظومة أخلاقية راقية مستمدة من مبادئ الدين الإسلامي، وفي خضم الحروب الصليبية ( 1096 - 1291 ) اقتبس الأوروبيون الصليبيون الأخلاق الحميدة للعرب المستمدة من مبادئ الإسلام، فتهذبت أخلاقهم. كما تأثروا بمظاهر الحضارة الإسلامية، فقد لاحظ الأوروبيون اللباس العربي و الفرق بينه و بين اللباس الأوربي، و بين المنازل العربية و منازلهم، وعرفوا أساليب البهجة أثناء الاحتفالات بالأعياد وتبديل الملابس من موسم إلى آخر و تنظيف الثياب =

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

عن المنظومة الأخلاقية التي كان عليها أسلافهم، خاصة ولادة الأمور منهم لما لهم من تأثير بسياساتهم على رسم الملامح الكبرى للمنظومة الأخلاقية ذات الأبعاد السياسية السوية والرشيّدة؛ يقول شكيب أرسلان: « ومن أعظم أسباب تأخر المسلمين فساد الأخلاق، بفقد الفضائل التي حث عليها القرآن والعزائم التي حمل عليها سلف هذه الأمة و بها أدركوا ما أدركوه من الفلاح، والأخلاق في تكوين الأمم فوق المعارف... ومن أكبر عوامل تقهقر المسلمين فساد أخلاق أمرائهم بنوع خاص وظنّ هؤلاء القوم - إلا من رحم ربك - خلقت لهم ليفعلوا بها ما يشاءون، وقد رسّخ فيهم هذا الفكر حتى إذا حاول محاول أن يقيمهم على الجادة بطشوا به عبرة لغيره»<sup>(1)</sup>.

من هذا المنطلق فقد جعل الأمير أرسلان مبدأ إصلاح الأخلاق أساسيا للنهوض بالأمة الإسلامية، وإخراجها من دائرة التخلف، من خلال اجتثاث القيم الفاسدة التي انتشرت بشكل خطير في أوساط الشعوب الإسلامية، كالحيانة والخوف، والتخاذل، والفاحشة، ولن يتم ذلك حسب أرسلان إلا بالرجوع إلى تعاليم الدين الإسلامي القويم، وعقيدته الصحيحة التي تشكل عنصرا روحيا مرغبا في الأخلاق الحميدة، وأخرا منفرا ومنذرا من الأخلاق الفاسدة، واستقراء التاريخ برهان ساطع على ذلك، فقد شكل الرصيد الحضاري والثقافي والاجتماعي للعالم الإسلامي المحكوم من طرف جامعاته الإسلامية السياسية مرجعا أساسيا أخذ عنه الأوروبيون الذين كانوا يتخبّطون في غياهب الجهل وسيطرة رهبان الكنسية المترمّتين.

---

=وما إلى ذلك من العادات التي اقتبسوها عن المسلمين، كما تعلموا تزيين بيوتهم على الطراز العربي وتنويع الأطعمة واستعمال التوابل كل ذلك جريا وراء التقاليد الإسلامية عنوان التمدّن أنذلك.

(2) شكيب أرسلان: لماذا تأخر المسلمون، ولماذا تقدم غيرهم، مراجعة: الشيخ حسين تميم، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 76.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

### ب - نبذ عقيدة القدرية و"المكتوب":

تعتبر عقيدة القدرية و"المكتوب" من أخطر المعوقات التي حالت دون تقدم المسلمين إبان القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ذلك أنها جعلت المسلمين يرجئون أمر التخلف والاستعمار إلى الجبر دون بذل أسباب، وشكيب أرسلان من خلال منظومته الإصلاحية ركز على هذه القضية لعلمه بخطورتها نتيجة تكوينه الديني الذي أحاطه علما بنجايًا أسس العقيدة الإسلامية والشبه التي ألصقت بها. يشير أرسلان إلى ذلك: «... القرآن ملآن بالحث على العمل وباستنهاض الهمم وابتعاث العزائم، ونوط الثواب والعقاب والفوز والفشل بالعمل الذي يعمله المكلف. قال تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله﴾ التوبة الآية 105. وقال تعالى: ﴿وإن جادلوك فقل لى عملي ولكم عملكم﴾ يونس الآية 41. (1)».

من هذا المنطلق فقد استحضر شكيب أرسلان أكثر من دليل نقلي يبيّن المؤمنين معاني العمل وتقديم أسبابه الواقعية، وعدم إرجاع أوضاع العالم الإسلامي إلى القدر والجبر فقط وإنما لمقدار الجهد المبذول، فالمؤمن مكلف مخير في أفعاله والشريعة تنزهه بميزان الخير والشر، ومنه فالتخلف والاستعمار هو نتاج تقاعس وتهاون المؤمنين وليس أمر محتّم.

### ج - خوض غمار العلوم الحديثة وإصلاح التعليم:

أرجع شكيب أرسلان تخلف المسلمين إلى عامل مهم ورئيسي وهو عدم الخوض في العلوم الحديثة، والافتقار إلى العلوم الشرعية، دون علوم المادة والآلة، وحجتهم في ذلك أن العلم الصحيح النافع؛ مقتصر على العلوم التقليدية بكل فروعها دون غيرها ولا يتعدّها إلى العلوم الدنيوية التي جعلها الله للكفّار وهو عرض دنيوي زائل، من جهة أخرى كان المسلمون يعتمدون على المناهج القديمة التقليدية التي تعتمد على التلقين وحشو أدمغة الطلبة دون الاعتماد على منهج معين يتعلمون منه طريقة التفكير، وكذا الجمود والتحجر؛ في الوقت الذي كان فيه الأسلاف من العلماء المسلمين قد

(1) شكيب أرسلان: لماذا تأخر المسلمون، ولماذا تقدم غيرهم، مصدر سابق، ص 104.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

وضعوا القواعد الأساسية للعلوم الحديثة<sup>(1)</sup>. يقول شكيب أرسلان «... كأن القرآن ضمن للمؤمنين النصر بدون عمل وبلا كسب ولا جهاد بالأموال والأنفس، بل بمجرد قولنا أننا مسلمون، أو بمجرد الدعاء والتسبيح؟ وأغرب من ذلك بمجرد الاستغاثة بالأولياء، فأصبح الكثير من المسلمين عزلاً من السلاح الحديث، وهم غير مجهزين بالعلم اللازم لاستعماله لا يقومون القليل من الإفرنج المسلحين ومن أكبر عوامل انحطاط المسلمين الجمود على القديم، فكما أن آفة الإسلام هي الفئة التي تريد أن تلغي كل شيء قديم، من دون نظر فيما هو ضار منه أو نافع، كذلك آفة الإسلام هي الفئة الجامدة التي لا تريد أن تتغير شيئاً، ولا ترضى بإدخال أقل تعديل على أصول التعليم الإسلامي، ضنا منهم بأن الإقتداء بالكفار كفر، وأن نظام التعليم الحديث من وضع الكفار فقد أضع الإسلام جاحد وجامد»<sup>(2)</sup>. ومنه فقد حث أرسلان المسلمين على الأخذ من الأوربيين العلم النافع والاعتباس منهم دون التخلي عن أحوالهم الشخصية، ويعطي مثالا عن ذلك تجسّد في تجربة اليابان التي أخذت عن الأوربيين العلوم الحديثة دون التخلي عن عناصر الهوية اليابانية، وفي ذلك يقول أرسلان «أفلا ترى أن اليابان إلى حد سنة 1868 كانوا أمة كسائر الأمم الشرقية الباقية على حالتها القديمة، فلما أرادوا اللحاق بالأمم العزيزة تعلموا علوم الأوربيين، وصنعوا صناعاتهم واتسق لهم ذلك في خمسين سنة وكل أمة من أمم الإسلام تريد أن تنهض وتلحق بالأمم العزيزة يمكنها ذلك وتبقى مسلمة ومتمسكة بدينها، كما أن اليابانيين تعلموا علوم الأوربيين كلها وضارعوهم ولم يقصروا في شيء عنهم ولبثوا

(1) لقد برع المسلمون إبان العصور الوسطى في علوم المادة في المشرق والمغرب، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر؛ الإدريسي العالم الجغرافي صاحب كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، كتاب الجغرافيا الأول في الشرق والغرب. ومن العلماء العباسيين البارزين أيضاً، بن الهيثم في الطب والرياضيات والفيزياء وأيضاً عبد الله البتاني الذي اشتهر بعلم الرياضيات حيث أكمل تنسيق الزوايا خصوصاً الجيب وجب التمام والظل، كذلك بن سينا صاحب كتاب «القانون في الطب» وهو موسوعة تحتوي خلاصة ما توصل إليه الإنسان في هذا المجال، وفي مجال الصيدلة برز بن البيطار الذي ألف عدداً من الكتب أبرزها «الجامع في المفردات الطبية» ويعتبر من رواد طريقة الاستنباط العلمية، إلى جانب جابر بن حيان العالم الكيميائي الذي نال دعم الخليفة العباسي هارون الرشيد وأسس رفقة تلامذته منهج التجربة في العلوم، كما برز الرازي و الخوارزمي الذي ابتكر أول لوغاريتم في العالم. ولما طال الأمد على المسلمين حادوا عن سيرة أسلافهم العلمية، وتحولوا إلى العصور المظلمة التي ساد فيها التخلف والفساد والضعف نتيجة الاعتماد على العلوم الخرافية، المرتكزة على الاعتقاد الفاسد.

(2) شكيب أرسلان: لماذا تأخر المسلمون، ولماذا تقدم غيرهم، مصدر سابق، ص 80 - 88.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

يابانيين ولبثوا متمسكين بدينهم وأوضاعهم، وأيضا فمتى أرادت أمة مسلمة أدوات أو أسلحة حديثة ولم تجدها، إن ملاك الأمر هو الإرادة فمتى وجدت الإرادة وجد الشيء المراد<sup>(1)</sup>.

من هذا المنطلق فقد اعتبر إرسالان التحجّر والجمود آفة خطيرة قيّدت الفكر الإسلامي الرّاقى بتعاليم نصوصه الثقيلة التي صنعت حواضر راقية، فالإسلام هو دين آخرة، كذلك دنيا بحثه على العمل والكسب وبذل أسباب الحضارة والقوة، وهي خاصية ميزت الدين الإسلامي على سائر الأديان<sup>(2)</sup>، يشير إلى ذلك الأمير شكيب إرسالان بقوله: "فالجامد هو الذي مهد لأعداء المدينة الإسلامية الطريق لمحاربة هذه المدينة محتجين بأن التأخر الذي عليه العالم الإسلامي إنما هو ثمرة تعاليمه. والجامد هو سبب الفقر الذي ابتلي به المسلمون لأنه جعل الإسلام دين آخرة فقط. والحال أن الإسلام هو دين دنيا وآخرة. وأن هذه مزية له على سائر الأديان. فلا حصر كسب فيما للحياة التي وراء هذه كما هي ديانات الهند والصين... والجامد هو الذي شهّر الحرب على العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية وفنونها وصناعاتها بحجة أنها علوم الكفار..."<sup>(3)</sup>.

### 3- الجامعة الإسلامية السياسية وشكيب إرسالان:

يعتبر شكيب إرسالان من أكبر دعاة الجامعة السياسية للعالم الإسلامي تحت تاج خلافة واحدة وقد كان العالم الإسلامي خلال عصر إرسالان محكوم من طرف الخلافة العثمانية التي تقلّص نفوذها على مختلف الأقطار الإسلامية بفعل الاستعمار أو الحركات الانفصالية، من هذا المنطلق فقد استهدف إرسالان - رفقة إخوانه في المنظومة الإصلاحية - إحياء الخلافة كنظام سياسي موحد للعالم الإسلامي؛ بقيادة الدولة العثمانية التي مثلت طيلة قرون الخلافة الرسمية والشّرعية للمسلمين

(1) شكيب إرسالان: لماذا تأخر المسلمون، ولماذا تقدم غيرهم، مصدر سابق، ص 79.

(2) لقد شدّد شكيب إرسالان على البعد الحضاري للدين الإسلامي، واعتبر أن الإسلام دين حضارة، صالح لكل زمان ومكان وقد ضمن هذه الأفكار في دراسة له بعنوان الإسلام والحضارة العصرية، نشر في مجلة الزهراء، ثم في مجلة المنتقد نقلا عن الزهراء بجذف يسير. انظر: شكيب إرسالان: "الإسلام والحضارة المعاصرة"، جريدة المنتقد، السنة الأولى، العدد 15، الخميس 19 ربيع الأول 1344/8 أكتوبر 1925، ص 01.

(3) شكيب إرسالان: مصدر سابق، ص 130.



## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

المدافعة عن الديار الإسلامية في مختلف أنحاء المعمورة، ناهيك عن بث الوعي الوحدوي في الأوساط السياسية لجهات العالم الإسلامي، وفي أوساط النخب المثقفة للحركات الوطنية التحررية لبلدانها المستعمرة.

لقد كان إرسال ضمن الرّيعيل الأوّل الذين أسسوا لمشروع الجامعة السياسية للعالم الإسلامي تحت تاج الدولة العثمانية، ودعا لتجسيد ذلك بصفة عملية شأنه شأن جمال الدين الأفغاني الذي نادى بالشروع في تطبيق المشروع بدعم رسمي من طرف السلطان عبد الحميد الثاني الذي تبني فكرة الجامعة الإسلامية واعتمد على الوزن التّضالي لأقطابها، من هذا المنطلق فقد كان شكيب أرسلان عثمانيا في نزعته السياسية، سخر جهوده النهضوية لصالح الجامعة السياسية العثمانية، و وقف ضد القوميات التي ظهرت لتشكّل حركات انفصالية عن نفوذ الخلافة خاصّة العربية التي بانت بوادرها بشكل جلي مع الثورة العربية بقيادة الشريف حسين.

لقد كان الأمير شكيب أرسلان يدافع عن الجامعة السياسية العثمانية باعتبارها خلافة إسلامية تستمد شرعيتها من الإسلام؛ وعليه فقد كان شكيب أرسلان يعتزّ بعثمانيته لأنها كانت تعبر عن انتمائه الإسلامي، وكان يرى فيها دولة الخلافة الدّائدة عن الإسلام والمسلمين في كل الأنحاء؛ لا من منطلق العرق أو الجنس وإنما برابطة الدّين والشّهادة؛ يشير إلى ذلك في أبيات له:

مهما يكن من هنات بيننا فلنا معكم على الدهر عهد غير منقضب  
كفى الشّهادة فيما بيننا نسبا إن لم تكن جمعتنا وحدة التّسب  
مجدي بعثمان حامي ملّي وأنا لم أنس قحطان أصلي في الوري وأبي<sup>(1)</sup>

وخلال الحرب العالمية الأولى بذل شكيب أرسلان جهودا مضنية لصالح الدولة العثمانية، حيث كلفه جمال باشا بتعبئة الدروز للوقوف إلى جنب الخلافة<sup>(2)</sup>، كما قام بالدّعاية لصالح الدولة العثمانية

(1) أحمد الشرباطي: شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، مرجع سابق، ص 104.

(2) قاسم بن خلف الرويس: سوانح أفكار لأمير البيان شكيب أرسلان، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، لبنان، 2014، ص 15.

## الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم.

وحليفها ألمانيا، حيث انتقل إلى هذه الأخيرة في صيف عام 1917 في زيارة رسمية، ثم سافر إليها مرة أخرى عام 1918 بصفته نائبا في مجلس الأمة العثماني (المبعوثان)، فقام في الرحلة الأولى بدراسة الحالة السياسية والاجتماعية في ألمانيا، وذلك بتكليف من وزير الحرب العثماني "أنور باشا" وأما الرحلة الثانية فكانت تهدف إلى تقريب وجهات النظر بين الدولة العثمانية والحكومة الألمانية وقد استقبل أرسلان في ألمانيا استقبالا حارا<sup>(1)</sup>، وتنقل بين مختلف مدنها موثقا للتعاون العثماني الألماني<sup>(2)</sup>.

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى وهزيمة الدولة العثمانية لاحظ شكيب أرسلان اتساع الشرخ والهوة بين العثمانيين الذين تبنا القومية التركية وباقي القوميات خصوصا العربية، ومنه كان ذلك نقطة تحوّل في المسار النضالي الإسلامي الوحدوي لشكيب الذي كان يدافع عن نظام الخلافة بقيادة آل عثمان، ثم تحول للدفاع عن القومية العربية، في ذلك يقول: «ولكن العثمانية قد ذهب، وذهبت وحدتها، وانطوى بساطها، وأما العروبة فلن تذهب، و وحدتها لم تنزل نشيدة آمال العرب»<sup>(3)</sup>.

---

(1) يعود السبب في ذلك إلى أن ألمانيا أرادت أن تستثمر طاقات أرسلان ومكانته في الأوساط العربية لدعم التحالف العثماني الألماني، وفي ذات السياق فقد كان أرسلان صديقا للمستشرق الألماني أوبنهلم الذي أرسى سياسة ألمانيا الإسلامية في خضم الحرب العالمية الأولى.

(2) وزير أئده: "الوطنيون العرب ونشاطهم السياسي والصحفي في ألمانيا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى"، مجلة الأصاله، العدد: 52، السنة السادسة، ذو الحجة 1397/ ديسمبر 1977، الجزائر، ص 47-63.

(3) أحمد الشرباطي: شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، مرجع سابق، ص 105.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة

### الإسلامية في الجزائر.

أولاً: جذور الجامعة الإسلامية السياسية في الجزائر وبوادر النهضة.

- 1 - الجذور التاريخية للجامعة الإسلامية في الجزائر.
- 2 - بوادر النهضة واليقظة في الجزائر.
- 3 - الجامعة الإسلامية والحركة الإصلاحية الجزائرية.

ثانياً: منابع آراء أقطاب الجامعة الإسلامية وتطور القاعدة الإصلاحية في الجزائر

- 1 - وفود الشيخ محمد عبده للجزائر.
- 2 - استمداد أفكار أقطاب الجامعة الإسلامية من بلاد المشرق الإسلامي وأثرها على الحركة الإصلاحية في الجزائر.
- 3 - نشاط الحركة الصحفية لأقطاب الجامعة الإسلامية وأثرها.
- 4 - جهود شكيب أرسلان لصالح الحركة الوطنية الجزائرية.

ثالثاً: صدى الجامعة الإسلامية الرسمية في الجزائر خلال الحرب العالمية الأولى.

- 1 - الجامعة الإسلامية الرسمية في إستراتيجية الحرب الألمانية.
- 2 - الجامعة الإسلامية في الدعاية الألمانية-العثمانية ضد التجنيد وصددها في الجزائر.

### الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

كانت الجزائر عبر التاريخ الإسلامي مجالا خصبا لمختلف الحركات الفكرية والحضارية الوافدة من المشرق الإسلامي<sup>(1)</sup>، ففي البداية تأثر المغرب القديم - بما فيه الأوسط - بالمد الإسلامي فتحول إلى مغرب إسلامي خالص، ثم أصبح أرضا محروثة لمختلف الأفكار الدينية<sup>(2)</sup> والمذهبية والإصلاحية، وقد استمرت هذه العلاقة التآثرية، فكان المغرب الإسلامي دائم التأثر بالمشرق الإسلامي، إلى غاية وقوعه بين مخالب الاستعمار الأوربي الحديث، الذي حاول جاهدا قطع كل أواصر الترابط بينه و بين جامعته السياسية-الإسلامية، وقد كانت أول البلدان الإسلامية احتلالا هي الجزائر التي سعت السياسة الفرنسية إلى عزلها عن المشرق؛ محاولة منها لتحويلها عن أصولها وذلك بالقضاء على الإسلام الداعي إلى جهاد الكفار المعتدين، وكذا لسانه اللغة العربية، ولكن وكما سجل التاريخ ظل الشعب الجزائري خاصة والمغاربي عامة محافظا على دينه ولسانه وعاداته وتقاليده وتاريخه المجيد.

لقد سعت سلطات الاحتلال الفرنسي إلى تطبيق سياسة الفرنسة والتنصير، وتجهيل الشعب الجزائري ناهيك عن عزله عن الجامعة السياسية العثمانية التي كانت تحمي حمى المسلمين وتضمهم في

---

(1) لقد ارتبط المغرب بالمشرق منذ بداية الفتح وتحول المغرب القديم إلى مغرب إسلامي، فكان المجال الواسع لمختلف الأفكار المتسربة من المشرق، وفي كثير من الأحيان لجأ الدعاة المشاركة إلى المغرب وملكوا قلوب البربر الذين يقصدون العلماء والدعاة الذين حولوا ذلك الولاء إلى ملك سياسي متمثل في قيام دول بالمغرب مثل الأدرسية والرستمية والفاطمية العبيدية... الخ. انظر: عمار طالبي: بن باديس حياته وآثاره، ج 1، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

(2) منذ أن حل الإسلام بأرض المغرب القديم تحول تحولا شبا تام لم يشهد له التاريخ مثيل، فأصبح لسانه عربيا ودينه الإسلام ولعلل السبب في ذلك هو اقتناع الأمازيغ بالإسلام وبعقيدته وشريعته، وقد سجل التاريخ أن الأمازيغ إذا رفضوا دخيلا ظلوا كذلك وصمدوا في وجهه مهما كانت الصعاب شأن ذلك شأن المحتل الروماني والوندالي والفينيقي و حتى الاحتلال الأوربي الحديث، من هذا المنطلق تحول المغرب إلى أرض خصبة لمختلف الأفكار والمذاهب الدينية القادمة من المشرق، فتجذر الفقه المالكي، ومالك هو مشرقي الأصل، ثم كان الدعاة المشاركة ذوي الأفكار المتطرفة يفرون إلى المغرب نتيجة الضغط والحصار المفروض عليهم في المشرق فينشرون أفكارهم، لدى الجماهير، ليحصلوا على ولائهم، ثم يحولوا ذلك الولاء إلى ملك سياسي شأن ذلك شأن الدولة الرستمية والإدرسية والفاطمية والمدارية... الخ. واستمر الحال كذلك إلى غاية يومنا هذا وما أفكار الخوارج و السلفية إلا دليل على ذلك. انظر: محمد أبو الأجنان: بناء المغرب العربي، سلسلة الدراسات الاجتماعية، تونس، 1983، ص 115-148.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

وحدة سياسية قوامها الخلافة الإسلامية، فكان رد فعل المثقفين المصلحين العارفين بما أصاب الجزائر والأمة الإسلامية من وهن، أن جعلوا مشروعاً لإحياء الرابطة الإسلامية، انطلاقاً من الإسلام وسطروا جملة من الأهداف تحت مسمى الجامعة الإسلامية أهمها تخلص البلاد الإسلامية من الاحتلال الأوربي وجمع الشتات وإعادةه للحظيرة السياسية للخلافة الإسلامية العثمانية، حيث شرعوا في نشاط بلغ صداه أرض الجزائر، فكان من أهم العوامل التي نشطت النهضة واليقظة في أوساط النخبة الإصلاحية الجزائرية.

### أولاً: جذور الجامعة الإسلامية السياسية في الجزائر وبوادر النهضة واليقظة.

تعتبر الجزائر قطراً من الأقطار الإسلامية، التي انضوت تحت لواء الإسلام منذ زمن الفتح الإسلامي، فاندمج سكانها الأمازيغ اندماجاً يكاد يكون كلياً في الحضارة الإسلامية العربية، وقد اصطبغ ذلك الاندماج على غرار الدين واللغة والعادات بالصبغة السياسية، فأصبح مغرباً إسلامياً<sup>(1)</sup> -بما فيه المغرب الأوسط- ولاية من الولايات الإسلامية التي يقع نفوذها ضمن الخلافة الإسلامية التي تجسد روح الجامعة الإسلامية في عصورها الذهبية.

---

(1) لقد سمي إقليم شمال غرب قارة إفريقيا عدّة مسميات منها بلاد المغرب التي أطلقها الفاتحون المسلمون أي الأرض التي تقع غرب منطلقهم (الجزيرة العربية)، وجهة غروب الشمس بالنسبة للحجاز أرض مبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ومن المؤرخين العرب ذوي النزعة الجغرافية الذين وظفوا التسمية العلامة عبد الرحمان بن خلدون وخص بها المنطقة التي حددها بتضاريسها من المغرب الأقصى إلى مصر أي من بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) إلى البحر الأحمر، وقبل الإسلام على عهد المغرب القديم شهدت المنطقة عدة محطات سياسية غير أن الوطنية والقومية منها هي نوميديا الموحدة على عهد "ماسينيسا"، وهناك تسميات حديثة ومعاصرة كالتسمية الجغرافية شمال إفريقيا، وهي تسمية غربية وظفها المستعمرون الأوربيون، والهدف من ذلك قطع الأواصر التاريخية والانتماء الديني مع المشرق الإسلامي كما سموها "البربروسية" في العصور الحديثة نسبة إلى بربروس "خير الدين، عروج، إسحاق، إلياس" ومن الكلمات التي تبنتها السياسة الفرنسية الاستعمارية كذلك بلاد البربر ترويحاً لمسببات التفرقة والتوسع والسيطرة على المنطقة، وقد أطلق بعض المفكرين تسمية "بلاد المغرب الإسلامي" كتعبير عن توجههم الفكري الحضاري، وبعد نشاط حركات التحرر المغاربية وتحصيل الاستقلال استعمل المغاربة أنفسهم تسميات تدل على القومية المغاربية و الوحدة والجماعة مثل المغرب العربي، المغرب الكبير. انظر:

Abdallah Laroui : **L, histoire du Maghreb un essai synthèse** , Maspero , Paris , 1971.

### 1 - الجذور التاريخية للجامعة الإسلامية في الجزائر:

تعود جذور ارتباط المغرب الإسلامي - الأوسط - بالجامعة الإسلامية التاريخية إلى الفترة التي أعقبت وفاة النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث ترك للمسلمين أن ذلك قاعدة سياسية وعسكرية مثلت ثقلا حريا وسياسيا مهابا في أوساط الدول العظمى، وقد كلفهم عملا بمبادئ الشرع تبليغ الإسلام عبر مختلف الجبهات، وانطلاقا من تلك القاعدة بدأ عهد الخلافة الراشدة التي اضطلع خلفاؤها بمهمة الفتح وتخليص البلاد من براثن الاحتلال البيزنطي؛ فقد توغل قواد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالفتح إلى الأراضي الليبية، وواصل خليفته عثمان رضي الله عنه الفتح وبلغ تونس ونتيجة اندلاع الفتنة الكبرى، حدث منعرج سياسي في التاريخ السياسي الإسلامي أدى إلى ولادة الدولة الأموية التي تولت قيادة العالم الإسلامي، وتنشيط حركة الفتح عبر كافة الجبهات، فكان فتح بلاد المغرب بصورة كاملة على عهدها، بحيث أصبح ولاية من ولاياتها يديرها عامل يحكم باسمها وذلك منذ سنة 50هـ.

من هذا المنطلق انضوى المغرب الأوسط على غرار الأدنى والأقصى، تحت لواء الجامعة الإسلامية الأموية فصار يقع ضمن نفوذها السياسي، وقد شهد نوعا من الاستقرار، عدا بعض الفترات<sup>(1)</sup> واستمر الحال كذلك إلى غاية سقوط الدولة الأموية الجامعة على يد آل العباس سنة 132 هـ، ومن منطلق جلوس العباسيين على كرسي عرش الخلافة، صار المغرب يقع ضمن المجال السياسي للدولة للجامعة الإسلامية العباسية، واستمر كذلك إلى غاية النصف الثاني من القرن الثاني هجري، حيث انتشرت الأفكار الدينية المذهبية الخارجية والشيعية، فشرعت أقطاره في الانفصال، فانفصل المغرب الأوسط بقيادة آل رستم ثم المغرب الأقصى بقيادة آل إدريس، ثم الأدنى بقيادة آل الأغلب، واستمر

(1) لقد شهد شعب المغرب بعض التذمر نتيجة تبعيتهم للجامعة الأموية، بحيث كانوا، يتضجرون من الظلم الذي كان يعاملهم به عمال بني أمية و عدم مساواتهم مع بقية المسلمين. وقد استغل هذا الوضع رجل يدعى "مسيرة المدغري" و أعلن الثورة على الأمويين، فتم قتل واليهم في طنجة "عمر المرادي" و تم تولية أحد الخوارج يدعى : عبد الأعلى بن جريح ، وبعد احتلال طنجة توجه نحو السوس فاحتلها، وتقدم باتجاه القيروان. للمزيد حول انتشار الفكر الخارجي في المغرب. انظر: محمود إسماعيل عبد الرزاق : الخوارج في بلاد المغرب ، ط2، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1985 ، ص 18 وما بعدها.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

المغرب الأوسط وباقي أقطار المغرب في حالة الانفصال على غرار الدولة الفاطمية والمرابطية والموحدية التي وحدت المغرب على أساس القومية المغاربية<sup>(1)</sup>.

وبعد سقوط الدولة العباسية سنة 1256م، دخل العالم الإسلامي في حالة فراغ قيادي، فكان لابد من قيادة جامعة تلمم شتاته السياسي عبر القارات الثلاث، وعليه ظهر عثمان وآله وأسسوا دولتهم العثمانية<sup>(2)</sup> سنة 1299م، انطلاقاً من آسيا الصغرى، وبما أن الدولة اكتست منذ البداية طابع الخلافة، شرع سلاطينها في بسط نفوذهم نحو البلاد الإسلامية، في شتى أقطار المعمورة كون نظام الخلافة لا يستند إلى الأصول، وإنما أين وجد الإسلام فأرضة تابعة للجامعة الإسلامية، بما فيها الجزائر.

من هذا المنطلق، شرع آل عثمان في ضم مختلف الأقاليم الإسلامية، وفتح مناطق جديدة في أوروبا انطلاقاً من بلاد الأناضول ففي عهد عثمان بن أرطغرل تمت السيطرة على المناطق المطلّة على بحر مرمرة و البحر الأسود و واصل ابنه أورخان الفتح إلى أن استولى على كامل بلاد الأناضول، من هنا شرع أحفاد أرطغرل في التوسع في أوروبا. ولم يقتصر النفوذ العثماني على بلاد الأناضول وشرق أوروبا

---

(1) هناك عدة مقومات ومعطيات تؤسس للنزعة القومية المغاربية مثلها مثل القومية التركية والقومية الفارسية منها الطبيعية والبشرية والتاريخية والدينية، وقد كان العنصر الأخير والذي نقصد به الدين الإسلامي قد تجذر في المنطقة منذ القرن الأول هجري والسابع ميلادي، وهو من أهم عناصر الوحدة والقومية المغاربية، ذلك أنه أضاف عدة عوامل حضارية ترسخ وتؤكد وحدته وهي العقيدة الموحدة، -بحيث أن كل سكان المغرب سنة على مذهب الإمام مالك بن أنس- واللغة والثقافة والفكر والعادات ونظام الحكم والعمران والقيم الأخلاقية .

(2) في سنة 1299 كانت موجة الهجوم مغولي على آسيا الصغرى، ولم يكن باستطاعة آخر سلاطين سلاجقة في المنطقة "تقيباد الثالث" وقفه، فلجأ إلى إمبراطور بيزنطا لمساعدته على مواجهة الهجوم المغول، غير أنه غدر به وقتله، سنة 1307، وبموته زال ملك السلاجقة في آسيا الصغرى وانقسمت إلى عديد الوحدات السياسية، وفي خضم هذه الأحداث أعلن عثمان بن أرطغرل استقلاله بما له من أراضي، وأخذ في بسط نفوذه على بعض الإمارات وأبدى اهتماماً قوياً بتنظيم الدولة ودعم الجيش، وعدّ بذلك المؤسس الحقيقي للدولة العثمانية، واتخذ لنفسه لقب السلطان وضربت السكة باسمه، وذكر اسمه في خطبة الجمعة. للاستزادة؛ أنظر: يلماز أورتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة: عدنان محمود سليمان ، مج 1 ، مؤسسات فيصل للنشر، إسطنبول ، تركيا ، 1988.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

بل شملت الدول العربية و الإسلامية و كان من أهداف العثمانيين توحيد العالم الإسلامي و إعلان الخلافة و حماية بلاد المسلمين من المخاطر المحيطة بما فيها أرض المغرب العربي التي كانت دويلاته مع بداية القرن السادس عشر، تشهد ضعفا و تقهقرا شمل جميع الميادين في الوقت الذي كانت فيه الدول الأوروبية الاستعمارية ( إسبانيا و البرتغال ) تتكالب على احتلالها.

وفي هذا الوقت كانت الجامعة الإسلامية العثمانية تتنامى و توسع نفوذها عبر جبهات عدة، و قد كان المغرب الإسلامي يقع ضمن اهتماماتها كونه أرضا إسلامية، تشمله سلطة الخلافة، خاصة و أن أقطاره كانت مستضعفة من طرف القوى الأوروبية الاستعمارية، و قد كانت الجزائر أنذاك القاعدة الأولى التي انطلق منها العثمانيون لضم أقطار المغرب العربي الإسلامي ما عدا المغرب الأقصى. بداية مع خير الدين الذي صار أميرا على مدينة الجزائر، حيث قام الأهالي بمراسلة السلطان العثماني سليم الثاني لإلحاق البلاد بالخلافة العثمانية بطريقة رسمية، فبعثوا كتابا إلى السلطان العثماني المذكور يخبرونه فيه بصرف طاعتهم إليه، فرحب السلطان بطلب أهالي الجزائر، و أرسل فرمان التولية و الخلعة السلطانية لخير الدين مع ألفين جندي و كان ذلك سنة 1518، و بذلك أصبح خير الدين أول بيلرباي على الجزائر<sup>(1)</sup>. و انطلاقا من هذا التاريخ انضوت الجزائر تحت لواء الجامعة السياسية الإسلامية العثمانية و أصبحت تعيش أوضاعا مغايرة، فبعد أن كانت تفتقر إلى الوحدة السياسية<sup>(2)</sup> و الهيبية العسكرية صارت مهابة الجانب، لها مكانتها وسط المجتمع السياسي الدولي و يحسب لها ألف حساب، انطلاقا من أسطولها البحري الذي جعل من البحر المتوسط بحيرة جزائرية.

استمرت الجزائر تعلن التبعية السياسية للجامعة العثمانية التاريخية ما يزيد عن ثلاثة قرون، إلى غاية نجاح الحملة الفرنسية على الجزائر، حيث دخلت في مرحلة تاريخية أخرى، تميّرت بتكريس

---

(1) انظر : عزيز سامح ألتر : الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة: محمود علي عامر، بيروت لبنان ، 1989 ، ص 50 وما بعدها

(2) لقد كانت الجزائر تعيش ظروفًا سياسية تميّرت بالتشتت و الانقسام، فقد كانت السلطة المركزية الحاكمة (الزيانية) غير مسيطرة على المناطق التابعة لها اسميا فساد نظام القبيلة و الأعراس، و كثر عددها، حيث وصلت ما يزيد عن 22 وحدة سياسية، و أكثر من ذلك لم تستطع رد الحملات الإسبانية على سواحلها بل أعلن قوادها الولاء للإسبان.



## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

القطيعة بين الجزائر والجامعة الإسلامية التاريخية في بعدها السياسي، بعد سقوط الحكومة العثمانية في الجزائر وتوقيع معاهدة الاستسلام وتسليم مفاتيح العاصمة وقصر الداوي. من جهة أخرى بقيت عوامل ومعطيات الارتباط بالجامعة الإسلامية، على غرار البلدان الإسلامية الأخرى التي اقتطعت من تركة الدولة العثمانية، وبقيت تحتاج إلى من يوقظها لدى للشعوب الإسلامية، من هذا المنطلق ظهر رعييل من رجال الإصلاح والنهضة، وأطلقوا مشروعاً نظرياً نخبوياً هدفه إلى إعادة لم الشتات السياسي الإسلامي الواقع تحت الهيمنة الاستعمارية، بمسمى بعث الجامعة الإسلامية السياسية في مفهومها الحديث والمعاصر<sup>(1)</sup>، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر في العصر الحديث. والمعروف أن الجزائر كانت أولى البلدان الإسلامية احتلالاً، لذلك فجدور الجامعة الإسلامية الحديثة في الجزائر تعود إلى الفترة التي أعقبت نجاح الحملة الفرنسية على الجزائر، من خلال نشاط أعيان الجزائر ودعوتهم إلى وحدة وتضامن الشعوب الإسلامية وهذا يقع ضمن مبادئ وأهداف الجامعة الإسلامية، فقد دعا كل من بن العنابي وحمدان بن عثمان خوجة إلى ذلك، تاركين أفكارهم لتكون منطلقاً لحركة الجامعة الإسلامية الحديثة، و ما اندلاع المقاومات الشعبية المسلحة بقيادة الأمير عبد القادر الجزائري والحاج أحمد باي إلا نداء صريح و واضح للعالم الإسلامي والغربي بأن الجزائر مسلمة تنتمي للعالم الإسلامي، بالرغم من اغتصابها من الخلافة ومحاولة قطع أواصر ذلك من خلال السياسة الفرنسية في الجزائر الرامية إلى القضاء على بذور الجامعة و الوحدة والارتباط بالعالم الإسلامي، من خلال القضاء على الدين الإسلامي المقوم الأساسي والقاسم المشترك و الذي من دونه لن تكون الوحدة والجامعة الإسلامية. وخدمةً لمرامي الجامعة الإسلامية فقد انخرط الأمير عبد القادر في جمعية العروة الوثقى، التي تصدر جريدة العروة الوثقى أحد أعظم وسائل تسريب أفكار الوحدة الإسلامية<sup>(2)</sup>

(1) كما أوردنا سالفا فالجامعة الإسلامية ليست وليدة العصر الحديث، وإنما هي عريقة عراقية الإسلام والدولة الإسلامية التي أسسها النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك وجب علينا أن نفرق بين الجامعة الإسلامية في مفهومها التاريخي والجامعة الإسلامية في مفهومها الحديث والمعاصر.

(2) أنور الجنيدي: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965، ص 39.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

وعلى عهد نابليون الثالث صاحب السياسة المعتدلة أطلق الأمير عبد القادر من إقامته الجبرية بأنبواز بفرنسا، وكانت وجهته إلى الأستانة التي وصلها سنة 1853 واستقبله أهلها استقبالا حارا مع استقبال سياسي مثله سلطان الخلافة الإسلامية العثمانية ثم توجه إلى الشام<sup>(1)</sup>.  
لقد الأمير عبد القادر مثلت جهود الأمير عبد القادر الجزائري النضالية بحق اللبنة الأولى لحركة الجامعة الإسلامية، ذلك أن جهاده كان يقع بالضرورة ضمن حرب الكفار المعتدين على البلاد الإسلامية، والجدير بالبيان أن الأمير قد غير نظرتة للخلافة العثمانية بعد نهاية مقاومته، حيث شرع في استعطاف السلطة المركزية العثمانية، والدعوة لالتفاف بجامعتها السياسية التي كانت الجزائر إحدى ممتلكاتها.

لقد واصل الشعب الجزائري تضامنه مع الخلافة الإسلامية الجامعة، كما حدث في حرب القرم ضد روسيا القيصرية، حيث استمر الجزائريون في الدفاع عن الجامعة الإسلامية الرسمية، لذلك استغلت فرنسا رغبة التضامن والتبعية للخلافة الراسخة في نفوس الجزائريين<sup>(2)</sup>، وشجعتهم للمشاركة في الحرب إلى جانب الدولة العثمانية<sup>(3)</sup>، وأطلقت نداء دعائي لصالح الجامعة الرسمية العثمانية، فاستجاب الجزائريون وتطوع حوالي ألفين جندي، وجعلتهم يشعرون بالمساواة مع الجيش الفرنسي وسمّتهم بجيش الشرق، و أعطت لهم راية خاصة بهم، كتبوا عليها بالعربية عبارات ورموز تدل على ولائهم وتأييدهم

(1) لما وصل الأمير إلى الأستانة وعاش ذلك الاستقبال الحار من طرف السلطان عبد المجيد ألقى بين يديه قصيدة جاء في مطلعها:

عبد المجيد حوى مجدا وعزا علا وجل قدرا كما قدم عم أنوالا

كهف الخلافة كافيها وكافلها وما عهدنا له في القرن أمثالا

انظر: الأمير عبد القادر الجزائري: ديوان الأمير عبد القادر، تحقيق وشرح: زكرياء صيام، ديوان المطبوعات الجامعية - المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1988، 251. انظر كذلك:

(2) Ali MERAD La : " Turcophilie dans le débat national en Algérie au début du siècle 1911-1918", Revue d'histoire Maghrébine , NO 31-32 , Tunis , 1983 , P344.

(3) لقد سمحت فرنسا للجزائريين للمشاركة إلى جانب الدولة العثمانية في حرب القرم للوقوف ضد روسيا القيصرية، وذلك في إطار التوازنات السياسية الدولية التقليدية.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

للمشاركة إلى جانب الجامعة الرسمية، وهذا نص ما كتبه<sup>(1)</sup> "إن هذه الراية ستلمع في ميدان النصر وستخفق بالنجاح بمعونة الله، إنها من صنع مسلمي الجزائر، وهي مهداة إلى الجنود الأهالي في الفرقة المتوجهة لنجدة الدولة العثمانية في 1854"<sup>(1)</sup>. وقد كان لسياسة الجامعة الإسلامية أثرا في بعض المقاومات الشعبية، حيث تشير المصادر إلى اشتراك السلطات العثمانية في ثورة الجنوب الجزائري بالزّعاطشة التي وصلها والي العثمانيين في طرابلس عن طريق "عزت باشا" سنة 1849، وجاء بخطة مرسومة من طرف حكومته لإثارة القلاقل وتحريض السكان ضد فرنسا، واصطحب معه أحد الشخصيات النّاقمة على الاحتلال الفرنسي وهو رضا بن حمدان خوجة، ووعد الثوار بمساعدات عثمانية<sup>(2)</sup>.

ومع تولي السلطان عبد الحميد الثاني عرش الدولة العثمانية تبني سياسة الجامعة الإسلامية وسخر جل جهوده لجمع العالم الإسلامي وكبح الزحف الفرنسي والبريطاني، حيث شرع دعاة الوحدة والجامعة الإسلامية الرسمية في الدعوة والنشاط، شأن محي الدين بن الأمير عبد القادر الذي سعى لإيقاظ الحس الجهادي انطلاقا من ليبيا وتونس، فبعث بعدة رسائل إلى زعماء القبائل يشرهم بقدم الجيش العثماني للسيطرة على تونس وتحرير الجزائر<sup>(3)</sup>.

ومع مطلع القرن العشرين ظهر جيل من المصلحين الجزائريين متعلق بفكر أقطاب الجامعة الإسلامية (جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، محمد رشيد رضا، شكيب أرسلان)، والتي رسمها السلطان عبد الحميد الثاني كسياسة رسمية حاثّة على الجهاد، من خلال دعم شعار الوحدة والتضامن مع الشعب التونسي على إثر فرض الحماية عليه من طرف فرنسا، والسعي لتفجير ثورة الشيخ بوعمامة في الجنوب الغربي، وهي ثورة ذات طابع إسلامي؛ امتزجت أهدافها مع مبادئ

(1) أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، (1900-1930)، ج 1، ط 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص 392.

(2) أبو القاسم سعد الله: مرجع نفسه، ص 392.

(3) للاستزادة انظر: يحيى بوعزيز: "وثائق جديدة عن دور محي الدين بن الأمير عبد القادر وعن مواقف أبيه في ثورة 1871" ، مجلة الأصاله ، العدد 38 ، أكتوبر ، 1976 ، الجزائر ، ص 25 - 64

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

الجامعة الإسلامية. ومع احتدام التنافس الاستعماري على أقطار المغرب العربي، مثل طرد قادة "حركة الشبان" بتونس بعد حوادث مقبرة الزّلاج سنة 1911، والاحتلال الإيطالي لليبييا، وتدخل فرنسا في المغرب الأقصى واحتلالها لوجدة في 1907 بعد مؤتمر الجزيرة الخضراء خلال جانفي وجويلية 1906 ثم احتلالها للدار البيضاء في 1907 وفرض الحماية المزدوجة على المغرب الأقصى سنة 1912 ظهرت بوادر الوحدة بين الشبان المغاربة في إطار فكرة الجامعة الإسلامية<sup>(1)</sup>، التي صار لها صدى واسعاً في أوساط الطبقة المحافظة ذات النزعة الإسلامية من خلال انتقال أفكارها عبر منفذ الصحف والحج والمهاجرين العائدين من المشرق، ففي سنة 1900 وجدت بمنطقة متيجة منشورات شعريّة تدعو لأفكار الجامعة الإسلامية، وبعد اندلاع مقاومة عين التزكي سنة 1901 أصدر الحاكم العام "شارل جونار" منشوراً أمر فيه رؤساء العملات بغلق المقاهي ونفي وسجن كل المشتبهين و من لهم سوابق، درءاً لخطر الجامعة الإسلامية<sup>(2)</sup>.

لقد انضوت الجزائر تحت لواء الجامعة الإسلامية التاريخية، منذ نشأتها و توثقت مع الدولة الأموية، حيث أصبحت ولاية إسلامية ضمن المغرب الإسلامي، ثم ورثت الدولة العباسية ملك الأمويين في المغرب فصار تابعا لخلافة آل العباس، ونتيجة بروز النزعة القطرية وانتشار الأفكار العقدية المذهبية انفصل أقطار المغرب إلى وحدات سياسية قطرية، ومع ظهور النزعة المغاربية، ظهرت دول قومية، ونتيجة الشتات السياسي الإسلامي برز آل عثمان وأسسوا دولة جامعة مبدؤها الخلافة لتعمير الفراغ السياسي القيادي الذي خلفه آل العباس، وقد كانت الجزائر كباقي البلاد العربية الإسلامية التي وصلها المد السياسي العثماني، ومع تغير موازين القوى لصالح الدول الأوروبية، وانطلاقاً من وهن الدولة وضعفها شرعت القوى السياسية الأوروبية في احتلال أملاكها وكانت الجزائر أولها حيث نجحت الحملة الفرنسية في استخلاصها من الدولة العثمانية، ونتيجة تكرر هذه الحادثة مع جل أقطار

(1) محمد بلقاسم : الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي ، 1910 - 1954 ، رسالة ماجستير ، إشراف : أبو القاسم سعد الله ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1994 ، ص 16.

(2) محمد قن : مرجع سابق ، ص 211.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

العالم الإسلامي، ظهر تيار فكري مثله نخبة من رجال الإصلاح والنهضة ذوي الفكر الوحدوي لإحياء الجامعة التاريخية التي شتتها الاستعمار، وبث عوامل النهضة، وقد كانت الجزائر مجالا خصبا لانتشار هذه الأفكار وترجمتها إلى نهضة وطنية ذات بعد إسلامي.

### 2 - بوادر النهضة واليقظة في الجزائر :

مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين عرفت الجزائر تحولا هاما في تاريخ كفاحها ضد الاحتلال الفرنسي، نتيجة اقتناع رجالها بعدم جدوى الكفاح المسلح<sup>(1)</sup> فشهدت ظهور وسائل جديدة للنضال تمثلت في الجمعيات، والنوادي الثقافية، وتقديم العرائض وإرسال الوفود، وعليه يمكن اعتبار مطلع القرن العشرين بمثابة مساحة تحوّل تاريخي في مسار الحركة الوطنية الجزائرية<sup>(2)</sup>، إذ تمثل هذه المرحلة منطلقا جديدا للمقاومة الجزائرية، وتجلّى هذا التحول في ميلاد الحركة الوطنية مع ظهور الجمعيات والأحزاب السياسية التي برزت بوادرها الأولى مع نهاية الحرب العالمية الأولى.

ومما لا شك فيه أن هذه الحركة لم تنطلق من فراغ وإنما جاءت نتيجة ظروف سياسية واجتماعية وثقافية فجرت الوضع للخروج من مرحلة الكفاح المسلح الذي ساد القرن التاسع عشر، وانتهاج أسلوب البعث الحضاري، وبث الوعي الفكري الإصلاحي ضمن مبادئ مشروع الجامعة الإسلامية. فكانت تلك الظروف والأوضاع بمثابة الرحم الذي ولد الحس الإصلاحي والتحرري و النضالي ضد الاحتلال الفرنسي، في المجال السياسي والاقتصادي والحضاري.

إن أهم مشهد سياسي كانت عليه الجزائر خلال هذه المرحلة وطيلة الاحتلال الفرنسي لها هو فقدان السيادة الوطنية، نتيجة تقويض أركانها من قبل المحتل في البداية عن طريق القوة العسكرية، ثم

---

(1) لقد اندلعت الثورات الشعبية عشية نجاح الحملة الفرنسية على الجزائر، ولعل أهمها على الإطلاق مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري و الحاج أحمد باي، وكانت شرسة طويلة، ثم تبعت بأخرى أقل قوة ونشاطا، غير أن ما يسجل على تلك المقومات أنها كانت تفتقر إلى عناصر نجاح المقاومة والمتمثلة في التنسيق و التنظيم و الشمولية والتزامن، وهذه الخصائص توفرت في الثورة التحريرية 1954، نتيجة نضج الوعي التحرري للطبقات المثقفة الجزائرية.

(2) إن الحركة الوطنية الجزائرية تعود بجذورها إلى الفترة التي أعقبت نجاح الفرنسية على الجزائر، حيث شهدت نشاطا سياسيا حثيثا مثله أعيان الجزائر آنذاك، من أمثال حمدان بن عثمان خوجة وبن العنابي.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

بقوانين جعلت الجزائر جزءاً لا يتجزأ من فرنسا وعمرتها بالوافدين من كل أصقاع أوربا وجعلت شعبها في آخر الترتيب للسلم الاجتماعي، لذلك أراد أصحاب السياسة في فرنسا ضم الجزائر رسمياً فاستصدروا مرسوماً في 1834، وتم التأكيد على ذلك ضمن الدستور الصادر 4 نوفمبر 1848 الذي نصت مادته 107 على أن الجزائر أرض فرنسية<sup>(1)</sup>. وابتداءً 15 أبريل 1845 صدر مرسوم ملكي يقضي بإنشاء الحكم المدني بالمناطق التي تقطن بها الجاليات الأوربية، كما تقرر إنشاء ثلاث مقاطعات هي الجزائر - قسنطينة - وهران وفي هذه المقاطعات يوجد مجال للحكم المدني وكذا العسكري، الأمر الذي عمق من هيمنة المعمرين على البلاد الجزائرية، من خلال سحب السلطة جزئياً من الجيش الفرنسي<sup>(2)</sup> لقد استمرت إدارة الاحتلال في شن قوانينها المؤسسة على فلسفة القوة ومبدأ الغالب والمغلوب في حلبة صراع سياسي، ولعل أهم مظاهر اضطهادي دلت على ذلك على سبيل الذكر لا الحصر قانون الأهالي الذي جعل من الجزائريين يعيشون في قهر وظلم العصور الوسطى التي عاشتها شعوب أوربا بما فيها الشعب الفرنسي، ثم بادرت السلطات الفرنسية لاستصدار قرار يجعل من الدين الإسلامي تابع للسلطة الفرنسية<sup>(3)</sup>، وفي سنة 1912 تم فرض التجنيد على الشباب الجزائري بالجبر والقهر<sup>(4)</sup>.

انطلاقاً من هذه المراسيم التي طوّقت الجزائر شعباً وتراباً، فإن الحالة السياسية للبلاد أوجت بتجذر الهيمنة الفرنسية عليها وفقدان السيادة الوطنية، حيث تم ضم الجزائر لفرنسا تريباً على أنها جزء لا يتجزأ من فرنسا، ولتحافظ على هذا الوضع حرمت أصحاب الأرض من أدنى حقوقهم

(1) عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 126.

(2) عمار بوحوش: مرجع نفسه، ص 132.

(3) عبد الرحمن بن إبراهيم العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1936/1920، ج1، المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر، 1984، ص 24.

(4) في 03 فيفري 1912م صدر مرسوم يقضي بتجنيد الشبان الجزائريين الذين تتراوح أعمارهم ما بين 19 و 20 سنة وذلك للدفاع عن فرنسا بدون أن تمنحهم هذه الأخيرة الحقوق السياسية التي تصحب أداء الواجب العسكري. للمزيد أنظر: عمار بوحوش: مرجع سابق، ص 210.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

السياسية عن طريق الكبت والقمع والقهر، ولكن كل هذه الظروف لم تثني من عزيمة أعيان الشعب الجزائري من أجل مناهضة الاستعمار في شكل مقاومة ثقافية، نظمت في شكل جمعيات ونواد ثقافية تعاملت مع سلطات الاحتلال بالطرق السلمية عن طريق تقديم اللوائح المطلوبة وإرسال الوفود. وفي ذات السياق تدهورت الأوضاع الاقتصادية للمجتمع الجزائري، بعد أن استولت السلطات الفرنسية على جل خيرات وإمكانيات البلاد في كل الميادين وحوالتها لخدمة اقتصادها، بادرت السلطات إلى إصدار جملة من القرارات والمراسيم في ما يخص نزع ملكية الأراضي الزراعية من أصحاب الأرض فمباشرة بعد نجاح الحملة على الجزائر تم إصدار مرسوم، انتقلت بموجبه أملاك حكومة الداى والأحباس للسلطة الفرنسية، ويعتبر الجنرال "بيجو" أحد أكبر رواد هذه السياسة "المخراث والأرض"<sup>(1)</sup> وقد بذلت السلطات الفرنسية ما في وسعها لمصادرة أراضي الجزائريين، حيث حبكت جملة من القرارات لتبرير استحواذها على أراضي وعقارات الجزائريين بنهج مؤسس قانونيا، كتفتيت أراضي العرش والقبائل الجماعية وتجزئتها؛ تمهيدا للسيطرة عليها بسهولة وبأقل جهود، ومصادرة أراضي الثائرين خصوصا بعد ثورة المقراني، والأراضي التي لا يملك أصحابها أوراق ثبوت الملكية، وهي حجج وذرائع واهية ألفتها فرنسا واصبغنها بالنزعة القانونية للاحتلال الأراضي<sup>(2)</sup>. لقد تمتعت الجزائر خلال العهد العثماني وقبل الاحتلال الفرنسي باقتصاد مزدهر رائع تمكن من تحقيق الاكتفاء الذاتي خصوصا وارتكز على النشاط الفلاحي، فقد كانت من أهم الدول في شمال إفريقيا والبحر الأبيض المتوسط إنتاجا للمحاصيل الزراعية المعاشية كالحبوب خاصّة القمح والشعير والخضر والفواكه وكانت الممّول الرئيسي لأوروبا خاصة فرنسا في خضم حروبها "الثورة الفرنسية 1789 ومع نجاح الحملة الفرنسية على الجزائر، شرعت سلطات الاحتلال في تحطيم هذا الاقتصاد وحرمان أصحاب الأرض من خيرات بلادهم، وإبقائهم في حالة التبعية، وجعلهم أقنانا يعملون من أجل الرغيف

(1) انظر: صالح عباد : المستوطنون والسياسة الفرنسية في الجزائر 1870 - 1900 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984 ، ص 10 وما بعدها.

(2) للاستزادة؛ انظر: أحمد حسين السليماني : "نزع الملكية العقارية للجزائريين 1830/1871م" ، مجلة المصادر، العدد 06 ، 2002 ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ، الجزائر، 2002 ، ص 121.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

وإثقال كاهلهم بالضرائب المختلفة، وفي مقابل ذلك جعلت من الوافدين المعمرين أسيادا يمتلكون المزارع بأجود أراضيها، والمصانع ويحتكرون التجارة الداخلية والخارجية، وكل ذلك من أجل إضعاف الجزائري وجعله لا يفكر في سبل كسب قوته، وصرفه عن المقاومة.

من جهة أخرى سعت السلطات الفرنسية إلى هندسة سياسة تهدف إلى هدم البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري من أجل إحكام السيطرة عليه، فالوافدون الجدد من المعمرين الأوربيين كانوا قد شكلوا مجتمعا جديدا داخل المجتمع الأصلي، وقد شكل هذا المزيج نقيضا متمائزا نتيجة الاختلاف في القيم الاجتماعية بين الحضارة الأوربية الغربية و البيئة الإسلامية المحافظة، ونتيجة لهذه الأوضاع الاجتماعية الخطيرة التي كان عليها المجتمع الجزائري، فقد انتشرت البطالة والفقر والجهل مما جعل المجاعات تكتسح هذا المجتمع المقهور.

لقد تغيرت الملامح القيمية للمجتمع الجزائري بعد الاحتلال الفرنسي، فنتيجة تسارع وتيرة حركة الاستيطان الأوربية التي استجلبت فيها السلطات الفرنسية الأوربيين من كل الأصقاع بما فيهم المعارضين السياسيين والمنبوذين والمعتلين اجتماعيا، وما صاحب ذلك من تغير اجتماعي على مستوى القيم والعادات والتقاليد الأصلية للشعب الجزائري المسلم، فجاءوا بأخلاق وقيم أوربية لا تستند لأسس نغلية دينية لا تتوافق والمجتمع الجزائري المحافظ؛ فبدأت أخلاقهم تذوب ضمن منظومة الوافدين الجدد، وحادوا عن القيم الأخلاقية الأصلية الحميدة، وانتشرت الأخلاق والعادات الفاسدة لدى شباب المدن؛ كالخمور والدعارة والتبرج والسمر، في الوقت الذي كان فيه الجزائري يتحلى بالقيم الفاضلة الرفيعة المستمدة من الشريعة الإسلامية السمحة، ذلك أن السياسية الفرنسية الاجتماعية - الثقافية ذات الأبعاد الدينية في الجزائر كانت تهدف إلى سلخ الجزائري عن منظومته الأخلاقية الراقية القائمة على الحياء والاحترام والتضامن والتواصل الاجتماعي والتماسك في أحلك الظروف، من أجل تسهيل السيطرة عليه. من جهة أخرى، فقد تدنى المستوى المعيشي والصحي للجزائريين، بفعل السياسة الاقتصادية الفرنسية في الجزائر القائمة على مصادرة الأراضي الزراعية ومنحها للمعمرين



## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

وجعل أصحابها أقدانا عبدا فيها، ونتيجة لذلك انتشر الفقر وتفشت الأوبئة والمجاعات، وقد أثرت كل هذه الأوضاع على بلورة الوعي النهضوي لدى طبقات الشعب الجزائري.

لقد كان من أهداف الحملة الفرنسية على الجزائر التبشير والتنصير، وجعل الجزائر نصرانية وأكثر من ذلك جعلها بؤابة لنشر المسيحية في شمال إفريقيا وجنوبها<sup>(1)</sup>، ولعل اللعب على وتر الدين له من الأهمية بما كان لفرض السيطرة.

وكانت المؤسسات الدينية أول من وجّه الاحتلال اهتمامه لها نظرا للخطر الذي تمثله تجاه السياسة الفرنسية في الجزائر، فاستصدرتها وحولتها إلى لخدمة مآربها من كنائس وثكنات عسكرية وإسبيلات، ومراكز لحفظ المؤن، إضافة إلى الترويج إلى الخرافة والبدع والشعوذة<sup>(2)</sup> بهدف إشغال الأهالي، وخدمة للسياسة الفرنسية التضييلية.

كما تحكمت سلطات الاحتلال في تعيين القضاة والأئمة والمرشدين الذين كانت تصنعهم بناء على المرجعية الدينية الفرنسية في الجزائر، الهادفة إلى تشويه العقيدة وتحريفها إلى ما يضمن ترسيخ حالة الركود والجمود، وقد أثر ذلك سلبا على ممارسة الشعائر المحمدية بحرية في الجزائر. وقد ارتكزت السياسة الفرنسية في الجزائر على ضرب مقومات الأمة، ولعل أهمها هو الدين الإسلامي، من هذا المنطلق فقد تحول الدين إلى مجرد طقوس، ترسخ ظاهرة الركود والجمود، بعد أن كان مصدر ثقافة

---

(1) لقد سعت فرنسا للترويج للعقيدة النصرانية في البلاد، فقد جاء في تقرير وزير الحربية "كليرمون تونير" للملك شارل العاشر في 14 أكتوبر 1827 ما يلي "إنها حرب صليبية هيأتها العناية الإلهية لينفذها الملك الفرنسي الذي إختاره الله ليثأر من أعداء الدين والإنسانية....المسلمين لعل الوقت سيسجل من حضنا نحن الفرنسيين تمددين الجزائريين بجعلهم مسيحيين"، انظر: بوشابو أحمد وعيزم حسن: تاريخ الجزائر العام والعالم من عهد الدايات إلى الاستعمار الحديث، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2001، ص 170.

(2) لقد استهدفت السياسة الدينية الفرنسية في الجزائر الترويج للخرافات و الأباطيل في وسط السكان وذلك لإبقائهم في حال الجمود والركود وإشغالهم عن الأعمال المناوئة والمضادة، عن طريق دعوة أهل القبور واعتبار أن هذا الاستعمار قدر مقدر عليهم وقد أشار إلى ذلك مالك بن نبي بقوله "وهكذا كان شأن الجزائر، فإنها كانت حتى عام 1925 تدين بالوثنية التي قامت نصبها الزوايا : هنالك كانت تذهب الأرواح الكاسدة لإلتماس البركات ، ولاقتناء الحروز ذات الخوارق و المعجزات ، غير أنه ما إن سطع نور الفكرة الإصلاحية حتى تحطم ذلك المعبد، فخرت الأوثان". انظر: مالك بن نبي : شروط النهضة ، ترجمة : عمر كامل مسقاوي و عبد الصبور شاهين ، ط4 ، دار الفكر، دمشق ، سوريا ، 1987 ، ص 30.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

وحضارة رائدة، وذلك عن طريق التحكم في المؤسسات الدينية، وتزويدها بالأئمة والمرشدين المدجنين والترويج للشرك والوثنية بدعوة القبور، والتضرع لهم، وترك الأسباب التي أمر بها الدين من أجل الرقي أو الحرية أولا. وفي السياق ذاته عملت السلطات الفرنسية على تجهيل الشعب الجزائري فقد كان جل الشعب الجزائري متعلما يحسن مبادئ القراءة والكتابة وهذا ما يتعارض والمشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر، من هذا المنطلق عمدت إلى انتهاج سياسة التجهيل تمهيدا لدمج الجزائريين في الكيان الفرنسي، عن طريق الاستحواذ على المؤسسات التعليمية<sup>(1)</sup>، المحلية التي كانت تضطلع بمهمة نشر التعليم، وكذا طرد ونفي الأئمة والعلماء والمشايخ<sup>(2)</sup>.

ونتيجة للسياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر، فقد ساد مناخ ثقافي يتميز بالتحريف والتشويه الناجم عن استهداف المقومات الأساسية للأمة الجزائرية من دين ولغة وعادات وتقاليد وتاريخ، بغية سلخ أصحاب الأرض من عناصر هويتهم الوطنية، لكن كان لتلك السياسة أثرها في استفزاز الجزائري ليصمد، ويعمل على تربية نشء، سيضطلع بدور النهضة.

في خضم هذه الظروف والأوضاع نشأت وترعرعت النواة الأولى للنهضة الوطنية الإصلاحية المتأثرة بما يحصل في المشرق الإسلامي من نهضة فكرية، تزعمها ثلة من المصلحين وعلى رأسهم جمال

---

(1) تتمثل في المساجد والزوايا والكتاتيب، أ- المساجد : المسجد هو مكان للعبادة و مدرسة لتعليم الناس القرآن والكتابة وتحفيظهم كتاب الله، و هو جامعة مفتوحة تعقد فيها حلقات المستويات، وقد لعب دورا هاما في الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للجزائر خلال فترة الاحتلال، برغم من تضيق الخناق عليه وتحويله إلى كنائس وإسطبلات. ب- الزوايا : لقد ظهرت الزوايا على نطاق واسع في المدن و القرى و خاصة في العهد العثماني، و الزاوية بيت أو مجموعة من بيوت بناها بعض الفضلاء لإيواء الضيوف، و قراءة القرآن، و ذكر الله، وقد لعبت دورا كبيرا في محاربة سياسة التنصير والفرنسة والتجهيل، وحتى أن الكثير من رجال الزوايا والصوفية قادوا ثورات مسلحة ضد العدو الفرنسي. ج - الكتاتيب : مراكز صغيرة نسبيا، غالبا ما تتضمن حجرة أو حجرتين مهمتهما الأساسية تتمثل في تحفيظ و تعليم القرآن الكريم للصبيان، و قد تكون ملحقة بمسجد كبير وتعرف في مناطق أخرى مثل العاصمة بالمسجد، كذلك كان لها دور مهم في نشر التعليم وتحفيظ القرآن الكريم.

(2) للاستزادة، انظر: عبد القادر حلوش : سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر 1914/1870 ، شركة الأمة للطباعة والنشر الجزائر ، 1999.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

الدين الأفغاني، محمد عبده، محمد رشيد رضا وشكيب أرسلان، وقد كانت بوادر اليقظة قد ظهرت منذ فجر الاحتلال.

حيث تحرك أعيان الجزائر لتذكير فرنسا بوعودها التي منحتها للشعب الجزائري وبما أنها كانت منذ البداية لعبة حرب، فقد تنكرت السلطات الفرنسية لها، بالموازاة مع ذلك اندلعت ثورات مسلحة تتميز بعدم الشمول والتزامن والتنسيق، الأمر الذي أدى إلى عدم نجاحها في تحقيق مرادها، مما أدى إلى ظهور بوادر النهضة والمقاومة الثقافية بشكل منظم مع مطلع القرن العشرين حيث بانّت مجموعة من الجزائريين المثقفين حملوا لواء المقاومة الثقافية والسياسية شأن الحركات الوطنية التحررية في العالم. وقد انقسمت هذه الجماعة التي اضطلعت بمهمة المقاومة الثقافية إلى جماعتين: الأولى تعرف بـ: جماعة المحافظين والأخرى جماعة النخبة<sup>(1)</sup>.

أما جماعة النخبة فتكونت من المثقفين باللغتين العربية والفرنسية كالحامين والأطباء والصيدالة وكانت تذهب غير رؤى ومذاهب المحافظين، فارتكزت مطالبهم على المساواة في جميع الحقوق مع المعمرين ومنح الجنسية الفرنسية وإلغاء القوانين الاستثنائية كالأهالي والمحاكم الرادعة والزاجرة، والواقع أن طبيعة تكوين هذه الجماعة فرض عليها انتهاج مثل هذا الدرب النضالي المبالغ في اعتداله إلى درجة المطالبة بالإدماج الغير مشروط. وقد ضمت مجموعة من الشبان المتخرجين من الجامعات الفرنسية أمثال أحمد بوضربة بن بريهمات أحمد، محمد بن رحال الذين أسسوا ما يعرف بحركة الشبان الجزائريين بداية من سنة 1900<sup>(2)</sup>.

---

(1) ويرجع ظهور هذه الفئة بصورة خاصة إلى سياسة فرنسا التعليمية بالجزائر، فمنذ البداية عمل أرباب السياسة والتربية الفرنسيين على عزل الجزائريين عن الثقافة الجزائرية الإسلامية، ومنحهم مقدارا محدودا من الثقافة الفرنسية، لاستعمالهم كواسطة للتواصل مع الشعب الجزائري.

(2) يحيى بوعزيز : الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية من خلال النصوص 1912/1948 ، ط 1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1991 ، ص 23.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

وكان لهذه الجماعة دور مهما في بث الوعي المطلي في أوساط الشباب الجزائري، وإرساء دعائم النشاط السياسي النضالي المحلي بالمطالبة بالتمثيل النيابي في البرلمان الفرنسي والمشاركة في الانتخابات المحلية، ومنح الجزائري حقوقه عن طريق مساواته مع غير من الجنسيات، ورفع الضيم وكل مظاهر الاضطهاد، أما كتلة المحافظين فهي النخبة الإسلامية المحافظة تضم الشيوخ ومدرسي القرآن والمعلمين تعود أصول ثقافتهم إلى الشرق الإسلامي، تبنا أفكار الجامعة الإسلامية الممثل في آراء أقطابها (جمال الدين ومحمد عبده...)، وقد صنعت هذه الظروف والجهود مساحة نهضوية مثلت البادرة الأولى للحركة الإصلاحية للجزائر مع بداية القرن العشرين<sup>(1)</sup>.

وسط تلك الظروف القاهرة التي كان يعيشها الشعب الجزائري في جميع مجالات الحياة؛ بانت البوادر الأولى للعمل الثقافي، لمقاومة المشروع الثقافي الفرنسي في الجزائر، ولاشك أن الجزائر المحتلة كانت نخبة المثقفة تتأثر بما يحصل في الخارج، فقد لاح في الأفق انطلاق نهضة وصحوة في المشرق الإسلامي، مثلها ثلة من المصلحين، الذين سيكون لهم دورهم في خلق القاعدة الإصلاحية في الجزائر وفق مرامي سياسة الجامعة الإسلامية.

---

(1) للاستزادة انظر: إبراهيم مياسي : "إرهاصات الحركة الوطنية الجزائرية 1914/1900"، مجلة المصادر ، العدد 06 ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية ثورة أول نوفمبر ، الجزائر ، 2002 ، ص 133 ، 134.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

### 3- أفكار الجامعة الإسلامية والحركة الوطنية:

لقد انتشرت أفكار أقطاب الجامعة الإسلامية عبر أقطار العالم الإسلامي، خاصة في الأقاليم التي تفتت فيها العزل ولعل أهم علة هي الاستعمار الأوربي الزاحف والتخلف والفرقة، وقد كانت بلاد الجزائر أول البلدان وقوعا تحت هيمنة الاحتلال الفرنسي. من هذا المنطلق فقد كانت أفكار الوحدة والتحرر والخروج من دائرة التخلف التي تبنتها حركة الجامعة الإسلامية قد وجدت موقعها في الساحة النضالية الوطنية الخصبة<sup>(1)</sup> وكانت إحدى عوامل تكوين نواتها الأولى، بالرغم من الأوضاع الخاصة التي كانت تعيشها البلاد والمتمركزة أساسا حول هالة الاهتمام التي أحاطتها فرنسا بالجزائر، لتحوّلها إلى فرنسية وتبقيها كذلك، باستهداف مقوماتها الشخصية خاصة الدين واللغة والتاريخ، لذلك ما كانت فرنسا لتسمح بتسرب أفكارٍ خطيرة كتلك التي روج لها دعاة الجامعة الإسلامية<sup>(2)</sup> وبالرغم من سياسة

---

(1) يشير أبو القاسم سعد الله إلى البعد الذي شكل الأسبقية في احتلال فرنسا للجزائر، بأنه يحمل في ثناياه أول بيئة خصبة لحركة الجامعة الإسلامية والتي لم تظهر بوادرها في المشرق بعد، وأن دارسي الجامعة الإسلامية يرجعون أصلها إلى يومنا هذا إلى الشرق هناك عاملان قد ساهما في تلبس الفهم، أما الأول فهو ربط حركة النهضة الإسلامية بالمسألة الشرقية، أي بالصراع بين الدولة العثمانية وبين ميزان القوة الأوربي في شرق البحر الأبيض المتوسط، وبناء على هذا الفهم فإن ظهور الجامعة الإسلامية كان يعني حملة مقاومة ضد التأثير الأوربي في المنطقة وتدعيم تضامن ووحدة المسلمين أما العامل الثاني فهو قبول الكتاب الأوربيين والعرب أيضا، لفكرة وحدة الجزائر وفرنسا واقعيًا وقانونيًا، وعلى أساس هذه الفكرة فإن إفريقيا الشمالية عامة، والجزائر خاصة قد أهملتا كعاملين في تطور الجامعة الإسلامية والقومية العربية. في الحقيقة يمكن أن نساند طرح الدكتور أبو القاسم نظرا للسوابق التاريخية لحركة الجامعة الإسلامية في مفهومها التاريخي، والذي كان موجودا وامتدادا بطريقة آلية، منذ عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بحيث استمر العالم الإسلامي تحت قيادة الجامعة الإسلامية إلى غاية جامعة العثمانيين التي تعتبر الجزائر أول رقعة = جغرافية سياسية تقتص وتستخلص منها خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، بذلك فقد عبر هذا الحدث التاريخي عن أبعاد منها أن الجزائر كانت أول بؤرة للصراع النصراني الإسلامي، الذي جسد بداية نهاية الجامعة الإسلامية العثمانية، وأن مختلف المقاومات التي شنت، في وجه الاستعمار مثلت أول تحدي لأهداف الجامعة الإسلامية. انظر: أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، مرجع سابق، ص 109.

(2) من جهة أخرى فقد كان رواد الجامعة الإسلامية أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، لا يتعرضون لفرنسا وسياسيتها الاستعمارية، كونهم جعلوا من الأراضي الفرنسية قاعدة لنشاطهم الإصلاحية، والصحفي من خلال إطلاق الجرائد كالعروة الوثقى ويشير أبو القاسم سعد الله إلى أن الجزائريين أنفسهم أوصوا الشيخ محمد عبده بأن لا يتعرض للسياسة الفرنسية بسوء في الجزائر بغية مواصلة النشاط، ودخول المنار للجزائر، وأنها في نظرهم "مدد الحياة لنا فإذا انقطع انقطعت الحياة. انظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ط6، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 587.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

التطويق التي انتهجتها فرنسا لإجهاض مشروع الجامعة الإسلامية، فقد وجدت أفكار هذه الأخيرة منافذها للمرور لأرض الجزائر، حيث كان لها صدى واسعاً، في بث الوعي الإصلاحي النهضوي في أوساط الطبقات المثقفة في المجتمع الجزائري.

والذي شكل البادرة الأولى للتيار الإصلاحي في الجزائر من خلال تأثير طائفة وجمهرة بأفكار جمال الدين ومحمد عبده و رشيد رضا وأرسلان - وهم بالجملة أقطاب حركة الجامعة الإسلامية في مفهومها الحديث والمعاصر - عرفت بجماعة المحافظين<sup>(1)</sup> التي تكونت من المثقفين التقليديين وهم خريجي المدارس القرآنية وجامعات الشرق<sup>(2)</sup>، من أمثال الشيخ عبد القادر مجاوي<sup>(3)</sup>، وعبد الحليم بن سماية<sup>(4)</sup>، ومولود بن موهوب...<sup>(5)</sup>. لقد شكّلت هذه الفئة من المجتمع المثقف

(1) يعرف الدكتور أبو القاسم سعد الله المحافظية (( بقاء الحالة الراهنة لمعارضة الأفكار الغربية، والتجنيس، والتجنيد الاجباي في الجيش الفرنسي وكل الخطط التي قد تدخل تغييرات متطرفة إلى المجتمع الجزائري. أما على المستوى الثقافي فإن المحافظة الجزائرية تعني المحافظة على النظم الإسلامية، والتعليم العربي، والقيم القديمة)). أنظر: أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية ، ج2 مرجع سابق ، ص 145.

(2) نتيجة نشاط الهجرة الجزائرية نحو الشرق، لأهداف متعددة، ظهرت هذه الطائفة التي شربت من معين أفكار الجامعة الإسلامية في المشرق، فعادت وهي متشعبة بمختلف أفكار تيارات الجامعة الإسلامية على غرار الفكر السلفي الوهابي.

(3) هو الشيخ عبد القادر بن أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم، نسبة إلى مجاوة قيل هي قبيلة في الشمال الغربي للمغرب الأقصى ولد في تلمسان في سنة 1848، درس في تطوان المرحلة الابتدائية والثانوية ثم درس بجامعة القرويين، انتقل إلى قسنطينة بذل = جهوداً في التربية والتعليم، ثم انتقل إلى العاصمة، من مؤلفاته: منظومة اللمع في إنكار البدع، إرشاد المتعلمين في مبادئ العلوم نصيحة المريدين، الدرر النحوية زهرة الطرف في المعاني والصرف، وله كذلك جملة من المقالات في الصحف الجزائرية العربية. توفي سنة 1913. انظر: محمد علي دبور : نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة ، ج 1 ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، 2007، ص 82-105.

(4) هو الشيخ عبد الحليم بن علي بن سماية عالم ومصالح ولد سنة 1866 بالجزائر العاصمة، حفظ القرآن الكريم ومختلف المتون ثم تدرج في العلوم فنبغ في اللغة العربية والأدب والفقه والتفسير، تولى التدريس في المدرسة الحكومية، درس في المدرسة الثعالبية كان من أشد الناقمين على الاستعمار الفرنسي عمل صحفياً في عدد من الصحف الجزائرية والتونسية له عدة كتب في الفقه والفلسفة والتصوف لكنها كلها مفقودة، أشاد به كثيراً الشيخ محمد عبده في زيارته للجزائر سنة 1903 أصيب بالجنون في آخر أيامه وتوفي سنة 1933. انظر: صاري جيلالي : بروز النخبة المثقفة الجزائرية ، (1850-1950) ، ترجمة : عمر المعراجي ، الوكالة الوطنية للنشر والإشهار ، الجزائر 2007 ، ص 45-63.

(5) مولود بن محمد السعيد بن الشيخ المدني، ولد في 1863 بقسنطينة، وشأنه شأن العلماء فقد حفظ القرآن الكريم، وتدرج في العلم، صاحب الشيخ المجاوي، درس في الكتانية، وفي الجامع الكبير بقسنطينة وكان مفتي المدينة، وعضواً في مجلس الصداقة

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

الجزائري النواة الأولى لحركة الجامعة الإسلامية في الجزائر التي دعا لها أقطابها بقيادة جمال الدين فمثلة القاعدة الأولى للعمل الإصلاحي الذي كان الشعب الجزائري بأمر الحاجة إليه، ذلك أن المجتمع الجزائري مسلم بطبعه يشكّل الدين الإسلامي أحد أهم عناصر وحدته القومية، وعليه فقد وجدت أفكار الجامعة الإسلامية مواضع الداء الذي استهدفته، فاعتنق فكرها ثلة من المصلحين الجزائريين ذوي النزعة الإسلامية. ونتيجة تجذر الاحتلال فقد كان عملهم الإصلاحي وسط بيئة استعمارية قاهرة تميّز بالرقابة الشديدة الخانقة، الرامية إلى اجتثاث كل عناصر التشويش وإبقاء الجزائر مستعمرة هادئة.

من هذا المنطلق فقد عملوا لدى السلطات الاستعمارية كموظفين حكوميين في المدارس الحكومية الفرنسية، كالشيخ عبد القادر المجاوي وعبد الحليم بن سماية وابن موهوب، وبن خوجة فكان يجب عليهم انتهاج أسلوب المراوغة والتكيف حسب الظروف من أجل بث نشاطهم الإصلاحي الشحيح، في أوساط الشعب الجزائري المضطهد، ولكل حركة إصلاحية بداية صعبة<sup>(1)</sup> خصوصا مع احتلال لا زال يفرح بنجاح حملته على الجزائر سنة 1830، ولا زال يخطط بدقة للحفاظ عليها فرنسية، وفي المرحلة التالية سيظهر خلفاء المحافظين المتشبعين بأفكار الجامعة الإسلامية من أمثال عبد الحميد بن باديس و محمد البشير الإبراهيمي وأحمد توفيق المدني، الذين غيّرُوا من

---

الإسلامي، وعضوا في جمعية الصالح باي الثقافية، له العديد من المؤلفات نذكر منها: نظم مقدمة ابن آجروم، مختصر الكافي في العروض والقوافي، توفي 1930. انظر: محمد علي دبور: مرجع سابق، ج 1، ص 135-143.

(1) لا يوجد استدلال أحسن من شواهد السيرة النبوية، فقد بدأ النبي محمد صلى الله عليه وسلم دعوته بالسر طيلة ثلاث سنوات حتى تكونت النواة الأولى للمسلمين، ثم أذن له بالجهار بالدعوة، وطلية العهد المكّي أي ثلاث عشرة سنة وهو يعاني رفقة أصحابه من اضطهاد قريش، ولكن لم يخرج المسلمون سيوفهم من أعمادها إلى غاية الهجرة إلى المدينة، حيث توفرت مختلف الظروف لحمل السلاح في وجه أعداء الدعوة، لم يشرع الجهاد في المرحلة الأولى حتى تقوى الدعوة، ولكي لا يستطيع الأعداء احتشائها مثلما تجتث البنت الصغيرة، كذلك فعل رواد الإصلاح الجزائريين مع فجر النهضة فكان لا بد عليهم من تأليف الرجال والعقول لمرحلة أخرى لعلها تأتي بالتغيير.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

نُهجهم الإصلاحية ليكون أكثر فعالية<sup>(1)</sup>. لقد مثّلت كتلة المحافظين القاعدة الأولى للحزب الإصلاحية في الجزائر، حيث نشرت نشاطها الفعال في أوساط الشعب الجزائري، واستهدفت إحياء العقيدة والثقافة الإسلامية الصحيحة لكي تقاوم المشروع الثقافي الفرنسي في الجزائر، خدمةً لمرامي الجامعة الإسلامية، ذلك أن الهدف الأسمى لهذه الجامعة؛ رابطة الإسلام القاسم المشترك بين كل البقاع الإسلامية، والذي دعا لتجديده كل من جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، رشيد رضا وشكيب أرسلان، وتخليصه من الشوائب التي حالت دون تقدّم المسلمين واشتغالهم بقضايا عصرهم المهمة، ولعل أهم قضية شكّلت تحدياً حضارياً أنذاك هي العقيدة، التي سعى أقطاب الجامعة الإسلامية إلى تصحيحها ورفع التحريف عنها وقد كان لأفكارهم القاعدة الأساسية للمدرسة الفقهية والعقدية للجامعة الإسلامية التي تأثر بها رواد الإصلاح في الجزائر، فقد كانت وجهتهم التجديدية ذات النزعة الإسلامية دائماً موجهة نحو المشرق<sup>(2)</sup>. لذلك فقد كان قطب الإصلاح الشيخ عبد الحلیم بن سماية أول من درس "رسالة التوحيد" للشيخ محمد عبده<sup>(3)</sup>. وانتهج سيرة الشيخ محمد عبده في الإصلاح عن طريق إصلاح النفوس بالدين الصحيح والقضاء على البدع، وتحسين طرق التعليم وإنشاء شباب مسلم ممتلئ بدينه، يفهم القرآن ويجعله دستوراً، يقول الشيخ عمر راسم "والشيخ عبد الحلیم بن سماية أول من درس رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، وأول موحد على الطريقة السلفية". وكان يكتب الشيخ محمد عبده ويكاتبه، وكان صديقاً، للشيخ محمد رشيد رضا والعلماء

---

(1) بالرغم من الظروف الاستعمارية التي كان يعيشها المحافظون الجزائريون إلا أنه لم يتوانوا في توريث بعض الجرأة للجيل اللاحق من ذلك خطاب عبد الحلیم بن سماية يوم 25 جويلية 1911 أمام جمع غير من الجزائريين حول موضوع التحنيد الإجباري وإعلانه أمام السلطات رفضه القاطع لهذه السياسة التي تجعل الجزائري يدفع ضريبة الدم من أجل الفرنسي المسيحي. أنظر: عبد الرحمن الجليلي: تاريخ الجزائر العام، ج 4، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر - دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1982، ص 401.

(2) لقد كانت أرض المغرب على مر العصور الإسلامية أرضاً خصبة لمختلف الأفكار الوافدة من الشرق الإسلامي، خاصة ما تعلق منها بأفكار العقيدة ذات الأبعاد السياسية، من ذلك تأسيس الخوارج الإباضية أول دولة لهم على أرض المغرب الأوسط والدولة العلوية الشيعية على أرض المغرب الأقصى ثم تأسيس صرح الدولة الشيعية العبيدية الفاطمية على أرض الجزائر... والشواهد التاريخية كثيرة.

(3) عبد الرحمن الجليلي: مرجع سابق، ج 4، ص 406.



## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

المصلحين في العالم الإسلامي كله. ولما زار الشيخ محمد عبده الجزائر في 1903 كان الشيخ عبد الحليم بن سماية رئيس لجنة العلماء الذين استقبلوه، وكانوا حاشيته طيلة أيام الزيارة، وقد أعجب الشيخ محمد عبده بالعلماء الجزائريين المسلمين سيما الشيخ عبد الحليم و الشيخ محمد بن خوجة وقد أثنى عليها الشيخ رشيد رضا في تاريخ "الشيخ محمد عبده" بقوله "ومن خيار العلماء في الجزائر الشيخ محمد بن خوجة صاحب المصنّفات، والشيخ عبد الحليم بن سماية، وقد عهد هؤلاء الفضلاء للشيخ محمد عبده أن يوصي صاحب المنار أن لا يذكر في مجلته "دولة فرنسة" بما يسوؤها لأن لا تمنع المنار من الجزائر، وقالوا له إننا نعدده مددا لنا فإذا انقطع انقطعت الحياة عنا، وقد وجد الشيخ محمد عبده حزبا دينيا ينتمي إليه من حيث لم يكن يعلم، وإنما الصلة بينهم وبينه مجلة المنار"<sup>(1)</sup>. وفي خضم زيارة محمد عبده للجزائر تأثر بن سماية وترك في نفسه أجمل الذكريات؛ فعبر عن ذلك بقصيدة أرسلها إليه في القاهرة نشرها الشيخ رشيد رضا في مجلة المنار وهي في خمسين بيت؛ منها:

فأنت لنا شمس تنير على المدى	أتى نورها من غير أن نتلّعا
أدير بذكراك الذي منك قد مضى	فأشرب كأسا بالصّفاء مشعّعا
يذكرنيك المجد والعلم والتّقى	فأنظر من عليك عرشا مرفعا
وتلوى إلى تلك المجالس فكري	فتترك قلبي بالخيال ممتعا
محافل كان العلم فيها مجالسي	أسامر بدرا بالجلال تقنعا
فاسمع فصلا من حكيم وحكمة	إذا ما بدت خرت ذرى الزرور ركعا
فما بال أقوام هدى الله عقلهم	يمارون فيه والسحاب تقشعا
ألم ينظروا الآثار تشهد بالعلی	وأن نبیع الماء یوجب منبععا
لسان متى يوما تألق برقة	یسبح رعد السامعین لما دعا
یطالب بالأعمال فی العلم أهله	وحق له من عالم قد تضلّعا
لعمرك ما تغنی العلوم وحفظها	إذا لم تكن فیها خطیبا ومصقعا

(1) انظر: الشيخ محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، ج 1، مصدر سابق، ص 781.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

تحس بها كالماء يسري بعوده متى رماه فكر الأمر تجمعا<sup>(1)</sup>

ومن علماء الجزائر أيضا المتشبعين بأفكار رواد الجامعة الإسلامية الشيخ المصلح محمد بن محمد بن خوجة، الذي كان من أكبر تلامذة محمد عبده، الناشرين لمذهبه في الجزائر، فكان يقرأ كتبه ويث أفكارها في المثقفين، ويطلع على مقالاته في لسان الجامعة الإسلامية " العروة الوثقى " ويذكر الشيخ محمد علي دبوز أن محمد بن خوجة كان من ملازمي الشيخ محمد عبده عند زيارته للجزائر، والذي أعجب الشيخ عبده بعلمه وذكائه وجهاده في الإصلاح، فأثنى عليه الشيخ محمد رشيد رضا في "تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده" بقوله: " ... ومن خيار علماء الجزائر الشيخ محمد بن مصطفى بن خوجة صاحب المصنفات " (2).

وكان الاستعمار يمنع الصحافة العربية الوطنية من الانتشار، فوجد الشيخ محمد بن خوجة في مؤلفات محمد عبده وفي المنار أنجع وسيلة للإصلاح الذي ينشده، فكان يقرأ المقالات الإصلاحية لرشيد رضا وجمال الدين الأفغاني ويشرحها ويعلق عليها، ولما طبع تفسير سورة العصر للشيخ محمد عبده، وهو جزء من الدرس الذي ألقاه أثناء تواجده بالجزائر، فرح بذلك ودرسه للناس عشرة مرات في مجالسه، وعلى إثر طبع تفسير صورة العصر كتب الشيخ محمد بن مصطفى رسالة إلى الشيخ محمد عبده "وقد اطلعت في المنار الأنوار على تفسير سورة العصر بقلمكم البديع، فراقني أسلوبه الفائق العجيب، وأخذت مني منزعه العجيب، فله أنتم ولله دركم أما بعد غوركم الصائب، وغوص ذهنكم الثاقب، في استنباط دقيق المسائل، وتقرير حقائق الفضائل ولشدة شغفي به قرأته على ملاء عظيم من العلماء والطلبة والأعيان عشرة مرات في مجالس متفرقة فاستحسنوها جدا، واستجزلوا فوائده، وأبدوا من السرور ما لا مزيد عليه، وأثنوا على جانبكم السامي بما أنتم أهله، ودعوا لكم من صميم الفؤاد بسعادة الدارين" (3).

(1) محمد علي دبوز : نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة ، ج1 ، مرجع سابق ، ص 125.

(2) محمد علي دبوز : ، مرجع نفسه ، ص 128 - 129.

(3) محمد علي دبوز : نفسه ، ص 129.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

وإلى جانب أولئك العلماء، فقد برز الشيخ عبد القادر مجاوي الذي بدوره تأثر بأفكار أقطاب الجامعة الإسلامية، خصوصا في محاربة البدع وبذل أسباب الحضارة، فكان حربا على الخرافات التي انتشرت في المجتمع وعلى أصحابها، فسعى لتبيان مضارها على الجزائريين وفتكها بهم، ليظهر عقولهم. وقد ألف في ذلك منظومة سماها " اللّمع في إنكار البدع "، وقد سار على نهجه تلميذه الشيخ المولود بن سماية، في محاربة البدع وتنقية الدين من البدع؛ فقام بشرح هذه المنظومة وطبع<sup>(1)</sup>.

لقد أثرت أفكار الجامعة الإسلامية، في بلورت الفكر الإصلاحي لدى رجاله في الجزائر فاضطلعوا في التمهيد للبنية الإصلاحية، التي شكلت القاعدة الأولى لمبدأ التغيير، في ظروف صعبة شكلتها سياسة القهر الاستعماري، وقد انتهج رواد الإصلاح في الجزائر النهج الديني، الذي أخذوا أفكاره من منبع التجديد في المشرق على يد أقطابه محمد عبده وجمال الدين الأفغاني و محمد رشيد رضا، الذين سعوا إلى إحداث نهضة شاملة.

من منطلق الدين الإسلامي الجامع لمختلف أقاليمه في أقطار المعمورة. وفي ذلك يقول شيخ المصلحين محمد البشير الإبراهيمي<sup>(2)</sup> "إن أول صحيحة ارتفعت في العالم الإسلامي بلزوم الإصلاح هي صحيحة إمام المصلحين الشيخ محمد عبده، وجاهر بدعوة المسلمين في المشرق والمغرب إلى الرجوع للدين الصحيح<sup>(2)</sup>، والتماس الهداية من القرآن والسنة، وأن لا فلاح لهم في دنياهم وأخرهم إلا بالعودة إلى تلك المنابع الصافية ... إن تلك الصّيحة كانت صرخة في آذان المتربصين بإسلام، ولآذان المبطلين من تجار الولاية والكرامات، وللعلماء الجامدين أيضا لذلك كذبوه وعارضوه

(1) محمد على ديبوز : مرجع سابق ، ج 1 ، ص 90.

(2) من خلال السيرة العلمية للشيخ محمد عبده، فقد بدأ تكوينه العلمي على النمط التقليدي الأزهري، الذي يعتمد على مبدأ تقديس النقل وتقديمه على العقل، أي المنقول ( القرآن والسنة ) ثم المعقول، ثم خرج من هذه القوقعة المنهجية، بعد نمو النزعة العقلية لديه، خاصة بعد تعرفه على جمال الدين الأفغاني، فصار يقدم العقل على النقل، وينتقد العقائد الفاسدة ذات المبدأ "اعتقد ولا تنتقد" . والشيخ البشير الإبراهيمي، يساند سلفية الشيخ محمد عبده في محاربة البدع والخرافات التي جعلت من الدين مجرد طقوس و شطحات ولكن يخالفه في مسألة تقديس العقل وتقديمه على النقل.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

وقاوموا حركته... وحمل لواء الإصلاح بعده تلميذه و وارث علومه السيد محمد رشيد رضا<sup>(1)</sup>.

لقد ورث تلك النواة الإصلاحية التي اضطلع بتكوينها رواد النهضة في الجزائر؛ أمثال عبد الحليم بن سماية وعبد القادر مجاوي وابن موهوب وغيرهم، نخبة من الجيل الثاني الذين أخرجوا نهج الإصلاح للعلن و جعلوه أكثر فعالية في إحداث التغيير وصناعة العقول القادرة عليه، من منطلق إصلاح العقيدة التي بني عليها الفكر الجزائري، ومحاربة البدع والخرافات التي روج لها الاحتلال. للنهوض بالأمة من التخلف و الهيمنة الاستعمارية إلى الحرية والسيادة والحضارة، وظهرت تجليات هذا التيار الإصلاحي في حلته الجديدة مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي كوّنهما كوكب من أقطاب الإصلاح وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس ، محمد البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي أحمد توفيق المدني... وغيرهم.

وفي البعد السياسي وتأثير أقطاب الجامعة عليه من خلال أفكار جمال الدين الأفغاني -الداعية إلى الإصلاح وبالموازاة مع ذلك الخوض في القضايا السياسية- فقد شهدت الساحة النضالية في الجزائر تطورا جديدا تمثل في بروز الحركة المطلبية من خلال تشكيل الوفود وتقديم العرائض (المطالب) ففي سنة 1908 تم تأسيس "لجنة الدفاع عن صالح المسلمين الجزائريين" وكان من أبرز نشاطها عمر بوضرية والحاج موسى التهامي، وقد اضطلعت هذه اللجنة بالدفاع عن حقوق الجزائريين المهضومة. وفي سنة 1912 تبلور الوعي الإصلاحي في الجزائر وظهرت حركة الشباب الجزائري أو " الجزائر الفتاة " في إطار التعايش الأوربي وسياسية خذ وطالب وهي توحى بمدى تعلق الشباب الجزائري بالنهضة في الدولة العثمانية، من خلال الاقتباس من "حركة تركيا الفتاة" وكان من بين أولئك الشباب إلى: الصادق دندان، الحاج عمار، أحمد بن إسماعيل بوضرية<sup>(2)</sup>. لقد مثلت حركة الشبان

(1) محمد البشير الإبراهيمي : آثار البشير الإبراهيمي ، ج1 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1978 ، ص 113.

(2) يحي بوعزيز : مرجع سابق ، ص 23.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

الجزائريين بقيادة الأمير خالد بن الهاشمي<sup>(1)</sup>، النزعة الإصلاحية لحركة الجامعة الإسلامية، بالرغم من أن قادتها شكلوا مزيجاً نضالياً يجمع بين الأصالة الإسلامية والثقافة الغربية المعاصرة، من خلال مباشرة الإصلاح المرتكز على نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة بين الأهالي ومحاربة البدع والخرافات، والوقوف في وجه السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر، وهو نهج الشيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضا. ثم العمل السياسي والمطالبة بالحقوق السياسية وهو نهج الشيخ جمال الدين الأفغاني وشكيب أرسلان، من هذا المنطلق طالبت الحركة بالتعليم للمسلمين والتمثيل في المجالس المحلية وفي البرلمان الفرنسي، وإلغاء القوانين الاستثنائية، بالمساواة دون التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية، وقد كان للحركة مطية صحافية مثلتها جريدة الإقدام<sup>(2)</sup>. من هذا المنطلق برز الأمير خالد وحركته كشخصية وطنية ذات ثقل سياسي وروحي، متأثر بنهج الإصلاح لدى الجامعة الإسلامية وفكر أقطابها، تجلّى ذلك في نشاطه الحثيث في الدفاع عن الإسلام وهو العنصر الرئيسي لمشروع الجامعة الإسلامية، ونتيجة لجرأته السياسية ترأس الوفد الذي قدم عريضة مطالب إلى الرئيس الأمريكي "ويلسون" خلال انعقاد مؤتمر الصلح بفرساي بباريس عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى<sup>(3)</sup>. لقد برزت نزعة الأمير خالد وحركته الإسلامية المعارضة للتوجه الإدماجي الذي تزعمه ابن التهامي الأمر الذي أدى إحداث الشقاق في صفوف النخبة، ونتج عن ذلك انفلاقها إلى تيارين تيار الأمير خالد

(1) ولد الأمير خالد بن الهاشمي بن الأمير عبد القادر بمدينة دمشق في 20 فيفري 1875م و بها تربى و حفظ القرآن الكريم انتقل مع والده إلى الجزائر و بها تابع دراسته الابتدائية و منها التحق بباريس و حصل بها على شهادة بكالوريا علوم التحق بالمدرسة العسكرية سان سير عام 1892م دون رغبة منه ففرضت عليه الإقامة الجبرية مع عائلته في بوسعادة ، جند في الحرب العالمية الأولى و أعفي منها سنة 1915م ثم تقاعد سنة 1919م ساهم في ميلاد النهضة الوطنية، نفي سنة 1923م إلى سوريا و بها توفي سنة 1936. من خلال سيرة الأمير خالد يتضح لنا نزعته الإسلامية، كونه من أصل شريفي من نسل الأمير عبد القادر بن محي الدين الحسيني، وكان يدعو إلى تحقيق مبادئ الجامعة الإسلامية ولكن بطريقه غير مباشرة ليتجنب المواجهه الخاسرة مع السلطات الفرنسية، كون مسرح الدعوة يتحكم فيه الاحتلال. انظر: يحيى بوعزيز: مرجع سابق ، ص 35.

(2) جريدة الإقدام (1923/1919) أصدرها الأمير خالد في فيفري 1919م بمعية زملائه كالصادق دندان و الحاج عمار وكانت ناطقة بالفرنسية ، و بعد انقسام النخبة أصبحت تصدر بالعربية و الفرنسية و تولى الأمير الإشراف على القسم العربي للمزيد انظر : محمد ناصر : الصحف العربية 1939/1843 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980 ، ص 49.

(3) انظر: بوحوش عمار : مرجع سابق ، ص 219 .

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

الإصلاحي المنتسب إلى جماعة النّخبة المحافظة، التي تستمدّ أفكارها من أقطاب الجامعة الإسلامية، وتيار ابن التهامي المنتسب إلى التيار الليبرالي المفرنّس. لقد كان لفكر الجامعة الإسلامية بالغ الأثر في ظهور الحركة الوطنية الإصلاحية، نتيجة تسرب أفكارها عبر الصحف كالمنازل، لصاحبها محمد رشيد رضا، رفقة شكيب أرسلان، ومجلة العروة الوثقى لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده. ثم شكّلت زيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر سنة 1903 الانتقال الفعلي والميداني لفكر الجامعة من خلال المحاضرات والدروس التي ألقاها الشيخ عبده، والتي رسمت المعالم الكبرى للحركة الإصلاحية في الجزائر، والتي ستظهر بشكل جلي مع تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي تعتبر امتدادا للفكر "العبدوي" هذا ما عبر عنه الشيخ عبد الحميد بن باديس بلغة صريحة ومباشرة كرد على خصمه في الإصلاح بوصف أتباعه بالعبديين- في مقال له في مجلة السنة بعنوان "عبدالويون ثم وهابيون" ومما جاء فيه «لما قمنا بهذا وأعلنناه [أي منهج محمد عبده في الإصلاح الديني] قامت علينا الدنيا ومن وافقنا قيامة أهل الجمود والركود وصاروا يدعوننا للتنفير والحط منا عبداويين»<sup>(1)</sup>

وفي ذات السياق فإن الحركة الوهابية تعتبر من أبرز التيارات الإصلاحية للجامعة الإسلامية والتي سار على نهجها رواد جمعية العلماء المسلمين، هذا ما أورده الأستاذ الزاهري العضو الإداري لجمعية العلماء المسلمين في مقال له في مجلة الصراط بعنوان "الوهابيون سنيون حنابلة" أوضح فيه سلامة المنهج العقدي والمنظومة الإصلاحية لهذه الطائفة التي قامت على أنقاض الشرك وكل مظاهر الانحراف<sup>(2)</sup>. من خلال استقراء تاريخ الحركة الإصلاحية الجزائرية إبان عهد الاحتلال الفرنسي، يتضح لنا بروز النهج التجديدي على مستوى الفكر الإسلامي العقدي الذي دعا إليه أقطاب الجامعة الإسلامية (جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، محمد رشيد رضا، شكيب أرسلان) من خلال نبذ

(1) عبد الحميد بن باديس: "عبدالويون ثم وهابيون"، مجلة السنة، السنة الأولى، العدد: 3، الاثنين 29 ذي الحجة 1351/ 24 أبريل 1933، قسنطينة، الجزائر، ص 1.

(2) الأستاذ الزاهري: "وهابيون سنيون حنابلة"، الصراط، السنة الأولى، العدد: 5، الاثنين 26 جمادى الثانية 1352هـ/ 16 أكتوبر 1933، قسنطينة، الجزائر، ص 4.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

البدعة والخرافة والقدرية والمكتوب وتقييد العقل وتكبيله، وجعل الشريعة مرنة تتكيف حسب الظروف المستجدة والمعاصرة، وكذا الخوض في السياسية بطريقة مباشرة أو عن طريق المراوغة إلى أجل مسمى.

**ثانياً: منابع آراء أقطاب الجامعة الإسلامية وتطور القاعدة الإصلاحية في الجزائر.**

منذ أن ظهرت حركة تجديد وبعث للجامعة الإسلامية، لتجسيد أهدافها عبر مخلف الأقاليم الإسلامية وأقطابها " جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، محمد رشيد رضا وشكيب أرسلان" يحاولون خلق منابع لها عبر بقاع المعمور الإسلامي، خصوصاً بعد تبني أفكارها من طرف السلطان عبد الحميد الثاني، الذي سعى إلى توظيف كل إمكانياته لخدمة أهدافها ضمن إطار الدولة العثمانية. وقد كان الشرق الإسلامي معقلاً لأفكار الجامعة الإسلامية وكانت الجزائر أرضاً مستجلبتاً لها الأمر الذي أدى إلى خلق قاعدة إصلاحية كما رأينا ذلك سالفاً، واستمرت في التطور عن طريق تواصل وفود تلك الأفكار والآراء إلى بلاد الجزائر، بالرغم من محاولات فرنسا لغلق تلك المنافذ، عن طريق انتهاج سياسة تطويق محكمة، لمنع مرور أفكار أقطاب الجامعة الإسلامية إلى أوساط الشعب الجزائري المسلم، خاصة الطبقة المثقفة ذات الميول المحافظة التي شكلت القاعدة الإصلاحية في الجزائر.

### 1 - وفود الشيخ محمد عبده للجزائر:

لقد شكلت زيارة محمد عبده للجزائر سنة 1903 محطة مهمة في تاريخ تكوين وتطور حركتها الإصلاحية المرتكزة على مبادئ الجامعة الإسلامية، والتي يعد الشيخ محمد عبده من أكبر رجالها وأقطابها من الذين نظروا وهندسوا مشروعها، ذلك أنه شكّل ثقلاً إصلاحياً في الشرق وفي كل أقطار العالم الإسلامي في المعمورة، وتعود شهرة الإمام عبده إلى سعة علمه، وغزارة معارفه، وإلى جرائته في طرح أفكاره، والصدع بآرائه، فحرك السواكن وأثار الرواكد وكان معتنقو فكره في العالم الإسلامي يسمون بـ "العبديون"، نتيجة تسريه عبر منفذ الحج الذي كان فيه الدعاة الجامعة والوعاظ يدعون إلى التغيير بدعم من السلطان عبد الحميد الثاني، وكذا عن طريق مطية الصحافة، المتمثلة في جريدة العروة الوثقى ثم المنار، من هذا المنطلق فقد وجد الشيخ عبده الأرض خصبةً لأفكاره و وجد حزبه الإصلاحية على المستوى العقدي موجوداً، وكان عليه أن يبذل أسباب دعمه تطويره.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

زار الإمام محمد عبده تونس والجزائر، ولم يكن يعلم بوجود "حزب عبدوي"، وسط الزخم الإصلاحية الذي كان قد وصل إلى حد التباین خصوصاً، ما تعلق منه بالبعد العقدي وقضية التجديد<sup>(1)</sup>، والموازنة بين المعقول والمنقول، فسمي أتباعه "العبدويون" لتمييزهم بنوع من السخرية على أنهم على نهج الشيخ محمد عبده ورفقائه في ذلك "الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد رشيد رضا" وكرد على التيار المناقض للتجديد الديني للخروج بالأمة من غياهب الجهل، وصف أحد أعلام الإصلاح في الجزائر وهو عمر راسم جريدته "ذو الفقار" بأنها جريدة "عبدوية"<sup>(2)</sup> ليؤكد على تمركز نهج فكر الجامعة الإسلامية الوحدي التجديدي الذي مثله ثلّة من أقطاب التجديد ذوي النزعة الإسلامية القائمة على الوحدة من أمثال عبد الحليم بن سماية، المولود بن موهوب، بلقاسم بن سديرة والمكي بن عزوز. لقد أشار عثمان أمين<sup>(3)</sup> في رسالته حول محمد عبده إلى وجود حزب إصلاحية كبير ينتمي إلى الشيخ محمد عبده في كتابه "رائد الفكر الإسلامي محمد عبده"، بقوله: «وكان للأستاذ الإمام أثراً ظاهراً في إفريقيا الشمالية بفضل مجلة المنار، وفي صيف 1903 أراد الأستاذ الإمام إبان عودته من أوروبا أن يقف بنفسه على أحوال المسلمين في شمال إفريقيا، فقام بجولة في تونس والجزائر، وقد اكتشف هناك كما قال كاتب مقال في جريدة "لوتان" وجود حزب إصلاحية كبير ينتمي إليه ونذكر من أنصار تجديد الإمام عبده في الجزائر الشيخ محمد بن خوجة وهو

(1) لقد انتشرت البدع والخرافات والأباطيل في المجتمع الجزائري آنذاك بشكل خطير وأصبحت الميزة المتجذرة في الحياة الدينية نظراً لتعشيش الطريقة الصوفية والتي كان بعضها يركز على عقائد تخدم الاستعمار، وتجعل من ذهنية الجزائري سهلة للسيطرة، من منطلق القدرة وأن الاستعمار مقدر ومكتوب، لذا يجب عليهم الرضى والقنوع بقضاء الله لأن ذلك من الإيمان، وفي مقابل ذلك دعا محمد عبده ورفقاؤه في العقيدة بضرورة التجديد ونقد "مبدأ اعتقد ولا تنتقد" وبذل أسباب النهضة للخروج من ظاهرة الخمول والتقليد، والتعايش مع معطيات العصر المستجدة.

(2) محمد الهادي الحسني: نجوم ورجوم، الشروق للإعلام والنشر، الجزائر، 2012، ص 176.

(3) من أهم أساتذة قسم الفلسفة بجامعة القاهرة ومفكره، وصاحب الجوانية، تحصل على الليسانس من جامعة القاهرة سنة 1930 ودرس على يد شيخ الأزهر مصطفى عبد الرزاق تلميذ الشيخ محمد عبده، سافر إلى باريس في بعثة دراسية أرسلتها كلية الآداب لدراسة الدكتوراه بالسربون، حيث نال شهادة الدكتوراه حول الشيخ محمد عبده "رائد الفكر الإسلامي محمد عبده"



## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

مؤلف كتب إسلامية عديدة، وكذلك نذكر الشيخ عبد الحليم بن سماية <sup>(1)</sup>.

ومن جهة أخرى فقد كان للشيخ محمد عبده تيارا مناقضا لفكره التجديدي في الجزائر، خاصة ما تعلق منها بالدين والعقيدة، نظرا لتجذر الفكر الديني التقليدي في الجزائر، لذلك نجد الشيخ علي بن عبد الرحمن مفتي وهران يرأس زميله الشيخ عبد الحليم بن سماية يستقصيه حول أحوال الشيخ محمد عبده و مما جاء في كتابه: «... قد كثرت علينا القلاقل في شأن ذلك الرجل الفرد الكامل الجليل الشيخ عبده الوارد لحضرتكم السعيدة ما بين قادح ومادح فمن قائل السيد من أهل الاجتهاد عالم بالمعقول والمنقول ذابا عن الشريعة والدين سالك المحجة البيضاء. ومنهم من يقول أنه سني في فروع المعتزلة في الاعتقاد إلى غير هذا وتزاحمت علينا أقوالهم وتراكت أهواؤهم وخادمكم بحمد الله لا تزحزحه عواطف الأقوال ولا تزلزله عن موقفه لواعج البطالين من غير بيان قصارى الأمر، تزاحمت القلاقل من غير ترجيح فالذي يقتضيه النظر الصحيح هو الوقوف حتى يتبين الحق من غيره...» <sup>(2)</sup>.

لقد كان الفكر العقدي في الجزائر محافظا على تقاليد الدين، ولا ينبغي الاجتهاد وانتقاد هذه العقائد بل يجب التقليد، الأمر الذي خلق ظاهرة الخمول والجمود وهو الوضع الذي انطلق منه للتغيير والخروج من دائرة التخلف، بإعمال العقل و التقل و الترجيح، والموازنة بينها وعلاج مكامن الخلل، خاصة ما تعلق منها بالأباطيل التي حالت دون تقدمهم، وقد كان لسلطات الاحتلال فائدة من ذلك، كونها كانت تحارب كل مظاهر اليقظة، لذلك بعث الشيخ علي بن عبد الرحمن برسالة استفسار حول حقيقة منهج محمد عبده التجديدي وتأثيره على السلوك الديني للفرد الجزائري، سلبا أو إيجابا خاصة في ظروف الاحتلال. وبعد أن تلقى الشيخ عبد الحليم بن سماية رسالة الشيخ علي رد عليه في أخرى، يبين له فيها أهمية الفكر التجديدي لمحمد عبده في مجتمع يتخبط في ظلام الجهل وسط ظروف استعمارية قاهرة « مشرفنا الذي شرفنا بشموس أنواره ورياضه طيب حياتنا الذي

(1) المهدي البوعدي : " جوانب مجهولة من آثار زيارة محمد عبده للجزائر عام 1903 / 1322 " ، مجلة الأصالة ، وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر ، العدد 54-55 ، السنة السابعة ربيع الأول - ربيع الثاني / فيفري - مارس 1978 ، ص 77 ، 78 ،

(2) للاطلاع على نص الكتاب وما حواه من استفسارات حول حقيقة منهج محمد عبده؛ انظر الملحق رقم 03.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

نتعش باستنشاق أزهاره مولانا وسيدنا علي بن عبد الرحمن أمدنا الله من همته العالية ما يبلغنا إلى المراقب ويدفع عنا كل ما يلزم من المصائب والحواجب، أزكى السلام ينفح الزهر في الكمام، ويكافل قطر الغمام... وقد انهالت على رحمة ونعمة بكتابتكم الشريف الذي عمي أمسه... ومما تضمنه كتابكم الرفيع استبداد رأبي فيما أعلم من فضيلة العلامة الذي شاع ذكره واشتهر أمره وأني عملا بالواجب على كل متدين من الذب عن أهل الله وإن لم يكن العلماء أولياء فليس لله ولي أصدع بما اطلعت عليه من خصائص الرجل في هذا الزمان الشبيه بزمان الفطرة فأقول هذا الرجل الجليل حنكته تجارب الزمان واستقصى أحوال الأمم حتى ميز منها ما شان وما زان، وتطلع من الفنون على اختلاف أنواعها ومواضعها...»<sup>(1)</sup> لقد بين الشيخ عبد الحليم بن سماية أهمية الفكر التجديدي لأقطاب الجامعة الإسلامية، بالجزائر بالرغم من اضطراب المناخ العقدي لدى عامة الشعب، ذلك أن الشيخ بن سماية<sup>(2)</sup> نفسه كان تجاني الطريقة ولكن كان ينبذ "الدغمائية المغلقة"، لذلك بقي على طريقته ولكن أخذ من محمد عبده في قضية التجديد والاجتهاد على خلاف محمد بن خوجة "المضربة" الذي تخلّى عن منهجه الصوفي نهائياً، من خلال ذلك فقد استحسّن علماء الجزائر فكر الجامعة الإسلامية القائم على التجديد والوحدة، بغية إحداث التغيير التدريجي، وذلك بتأليف العقول ذات العقائد التي تقدم الأسباب وتبذلها دون التطرق إلى ما يضر التغيير الهادئ فيتم وأدّه من طرف سلطات الاحتلال، أي عدم الخوض في القضايا السياسية إلى حين تكوين جيل قادر على ذلك وتحويل سبيل التغيير إلى مرحلة أخرى إذا اقتضت الضرورة، ولكن في البداية تجديد الثقافة خصوصاً الدينية، وقد كان ذلك بعدا طور ونمى القاعدة الإصلاحية على نمط الهدوء والمرونة إلى أجل مسمى.

لقد كان الشيخ محمد عبده مطلعاً على أحوال الجزائر عارفاً بمواضع ضعفها قبل مجيئه إليها، من خلال اتصاله بقطب المقاومة الجزائرية المخضرم الأمير عبد القادر، وابنه محي الدين في بيروت ودمشق، ولعلّ الشيخ محمد عبده قد تحدّث مع الأمير وأبنائه حول أحوال الشرق والجامعة الإسلامية

(1) للاطلاع على نص الرد لابن سماية حول محمد عبده؛ انظر الملحق رقم 04.

(2) لقد لازم الشيخ بن سماية الشيخ محمد عبده طيلة مكوثه في العاصمة. انظر: الملحق رقم 05.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

وجمعية العروة الوثقى التي كان الأمير عضوا فيها، كونهم من رواد الإصلاح في ذلك الوقت وإن مسؤولياتهم في أمتهم تلح عليهم بالدرجة الأولى التحادث حول أحوال الأمم الإسلامية في الشرق والغرب، وسبل وطرائق إخراجها من دائرة التخلف والهيمنة وقد كانت بينهم علاقة خاصة من خلال المراسلات المتبادلة، حيث ذكر الشيخ محمد رشيد رضا أن الشيخ محمد عبده كتب عددا من الرسائل إلى الأمير، وأن مخاطبته له قد كثرت فكانت طورا في رسائل الإصلاح وطورا في رسائل الوداد، ويشير الأستاذ أبو القاسم سعد الله إلى وجود أسرار بينهما يرمز إليها الشيخ برموز كقوله «ورجائي ألا يزال فكرك ما تفارقنا عليه وسبق الكلام فيه مرارا... وأن يرد لي من سيادتك ما يبشرني بسلامة حالك ومجمل الحاصل من سعيك»<sup>(1)</sup>. وعلى إثر وفاة الأمير كتب الشيخ محمد عبده كتابا لولديه معزيا لهم محمد ومحبي الدين بعبرات مؤثرة، تدل على مكانته عنده: «وليس من كلمة أجمع من لكلماته ولا قول أوفى بفضائله سوى أنه منتهى وصف الواصفين وغاية مدح المادحين»<sup>(2)</sup>. ثم إن الشيخ محمد عبده قد انتقل إلى تونس في 1885، وكانت فرنسا عندئذ حديثة العهد باحتلالها، وقد احتك الشيخ ببعض الجزائريين، الذين كانوا طلبة في جامع الزيتونة، أو عمالا في الإدارة أو في الصحافة، وعرف منهم أوضاع الجزائر في ظل الاحتلال، ولعل ذلك ساهم في رسم صورة عن الجزائر المحتلة وظروفها، ومما جعله ينتقل في زيارة ميدانية بنفسه ليرى عن كثب، وهذا ما أشار إليه محمد رشيد رضا في أن هدف الشيخ محمد عبده كان الإطلاع بنفسه على أحوال المسلمين وتتبع آثار الإسلام<sup>(3)</sup>.

---

(1) لقد كان الأمير عبد القادر، ينتهج نهج الصوفية على الطريقة القادرية، وكذلك بدأت مسيرة الشيخ محمد عبده حيث كان صوفي المنهج، ولكن بعد اطلاعه على حقيقة ما يحدث في العالم، وقصور بعض مشاربهم الصوفية على مجازات مخلف التحديات التي يواجهها العالم الإسلامي، لعله تحدث معه فيما يخص بعض مبادئ الصوفية، وتغييرها من منطق المناقشة، لما يخدم الدين.

(2) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، مرجع سابق، ص 583، 584.

(3) يذهب البعض إلى أن زيارة الشيخ محمد عبده كانت من إيعاز فرنسي، في إطار التوازنات السياسية مع بريطانيا، لكسب الشخصيات ذات الثقل الروحي على العالم الإسلامي واستخدامهم كأدوات، لتسهيل السيطرة على أقطاره، من ذلك أنه جذب إلى فرنسا وعاش هناك ونهل من نهج رواد الفكر الانفتاحي هناك، لذلك سهلت له فرنسا عملية انتقاله للجزائر، ومنحت له رخصة الدخول، ولكن نرى أن الشيخ محمد عبده كان يستغل فرنسا وفرنسا تستغله، ذلك أن السلطات الفرنسية كلفت الشيخ أبو القاسم الحفناوي - كان محرر جريدة المبشر الصادرة عن الحكومة العامة - أن يصطحبه من مرسيليا، وعند وصوله إلى الجزائر

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

وتمهيدا لذلك قام صاحب المنار رشيد رضا بنشر مقال عنونه بـ "فرنسا والجزائر" لاسترضاء السلطات الفرنسية وتقديم النصح الذي يرسم سياسة اللين مع المستعمرات الفرنسية، جاء فيها <sup>(1)</sup> "كنا كتبنا مقالة عنوانها ( فرنسا والإسلام ) نصحنا فيها هذه الدولة العظيمة بأن تعامل مسلمي مستعمراتها بالحسنى لتملك قلوبهم وتأمين غائلتهم ونحن نعلم أن فرنسا لم تكن مرتاحة إلى تلك المعاملة القاسية التي كانت تعامل بها مسلمي الجزائر ولكنها كانت ترى أنها الطريقة المتعينة وأنه يجوز أن يظهر لها خير منها. وفي هذه الأيام قد زار الجزائر رئيس الجمهورية وبشر الأهليون بأن هذه الزيارة مبدأ معاملة جديدة مرضية وبالغ في استمالة القلوب وطلب الائتلاف ولولا العزم على حسن الفعل لما صدر عنه هذا القول، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان"<sup>(1)</sup>. لقد تمّ كتمان مشروع محمد عبده في عزمه على زيارة الجزائر، لكي لا يعرف خصوم أقطاب الجامعة الإسلامية فيعملون على إحباطه <sup>(2)</sup> "لئلا يبادر الأشرار إلى بث الدسائس لمنع فرنسة إياه من دخول البلاد" ومع ذلك فقد تسرب الخبر وبادر أولئك الخصوم إلى كتابة رسالتين إلى الحكومة العامة في الجزائر سعاية بالشيخ عبده واحده من القاهرة والأخرى من الإسكندرية، وكلتاهما تغري الحاكم العام الفرنسي " شارل جونار " بالشيخ محمد عبده وتقول أن الهدف من سفره إلى الجزائر هو تحريض المسلمين على الثورة والخروج على الحكومة ونبذ طاعتها وأنه قادر على ذلك<sup>(2)</sup>. لقد مكث الشيخ محمد عبده في الجزائر حوالي عشرة أيام<sup>(3)</sup>، احتكّ فيها بعلماء

تركه الحفناوي، وتولاه آخرون، كانوا يلازمونه، ويتبعون خطواته ونظراته، ويكتبون التقارير المفصلة عن تحركاته، وهذا يدل على أن فرنسا لم تكن تثق في تصرفات محمد عبده ومن الممكن أن يحدث لها القلاقل في الجزائر، لذلك وضعت ترسانة من المخبرين لتكون على أهبة الاستعداد لتوقيف الشيخ، وكان هدفها أن توظف ثقل الشيخ الروحي على العالم الإسلامي لتموه الرأي العام الجزائري أنها تحترم شيوخ الإسلام، على أن منهج الشيخ يتجنب الخوض في القضايا السياسية، في ذات الوقت كان الشيخ يهدف إلى استغلال تساهل فرنسا واحترامها له وأن يقوم ببث منهجه الإصلاحية القائم على التجديد الديني، ونبذ الطريقة التقليدية، ليعد القاعدة الإصلاحية داخل المجتمع الثقافي الجزائري.

(1) مجلة المنار ، مج6 ، ج3 ، مايو 1903 ، ص 79.

(2) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج5 ، مرجع سابق ، ص 586.

(3) مكث الشيخ في الجزائر العاصمة وقد حاول التنقل إلى الغرب الجزائري، ولكن حال دون ذلك ظروف معينة، ثم انتقل إلى قسنطينة والتقى هناك بعلمائها، واحتك بهم وحشهم على العلم وتكوين العقول على حد منهجه. انظر : أحمد صاري: "الجديد عن زيارة محمد عبده إلى الجزائر قسنطينة" ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، العدد2 ، مارس 2003 ، ص 16.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

الجزائر المشكّلين لتيار "المحافظة" وقد أثر عليهم الشيخ بفكره<sup>(1)</sup>، بالرغم من التوجهات العقدية المختلفة فمنهم من تخلّى عن أسسه العقدية الطرقية كمحمد بن خوجة الذي كان تيجاني الطريقة، ومنهم من أخذ عنه عنصر التجديد والانفتاح بغية مواجهة التحديات، وتبني منظومة عقدية تنبذ التقليد والحمول، وتحت على الاجتهاد وبذل أسبابه بغية تكوين القاعدة الفكرية للتغيير، ويظهر ذلك التجانس والتفاهم الفكري من خلال الرسالة التي بعث بها الشيخ محمد عبده لعبد الحليم بن سماية: «حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ عبد الحليم بن سماية، لا يزال يؤنسي مثال علمك وفضلك ويعجبني رفيق رقيق من كمالك ونبلك، وما كان ذلك ليفارقني بعد أن صار بضعة مني، ولو كشف لي من نفسك ما كشف لي منها لعلمت مقدار ما آتاك الله من نعمة العقل والأدب، ولعرفت أنك ستكون إمام قومك، تهديهم - إن شاء الله - سبل الرّشاد، وتبصرهم بما يوفر عليهم الحظين : حظ المعاش، وحظ المعاد، وهذا هو أمني الذي أسأل الله تحقيقه، فخذ من الوسائل ما يبلّغك فضل الله غاية ما يرمي إليه استعدادك»<sup>(2)</sup>. وقد لخص الشيخ محمد رشيد رضا دور محمد عبده من خلال زيارته العلمية ذات الأبعاد التّهضوية التطويرية للقاعدة الإصلاحية من خلال ما يلي : الجدل في تحصيل العلوم الدينية والدينيوية، من طرفهما القريبة والجدل في الكسب وعمران البلاد من الطرق المشروعة الشريفة مع الاقتصاد في المعيشة والحث على العمل وعمران البلاد، و مسألة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة<sup>(3)</sup>. لعلّ أهم مقوم ارتكزت عليه سياسة التغيير لدى الشيخ محمد عبده، هو ترك السياسة وعدم الاشتغال بها، لأنها من الأمور الخطيرة خاصة وسط ظروف تتميز بالقهر الاستعماري، وقد شرح الشيخ محمد رشيد رضا معنى ترك الاشتغال بالسياسة، بأنه لا يعني عدم مخاطبة الحكومة في

(1) لقد أرسى الشيخ عبده - باعتباره ناقل لفكره وفكر إخوانه في الإصلاح - قاعدة الإصلاح القائم على التجديد ونبذ الحمول والركود، والتي ستتطور وتظهر بشكل أكثر تنظيم وهي جمعية العلماء المسلمين، حيث يشير بلقاسم الزغداني إلى ذلك بقوله: ((فلكل مقام مقال، ولكل زمان عقلية وأسلوب ولكل سنة تحول في العمل وتجدد في الفكر، فننتقل من قيل وقال...)). انظر: بلقاسم الزغداني: "الغربة قوام الحياة"، مجلة الشريعة النبوية المحمدية، السنة الأولى، العدد 4، الاثنين 15 ربيع الثاني 1352 / أوت 1933، قسنطينة، الجزائر، ص 3-5.

(2) محمد الهادي الحسني: مرجع سابق، ص 180.

(3) المهدي البوعبدلي: مقال سابق، ص 77.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

المظالم التي تضرّ بهم كالقوانين الجائرة، وشعاره في ذلك " فإذا لم تكشف الحكومة ظلامتهم، بعد الالتجاء إليها في كشفها فإنهم، يكونون معذورين في سخطهم عليها وترتبصهم بها الدوائر كالعصيان"<sup>(1)</sup>. وخدمة لهذه السياسة المرنة، قام الشيخ محمد عبده بشرح سورة العصر، في جامع السيد الأكل بالحمادة وكان عدد الحاضرين حوالي 200 شخص، من مختلف أنحاء الجزائر من مختلف الفئات العمرية، ودام الدرس حوالي ساعتين، ولا شك أن اختيار صورة العصر لم يكن اعتباطا ولا بالصدفة لما لها من أبعاد ترصي الذهنية العقديّة القائمة على التكيف على حسب الظروف، والتخطيط البناء القائم على التنظير لمرحلة لاحقة، وتكوين القاعدة العلمية الفكرية، القائمة على الإيمان والعمل الصالح والصبر، ذلك أن تعاليم الشريعة الإسلامية تربط الاستخلاف والتمكين في الأرض بالإيمان والعمل الصالح والصبر.

لقد ساهمت زيارة محمد عبده في إرساء دعائم الإصلاح في الجزائر وتطويره، من خلال إرساء عنصر التجديد والإقلاع عن التقليد المقيت والحمول، ونبذ العقائد التقليدية التي وفر بعضها المناخ المناسب لبسط هيمنة المحتل على البلاد والعباد. وكذا تقديم أسباب النهضة بالارتكان إلى عقائد لا تتسم بالخرافة والاستغاثة بالموتى. من أجل تحقيق التفوق وترك الأسباب الواهية للتّهوض بالأمة الجزائرية التي سلبت منها سيادتها، من منطلق منهج محمد عبده القائم على التغيير الهادئ، لم تظهر النتائج بعد الزيارة مباشرة، ولكن بنهجٍ تطوري سيظهر فيما بعد ثلة من رجال التجديد والإصلاح للنهوض بالأمة لتخوض غمار المعركة من أجل الحرية؛ أمثال ابن باديس والإبراهيمي والمدني.

2 - استمداد أفكار أقطاب الجامعة الإسلامية من بلاد المشرق الإسلامي، وأثره على الحركة الإصلاحية في الجزائر:

لقد كانت بلاد المشرق معقل أفكار الجامعة الإسلامية القائمة على أسس ومبادئ، تشترك جميعها في عقيدة الإسلامية واحدة وعليه يعتبر الإسلام المقوم والرابطة المميزة الموحدة لكافة الأقطار والذي يجعل في نفوس معتنقيه حس الأخوة والتكافل والتضامن، على أن جميع شعوب المكونة له أمة

(1) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج5 ، مرجع سابق ، ص 589.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

واحدة، من هذا المنطلق فإن للتعاليم الإسلامية أركاناً موحدة، ولعلّ أهمها الحج الذي يلتقي فيه المسلمون من مختلف البقاع في بلاد المشرق لمقصد واحد، فهو فرصة لتبادل مشاعر الأخوة كذلك الحجاج الجزائريين الذين كانوا يلتقون مع دعاة الجامعة الإسلامية ويتبادلون معاني التأزر، وكان لهم دورهم البارز في خلق وتطوير القاعدة الإصلاحية في الجزائر، بعد عودتهم إلى الديار.

و"لوثورب ستودارد" يصف لنا في كلام مصدري - كونه عاش الحدث - أهمية الحج في بثّ حس الجامعة الإسلامية، أو الوحدة الإسلامية<sup>(1)</sup> "إن الوحدة الإسلامية إنما هي قائمة على ركنين لا ثالث لهما: الحج إلى بيت الحرام في مكة والخلافة، وقد غلب على رأي الكثيرين من رجال الغرب وهم في هذا الموضوع، فهم ما برحوا يخالفون الخلافة ولا الحج، العامل الأكبر والأشد الذي بسببه يتشارك المسلمون ميولاً وعواطف تشارك طريقاً مؤدياً إلى اعتزاز الوحدة وازدياد منعتها وامتدادها وانتشارها. على أن هذا لمن الوهم الصرف فالأمر حقاً ضده. إن محمداً صلى الله عليه وسلم قد فرض الحج على من استطاعه فرضاً مقدساً ولذلك ما زالت مكة المكرمة حتى اليوم مجتمعاً يجمع فيه كل عام أكثر من مائة ألف حاج وافد من كل رقع العالم الإسلامي، وهناك أمام الكعبة المقدسة في مكة المقدسة في مكة المكرمة يتعارف المسلمون على اختلاف الألسنة والأجناس، ويتباحثون العواطف الدينية ويتباحثون في الشؤون الإسلامية، ثم ينقلبون إلى أوطانهم نائلين لقب "حاج"، لقباً يعرف صاحبه فيجعله إخوانه المسلمون ويعلمون منزلته بينهم ما دام حياً. فالمقاصد والأغراض السياسية التي ينالها المسلمون على يد الحاج الممهد لها السبيل، إنما هي معلومة لا تحتاج إلى كبير إيضاح. بل يكفي أن نقول أن الحج إنما هو المؤتمر الإسلامي السنوي العام، فيه تتباحث الوفود الإسلامية والنواب المسلمون الطائرون من أقطار المعمورة الإسلامية كافة في مصالح الإسلام... ونشر الدعوة في سبيل الرسالة. وفي هذا المؤتمر العظيم كانت قلوب قادة اليقظة الإسلامية وأبطالها، كعبد الوهاب، ومحمد بن السنوسي، وجمال الدين الأفغاني، تشتعر بجلالة الواجب الإسلامي المقدس، وتتقد من خطورة المشهد وروع المحفل غيرة على الإسلام والمسلمين"<sup>(1)</sup>.

(1) لوثورب ستودارد: مصدر سابق، ج 1، ص 289.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

ومما زاد من أهمية الدور الذي كان يلعبه الحج في الترويج لسياسة الجامعة الإسلامية تبنيتها من طرف السلطان عبد الحميد الثاني، وإعطائها البعد السياسي الرسمي، الأمر الذي دفعه إلى انتهاج سياسة دينية، محكمة تستمد تعاليمها من فقه الواقع العقدي المنتشر آنذاك فاقرب إليه مجموعة من شيوخ الطرق الصوفية من أمثال الشيخ أبي الهدى الصيادي من حلب، الشيخ محمد ظافر المدني من طرابلس الغرب، الشيخ سعيد من حمص، الشيخ أحمد القيصرلي من المدينة المنورة وفضل العلوي من حضرموت. وقد عمل هؤلاء الشيوخ الطريقين على دعم سياسة الجامعة الإسلامية الرسمية من خلال إضفاء صبغة الشرعية لخلافة السلطان عبد الحميد ودعوا كافة المسلمين إلى الالتفاف حول عرشه، إذ أكد شيخهم أبو الهدى الصيادي: " أن الخلافة ضرورة شرعية، وإنها انتقلت من أبي بكر الصديق عبر العصور الإسلامية حتى ورثها العثمانيون وادّعى أن الخليفة هو ظلّ الله على الأرض ومنقذ مشيئته وشريعته وعلى المسلمين كافة طاعته"<sup>(1)</sup>.

كما اعتمد على أحد كبار أشراف مكة "الشريف عون" الذي كان رفاعيا في طريقته، وقد نجح هذا الأخير في التوصل إلى منصب "شيخ شيوخ الطرق" وبالتالي استطاع أن يستقطب أتباع الزوايا المعارضة له حول فكرة الخطر الأوروبي على الإسلام وضرورة التكتل ضد هذا الخطر، ليصبح شريف مكة عبر هذا التنظيم المساعد المخلص للشيخ أبي الهدى الصيادي، والخادم الأمين للسلطان ومن هنا كان لشريف مكة تأثيره الكبير على الحجاج، حيث أرسل إليهم المرشدين يدعون للجامعة الإسلامية ولقائدها السلطان العثماني، وهكذا أصبحت مكة المكرمة بفضل شريفها و(مرشدي الحجاج) وبفضل منصبه كشيخ للطرق محورا للسياسة الإسلامية المعاصرة. فمن هناك انتشرت هذه الدعوات، وانتقلت إلى العالم الإسلامي كله، عبر الحجاج الذين نقلوا إلى بلادهم بذرة الحلم الكبير الذي كان يدغدغ مخيلة السلطان عبد الحميد في جمع شمل كلمة العالم الإسلامي من جديد حوله وإعادتهم إلى كنف الدولة تحت شعار "الجامعة الإسلامية" وعن طريق الحج وسياسة حركة الجامعة

(1) للمزيد حول الموضوع؛ انظر: عبد المنعم الهاشمي: الخلافة العثمانية، ط1، دار بن حزم، بيروت، لبنان، 2004، ص34.



## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

الإسلامية هدد النمسا بمسلمي ألبانيا، وروسيا بمسلمي التتار، وبريطانيا بمسلمي الهند وفرنسا بواسطة مسلمي شمال إفريقيا- بما فيها الجزائر- التي وصفتها إدارة المخابرات الفرنسية: «ويمكن للسلطان عبد الحميد - بصفته رئيساً للجامعة الإسلامية أن يجمع من خلال ارتباطاته الوثيقة بالجماعات الدينية في شمال أفريقيا جيشاً محلياً منظماً يتمكن إذا لزم الأمر أن يقاوم به أي قوة أجنبية»<sup>(1)</sup>.

وقد أورد شكيب أرسلان في مؤلف "حاضر العالم الإسلامي" "للوثورب ستودارد" خطر الحجاج الجزائريين على النفوذ الاستعماري في العالم الإسلامي؛ على لسان احد الساسة الفرنسيين «ولا ننس حج مكة فإنه في الآونة الحاضرة، يؤثر تأثيراً مضرًا بنا بين رعايانا المسلمين، ومع هذا فالبعض غافلون عن منع حج رعايانا إلى مكة و عما يحدثه هذا السفر من أسباب تشويش أذهانهم، لما يستمعون فيه من الأخبار الملققة عن وقائع البلاد الإسلامية... فإن الحاج يسمع في الحجاز أنباء عن جميع العالم لم تطبع في صحيفة والأوربي مصور فيها بشكل غاضب، لا تحصى سيئته والمسلم مصور بشكل غالب ظافر لا بد أن يأخذ بثأره... فيذهب الحاج من مستعمراتنا أمينا لنا ويعود غير ما ذهب، بل تتبدل نفسه، ويصير مبتهجا بنصر أبناء ملته، وتقوى فيه روح التضامن الإسلامي، فيفرح بفوز أتباع محمد، وينتمي لهم الظفر النهائي. وبعد إيابه إلى وطنه يستحيل أن يلقى إلى بعض أهل بلده ولو نجيا ما سمعه في مكة، وحيث يكون نال لقب حاج فلا بد له من الاجتهاد في إثبات أهليته لهذا اللقب، هذا عدا ما يحمله معه من القصائد والجرائد والحماسيات التي يوزعها على أبناء وطنه»<sup>(2)</sup>.

ونتيجة للخطر الذي يلعبه الحاج على الجزائر المستعمرة هادئة، بمساهمته في خلق وتطوير القاعدة الإصلاحية سعت فرنسا لتطويق الحج، بشق الطرق كفرض التراخيص الفرنسية؛ والهدف من هذا الإجراء هو الحد من أعداد الحجاج المسافرين من الجزائر من جهة، والحد من أعداد الحجاج المسموح لهم بدخول الأراضي المقدسة، إذ لم تكن السلطات العثمانية تعترف بوثائق السفر الفرنسية، فالحجاج الجزائريون كانوا قبل ذلك يحملون "التذكرة" التي كانت تُسلم لهم من قبل العثمانيين. فكانت تلك

(1) علي محمد الصلابي : مرجع سابق ، ص 424.

(2) لوثورب ستودارد : مصدر سابق ، ج2 ، ص 319.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

حيلة فرنسية لثني الجزائريين عن الحج، وكذا التدرّج بنقل الأوبئة والأمراض من مكة. وعموماً فالحج شكّل منفذاً مهماً لتسرب أفكار الجامعة الإسلامية إلى الجزائر، خاصة بعد استغلال هذه المناسبة الشعائرية من دعاة الجامعة الرسمية من الشيوخ الطرقيين للترويج لها، وعند عودة الحجاج الجزائريين ساهموا في تطوير وإرساء دعائم الإصلاح على نمط أقطاب الجامعة.

كما لعب المهاجرون الجزائريون دوراً مهماً في إنماء وتطوير القاعدة الإصلاحية لأقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر، بعد انتقالهم إلى بلاد المشرق، نتيجة صرفهم عن شعائر دينهم الإسلامي ومؤسساته، التي تعدّ أماكن للعبادة ومراكزاً لنشر العلم والتعليم العربي الإسلامي. ناهيك عن سياسة التجنيد الإجباري التي رفض الجزائريون تسليم أبنائهم للجيش الفرنسي تحت شعار " لن نسلم أبناءنا"<sup>(1)</sup>. فقد أصبح الجزائري يعيش في بيئة استعمارية تتسم بالقهر، فكان منفذه الوحيد الهجرة إلى الأقطار المغاربية أو إلى المشرق؛ تشير المصادر الفرنسية إلى المعالم التاريخية التي شهدت خلالها تسارع وتيرة هجرة الجزائريين نحو المشرق وتونس والمغرب، وهذه المعالم : 1830 1832 ، 1854 ، 1860 1870 ، 1875 1888 ، 1898 ، 1910 ، وقد شهدت سنة 1911 تسارع وتيرة الهجرة نتيجة فرض التجنيد على الشباب<sup>(2)</sup>. وقد كانت وجهة الجزائريين إلى نحو المشرق، نتيجة الترابط الروحي ونشاط المهاجرين هناك، ووصف البلاد على أنها تحوي ظروف العيش وحرية التدين<sup>(3)</sup> وتزامن ذلك مع نشاط دعاة الجامعة الإسلامية التي تدعو إلى الوحدة وتضامن الشعوب الإسلامية

---

(1) جلول مكي : المساهمة الجزائرية في النهضة العربية ببلاد الشام من خلال نشاط الأمير عبد القادر والشيخ الطاهر الجزائري ، دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث ، معهد العلوم الاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1979 - 1980 ، ص 18.

(2) لقد شهدت المناطق ذات الثقل الاجتماعي والفكري هجرات واسعة إلى المشرق وبلدان المغرب، وقد كان للأعيان من ذوي الثقل الاجتماعي دوراً في تشجيع حركة الهجرة شأن ذلك شأن مهدي السكاوي من مدينة دلس شيخ الطريقة الرحمانية إلى المشرق مع عدد من أعيان زواوة إلى المشرق وهناك وجه نداء إلى الأعيان هناك للهجرة فاستجاب له عدد منهم. انظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ، ج5 ، مرجع سابق ، ص 474.

(3) ولا شك في شدة رغبة الجزائريين في الشام ذلك أن زعيم المقاومة الجزائرية الأمير عبد قادر اختارها بعد استسلامه، وما صحب ذلك من تأثير على رغبات المهاجرين الجزائرية، زيادة على نشاط أعيان الجزائر ممن لم ثقل روعي واجتماعي في قبائلهم شأن شيوخ الطريقة الرحمانية.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

وتشير إحدى المراسلات التي بعث بها أحد أعيان الجزائر المهاجرين وجاء فيها دعوة ملحة للهجرة التي اكتست طابعا روحيا شرعيا، جاء فيها: « تعالوا والتحقوا بنا في بلاد يحكمها سلطان الإسلام وفي بلاد مسلمة ... تعالوا واقضوا بقية حياتكم في بلاد غنية بالخيرات والصلوات والاحترام، وقد وعد الله المهاجرين مكانا أفضل يوم القيامة»<sup>(1)</sup>.

لقد ارتفعت أعداد المهاجرين الجزائريين إلى المشرق، فقد وصلت حسب الإحصاءات الفرنسية ما بين أربعين ألفا و خمسين ألف، توزعت بين أنحاء المشرق خاصة الحجاز والشام، حيث كان لهم دورا كبيرا جدا في نقل أفكار الجامعة الإسلامية وبنّائها مما ساهم في خلق وتطوير القاعدة الإصلاحية بالجزائر، فقد اضطلع محمد بن التهامي أحد المهاجرين الناشطين في تأليف جريدة سماها " صحيفة المهاجر " في دمشق سنة 1912، جعلها مساحة إعلامية لنشر اهتمامات المهاجرين وأفكارهم الطامحة إلى تمرير مشروع الوحدة والتضامن وإجلاء المحتل من الوطن، وخدمة لقضايا المسلمين عبر أنحاء المعمورة أسس جمعية لالتماس وتحصيل المساعدات من الجزائر وغيرها من أقطار الأمة الإسلامية خدمة للبيبة بعد العدوان الإيطالي عليها<sup>(2)</sup>. ومن المهاجرين أيضا الشيخ حسين، والمدعو لخضر<sup>(3)</sup>. ثم شرع المهاجرون الجزائريون ذوي النزعة الإصلاحية في العودة للقيام بهمة الإصلاح وتطويره مثل الشيخ الطاهر الجزائري والأمير عبد الملك والأمير خالد والشيخ الطيب العقبي الذي هاجر مع عائلته إلى المدينة وهو ابن خمسة سنوات، وعاد إلى الجزائر عام 1920، وكذا محمد البشير الإبراهيمي الذي غادر الجزائر عام 1911 ملتحقاً بالحجاز، كذلك الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي مكث في المدينة ينهل من فكر أقطاب الإصلاح، وكان لهم دورهم الظاهر بناء سرح الإصلاح بالجزائر .

(1) انظر: أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 5 ، مرجع سابق ، ص 474.

(2) لقد كان التهامي يحضى بدعم ألمانيا باعتبارها حليفها في خضم الحرب العالمية الأولى فرخصت له التنقل على متن السكة الحديدية الحجاز؛ انظر: محمد بلقاسم: الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910/1328 – 1954/1373 ، رسالة ماجستير إشراف: أبو القاسم سعد الله ، معهد التاريخ ، 1993-1994 ، ص 35.

(3) قائد دؤار منور قرب تلمسان من المهاجرين المحرضين الفاعلين وصل إلى سوريا رفقه عائلته سنة 1910. انظر: التليلي العجيلي : صدى حركة الجامعة الإسلامية بالمغرب العربي 1876 – 1918 ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، 2005 ، ص 81 ، 82.

### 3- نشاط الحركة الصحفية لأقطاب الجامعة الإسلامية وأثرها على الحركة الإصلاحية:

لقد شهدت حركة الجامعة الإسلامية بداية من النصف الثاني من القرن التاسع عشر حركة صحفية نشيطة، عجت بالعناوين المعبرة عن قضايا الأمة الإسلامية في مواضيع مختلفة، فكانت الصحافة المكتوبة أن ذلك أداة طيعة لبلورة الحس الوحدوي والوعي النهضوي، والتغيير القائم على فكرة التجديد على نمط أقطاب الجامعة الإسلامية.

من خلال استقراء تاريخ القرن التاسع عشر، فقد كانت جل الحركات الفكرية ذات أبعاد نهضوية تعتمد الصحافة المكتوبة قبل تطور وانتشار وسائل الإعلام إلى السمعي والبصري، من هذا المنطلق شرع أقطاب الجامعة الإسلامية في تأليف جرائد ناطقة باسم حركة الجامعة الإسلامية بالرغم من عدم خوضها في القضايا السياسية المباشرة؛ للمساهمة في خلق القواعد الإصلاحية في البلدان الإسلامية، والتي تجعلها في حالة عداء مع الدول الأوربية ذات الثقل السياسي وبالتالي إعاقة تحريرها ومرورها للشعوب المحتلة، وفي ذات السياق تبنت الجامعة الإسلامية الرسمية صحافة رسمية تدعم أفكار الصحافة الحرة، تزعمها السلطان عبد الحميد الثاني، الذي سعى للترويج لأفكار الوحدة، والنهضة الإسلامية على خط الجامعة الإسلامية، يمكن تقسيمها إلى صنفين هما:

#### أ- الصحافة الحرة لأقطاب الجامعة الإسلامية:

لقد استهدف منظروا مشروع الجامعة الإسلامية، خلق حركة صحفية نشطة، كان لها دورها الراسخ في إرساء الإصلاح على نمط أقطاب الجامعة وتطويره في الجزائر؛ من تلك الصحف نذكر:

#### ● جريدة المنار:

تعتبر المنار من أهم صحف الجامعة الإسلامية، ذلك أنها كانت توصل أفكارها إلى جل نواحي العالم الإسلامي، صدر العدد الأول من مجلة المنار في مارس 1898، وحرص الشيخ محمد رشيد على تأكيد أن هدفه من المنار هو الإصلاح الديني والاجتماعي للأمة، وبيان أن الإسلام يتفق والعقل والعلم ومصالح أحوال البشر وإبطال الشبهات الواردة على الإسلام وتفنيد ما يعزى إليه من الخرافات. أفردت المجلة إلى جانب المقالات التي تعالج الإصلاح في ميادين المختلفة بابًا

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

لنشر تفسير الشيخ محمد عبده، إلى جانب باب لنشر الفتاوى والإجابة على ما يرد للمجلة من أسئلة في أمور عقدية وفقهية، وأفردت المنار أقسامًا لأخبار الأمم الإسلامية، والتعريف بأعلام الفكر والحكم والسياسة في العالم العربي والإسلامي، وتناول قضايا الحرية في العالم الإسلامي. وقد كانت جريدة المنار أهم وسيلة لنشر أفكار الجامعة الإسلامية، في الجزائر التي كانت تدخلها ولو بأعداد قليلة، ونظرًا لقيمتها العلمية المستندة على أسس دينية تهدف إلى تأسيس قاعدة التغيير عبر مراحل حسب الظروف المحيطة طالب علماء الجزائر من محمد عبده عند زيارته للجزائر سنة 1903 بأن يشير لصاحب المنار الشيخ محمد رشيد رضا بأن لا يتعرض لفرنسا لكي لا تمنع دخولها للجزائر، لأنها تعتبر بمثابة "مدد الحياة لهم"<sup>(1)</sup> أي الحياة الفكرية والروحية التي كانت تختصر بفعل السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر، وكذا تجذر سمة التقليد والجمود وتكبيل العقل الجزائري المسلم على أسس شرعية واهية.

بعد زيارة محمد عبده وجد أرضية إصلاحية خصبة، تبني التغيير على مقاس فكر الجامعة الإسلامية جسده "الحزب العبدوي" الذي لم يكن صاحبه على علم بوجوده، وكان ذلك نتيجة انتقال أفكاره إلى الجزائر عن طريق مجلة المنار، وقد تعرف الشيخ محمد رشيد رضا على أوضاع الجزائر من خلال مراسلين كانوا متممين بقراءة المنار والمتبعين بدقة لنشاطات الشيخ عبده منذ تأسيس العروة الوثقى، لذلك وجد الشيخ محمد عبده طائفة من علماء الجزائر متعاطفين مع فكره عن طريق رواج المنار "مدد الحياة"<sup>(2)</sup>.

● **جريدة العروة الوثقى:** لما حل السيد جمال الدين الأفغاني بباريس سنة 1883 أسس "جمعية العروة الوثقى" لدعوة الأمم الإسلامية إلى الاتحاد والتضامن، والأخذ بأسباب الحياة والنهضة ومجاهدة الاستعمار، وتحريرها من الاحتلال، وكانت تضم جماعة من أقطاب العالم الإسلامي

(1) محمد الهادي الحسني : مرجع سابق ، ص 178.

(2) محمد صالح الجابري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900 - 1962 ، الدار العربية للكتاب الجماهيرية العربية الليبية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1983.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

وكبرائه، وكان لسان حال الجمعية جريدة العروة الوثقى التي ذاع صيتها في العالم الإسلامي وأقبل عليها المسلمون، لكن لم يتجاوز ما نشر منها ثمانية عشر عدداً ، وقد كان لها دورا كبيرا في نقل أفكار الأفغاني ورسم الملامح الكبرى للحركة الإصلاحية في الجزائر، ثم تطويرها لمرحلة لاحقة<sup>(1)</sup>.

### ● جريدة طرابلس:

ظهرت في طرابلس الشام سنة 1893 على يد "محمد كامل البحتري"، وقد طغت عليها أفكار ومفاهيم الجامعة الإسلامية، حيث امتزجت عندها " المفاهيم الوطنية والقومية بالمفاهيم الدينية الإسلامية، معتبرة الدولة العثمانية الدولة الإسلامية القائمة على أمر المسلمين، الذين يجب عليهم الالتفاف حولها ومساندتها، كانت أفكارها تدخل الجزائر عن طريق تونس.

### ● جريدة ثمرات الفنون :

صحيفة " سياسية علمية أدبية " أسبوعية تصدر في بيروت كل يوم اثنين، أنشأتها عام 1874 "جمعية الفنون الإسلامية " التي كان يرأسها "سعد عبد الفتاح حمادة"، وقد عهدت إدارتها إلى عبد القادر القباني أحد أعضاء الجمعية المذكورة، عملت على تنبيه المسلمين للخطر المحدق بهم، ووجهتهم إلى الالتفاف حول الخلافة العثمانية ومساندتها، على أنه سبيلهم الوحيد لدرء الخطر<sup>(2)</sup>.

### ● جريدة تركيا:

جريدة أسبوعية سياسية علمية، صدرت بالقاهرة لصاحبها "قيصر كرم"، اهتمت بالدولة العثمانية العلية والترويج لمشروع الجامعة الإسلامية، بهدف إيقاظ الشعوب الإسلامية من سباتها، في الوقت الذي أظهر فيه الاستعماري نيته في السيطرة على أملاكها عبر القارات، وقد خصّصت جزءا من مقالاتها لمناهضة الاستعمار الفرنسي وسياسته في شمال إفريقيا، بالخصوص تونس والجزائر<sup>(3)</sup>.

(1) حنفي بن عيسى: "تأثير جمال الدين الأفغاني على الفكر الجزائري المعاصر " ، مجلة الثقافة ، السنة السابعة ، العدد 38 ، أبريل-ماي 1977 ، ص 45.

(2) التليلي لعجيلي: مرجع سابق ، ص 102.

(3) التليلي العجيلي: نفسه ، ص 103.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

### ب- الصحافة الجامعة الإسلامية الرسمية:

هي الحركة الصحفية التي تنشط باسم الدولة العثمانية وسياستها الخارجية الرسمية للجامعة الإسلامية بقيادة السلطان عبد الحميد الثاني، نذكر منها:

#### ● جريدة الكوكب العثماني:

وهي جريدة علمية أدبية سياسية، لصاحبها "محمود زكي"، كانت تطبع في المطبعة العثمانية بدار الخلافة العلية وتصدر يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، وتصدر في نسختين، واحدة عربية والأخرى بالتركية، وتعتبر الكوكب العثماني من صحافة الجامعة الإسلامية الرسمية، خادمة " للملة الإسلامية والجامعة الإسلامية"، وهو ما جعلها منبرا يروج للسياسة الرسمية للخلافة العثمانية الرامية لتوحيد الشتات السياسي للعالم الإسلامي وإحياء الخلافة السائرة في طريق الزوال، ومنه فقد كانت تهاجم الاستعمار الأوربي وتنبه الشعوب إلى خطره، بما فيه الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا، لذلك فقد كان لها رواج في البلاد التونسية وكذا الجزائرية باعتبار الأولى منفذا للثانية في مرور الصحف، من هذا المنطلق فقد اعتبرتها السلطات الفرنسية مصدرا خطرا، لذلك قامت بمنع مرورها للبلاد التونسية بدعوى أنها تهين علماء الشرع الإسلامي<sup>(1)</sup>.

#### ● جريدة المعلومات:

وهي جريدة عربية سياسية أدبية، تصدر كل يوم أربعاء من كل أسبوع، بمحروسة الخلافة الإسلامية، لصاحبها "محمد الطاهر باي"، وتعتبر هي كذلك من الألسن الرسمية الناطقة باسم الجامعة الإسلامية الرسمية " خادمة لمنافع الخلافة المعظمة الإسلامية والدولة العلية العثمانية"، وقد اعتبرتها السلطات الفرنسية من الجرائد الشرقية الأكثر قراءة في شمال إفريقيا<sup>(2)</sup>. وفي ذات الوقت لقيت هذه

(1) التليلي العجيلي: مرجع سابق، ص 100.

(2) لقد كانت تونس مركز إشعاع إعلامي، بالنسبة للجرائد كانت تردها، فقد كانت تباع هذه الجريدة، بمكتبة سليمان الحمار قرب جامع الزيتونة، وعلى حد قول مخبري السلطة الاستعمارية، أن لها مراسلون من ضمنهم المدعو البشير زروق، أصيل سوسة والمستقر بطرابلس الغرب، والذي شوهده في تونس سنة 1898، وقد راجت إشاعات حول سفره أنذلك الوشيك إلى إسطنبول لتعيينه مديرا لجريدة المعلومات. انظر: التليلي العجيلي: مرجع نفسه، ص 100.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

الجريدة رواجاً في الجزائر، وساهمت في نقل فكر الجامعة الإسلامية الرسمية، وكان لها قراء أكثر وانتشرت بشكل واسع، وسط الطبقات المثقفة حيث كان لها على حد قول نائب عمالة الجزائر "كثير من الجزائريين، يشتركون للحصول عليها، وأنها تصلهم باستمرار". كما كانت جريدة المعلومات تباع في مدينة الجزائر، في المكتبة العربية الموجودة بشارع "راندون" والتي كانت على ملك المدعو أحمد بن مراد بن التركي<sup>(1)</sup>.

### ● جريدة الجوانب:

وهي جريدة رسمية ناطقة باسم الخلافة، لصاحبها "فارس الشدياق"، تطبع بالمطبعة السلطانية برعاية السلطان عبد العزيز الذي عمل على توسيع نطاقها، لتنشيط فكر الخلافة الجامعة للعالم الإسلامي، ونتيجة تناولها للمواضيع الساخنة آنذاك، خصوصاً ما تعلق بالسياسة وموازين القوى الدولية وموقع الدولة العثمانية من ذلك، فقد انتشرت انتشاراً واسعاً وذاع صيتها في أقطار المعمور الإسلامي، بما فيه شمال إفريقيا الواقع تحت احتلال المد الفرنسي، ومنذ سبعينات القرن التاسع عشر صارت مطية دعائية لفائدة الجامعة الإسلامية الرسمية بقيادة السلطان عبد الحميد الثاني.

بالرغم من محاولة فرنسا لتطويق الجزائر، ومنع دخول الصحف الشرقية إليها، كانت تجد طريقها في السر لتأسس قاعدة الفكر الإصلاحية القائم على تنظير أقطابه في المشرق، خاصة وأن الجزائريين أنفسهم من المتشبعين بفكر الشرق كانوا محررين في تلك الصحف. وقد كان منفذ صحف الجامعة الإسلامية كالمنار والعودة الوثقى واللواء والمؤيد إلى الجزائر عن طريق تونس التي لعبت دوراً مهماً في نقل الأفكار الإصلاحية إلى الجزائر<sup>(2)</sup>. وفي ذات السياق كانت الصحف المصرية حاملة الفكر الجامعة الإسلامية تجد طريقها إلى الجزائر مثل جريدة مصباح الشرق، جريدة الهلال، جريدة الفلاح جريدة الاستقامة، وهي بالجملة المعروفة في العصر الذهبي للجامعة الإسلامية منذ 1899.

(1) التليلي العجيلي: مرجع سابق، ص 101.

(2) محمد صالح الجابري: مرجع سابق، ص 171-173. انظر كذلك: أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، مرجع سابق، ص 134.



## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

لقد نشأت صلات وثيقة بين الصحف المشرقية الداعية للجامعة الإسلامية و الحركة الإصلاحية في الجزائر رغم العوائق المفروضة من طرف فرنسا، وتجدّرت أكثر بعد زيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر وما تبع ذلك من نقل لأفكار أقرانه في الإصلاح؛ كجمال الدين الأفغاني الذي لعبت أفكاره دورا مهما في النهضة الجزائرية<sup>(1)</sup>. وكذا إطلاع الطلبة الجزائريين الذين كانوا يدرسون في جامع الزيتونة على جريدة المنار كعبد الحميد بن باديس<sup>(2)</sup>، الذي سيتزعم الاتجاه الإصلاحية العبدوي في الجزائر ذلك انه درس على يد محمد الطاهر بن عاشور<sup>(3)</sup>، تلميذ الشيخ عبده، رفقة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي لقي الشيخ محمد رشيد رضا سنة 1911<sup>(4)</sup>. ومنه أصبحت صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعبر بشكل واضح عن توجهها ذو النزعة الإصلاحية على نمط الجامعة الإسلامية من حيث النهج الإصلاحية والتركيز على تربية النشأة دون الخوض في السياسية إلى أجل مسمى ومنه فقد ساهمت المنابع الأساسية لآراء أقطاب الجامعة في تأسيس وإنماء للقاعدة الإصلاحية.

### 4 - جهود شكيب أرسلان لصالح الحركة الوطنية الجزائرية:

لقد ارتبط الأمير شكيب أرسلان بمختلف التيارات الفكرية بشتى مشاربها في الحركة الوطنية الجزائرية، وزادت صلته بها أكثر بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، حيث كانت المعطيات والتوازنات السياسية توحى بقرب نهاية الخلافة الإسلامية في خضم المؤامرات التي كانت تحاك ضد الدول العربية والتي تجسدت ميدانيا بعد مؤتمر "سان ريمو 1920" بتقسيم بلاد الشام، من هذا المنطلق كرس

(1) انظر: حنفي بن عيسى: "تأثير جمال الدين الأفغاني على الفكر الجزائري المعاصر"، مجلة الثقافة، السنة السابعة، العدد 38، أفريل-ماي، الجزائر، 1977، ص 114.

(2) لقد كان الشيخ عبد الحميد بن باديس يدرس لتلامذته مقالات العروة الوثقى بين الحريين في مكان بعيد عن الفرنسيين وجواسيسهم. انظر: محمد صالح الجابري: مرجع سابق، ص 173.

(3) محمد الطاهر بن عاشور (1889-1940) ولد بتونس وتلقى تعليمه بها، ونتيجة نبوغه أصبح أستاذا وهو لا يزال شابا ثم أصبح قاضيا ملكيا وعالما من كبار العلماء الزيتونيين، من ذوي الفكر السلفي التجديدي للجامعة الإسلامية، الذي حاول أن يوظفه لإصلاح مناهج التعليم في الزيتونة؛ انظر: الصادق الزمري: أعلام تونسيون، تعريب: حمادي الساحلي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص 361-367.

(4) أبو القاسم سعد الله: بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2003، ص 118.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

أرسلان حياته النضالية لخدمة قضية سوريا وفلسطين وقضايا المغرب العربي، بما فيها قضية الجزائر الواقعة تحت الهيمنة الاستعمارية الفرنسية، رغم أن الأمير شكيب لم يزرها<sup>(1)</sup>، وأقرب نقطة للجزائر هي طرابلس التي زارها بين سنتي 1911 و1912 أثناء مشاركته في مقاومة الغزو الإيطالي لليبيا. من هذا المنطلق فإن بداية اهتمام شكيب أرسلان بالجزائر وحركتها الوطنية كانت في مطلع العشرينات عندما كتب مقالين علق عليهما في كتاب حاضر العالم الإسلامي لمؤلفه "ستودارد"؛ ففي المقال الأول الذي يحمل عنوان "الجزائر والأمير عبد القادر وفرنسا" تعرض لحكم العثمانيين في الجزائر والاحتلال الفرنسي لها والثورات التي واجهتهم، والتي كان من أهمها ثورة الأمير عبد القادر وقد أثنى على هذا الأخير في جهاده ضد الفرنسيين وذكر بإقامته في سوريا وبدور أبنائه وأحفاده في مختلف النشاطات السياسية والعسكرية في الشام، وفي مقال الثاني تحت عنوان "الجزائر والقبائل البربر" تعرّض لسياسة فرنسا في الجزائر ومساعدتها لتقسيم سكان هذا البلد من منطلق عرقي<sup>(2)</sup>.

نتيجة تعرض الأمير شكيب لمختلف القضايا الوطنية الجزائرية في خضم ظروف تلك المرحلة كقضية البربرية ومسألة التجنس، والحالة الفكرية ذات الأبعاد الدينية التقليدية وما شابهها من أسباب خمول وجمود مسلمي الجزائر وانتشار الخرافات والبدع والأباطيل، الأمر الذي جعله يدخل في علاقات نضالية تعاونية مع مختلف أطياف الحركة الوطنية بمختلف مشاربها، منطلقا من فكره القائم على أسس الجامعة الإسلامية نوردها كما يلي:

(1) لم يزر الأمير شكيب أرسلان الجزائر، باعتبار الوزن النضالي المرتكز حول فكرة تحريك الشعوب الإسلامية من منطلق عنصرهم الموحد وهو الإسلام وأن يتحدوا في بوتقة سياسية واحدة قوامها الجامعة الإسلامية، من هذا المنطلق لم تكن تسمح له فرنسا بدخول الجزائر نظرا للخطر الذي يمثله على السياسة الفرنسية و تواجهها هناك، ونتيجة لذلك فقد تعرض شكيب بسبب موقفه الوطنية (الوطنية الإسلامية) للاضطهاد وحيكت ضده المؤامرات العديدة من الاستعمار الأوربي، إذ سعى إلى تشويه صورته أمام الجماهير، خاصة من إنجلترا وفرنسا اللتين كان يشكل بنشاطه خطرا على مصالحهما في شمال إفريقيا والشام. انظر: سامي الدهان : مرجع سابق ، ص 65.

(2) انظر: لوثير ستودارد: مصدر سابق ، ص 166 - 187. كذلك: أحمد صاري : قضايا وشخصيات في تاريخ الجزائر المعاصر ، المطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر ، 2002 ، ص 84.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

### أ - علاقة الأمير بنجم شمال إفريقيا (مصالي الحاج):

يعتبر مصالي الحاج -زعيم نجم إفريقيا وحزب الشعب الجزائري- أكثر الشخصيات السياسية الجزائرية علاقةً بالأمير شكيب أرسلان، وقد كان ظهور مصالي الحاج كرجل نضال وطني في خضم عشرينات القرن الماضي، ذلك أنه نادى في وقت مبكر جدا في تاريخ الحركات التحررية بضرورة استقلال الجزائر في مؤتمر "بروكسل 1927"، مما جعل فرنسا تعلن الحرب عليه وتحل الحرب<sup>(1)</sup> سنة 1929، وعليه تبنى زعماءه العمل السري وألفوا جريدة "الأمة" وشرعوا ينقبون عن الأنصار، في الوقت الذي كانت فيه جنيف مقرا لجمعية عصبة الأمم، وملتقى مختلف رواد الحركات التحررية والإصلاحية في العالم، ومنهم قطب الجامعة الإسلامية الأمير شكيب أرسلان، وزميله إحسان الجابري. وحسب الأستاذ أبو القاسم سعد الله<sup>(2)</sup> فإن العلاقة بين مصالي الحاج والأمير شكيب أرسلان بدأت حوالي سنة 1932، وتوثقت أكثر بصفة تعاونية بعد التوأمة بين النجم ولجنة سوريا وفلسطين وبين المشرق والمغرب العربيين الإسلاميين منذ 1935 في إطار الوحدة الإسلامية، حيث انعقد في خضمها المؤتمر الإسلامي بجنيف، الذي حضره مصالي الحاج إلى جانب شكيب أرسلان من هذا المنطلق تم تكريس البعد الإسلامي الوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية، يقول مصالي الحاج نفسه في مذكراته أنه لقي أرسلان في جنيف فوجده خبيرا بشؤون المسلمين وخلافاتهم حول طرق الإصلاح<sup>(3)</sup>.

(1) لقد اتخذ مصالي الحاج في بداية ظهوره السياسي من الأراضي الفرنسية مسرحا لنشاطه النضالي الحثيث، وقد استغل في ذلك الحزب الشيوعي الفرنسي الذي يظهر بعض التعاطف مع قضايا التحرر في العالم، فكانت الشيوعية بمثابة منبر سياسي رسمي جعله مصالي مطية للمطالبة بحقوق الشعب الجزائري دعا إلى استقلال أقطار المغرب تحت لواء حزب "نجم الشمال" الذي كان تنظيما نقابيا يدافع عن حقوق العمال المغاربة إلى حزب 20 جوان 1926 وبانسحاب التونسيين و المغاربة أصبح الحزب جزائريا بزعامة مصالي حيث تحول للدافع عن القضية الجزائرية، وبرز توجه الاستقلال، حيث طالب باستقلال الجزائر في وقت مبكر جدا، في الوقت الذي كانت الحركة الوطنية، غضة فتية.

(2) أبو القاسم سعد الله : **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر** ، ج4 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1996 ، ص 125.

(3) أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية الجزائرية** ، ج4، مرجع سابق ، ص 125.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

ومنذ تأسيس جريدة " الأمة العربية " في جنيف بسويسرا -التي كانت تصدر بالفرنسية- تعرضت للقضية الجزائرية، بالموازاة مع القضية السورية الفلسطينية، في إطار النضال الإسلامي القائم على الوحدة، والجامعة الإسلامية، وبذلك تبني مصالي الفكر الوحدوي، بدل المنبر اليساري الفرنسي الشيوعي<sup>(1)</sup>. وبمعنى آخر أن دعم شكيب أرسلان لحركة النجم قد أخرجها من الفلك الشيوعي وجعلها تعتمد على تأييد مزدوج عربي إسلامي، من جهة وعالمي يساري من جهة أخرى. أما رأي شكيب أرسلان في مصالي الحاج فقد كان معجبا بشخصيته النضالية وبوطنيته وحماسه، وإيمانه بقضية بلاده وبقدرته على التحكم في أتباعه ومناوراته مع الشيوعيين ومع الإدارة الفرنسية، في إطار النضال الوطني. وفي ذات السياق يروي أحمد توفيق المدني أن أرسلان كان يشيد في مراسلاته للمغاربة بمصالي الحاج مبديا تأييده له في مسعاه الوطني الإسلامي، ومما أورده في شأنه "هذا الشاب الوطني المقدم المتحمس الذي لو كان للإسلام مثله في مختلف الأوطان لتغير الحال غير الحال". ويضيف "مصالي من خير الفتيان ونخبة الشبان، ولو كانت الشبيبة الإسلامية كلها على نمطه لتحرر الإسلام من زمن طويل، وليس في ذلك مبالغة، والله على ما أقول وكيل، وقد اكتشفت في حقيقة أخلاقه، أدبه وعلو نفسه وفصاحة رأيه، فلم أجد شيئا ينقصه، وغاية تمنّيّاتي أن يحفظه الله، ويكثر من أمثاله والتّاسجين على منواله..."<sup>(2)</sup>.

ومنذ سنة 1936 أخذ شكيب أرسلان يناصر مصالي الحاج على المستوى المغربي والدولي ويضفي السمة الشرعية على نهج مصالي في نضاله، من خلال استغلال بعض مبادئ الشيوعية ونظرتها للشعوب المستعمرة، فعند سيطرة الجبهة الشعبية في فرنسا على مقاليد السياسية، شجّع الأمير شكيب، مصالي الحاج على التحالف مع الشيوعيين، مؤكداً أن الشيوعيين وقفوا مدافعين عن مسلمي

(1) أحمد توفيق المدني : حياة كفاح، مذكرات، (1925-1954)، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 239.

(2) أبو القاسم سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، مرجع سابق، ص 126.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

شمال إفريقيا معتبرا مصالي مسلما صالحا<sup>(1)</sup> كما استنكرت جريدة "الأمة العربية" لسان حال حركة الأمير شكيب أرسلان حل نجم شمال إفريقيا من قبل حكومة الجبهة الشعبية، إذ كتب شكيب أرسلان مقالا ندّد فيه بالحل، وأبدى عدم رضاه على اتهام الحزب بأنه يقوم بأعمال تشويشية معادية للإدارة الفرنسية<sup>(2)</sup>.

### ب - علاقة الأمير شكيب أرسلان بجمعية العلماء المسلمين:

لم تقتصر علاقة الأمير شكيب أرسلان النضالية المصطبغة بفكر الجامعة الإسلامية بنجم شمال إفريقيا وبزعيمها "مصالي الحاج" فقط، وإنما تعدّدت إلى جل تيارات الحركة الوطنية على مختلف مشاربها منها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كانت على اتصال وثيق مع أرسلان، وهو ما تؤكده بعض المراسلات بين شخصيات الجمعية والأمير شكيب، صاحب الفكر الإسلامي التجديدي الجامع. ومن بين الشخصيات الإصلاحية الجزائرية التي تبنت فكر التجديد الديني للجامعة الإسلامية وكانت على علاقة وطيدة مع الأمير شكيب أرسلان، وعلى وفاق مع فكره، الشيخ الطيب العقبي حيث تورّد بعض المصادر على وجود مراسلات متواصلة بين الأمير و العقبي قبل رجوعه إلى الجزائر سنة 1920، والمعروف أن العقبي كان يقيم في المشرق في المدينة المنورة، لذلك فقد لقيه هناك منذ سنة 1917، ثم في أزمير بعد نفي العقبي إليها من طرف السلطات العثمانية، وقد ورد في كتاب (شعراء الجزائر) الذي صدر سنة 1927 أن بين أرسلان وعقبي علاقة صداقة فريدة من نوعها مبنية

(1) في إطار الفكر العالمي لمنظري الجامعة الإسلامية، فإنه يمكن استغلال أصحاب مختلف المنابر السياسية، الكائنة في عقر دار المحتل النصراني، في إطار التعايش، و من ذلك أن جمال الدين وتلميذه محمد عبده استغل السلطات الفرنسية في باريس واتخذوا أراضبها منبرا لنشر مبادئ الجامعة الإسلامية من خلال تأسيس جمعية العروة الوثقى، وجريدة العروة الوثقى، وكذا زيارة محمد عبده للجزائر سنة 1903 بترخيص من فرنسا، على أنه لم يخض في القضايا السياسية، ولكنه كان يؤلف العقول، ذات المنظومات الفكرية العقدية القادر على الخوض فيها فيما بعد، من هذا المنطلق لم يكن مصالي شيوعيا، وإنما مسلما وطنيا، يؤمن بالوحدة الإسلامية، ولكن ظروف القهر الاستعماري، ولبن جبهته الشعبية جعله يناهض عن أمته من منطلق يساري فرنسي هدفه نصره العمال، والشعوب المضطهدة.

(2) انظر: بنجامين سطورا: مصالي الحاج رائد الحركة الوطنية الجزائرية 1898 - 1974 ، ترجمة: الصادق عماري ومصطفى ماضي ، منشورات الذكرى الأربعين ، الجزائر ، 1998 ، ص 139.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

على الفكر المشترك المرتكز على نصرته الأمة الإسلامية جمعاء، ومنه فقد كان العقبي كان يجمع الاشتراكات لصالح جريدة "الأمة العربية" لسان حال حركة الأمير شكيب أرسلان<sup>(1)</sup>.

وفي ذات السياق ارتبط شكيب بعلاقات نضالية مع رائد التجديد في الجزائر الأستاذ أحمد توفيق المدني، الذي ترجع علاقته به من خلال مذكراته "حياة كفاح" إلى سنة 1923، عندما كان على رأس "الإدارة الدستورية بتونس"، ولكن في مقال له حول شكيب أرجعها إلى سنة 1925 حيث يقول: "ولقد كانت الأخوة الصداقة قد ربطت بين قلبينا، وألفت بين روحينا منذ 1925 بعد أن أبعدتني السلطة الاستعمارية عن تونس"<sup>(2)</sup>.

وحسب المدني فإنه كان على صداقة بالمصلح الإسلامي أرسلان، حيث كانت المراسلات الأدبية النضالية متواصلة بينهما منذ أمد طويل، وقد كان توفيق المدني يمد أرسلان بالمعلومات عن واقع أقطار المغرب، وعن مشاكله السياسية، وسيرورة نضالها ضد الاستعمار الأوربي، كما كان له إسهاما كبيرا في جمع الاشتراكات لصالح جريدة "الأمة العربية" لسان شكيب في مناهضته لصالح الأمة الإسلامية المضطهدة<sup>(3)</sup>.

بالإضافة إلى ذلك جرت مراسلات بين شكيب أرسلان والشيخ أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى وغيره من أعيان الجزائر دارت في أغلبها حول مستقبل البلاد الإسلامية وحاضرها مع الاستعمار الأوربي، وتدعو إلى وجوب تجنيد الرأي العام الأوربي لصالح الأقطار الإسلامية، وقد نشرت صحف أبي اليقظان مقالات للأمير<sup>(4)</sup> من ذلك مقالة "خذوا حذرکم من السوّاحين" التي نشرتها جريدة "واد ميزاب" سنة 1928. كما كان الأمير معجبا بشعر محمد العيد آل خليفة، فقد

(1) أبو القاسم سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 4 ، مرجع سابق ، ص 121، 122.

(2) أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج 2 ، مصدر سابق ، ص 132.

(3) أحمد توفيق المدني : مقال سابق ، ص 70.

(4) أبو القاسم سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 4 ، مرجع سابق ، ص 123.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

شبهه بالبهاء زهير (الشاعر المكي 1185-1257) في قوله «إن كان في هذا العصر شاعر يصح أن يمثل البهاء زهير في سلاسة نظمه وخفة روحه و رقة شعوره فهو محمد العيد»<sup>(1)</sup>.

ثم إن الحديث عن علاقة شكيب بمصليحي الجزائر، يسوقنا للحديث بالدرجة الأولى عن علاقته بالشيخ عبد الحميد بن باديس، ففي 1930 راسل شكيب مجلة الشهاب، ونوه بدور الشيخ عبد الحميد، بقوله «الله يأخذ بيدكم، ويفتح عليكم، ويجعلكم علما منيرا، ويهدي بكم كثيرا»، ثم نوه بقيمة كتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" لصاحبه الشيخ مبارك الملي، حيث أثنى أرسلان على الكتاب وتحدث عن نهضة الجزائر وربطها ببعدها الإسلامي وقيمها المستمدة منه قائلا: «لا رقي بدون أخلاق، ولا أخلاق بدون مدنية روحية تكون فيها الروح محركا والمادة آلة...» وفي نفس السنة راسل شكيب الشهاب من الأندلس وقد أخبر أنه وجد آثار المسلمين الحضارية فوق ما كان يتصور ومنه حث الناس على عدم اليأس "لأن اليأس هو السقوط الحقيقي، ومادام الأمل موجودا فحياة الشعوب موجودة»<sup>(2)</sup>، وفي ذات السياق كانت بين شكيب أرسلان وعلي الحمامي<sup>(3)</sup> صلات نضالية بالرغم من قومية الحمامي<sup>(4)</sup>.

(1) أحمد صاري : مرجع سابق ، ص 87.

(2) أبو القاسم سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 4 ، مرجع سابق ، 128.

(2) ولد علي الحمامي سنة 1902 في مدينة تيارت في منطقة جبلية تسمى عين الحمام بمنطقة الغرب الجزائري وقد كتب عنه علال الفاسي " عرفت من أحاديثه أنه ولد في الجزائر من أب ريفي من جبل الحمام وأم سوسية، ثم هاجر مع والده إلى المشرق وهو صغير حيث أقام بالإسكندرية وتعلم بمدارس "الافرنسيس" ارتحل مع عائلته إلى المشرق لأداء مناسك الحج وعلى إثر ذلك استقر رفقة عائلته في مصر وعند اندلاع ثورة الريف بقيادة الخطابي انضم إليه، وبعد هزيمة الخطابي انتقل إلى باريس سنة 1926 بحيث التقى مع رواد الإصلاح أمثال شكيب أرسلان تعرف كذلك على الأمير خالد الجزائري، توفي في 1949. انظر: محي الدين القليبي: "الأستاذ علي الحمامي" ، جريدة البصائر العدد: 100 ، 02 ربيع الأول 1369 / 26 ديسمبر 1949 ص 1 ، 2 . كذلك: عبد المجيد بن جلول : "الثلاثة الذين استشهدوا" ، جريدة البصائر ، العدد 106 ، 19 ربيع الأول 1369 / 09 جانفي 1950 ، ص 1 ، 2.

(4) Ali.Hammami: **idris roman nord africain, Alger, avec un introduction de cheikh Bouamrane**, entreprise nationale du livre 2eme ed , 1988 .

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

لقد كان الفرنسيون يتهمون الأمير بأنه يتعامل مع ألمانيا وإيطاليا ويصنفون من يتعاطف معهم أو يتبعه بأنه عميل مثله، للدولتين المذكورتين وكانت الصحف الفرنسية تكيل التهم لأرسلان لأنه نادى بتحرير المغرب العربي بالتعاون مع حركاته الوطنية، كما كان الأمير يشكو من إرجاع بريده المرسل إلى الجزائر من قبل مصالح البريد الفرنسية<sup>(1)</sup>. ولم يتوقف الفرنسيون عند هذا الحد، بل ذهب اتهامهم إلى تسببه في أحداث 08 ماي 1945، إذ أن صلته بألمانيا كانت مستمرة لصالح الجزائريين عند وفاة الأمير كان معظم قادة الحركة الوطنية في السجون والمنفى على إثر أحداث 08 ماي 1945، وكانت الصحف معطلة و الأحزاب منحلة وكان المد الاستعماري قويا بعد انتصار الحلفاء على ألمانيا وإيطاليا ولم تكن الحرب الباردة قد وصلت درجة الغليان، لذلك لم تنل وفاة أرسلان سنة 1946 حظها من الإعلام في الأوساط الوطنية في الجزائر ولم ينوه في دوره إلا في الذكرى الأولى لوفاته سنة 1947، حيث أقيمت له حفلة تأبين بنادي الترقى نشطها الطيب العقبي وأحمد توفيق المدني أما الأول فألقى خطبة مؤثرة عن حياة الرجل وأما الثاني فذكر الرصيد العلمي له<sup>(2)</sup>.

### ثالثا - صدى الجامعة الإسلامية الرسمية في الجزائر خلال الحرب العالمية الأولى:

لقد كانت الحرب العالمية الأولى من افتعال القوى السياسية والعسكرية الأوربية الكبرى، نتيجة تضارب أهدافها ومصالحها الإستراتيجية، لذلك فقد كانت أقطار أوربا محور أحداث الحرب، بيد أنها سعت جاهدة لتوظيف مختلف الوسائل لخدمة جبهات القتال، فنجد بعضها قد جعلت التجنيد جبرا على الشباب المستعمر المستضعف، والبعض الآخر جعل من الدين الإسلامي وسيلة للدعاية في أوساط الشعوب الإسلامية باسم الجهاد في سبيل الله ضد الكفر، شأن ذلك شأن فرنسا وألمانيا التي جعلتا من المشرق والمغرب العربي مجالا خصبا لتجسيد مشاريعها الاستغلالية، من هذا المنطلق فقد استغلّت ألمانيا فكرة الجامعة الإسلامية لأقطابها المشهورين<sup>(3)</sup> جمال الدين، محمد عبده، رشيد رضا

(1) أحمد صاري : مرجع سابق ، ص 87.

(2) أبو القاسم سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 4 ، مرجع سابق ، ص 134، 136 وقد نظم الشيخ عبد الكريم العقون قصيدة رثائية لأرسلان نوه فيها بدوره في دعم للحركة الوطنية الجزائرية وباقي الحركات، انظر الملحق رقم 06.



## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

شكيب ارسلان<sup>(1)</sup> والمتبناة من طرف الدولة العثمانية باعتبارها طرفا رئيسيا في الحرب وحليفا مهماً لتمرر مشروعها الدّعائي بغية تحريض الشعوب ضد فرنسا وأن تجعل من الإسلام منبرا لتحريك الحس الجهادي لدى الشعوب التي تستعمرها، خاصة وأن فكرة الجامعة الإسلامية التي روجت لها الدولة قد وجدت صدى واسعاً في أوساط الشعوب الإسلامية، بما فيها شعب الجزائر الذي وجد فيه الطرفان وسيلة مهمة لتحقيق المصالح وخدمة الحرب، حيث جعلت من الجزائر خزاناً بشريا وطاقويا، في ذات الوقت سعت ألمانيا لتحريض الشعب ضدها والتحالف معها ومع حليفها الدولة الأم الجامعة - الدولة العثمانية- وأن القتال لصالح هذه الجبهة ضد الأخرى جهاد في سبيل الله.

### 1 - الجامعة الإسلامية الرسمية في إستراتيجية الحرب الألمانية:

بعد أن أقامت ألمانيا وحدتها السياسية سنة 1870، دخلت حلبة الصراع الأوربي الرامي إلى بسط النفوذ والهيمنة على الأقاليم التي تعاني من الضعف والتقهقر والشتات السياسي، والتخلف شأن ذلك شأن أقطار العالم الإسلامي، التي صارت تحوي ميزات القابلية للاحتلال، خصوصا بعد تفشي الضعف في جامعتها الإسلامية المركزية العثمانية، دخلت ألمانيا في علاقات ودية مع العالم الإسلامي باسم واجهته السياسية الممثلة في دولة الخلافة، فمع مطلع ثمانينات القرن التاسع عشر استخدمت ألمانيا نفوذ السلطان العثماني، من أجل الحفاظ على مصالحها في إفريقيا وغرب آسيا، ومن منطلق إقامة التوازنات السياسية والعسكرية الأوربية، سعت ألمانيا للحفاظ على الاستمرارية السياسية للخلافة الإسلامية<sup>(1)</sup>.

لقد كان كبار الساسة الألمان على دراية بأهمية الإسلام، باعتباره القاسم المشترك بين الشعوب والأمم التي تتبناه كدين رسمي، وكذا بأهمية السياسية التي تستمدّها منه الخلافة الإسلامية العثمانية فمن منطلق الدين يمكن تحريك هذه الشعوب في الإطار المصلحي، الذي يكتسي السمة الشرعية

(1) للمزيد حول موضوع استفادة ألمانيا من نفوذ السلطان العثماني؛ انظر: عبد الرؤوف سنو: " الدبلوماسية الألمانية ومحاولات إحياء الجامعة الإسلامية بين السلطة العثمانية والمغرب الأقصى (1870-1890) " ، حوليات بيروت ، عدد6 ، 1991 - 1992 ، ص 123-153.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

من خلال استصدار الفتوى بالاعتماد على أصولها المرتكزة أساسا على القرآن والسنة والاجتهاد، من أجل صناعة "الجهاد" الذي لا يتردد كل مسلم لتقديم روحه، في سبيل الحصول على ميزة الشهيد وعليه سعت ألمانيا لاستغلال الطاقات الشبانية للعالم الإسلامي من مرتكز عقدي ديني.

من هنا دخل عنصر الإسلام بقوة في الحرب خاصة بعد إعلان السلطان العثماني "الجهاد المقدس"<sup>(1)</sup> ضد دول الوفاق الودي المسيحي بقيادة فرنسا، بريطانيا، روسيا، مستثيا من هذا الجهاد المسيحيين الآخرين من حلفائه في دول الوسط<sup>(2)</sup> وقد سلكت ألمانيا سياسة تتمحور حول استغلال عنصر الجهاد خدمة لمصالحها إبان الحرب وقد بذلت كل الأسباب لتحقيق ذلك، حتى قيل "الجهاد العثماني صنع في ألمانيا"<sup>(3)</sup> من هذا المنطلق سعى أولئك الساسة، يتبعهم المفكرون، الذين نظروا لطرائق وسبل توظيف الطاقات الروحية للإسلام لخدمة الحرب والمصالح الألمانية وعلى رأسهم المستشرق "ماكس فون أوبنهايم"<sup>(4)</sup> الذي يعتبر أحد أهم الشخصيات الفكرية الألمانية التي لفتت الانتباه إلى أهمية استخدام الجامعة الإسلامية والجهاد لقب السلطان كخليفة يملك السلطة الزمنية والروحية على

(1) الجهاد في الإسلام هو مصطلح شرعي يقصد به القتال في سبيل الله، وأما إطلاق مصطلح الجهاد المقدس فهو مصطلح أطلقه النصارى على الحروب الصليبية في مقابل الجهاد عند المسلمين تشجيعا للمقاتلين على أساس عقائدي

(2) وهي ألمانيا النمسا وهنغاريا وبلغاريا

(3) لقد استغلت ألمانيا الضعف والتفكك الذي أصاب العالم الإسلامي، ناهيك عن انتشار الجهل والأمية وشيوع الخرافة، لتروج لفكرة الجهاد إلى جنبها كونها حليفة الدولة العثمانية أي السلطة المركزية للعالم الإسلامي، وفي الحقيقة أن مصطلح الجهاد من الناحية الشرعية يراد به القتال في سبيل الله فقط لا لأهداف سياسية أو اقتصادية، شأن ذلك شأن غزوات النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء، ولكن أصحاب السياسة العالمية يستغلون كل مقدس روحي له مرتبة عند الشعوب ويجعلونه مطية يركبونها لتحقيق مآربهم المصلحية ومن جاء بعدهم، ومن الكتاب الأوربيين ذوي النزعة الدينية من اعتبروا هذا التحالف بمثابة ضربة لديانة المسيح كون أن الحرب الصليبية لازالت مستمرة منذ مبعث النبي محمد، وأن هذا التحالف يبرئ الدولة العثمانية من جريمة مجازر الأرمن ومنه من رأى أن هذه الحرب شرعية، كونها تحقق أهدافا روحية وأهدافا دنيوية مصلحية أما الروحية فالدولة العثمانية تسير نحو المدنية المسيحية وصارت أقل تعصبا خصوصا منذ العودة للعمل بالدستور الذي يعطي الحرية للمسيحيين، ويحكم القوانين الوضعية مبتعدا عن الشريعة الإسلامية

(4) ماكس فون أوبنهايم Max von Oppenheim رحالة وعالم آثار ودبلوماسي ألماني من أصل يهودي، ولد في كولونيا في 15 يوليو 1860 وتوفي في 17 نوفمبر 1946 هو نجل ماكس كان وألبرت أوبنهايم آخر أعظم مكتشفي الآثار الهواة في الشرق الأوسط. وإلى جانب نبوغه في الآثار يعتبر أوبنهايم من أبرز المستشرقين الداعين إلى استغلال الجامعة الإسلامية وقد وضع اثنا عشرة مجلدا، تضمنت تقاريره حول كيفية استغلال ألمانيا للإسلام والجامعة الإسلامية.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

المسلمين في العالم، ونتيجة لعمله في الشرق كعالم آثار، ودبلوماسي ومعرفة الواسعة بأوضاع العالمين العربي والإسلامي، وارتباطه بصداقات مع عدد كبير من الشخصيات السياسية والحزبية والفكرية العربية والإسلامية مثل شكيب أرسلان، استطاع أن يضفي الصبغة السياسية على خبرته الشرقية، من خلال كسبه لثقة إمبراطور ألمانيا، كخبير في أوضاع العالم الإسلامي يمتلك برنامجا واسعا مناهضة دول الوفاق الودي في مناطق نفوذها، وذلك أثناء أشد مراحل التنافس الإمبريالي في العقدين اللذين سبقا الحرب العالمية الأولى.

من هذا المنطلق أطلق على أوبنهايم لقب "الأب الروحي للجهاد الإسلامي" و"لورانس القيصر" وقد سببت سياسة أوبنهايم الداعمة لحركة الجامعة الإسلامية قبيل الحرب وأثنائها إرباكاً لدى الدوائر الاستعمارية الفرنسية والبريطانية. ونتيجة النشاط الحثيث الذي بثه "أوبنهايم" ألقى الإمبراطور "وليم الثاني" خطاباً في دمشق عام 1898 وأعلن فيه عن صداقته للمسلمين في العالم وخليفتهم السلطان عبد الحميد الثاني، ودشن من خلاله سياسة جديدة لبلاده تقوم على استغلال الإسلام في سبيل مناهضة دول الاستعمار الأخرى وفي عام 1905 وزع في بيروت رسم الإمبراطور ألمانيا يظهر فيه رأسه في وسط الهلال الإسلامي، كإشارة إلى المركز الذي كانت تسعى ألمانيا لاحتلاله في العالم الإسلامي وفرض الوصاية عليه<sup>(1)</sup>.

لقد كانت الجامعة الإسلامية أحد أهم وسائل ألمانيا الإستراتيجية لخدمة العالمية الأولى، ذلك أنها تمثل الجامعة التي تجمع العالم الإسلامي في كل أنحاء المعمورة، من منطلق قاسمها المشترك وهو الإسلام، الذي يحث أتباعه على بذل النفس في سبيل الجهاد في سبيل الله، من هذا المنطلق استغلت ألمانيا عنصر الجهاد باعتباره فرض على كل مسلم قادر على حمل السلاح، خصوصاً إذا كان "جهاد دفع"، ولا يمكن لألمانيا أن تستغل الشباب المسلم لخدمة جبهات القتال إلا من خلال مركز النفوذ الإسلامي الممثل في الخلافة الإسلامية التي كان يمثلها وقتها السلطان عبد الحميد الثاني، واستهدفت

(1) عبد الرؤوف سنو : " الدعوة إلى الإسلام والعلاقات الدولية؛ قراءة في الوعي السياسي في مطلع القرن العشرين " ، مجلة الاجتهاد ، عدد 46/45 ، 2000 ، بيروت ، لبنان ، ص 241-274.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

تحريك الشعوب الإسلامية الواقعة تحت النفوذ الفرنسي والبريطاني، للتحالف مع ألمانيا حليفة خليفتهم الروحي والزمني، وجهاد تلك القوى الاستعمارية، وقد كانت الجزائر أحد أقطار العالم الإسلامي المحتل من طرف فرنسا مجالا خصبا لنشر دعاية الجهاد جنبا إلى جنب مع ألمانيا صديقة الإسلام.

### 2- الجامعة الإسلامية في الدعاية الألمانية-العثمانية وصداهما في الجزائر:

شهدت الجزائر في خضم الحرب العالمية الأولى انتشارا واسعا للدعاية الألمانية-عثمانية استهدفت مناصرة الشعوب الإسلامية، بما فيها شعوب شمال إفريقيا ومساعدتهم على تحرير بلدانهم من الاستعمار الفرنسي الكافر الذي كان قد احتل جل أراضيهم، بما فيهم الشعب الجزائري الذي رأى أن في هذه الحرب فرصة له للخلاص من هيمنة الاستعمار إذا ما انتصر الألمان والعثمانيون على فرنسا والحلفاء. في الوقت الذي كانت فيه الدعاية الألمانية المضادة لفرنسا قد شقت طريقها إلى الجزائر منذ قبيل الحرب، هذا ما أكد الكاتب الفرنسي "ديارمي" بقوله: "إن ألمنة الجزائر قد بدأت خلال الخمسة عشر سنة الماضية"<sup>(1)</sup>.

وقد انتهجت ألمانيا سياسة تحريضية بغية تحريك الأهالي ضد فرنسا و ذلك عن طريق جواسيس ألمان ترددوا على الجزائر كثيرا؛ لاسيما في السنوات القليلة قبل اندلاع الحرب. ويؤكد كاتب فرنسي آخر وهو "أوغسطين برنارد" أن هؤلاء الجواسيس حاولوا إظهار ألمانيا بمظهر حسن، وربطوا علاقات حسنة مع الأهالي، وحاولوا تحريضهم للثورة ضد فرنسا<sup>(2)</sup>.

(1) سعد الله أبو القاسم : الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، مرجع سابق ، ص 240.

(2) انظر: ناصر بلحاج: " دور الدعاية العثمانية-الألمانية في رفض التجنيد الإجباري بالجزائر، والدعاية الفرنسية المضادة، خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918)" ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، عدد 3 ، ديسمبر 2008 ، غرداية ، الجزائر ص111؛ نقلا عن:

Desparmet J : "Quelques échos de la propagande allemande a' Alger", Bulletin de la Société de Géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord, Tome. 10, 1915, p. 48.

Augustin Bernard: L'Allemagne et l'Afrique du Nord, "Algérie" dans: Bulletin du comité de l'Afrique du Nord, Avril 1915, p. 88.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

لقد لعبت ألمانيا رفقة حليفها الدولة العثمانية على وتر التجنيد الإجباري، وهو قضية حساسة بالنسبة للجزائريين الذين كانت فرنسا تسعى لفرض التجنيد على أبنائهم ليدفعوا ضريبة الدّم لصالح فرنسا، من هذا المنطلق فقد وجد أولئك الجواسيس الألمان العقول الجزائرية خصبة لتتفاعل مع حركتهم الدّعائية بغية تحرك الشعب للثورة على فرنسا، وقد أكّدت جريدة الأخبار منذ سنة 1909 اهتمام الصحف الألمانية بهذه القضية وذكرت على الخصوص صحيفة ستراسبورغ بوست<sup>(1)</sup>.

وقد كانت وسيلة التحالف العثماني-الألماني في تحريك الشعب الجزائري، ضد الاحتلال الفرنسي استهداف الحركة الوطنية الجزائرية التي كانت تعيش سنوات لمخاضها، وميلاد مختلف توجهاتها على اختلاف المشارب التي نهلوا من معينها والتي صنعت نمطهم النضالي للتعبير عن مطالب الجزائريين و حقوقهم المهضومة لكن المفكرين الألمان اختلفوا حول قوة الحركة الوطنية الجزائرية وقدرتها على مواجهة الاحتلال الفرنسي بتفجير ثورة في الجزائر، مثل هذا الجدل المستشرقين الألمانين " البروفسور "جورج كامفماير" و"كارل بيكر" حيث ذهب جورج في دراسته: "شمال غرب إفريقيا وألمانيا"، التي نشرها ضمن سلسلة "ألمانيا والإسلام" بأنه لا يمكن لألمانيا أن تعتمد على سكان شمال إفريقيا لعدم توفر الظروف الملائمة لتحريرهم للقيام بثورة، خاصة وأن فرنسا تمكنت من القضاء على ثورة 1871 في الوقت الذي كانت فيه المواجهة الألمانية الفرنسية على أوجها وأرجع ذلك، إلى السياسية الفرنسية المحكمة، وعدم توفر عناصر النهضة واليقظة الوطنية كالصحافة النشطة، والهيئات السياسية الحقوقية والإصلاحية، ناهيك عن تجذر عقيدة القدرية. ويذهب "البروفسور كارل بيكر" إلى الرأي المخالف، ففي كتابه ألمانيا والإسلام الذي كتبه سنة 1914 أوضح فيه أن ألمانيا تستطيع استثمار عنصر الإسلام لصالحها في الجزائر عن طريق الدّعاية التي وجدت تجاوبا ملحوظا وسط الأهالي<sup>(2)</sup>.

(1) سعد الله أبو القاسم : الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، مرجع سابق ، ص 240. وانظر كذلك:

(2) انظر: سعد الله أبو القاسم : مرجع نفسه ، ص 241.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

لقد رمت السلطات الألمانية بكل استشرافاتها لخدمة جبهات القتال لصالحها إبان الحرب، وعليه فقد أولت أهمية قصوى لسياستها الإسلامية، من خلال توظيف تحالفها مع صاحبة السلطة الروحية والسياسية على العالم الإسلامي وهي الجامعة الإسلامية العثمانية، تحت مسمى الجهاد المقدس ضد المسيحيين المعتدين حيث تم استصدار الفتوى التي تحث المسلمين على ذلك من منطلق عقدي.

وعليه فقد تم تحرير بيان يعد بمثابة فتوى شرعية يدعو المسلمين إلى الجهاد بما فيها أقطار المغرب العربي؛ وقع عليه أعضاء جمعية من علماء المسلمين، وهم أحمد الشريف التونسي وعمر الورغي من الجزائر، ومحمد بطيخ من السودان وعبد الحسين من طهران، ومصطفى لطف الله من مصر، حمدان العدلي من المغرب الأقصى، والعربي عز الإسلام من الهند، وحلمي فخر الإسلام من بخارة، وعبد إسماعيل من أفغانستان. وجاء في البيان نداء مباشر للشعوب الإسلامية للوقوف والالتفاف حول الخلافة العثمانية السلطة المركزية للمسلمين: " إلى الجنود المسلمين الواقعين في قبضة أعداء الله وأعدائهم من الفرنسيين والبريطانيين... والقتال مع أولئك ذنب حقيقي يجلب غضب الله ونقمته الأبدية... ومن يمت معهم يكون كمن قتل نفسه، فحقت عليه النار الأبدية..."<sup>(1)</sup>

وقد وجدت تلك الفتوى وجهود التحالف الألماني-العثماني في الجزائر وبلدان المغرب الاستجابة لنداء الجهاد ضد فرنسا وأحلافها في خضم الحرب العالمية الأولى، نتيجة وجود القاعدة الفكرية لحركة الجامعة الإسلامية المناصرة للسلطة الخلافة العثمانية المؤسسة بفعل نشاط صحافة الجامعة الإسلامية (جريدة العروة الوثقى ثم جريدة المنار... الأمة العربية) التي كانت تنشر باسم أقطابها "جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا وشكيب أرسلان" أفكارا تحريرية معادية للاستعمار، داعية إلى الجهاد في سبيل الجامعة الإسلامية العثمانية، وقد كانت جريدتي الفاروق وذو الفقار، اللتين مثلتا ميلاد الحركة الصحفية الوطنية الجزائرية تحملان هذه المبادئ وتوسعيان لترويج هذه الأفكار.

(1) للاستزادة حول الموضوع؛ انظر: سعدون خالد محمد: الجهاد خلال الحرب العالمية الأولى، الدعوة والاستجابة، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، بنغازي، ليبيا، 1999، 294.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

لقد استهدفت الدعاية العثمانية-الألمانية المهاجرين المغاربة في بلاد المشرق وأوروبا لنفث أفكارها في روعهم من خلال عدة تنظيمات منها " لجنة الاتحاد والتقدم " التي تأسست في جنيف<sup>(1)</sup> وكان من نتائج ذلك تأثر ثلة من رجال النضال المغاربية بهذا النمط النضالي ومن مظاهر ذلك تأسيس "لجنة استقلال الجزائر وتونس"<sup>(2)</sup> برئاسة الشّيخين صالح الشّريف، وإسماعيل الصفّاحي بألمانيا في 7 جانفي 1916، ومع تأسيس هذه اللجنة اضطلعت بالمهام المنوطة بها وعلى رأسها بث الحماس الجهادي لدى الجنود المغاربة وحثهم على الفرار من الجيش الفرنسي، من خلال توزيع المناشير والإعلانات الدعائية<sup>(3)</sup>.

وفي جبهات القتال في أوروبا كان الفارون من الجيش الفرنسي و الجنود الأسرى يتجمعون في مركز الهلال في برلين، حيث يعتبرون أهدافا مباشرة للدعاية الألمانية العثمانية، فتلقى عليهم الدروس والخطب الهادفة التي تتضمن فكر الجامعة الإسلامية، والجهاد تحت لوائها من قبل أقطاب سياسية الجامعة الإسلامية مثل الجزائري علي بن عبد القادر، ومن أبرز الفارّين من الجيش الفرنسي والذين كان لهم نشاطا ملحوظا وحثيثا، مثل عبد الله بوكابوية الذي أصبح من أقطاب الدّعاية الألمانية

(1) سعد الله أبو القاسم : الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، مرجع سابق ، ص 241.

(2) انظر: محمد بلقاسم: مرجع سابق ، ص 49.

(3) لقد كانت هذه اللجنة تشجع الجنود المغاربة على الفرار من الجيش الفرنسي، بواسطة مناشير توزع عليهم خفية في جبهات القتال، ففي 1915 احتجز الفرنسيون بعضها لدى الجزائريين، وهي عبارة عن رسائل تحتوي على فقرات محرّضة على الفرار من منطلق شرعي روعي على أن القتال لصالح فرنسا كفر، والعكس القتال في صفوف الجيش العثماني هو جهاد، وقد نجحت هذه المناشير في التأثير على الجنود المسلمين المتواجدين ضمن الجيش الفرنسي وجيوش الحلفاء، حيث قرّ الكثير منهم، ولجأوا إلى جيش التحالف الألماني- العثماني الذين خصصوا لهم مركزا خاصا في فنزدورف قرب برلين ويسمى معسكر الهلال، حيث تم عزلهم عن الأسرى الفرنسيين، ووضعهم تحت قيادة ضباط ألمان يجيدون العربية. وحسب المصادر الفرنسية فإن هؤلاء المجندين الجزائريين قد عوملوا معاملة حسنة، وروعت الخصوصيات الدينية والاجتماعية للمسلمين المغاربة والجزائريين، فقد كان الأكل يمنح لهم على الطريقة الإسلامية بما فيها اللحوم الحلال، كما بني لهم فيه مسجد كبير في وسطه، تم افتتاحه وسط احتفالات كبيرة حضرها العديد من الجزائريين والتونسيين والمغاربة ، وبعض الشخصيات الألمانية والعثمانية. انظر: سعد الله أبو القاسم : الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، مرجع سابق ، ص243 ، 244.

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

العثمانية يكتب في مجلة الجهاد، ويؤلف الكتب الداعية إلى الوقوف ضد فرنسا في حربها مع الدولة العثمانية، منها "الإسلام في الجيش الفرنسي" و"مسلمو شمال إفريقيا والجهاد"<sup>(1)</sup>.

وكان عدد الجنود المغاربة بمعسكر الهلال في حدود 1916 حوالي ثلاثة آلاف ومائتي جندي منهم حوالي ألفين وخمسمائة جزائري، وخمسمائة تونسي، ومائتي مغربي، أدمج منهم ثمانمائة جندي ضمن القوات العثمانية ثم تنقل كل من إسماعيل الصفائحي وعبد العزيز جاويش إلى اسطنبول وبرلين حيث تمكنا من تجنيد حوالي ثمانمائة جندي وضابط في المرة الأولى، ثم حوالي أربعمائة وثمانين في دفعة ثانية ضمن فرق كونتها الحكومة العثمانية خلال الحرب عرفت باسم "التشكيلات" بقيادة علي باش حبه يساعده في مهمته العقيد علي رضا قائد الفصيلة الأولى لقيادة الأركان العثمانية، وكان هدفها تحرير بلدان العالم الإسلامي<sup>(2)</sup>.

لقد كان للدعاية الإسلامية بالغ الأثر على الشعب الجزائري بمختلف طبقاته ونخبه وكانت ردة فعل سليمة لنداء الجهاد لصالح الدولة الأم ممثلة الخلافة والجامعة الإسلامية. وفي ذات السياق عبّر الشعب الجزائري عن مدى تعاطفه مع الدولة العثمانية وحليفاتها ألمانيا الممثلة في قيصرها قاهر فرنسا "غليوم"، من خلال الأدب الشعبي العفوي الذي كان عبارة عن قصائد شعبية؛ أوحى بمدى تدمير الشعب من سياسة فرنسا القهرية ضد فلذات أكبادهم<sup>(3)</sup>.

من جهة أخرى عملت السلطات الفرنسية على نشر دعايتها بين الجزائريين، منذ قبيل اندلاع الحرب لتنشيط حركة التجنيد في صفوف جيشها من جهة، ومن جهة أخرى لتحافظ على مستعمرة الجزائر هادئة والرد على الدعاية العثمانية-الألمانية المعادية لها، وجّه الحاكم العام في الجزائر بيانا إلى المستوطنين وآخر إلى الجزائريين ناشدهم فيه مساعدة فرنسا والوقوف ضد ألمانيا، وكرد على الدعاية العثمانية-الألمانية بثت فرنسا دعاية أخرى في الفلك مضاد تمحورت دائما حول مصطلح الجهاد

(1) عبد القادر جغلول : الاستعمار و الصراعات الثقافية في الجزائر ، ترجمة : سليم قسطون ، دار الحداثة للنشر و التوزيع ، بيروت ، 1984 ، ص 103 .

(2) بلقاسم محمد : مرجع سابق ، ص 67 .

(3) انظر الملحق رقم 07 .



## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

الذي استغله الألمان وجعله كوسيلة تعبئة وتحريض، مما جعل الحاكم العام في الجزائر يسارع لكبح هذه الدعية، واستغلالها لصالح فرنسا حيث صرح في نوفمبر 1914: «إن فحنا قد نصب للإسلام... فيجب أن تتفطنوا...الألمان هم الذين يسرون الحرب ويوجهونها أما العثمانيين فهم لعبة في أيديهم»<sup>(1)</sup>.

وقد أدرك وفقه الفرنسيون جيدا أهمية معطى الإسلام في رفع شعار الجهاد في سبيل الله وضد الألمان وعليه استعملت في دعايتها رجال الدين الرسميين المواليين لها من أئمة ومفتين، لما لهم من ثقل روحي على الشباب المتحمس، حيث طلبت إضفاء الشرعية الدينية للجزائريين المشاركين في الحرب بجانب فرنسا، وقد استجاب الأئمة والمفتون الرسميون لندائها بحكم كونهم موظفين لديها فباركوا الحرب إلى جانبها، وحاولوا إعطاءها الشرعية الدينية بحجة أن فرنسا هي المظلومة، وألمانيا هي الظالمة والمعتدية.

وهذا ما ورد في بلاغ الجمعية الدينية الإسلامية بالعاصمة في أوت 1914، والذي جاء فيه ما يلي: «تدركون جيدا أن تمور الألمان هو الذي أدى إلى إشعال الحرب، حيث رفضوا النقاش الدبلوماسي لإيجاد حل سلمي للصراع القائم، لقد غزوا بلدانا محايدة لهم، واستولوا على أراضيها بوحشية، وقاموا بذلك دون إعلان رسمي للحرب ودون سابق إنذار وهم اليوم يهجمون على وطننا الأم فرنسا، لقد حطموا وداسوا حقوق الإنسان والقوانين الدولية، وهم معروفون بالعنف وفرنسا بالمقابل رمز العدالة والشهامة والحضارة والمدافعة عنها، قد خطت خطوات هامة في خدمة الإنسانية ولذلك منحها الله مستعمرات واسعة وسيمنحها الانتصار في الحرب... فأثبتوا أيها المسلمون شجاعتكم، وأثبتوا أن دم آبائكم يسري في عروقكم... ولا تستمعوا إلى الأكاذيب والدعايات، إن مساعدتكم للفرنسيين واجب عليكم من باب حسن الجوار والمعاشرة الذي ستدخلون به الجنة»<sup>(2)</sup>.

(1) انظر: أبو القاسم سعد الله: سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، مرجع سابق، ص 249.

(2) انظر: ناصر بلحاج: مقال سابق، ص 111. نقلا عن

## الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في الجزائر.

لقد عملت فرنسا على بث سياسة كاذبة لانتشار الدعاية العثمانية الألمانية من منطلق سياسة "الصدمة بالصدمة" أي ضرب هذا التحالف القائم على الإسلام والجهاد بالدين والجهاد لذلك كان هدف الجمعية الدينية الإسلامية خلق الأرضية الشرعية للتطوع في الجيش الفرنسي للذود عن الأمة الفرنسية، لأن ذلك من باب حسن الجوار وردّ الظلم ومجابهة المعتدي.

ومن ثمّ فإن الذي يموت في الحرب من المسلمين فهو شهيد وما لشهيد في الشريعة الإسلامية من ميزات عظيمة. وهي الفكرة التي كان الأئمة الرسميون ينشرونها بين الجزائريين ويقنعونهم بها واستعملوا لذلك الوعظ في المساجد ولاسيما خطب الجمعة حيث كانوا يدعون لفرنسا بالنصر على الألمان وقوّات المحور، وقد كان الأئمة الرسميون، يستحثون هم الشباب الجزائري الذي كان على شدّة من الفطرة الدينية أو "النية"، ولكن ربّ ضارة نافعة، فقد عاد أولئك الشباب من جبهات القتال في أوروبا بأفكار جديدة، وزالت عنهم البلادة أو "النية"، بعد أن تمازجوا بمختلف الأعراق والجنسيات.

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة

### الإسلامية في تونس.

أولاً: جذور الجامعة الإسلامية العثمانية في تونس وميلاد الحركة الإصلاحية التونسية.

1- جذور الجامعة الإسلامية العثمانية في تونس وتطورها.

2- فرض الحماية الفرنسية على تونس.

3- بوادر الحركة الإصلاحية التونسية.

ثانياً: منافذ انتقال فكر أقطاب الجامعة الإسلامية لتونس.

1 - زيارة الشيخ محمد عبده لتونس.

2 - الهجرة إلى الشرق وإرسال الدعاة.

3 - صحافة الجامعة الإسلامية.

ثالثاً: الجامعة الإسلامية وتطور الحركة الإصلاحية التونسية.

1 - أثر فكر أقطاب الجامعة الإسلامية في الفكر الإصلاحي للحركة

الوطنية التونسية.

2 - تطور الحركة الإصلاحية للجامعة الإسلامية في تونس.

3- صدى سياسة الجامعة الإسلامية في تونس خلال الحرب العالمية

الأولى.

### الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

بعد فرض الحماية الفرنسية على تونس سنة 1881 رفض الشعب التونسي بكل أطيافه المحتل الفرنسي، فخاض عدة مقاومات شعبية مسلحة، في ذات الوقت كان مشروع الجامعة الإسلامية في مفهومه المعاصر يعيش سنوات المخاض، برعاية ثلة من رجال الإصلاح؛ أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وشكيب أرسلان، ونتيجة تأثر الطبقة المثقفة المتأثرة بما يحصل في المشرق من نهضة فكرية- تجديدية كان ميلاد الحركة الإصلاحية التونسية.

### أولاً: جذور الجامعة الإسلامية العثمانية في تونس وميلاد الحركة الإصلاحية التونسية.

لقد عاشت تونس في كنف الدولة العثمانية، وتمتعت إلى أجل مسمى بالسيادة، وبعد تغير موازين القوى لصالح الدول الأوروبية وضعف الدولة العثمانية الأم، شرعت القوى الاستعمارية الأوروبية في تفكيك البنية السياسية للجامعة الإسلامية العثمانية انطلاقاً من الجزائر سنة 1830، ثم تونس. ونتيجة عدم فلاح المقاومة الشعبية التونسية المسلحة، ظهر جمهرة من أقطاب الإصلاح التونسيين وتبنوا نهج التغيير الثقافي بالاعتماد على تقديم العرائض وإرسال الوفود، من أجل المطالبة بحقوق الشعب التونسي المضطهد، وقد تعددت توجهات الحركة الثقافية التونسية، وبرز فيها التيار الذي كان يستمد عناصر النهضة من المشرق على يد أقطابها وأهمهم جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، محمد رشيد رضا وشكيب أرسلان، خصوصاً ما تعلق منها بالتجديد وتأليف عقول تونسية قادرة على حمل مشعل النهضة.

### 1- جذور الجامعة الإسلامية العثمانية في تونس وتطورها:

لقد انضوت البلاد التونسية تحت لواء الدولة العثمانية باعتبارها جامعة إسلامية ورثت الخلافة من آل العبّاس، ومن خلال لحظة استقرائية سنحاول التعرف على الجذور التاريخية للجامعة الإسلامية العثمانية في تونس والأوضاع التي عاشتها في ظل تبعيتها لها. قبل ميلاد تونس العثمانية؛ شهدت الدولة الموحدية في أواخر مراحل حكمها ضعفاً وتقهقراً، خاصة بعد انهزامهم أمام الإسبان في معركة

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

حصن العقاب بالأندلس سنة 1212 فاستقلّ بنو حفص بتونس و شرق الجزائر سنة 1229 ووسط هذه الظروف بدأت موازين القوى تميل لصالح الدول الأوربية، خصوصا مع بداية القرن السادس عشر فتم احتلال جل المناطق الساحلية للدول المغاربية الثلاث في الوقت الذي لم يكن بمقدورها الرد والمجاهمة، فكانت الفرصة مناسبة للقوى الأوربية الجديدة المتمثلة في الإسبان والبرتغال في احتلال كل المناطق الإستراتيجية الواقعة على الساحل المغربي<sup>(1)</sup>، بما فيها السواحل الحفصية، التي لم يكن بقدور السلطة المركزية الدفاع عنها<sup>(2)</sup>.

وفي ذات الوقت كان المد العثماني يشقّ طريقه نحو الضّفة الغربية للبحر المتوسط انطلاقا من الجزائر التي تحولت إلى قاعدة عثمانية؛ عبرها تم مد نفوذ الجامعة الإسلامية السياسية العثمانية إلى باقي الأقطار المغاربية، فبعد أن ألحقت الجزائر رسميا بالخلافة العثمانية سنة 1518 على عهد خير الدين رابيس، تم استدعاؤه من طرف السلطان العثماني سليمان القانوني، ليعين قائدا عاما للبحرية العثمانية<sup>(3)</sup>.

وانطلاقا من هذه المكانة العسكرية لخير الدين، وجه جل اهتماماته لضم تونس لتناج الجامعة الإسلامية العثمانية، وكان خير الدين قد عايش ظروف وأوضاع تونس عن كثب، مما مكّنه من وضع إستراتيجية محكمة لكبح النفوذ الإسباني والقضاء على الأسرة الحفصية التي كان أفرادها يتنافسون على عرشها المتهاوي، فجهز خير الدين حملة ودخل تونس سنة 1535 وبعد استنجد السلطان الحفصي الحسن بـ "شارلكان" إمبراطور إسبانيا الذي كان على منظر مما حل بتونس وذا طموح

---

(1) انظر: جلال يحيى: **المغرب العربي الحديث والمعاصر**، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مصر، 1983، ص 81 وما بعدها. كذلك: عبد الله العروي: **مجمّل تاريخ المغرب، من الغزو الإسباني إلى التحرير**، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1999، ص 23.

(2) لقد تربعت الأسرة الحفصية على جل ربوع تونس، وأجزاء واسعة من شرقي الجزائر كجاية وقسنطينة اللتين كانتا تابعتين نظريا للسلطة الحفصية.

(3) لقد تم تعيين خير الدين قائدا عاما للبحرية العثمانية سنة 1533، بعد أن وصلت أخبار بطولاته رفقة إخوته إلى قصر الخلافة بفضل جهود أولئك الإخوة الذين انطلقوا كبحارة يمارسون الجهاد البحري بعيدا عن أي صبغة رسمية استطاعوا بجهودهم الخاصة أن يضموا الجهة الغربية للمتوسطي لتناج الدولة العثمانية وعليه رقي خير الدين ليكون "قبطان داريا للدولة العثمانية".

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

سياسي بها، فأرسل أسطوله الحربي سنة 1536 تمكن على إثرها من هزيمة الحامية العثمانية وإجلائها، وعليه تم وإعادة تنصيب السلطان المخلوع الذي دخل تحت ولاية الإسبان<sup>(1)</sup> ولما تولى "درغووث باشا" أمر الجزائر ومهمة فتح تونس، دخل في حرب سجال مع الإسبان وأفراد الأسرة الحفصية الملكية الموالية للنصارى، ثم خلفه "العلاج علي" الذي حقق إنتصارا عسكريا على قوات التحالف الحفصية-الإسبانية<sup>(2)</sup>. وخلال سنة 1574 تمكن العلاج علي من القضاء على التواجد الإسباني في تونس، وكذا على نفوذ الأسرة الحفصية السياسي، وألحقت البلاد رسميا بالجامعة الإسلامية السياسية العثمانية سنة 1574.

لقد أصبحت تونس إيالة تابعة إداريا لسلطة البيلربايات في الجزائر واستمر حالها السياسي كذلك إلى غاية 1587 حيث قررت القيادة المركزية بالأستانة الفصل بين الإيالات الثلاثة، وأصبحت تونس ولاية عثمانية مستقلة يحكمها نظام باشوات باسم الخليفة العثماني<sup>(3)</sup>.

وشأن النظام العثماني في الجزائر فقد كانت هناك منافسة حادة على القيادة مثلها رجال الانكشارية الذين تمكنوا من تأليف قيادة مثلت نظاما سياسيا جديد لتونس، باسم الدايات واستمر الحال كذلك إلى غاية ميلاد نظام سياسي آخر مثلته العائلة المرادية. نسبة إلى "مراد قورصو" الجنوي الذي اعتلى عرش تونس باسم سلطة البايات، غير أن نفسه طمحت لتأسيس ملك سياسي لأبنائه، فكان له ذلك واستمر آله في حكم البلاد التونسية إلى غاية 1702<sup>(4)</sup>

لقد شهدت البلاد التونسية خلال عهد الأسرة المرادية نوعا من الاستقرار استتب الأمن والاستقرار، ولكن ما لبثت أن تأججت نار النزاع بين أفراد الأسرة لاعتلاء عرش تونس، ولم تستقر

(1) جلال يحيى: مرجع سابق، ص 126.

(2) انظر: صلاح العقاد: المغرب العربي دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة، مكتبة الأنجلو-المصرية، القاهرة، مصر، 1993، ص 24.

(3) محمد الهادي الشريف: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاحتلال، تعريب: محمد شاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص 68-69.

(4) محمد الهادي الشريف: نفسه، ص 72.

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

إلا في فترات متقطعة، تلونت بتدخل السلطة العثمانية في الجزائر، وبعد اغتيال مراد الثالث من قبل أحد قادة الجيش انقضى العهد السياسي للأسرة المرادية ودخلت البلاد في فوضى واضطراب سياسية، وفي خضم هذه الظروف خلال صائفة 1705 التف أهالي وأعيان التونسيون حول حسين بن علي<sup>(1)</sup> ليكون دايا على تونس، وذلك لما كان يتمتع به من خبرة إدارية وحكمة سياسية، واستطاع بمؤهلاته السياسية أن يحقق الاستقرار و ينشر الأمن بين الأهالي التونسيين لردح من الزمن ومع حكم حسين بن علي بدأ عهد الأسرة الحسينية التي حكمت إلى غاية 1957<sup>(2)</sup>.

لقد تراوحت الأوضاع التونسية خلال عهد الأسرة الحسينية بين الضعف والقوة، على حسب السمات السياسية لأفراد الأسرة الحاكمين، ولعل أهمهم حمودة باشا، الذي انتهج سياسة تكاد تكون رشيد قومية، شملت كل ميادين الدولة الرئيسة؛ العسكرية والاقتصادية والاجتماعية، وذلك للحيلولة دون وقوع تونس بين مخالب الاستعمار الأوربي؛ في الوقت الذي صار فيه للفرنسيين موطأ قدم في الجزائر<sup>(3)</sup>.

في خضم هذه الظروف برز الباي أحمد الذي حاول انتهاج سياسة إصلاحية للحاك بركب الحضارة الأوربية بإطراء سلسلة من الإصلاحات السياسية والاقتصادية والثقافية؛ غير أنه ركز على تطوير المؤسسة العسكرية؛ من خلال تشييد مدارس والأكاديميات حربية، وصناعة السفن الحربية واستجلب الخبراء العسكريين الأوربيين ليشرفوا على تأطير الجيش وهيكلته، لان الظروف كانت توحى بالاحتلال الوشيك لتونس.

والجدير بالبيان أن هذه السياسة الإصلاحية كانت تستنفذ أموال الدولة مما دفعه للاقتراض من الدول الأوربية وهو المطية المستقبلية للاحتلال، ذلك أن الساسة الأوربيون من أجل افتعال الأزمة التي ستكون الذريعة لاحتلال تونس، وبالفعل فقد أدت سياسة الاقتراض في

(1) هو من أصل أرناؤوطي او جنوي، وقيل أنه كرغلي.

(2) محمد الهادي الشريف : مرجع سابق ، ص81.

(3)Chater Khalifa : **Dépendance et mutations précoloniales , la Régence de Tunis de 1815 a 1857** , publications de l'Université de Tunis , 1984 , p28.

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

عهد الوزير خزندار (1837-1873) إلى اندلاع أزمة مالية حادة أدت إلى تدخل الدول المقرضة لفرض إصلاحات من أجل التدخل في الشؤون الداخلية لتونس والمساس بسيادتها، وفي الوقت ذاته فرض المزيد من الضرائب التي أثقلت كاهل القبائل التونسية<sup>(1)</sup>.

وفي عهد الباي محمد الصادق (1859-1882) قدم الوزير خير الدين باشا كل أسباب النهضة والمنعة للبلاد التونسية، ولكن البلاد كانت تسير نحو الاحتلال فكانت تتخبط في دائرة التخلف العميق ومطوقة بركام هائل من الديون، من هذا المنطلق وجدت فرنسا البلاد التونسية مهياة للاحتلال وتحوي على بيئة قابلة للاستعمار فبدأت تبحث عن الذرائع الشرعية لتبرر احتلالها لرأي العالمي.

لقد انضوت البلاد التونسية تحت التاج السياسي للجامعة الإسلامية منذ نشأتها الأولى على عهد الخلفاء الراشدين، حيث ظلت ضمن الإطار السياسي لجامعة الأمويين، والعباسيين التي بدأت تظهر فيها النزعات الاستقلالية ذات الصبغة المذهبية الدينية؛ حيث أعلن فيها إبراهيم ابن الأغلب التميمي ولائه للسلطة المركزية في بغداد عاصمة الدولة العباسية؛ على خلاف الدويلات القطرية المجاورة التي قانت في المغرب الأقصى والمغرب الأوسط (الدولة الإدريسية والدولة الرستمية) ثم استمرت تتلون بالتقلبات السياسية القطرية أو القومية التي وحدة الأراضي المغربية ضمن المراحل الرئيسية التي شهدها المغرب الإسلامي عبر مسميات محطاته السياسية التاريخية الكبرى الفاطميين والزييريين والمرابطيين ثم الموحديين.

(1) انظر: أحمد بن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج5، الدار التونسية للنشر، 1990، ص128-130.



## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

---

وقد كانت الأوضاع الداخلية للبلاد التونسية توحى بالضعف؛ ذلك أنها التي اصطبغت بالحمالات الصليبية النصرانية التي استهدفت جل السواحل التونسية، وعدم قدرة السلطة المركزية الحفصية على رد تلك الحملات وتغيير موازين القوى لصالح الدول الأوربية، ونتيجة للطبيعة السياسية والروحية للدولة العثمانية باعتبارها جامعة إسلامية سياسية، تركزت على مبدأ الخلافة التي يقع على كاهلها مد نفوذها إلى كل أقطار العالم الإسلامي في المعمورة، ضمت تونس إلى نطاق النفوذ العثماني انطلاقاً من الجزائر وقد تراوحت تونس العثمانية بين القوة والضعف، إلى غاية فرض الحماية عليها من طرف فرنسا؛ وقبل التعرض لبوادر العمل الإصلاحية نشير لحيثيات تنصيب الحماية.

### 2- فرض الحماية الفرنسية على تونس :

في بيئة مغربية تميزت باحتواء عناصر القابلية للاستعمار، أصبحت البلاد التونسية تجتذب القوى الاستعمارية الأوروبية، خاصة التقليدية منها الفرنسية والبريطانية والدول الحديثة النزعة والنهج الاستعماري شأن ألمانيا وإيطاليا، من هذا المنطلق عرفت تونس تنافس استعماري شديد ومحتدم<sup>(1)</sup> وكانت فرنسا من الدول الأوروبية الأكثر سعياً لضم تونس؛ ليتسنى لها تأمين الحدود الشرقية الجزائرية وفصلها نهائياً عن الجامعة الإسلامية السياسية العثمانية.

لقد كان على فرنسا أن تكبح الطموح السياسي للتوسعي للدول الأوروبية المنافسة لها، وعلى رأسها بريطانيا التي تم إرضائها في خضم مؤتمر برلين سنة 1778 بمستعمرة قبرص التي تجذر هيمنة بريطانيا على الشرق الأوسط، وألمانيا التي لا زالت تفرح بتحقيق وحدتها بضم منطقة النزاع الحدودي بين مملكة بروسيا وفرنسا<sup>(2)</sup>.

من هذا المنطلق شرعت فرنسا في البحث عن مبررات ومسوغات شرعية لتسيير حملتها إلى تونس فاستغلت الصراع القبلي المحتدم بين القبائل المتواجدة على التحويم التونسية-الجزائرية؛ بحجة ضعف

---

(1) لقد اجتهدت إنجلترا للحيلولة دون سقوط تونس في مجال نفوذ فرنسا، حفاظاً على مصالحها في المتوسط، وكان الصراع بين الدولتين محتدماً للسيطرة على الاقتصاد التونسي بغية الحصول على امتيازات والتي بموجبها تفتح أبواب الاحتلال بمختلف أشكاله وقد ظهرت أطماع إيطاليا الاستعمارية- بعد تحقيقها للوحدة سنة 1870- في تونس . من خلال البحث عن منافذ شرعية تمحورت أنذلك حول الامتيازات؛ وقد كانت تونس منفتحة على السوق الأوروبية وكذا التعاون الأوربي في جميع الأصعدة خاصة العسكري منها الذي استنزف أموال الدولة من خلال استجلاب الأسلحة والمهندسين العسكريين الأوربيين، الأمر الذي أدى إلى خلق أزمة مالية جسدت مديونية مرتفعة خانقة على عهد الوزير خزندار، وأما عجز السلطة المركزية على تسديد الديون شكّلت لجنة أوربية دولية سنة 1870 لتسيير والوقوف على الحزينة التونسية عن كذب، من هذا المنطلق بدا التدخل الأوربي في الشؤون الداخلية لتونس؛ انظر:

Gainage jean : **Histoire contemporaine du Maghreb de 1830 à nos**

**jours** , 1994 , p 32.

(2) خليفة الشاطر وآخرون : تونس عبر التاريخ ، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال ، ج3 ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ، 2005 ، ص 17.

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

الأجهزة الحكومية للداي على التحكم في أمن البلاد واستتبابه، خاصة وأن الجزائر كانت تعتبرها فرنسا أرض فرنسية ومقاطعة فرنسية بموجب قانون 107 من الدستور الفرنسي سنة 1840. وفي شهر ماي من سنة 1881 احتلت الجيوش الفرنسية تونس، ودخلتها من ثلاثة مناطق عن طريق البر والبحر. واحتل الجنود الفرنسيون بقيادة الجنرال "بربار" مدينة بنزرت، وتوجهوا نحو العاصمة تونس، وفي 12 ماي 1881 عسكر الجنود الفرنسيون بالقرب من باردو - كانت المدرسة الحربية بباردو قد أغلقت نهائيا منذ 1870 - وتوجه الجنرال قائد الحملة "بربار" والقنصل الفرنسي بتونس إلى لقصر لمقابلته عند الساعة الرابعة مساء، وقدمت له نسختين من معاهدة فرنسية معدة أنفا وأمهلته خمس ساعات ليقبل المعاهدة التي قدمها له أو يرفضها، وبعد ساعتين خرج الباي، وقد وقع الباي على المعاهدة التي عرفت باسم معاهدة باردو.<sup>(1)</sup>

من هذا المنطلق وعلى الساعة الثامنة من مساء 12 ماي 1881 أصبحت البلاد التونسية فاقدة للسيادة، انقضى العهد العثماني باعتبار تونس جزءا لا يتجزأ من الخلافة الإسلامية العثمانية<sup>(2)</sup> وقد نصت معاهدة باردو؛ على أن الاحتلال مؤقت، وأن القوات الفرنسية سوف تحتل فقط جهات على الحدود والشواطئ تراها لازمة للاستتباب الأمن، وأن هذه القوات سوف ترحل عندما تكون الإدارة التونسية قادرة على حفظ الراحة والأمن والنظام، وأن فرنسا ملتزمة بحفظ الباي وأسرته، وأنه لا يحق للباي عقد أدنى عقد مع أجنبي بغير علم فرنسا والتفاهم معها من قبل، وأنه سينوب عن فرنسا وزير ومقيم فرنسي يراقب تنفيذ بنود المعاهدة، وأن على الحكومة الباي أن تتعهد بمنع إدخال الأسلحة والآلات الحربية من جزيرة جربة ومرسى قابس وغيرها من المراسي بجنوب المملكة وذلك وحفظا للأمن والهدوء في الجزائر<sup>(3)</sup>

---

عبد الله الطاهر: الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة 1830 - 1956 ، ط2 ، دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة ، تونس ، 1975 ، ص 26.

(2) لم يكن بمقدور الدولة العثمانية حماية إيالتها تونس بحكم الضعف والتقهقر الذي شهدته آنذاك، وظهور المسألة الشرقية والسباق نحو اقتسام تركيا الرجل المريض.

(3) الطاهر عبد الله: نفسه ، ص 26.

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

وقد اندلعت مقاومات عنيفة لوقف الزحف الفرنسي الذي أبدى النية في السيطرة الكاملة على البلاد<sup>(1)</sup>.

لقد وقعت تونس تحت السيطرة الفرنسية الكاملة، عن طريق فلسفة القوة والزحف العسكري حيث سحبت سلطة المقيم العام الفرنسي من الباي كل مظاهر السيادة، وأصبح مجرد شخصية سياسية نظرية، بينما كانت سمة الواقعية السياسية للمقيم العام الفرنسي الذي دشّن عهده بتوقيع معاهدة المرسى لتكميل معاهدة باردو من حيث توسيع دائرة السيطرة والنفوذ الفرنسي في البلاد التونسية<sup>(2)</sup>.

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الحملة الفرنسية على تونس تقع ضمن الظاهرة الاستعمارية في العصور الحديثة التي جسدها مساعي الدول الأوربية الكبرى لتقسيم الممتلكات السياسية للجامعة الإسلامية العثمانية التي كانت تقاوم مثل الشاة المذبوحة وقد كانت إيالتها تونس في المغرب الإسلامي محل أنظار رجال الساسة والجيش الفرنسيين المتربّصين، الذي جعلوا من التسرب المالي والتجاري والنفوذ الاقتصادي في البلاد مطية لتنفيذ مشروعه لاحتلال تونس وتسيير حملة عسكرية لها من خلال افتعال أزمة الدّيون، وقد تعرضت جل محاولات التقدم والإصلاح إلى الصعوبات الإيجابية الداخلية والمعوقات الخارجية التي حالت الإرادات المصلحية للدول الكبرى دون نجاحها أو تجسيدها كما خطط لها.

من هذا المنطلق استعدت فرنسا لإلحاق الإيالة التونسية بنفوذها من خلال تحويل السيطرة المالية إلى هيمنة كاملة على البلاد، وكان ثقل القوة المادية والمسلّحة لصالحها بصفة مطلقة. فظهرت المقاومة المسلحة التونسية بقوة وبسالة ولكن عدم توفرها على عناصر الثورة التحريرية الناجحة من شمولية وتنظيم وقوة وتنسيق وتزامن حالت دون نجاحها، وبعد السيطرة العسكرية الفرنسية على إيالة تونس

(1) انظر: خليفة الشاطر وآخرون : مرجع سابق ، ص 23.

(2) لقد وردت كلمة حماية لأول مرة في معاهدة المرسى المتممة لبنود معاهدة باردو لإحكام السيطرة على تونس وتقنين ذلك، في أول بند في المعاهد والذي جاء كما يلي ” حضرة الباي المعظم، لما كان قصده أن يسهل للحكومة الفرنسية إتمام حمايتها تكفل بإجراء الإصلاحات الإدارية والعدلية والمالية التي ترى الحكومة الفرنسية الفائدة من إدخالها“ .

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

وتركيز هياكل الحكم الاستعماري في مؤسسة الحماية تصاعد الاستغلال الاقتصادي و المالي للبلاد التونسية، ونتيجة لذلك ظهرت بوادر العمل الثقافي والسياسي عبر توجهات عدة، مثلها أقطاب الإصلاح في تونس بما فيهم المتأثرين، بحركة إحياء الجامعة الإسلامية التي نادى بها كل من جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، محمد رشيد رضا وشكيب أرسلان.

### 3- بوادر الحركة الإصلاحية التونسية:

تعتبر الحركة الوطنية التونسية كباقي الحركات الوطنية المغاربية، التي نشأت وترعرعت في رحم الاستعمار الذي ما إن حل بالبلاد التونسية حتى فتل سياسية محكمة لتفكيك النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية القائمة، وتعويضها بأخرى تتماشى والأهداف الإستراتيجية الفرنسية في المنطقة، وتطويقها بحزام مقنن تجنبا للثورات -بما فيها الفكرية الحاصلة في المشرق- باسم الجامعة الإسلامية، من حيث سحب البساط السياسي من تحت قدمي الباي، وتغيير النظم الاجتماعية الأصلية وتبديلها بأخرى غربية بغية صهر المجتمع التونسي في المجتمع الغربي، وصنع اقتصاد استغلالي يجعل من ثروات البلاد البشرية والطبيعة خزانا يخدم الاقتصاد الفرنسي، ووسط هذه الظروف والأوضاع ظهرت الحركة الوطنية التونسية بمختلف مشاربها وتوجهاتها، على غرار التيار المتأثر بما يحصل في المشرق، والذي تبنى فكرة إحياء الجامعة الإسلامية التي هي في طور الاندثار.

من خلال النتائج التي حققتها الثورات الشعبية التونسية وسط انهيار السلطة المركزية الحسينية واقتناع رجالها بعدم جدواها؛ نظرا لعدم توفر عناصر نجاحها، وفي خضم الظروف السالفة الذكر تشكلت رحم الحركة الوطنية التونسية وفق الخطوط العريضة التي رسمتها السياسة الفرنسية في تونس والتي أفرزت تيارات<sup>(1)</sup> ذات ثقل شكّلت الجبهة النضالية للدفاع عن تونس وفق الإيديولوجيات الراسخة التي مثلت نهج التعامل مع سلطات الحماية، من هذا المنطلق فقد ارتسمت بوادر الحركة

(1) إذا قارنا الحركة الوطنية التونسية بنظيرتها الجزائرية، فإنها أقل زخما وتشعبا، ذلك أن الحركة الوطنية الجزائرية عتيقة تربي روادها في خضم المساحة الزمنية الاستعمارية العسكرية طويلة أكثر من تسعين سنة، الأمر الذي جعلها تتفرع بين دعاة المساواة ودعاة الإدماج، ودعاة الاستقلال، والتيار الشيوعي ودعاة الإصلاح المتأثرين بفكر الجامعة الإسلامية، بينما اقتصررت الحركة الوطنية التونسية، على تيار الإصلاح السلمي وفق المبادئ الحزبية الأوربية، وتيار إصلاحية إسلامي متأثر بحركة الجامعة الإسلامية.

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

الوطنية من خلال حركة ثقافية ذات نزعة مطلبية، وبعد عصري انفتاحي وإصلاحي إسلامي محافظ متأثر بأفكار أقطاب الجامعة الإسلامية وسيظل هذين الاتجاهين متلازمين للحركة الوطنية التونسية طيلة فترة النضال ضد الاحتلال<sup>(1)</sup>.

لقد بدأت بوادر الحركة الإصلاحية التونسية مع حركة أعيان العاصمة، التي تزعمها الشيخ محمد السنوسي<sup>(2)</sup> سنة 1885، وتمثلت في تقديم عريضة مطالب إلى علي الباي تضمنت اعتراضات على جملة من قوانين وإجراءات إدارة الحماية<sup>(3)</sup>، نجم عنها نفي الشيخ محمد السنوسي خارج العاصمة وعقاب كل الموقعين على العريضة.

(1) سيفرز التيار المعتدل الشكل المعروف تاريخيا للحركة الوطنية الذي انتهج أسلوب المفاوضات والتصالح مع المحتل والمطالبات بالإصلاحات الجزئية على صفحات الجرائد، وقد تصدر لقيادة هذا الاتجاه والتعبير عنه الوطنيون التونسيون الذين غلبت عليهم الثقافة الفرنسية والذين كانوا يطالبون فرنسا بتحسين حالة التونسيين ورفع الضيم عنهم وإلغاء الفوارق بينهم وبين الفرنسيين وسيمثل هذا الاتجاه النضالي الحزب الدستوري الحر.

(2) ولد محمد السنوسي في تونس في 18 من سبتمبر 1851، وتعهده أسرته بالتربية والتهديب، ثم التحق بجامع الزيتونة حيث تتلمذ على عدد من أعلامه مثل محمد بيرم الخامس، محمد الطاهر النيفر وسالم بوحاجب. ويعد الشيخ محمد السنوسي من أنجب خريجي جامع الزيتونة جلس للتدريس به سنة 1870. ويعتبر الشيخ من أبرز دعاة الجامعة الإسلامية، نتيجة تأثره بالشيخ محمد عبده وبمنهج في الإصلاح. للاستزادة؛ انظر: محمد الصادق بسيس: **محمد السنوسي حياته وآثاره**، الدار التونسية للنشر، تونس 1976.

(3) أوضحت العريضة إجحاف السياسة الاستعمارية الأوربية في تهميش الفرد ضمن مجالات حياته السياسية والاجتماعية والاقتصادية، من خلال هدم الاقتصاد المحلي المعاشي وفتح الباب للاستثمارات الضخمة في الفلاحة ذات الطابع التجاري وكذا طرد أصحاب الأرض الأصليين من أراضيهم الخصب، وإقصائهم من سياسة بلادهم، واستحلاب المعمرين من كل أصقاع أوربا بهدف هدم البنية الاجتماعية القيمية ذات المرتكزات الإسلامية للشعب التونسي، فتم تشويه ثوابت الأمة التونسية من لغة ودين وتقاليد وتاريخ وتبعية حضارية للمشرق الإسلامي، وعليه طولبت السلطات الفرنسية باحترام المقابر الإسلامية وحقوق الميت المسلم في تغسيل ودفنه وفق الضوابط الشرعية، وعليه طالب أصحاب العريضة تفويض مصالح البلاد لهيئة حرة في قراراتها كون أن الباي وسلطته صورية نظرية فقط، أما الواقعية الفعلية فهي بيد الدولة المستعمرة؛ فرنسا. لقد كانت مطالب النخبة الإصلاحية التونسية من السلطة الحماية الفرنسية تحمل معاني وأهداف اللجنة السرية لحركة "العروة الوثقى" لصاحبها جمال الدين الأفغاني من خلال معارضة السياسة الفرنسية الاستغلالية، والدفاع عن مقومات الهوية الوطنية التونسية. بعيدا عن نخب الذوبان والاندماج في بوتقة الحضارة الفرنسية ورفض الشعب التونسي لسياسة الإدماج الخطيرة التي تستهدف قِبَر أمة ودفنها عبر مسميات ثوابتها من دين وخاصة التاريخ، وقد كان لهذه الحركة صدى واسع داخلي تجسد في بناء سرح قاعدة الإصلاح التونسية ومنطلق الصحوة واليقظة وقد دون الشيخ محمد السنوسي تلك التجربة النضالية في مصنف سماه "النازلة التونسية". للاستزادة حول الحادثة؛ انظر:

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

وقد لقيت هذه الحركة صدى واسعاً في مجلة العروة الوثقى للشيخين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده آنذاك، وبعد نفي الشيخ محمد السنوسي تولى قيادة الحركة الشيخ المكّي بن عزوز، حيث قاد مجموعة من الشباب الذين نفت في روعهم نهجه النضالي الإصلاحي، واستمر رفقتهم في تبليغ مطالب التونسيين، إلى غاية نفيه إلى المشرق، حيث توفي هناك سنة 1900، ولكنّ الشباب الذين ناضلوا معه استمروا في المسيرة النضالية التي ورثوها عن شيخهم، أمثال عبد العزيز الثعالبي، وعلي كاهية، الشيخ زورق والهادي السبعي، الذين تكتلوا وأسّسوا جريدة باللّغة الفرنسية سمّوها "المستقبل التونسي" وأخرى عربية تحمل اسم "حبيب الأمة" وجريدة أخرى هي "سبيل الرّشاد"<sup>(1)</sup>.

وفي ذات السياق فقد مثل صدور جريدة الحاضرة سنة 1888 أولى بوادر نشاط الحركة التونسية، حيث جمعت هذه الجريدة عددا من المثقفين التونسيين أغلبهم من خريجي المعهد الصادقي والذين تلقوا أصول ثقافة عصرية وتعرفوا على أفكار سابقهم في النماذج الرائدة في ميدان الإصلاح وعلى رأسهم مؤسس المعهد - الصادقي - الوزير خير الدين فظهرت جريدة الحاضرة لتدافع عن مصالح التونسيين وتبين تردي أوضاعهم، وتنادي بضرورة تحسينها. ومع حلول سنة 1896 تكتلت ثلة من محرري جريدة الحاضرة وعمدوا إلى تأسيس الجمعية الخلدونيّة، التي لعبت دورا مهما في نشر العلم والثقافة الحديثة، وتحريك الحس الإصلاحي لدى الشباب التونسي وحتى المغاربي<sup>(2)</sup>. وتعتبر سنة 1907 تاريخ ميلاد حركة الشباب التونسي (حركة تونس الفتاة) التي لم تنطلق من عدم بل سبقتها سلسلة ظروف شكلت من منطلق التراكمية الرصيد الفكري للحركة، ولعل الحديث عن عنصر التراكمية يسوقنا للخوض في المؤثرات الخارجية لبلورة هذا الفكر من زاويته الإصلاحية الإسلامية والمرتكزة أساسا حول فكر الجامعة الإسلامية، خاصة وأن انتصاب الحماية الفرنسية على تونس تزامن مع إطلاق هذا المشروع بقيادة منظّره المشاركة (جمال الدين، محمد عبده، رشيد رضا ... شكيب

---

محمد السنوسي : النازلة التونسية ، تحقيق محمد الصادق بسيس ، ط1 ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1976. كذلك: محمد الصادق بسيس: مصدر سابق ، ص 63.

(1) الطاهر عبد الله: مرجع سابق ، ص 31.

(2) الطاهر عبد الله : نفسه ، ص 33.

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

أرسلان ) في شكل حركة إصلاحية شاملة للعالم الإسلامي المعتل، السائر في طريق الاحتلال<sup>(1)</sup>، وقد برزت تجليات ذلك واضحة مع جريدة الحاضرة سنة 1888، والجمعية الخلدونية 1896 وجمعية قدماء الصادقية 1905. وقد انتهجت حركة الشباب التونسي في البداية أسلوب إرسال الوفود وتقديم المطالب ذات الصبغة الثقافية والاجتماعية، ثم تطورت لتخوض في المجال السياسي، وانحصرت هذه الحركة عموماً في الأوساط الحضرية، وبالخصوص منها سكان العاصمة بحيث التحق بها جل التونسيين المثقفين ثقافة أصيلة إسلامية أو معاصرة، ثم توسّعت دائرة تأثيرها لتكتسح لاحقاً الجماهير الشعبية وتعتمد النضال السياسي منذ أواخر الثمانينات من القرن التاسع عشر.

وبعد تشكّل هذه القاعدة النضالية بشكلها الثقافي التي مثلت النواة الأولى للحركة الوطنية التونسية، تطورت من النشاط الثقافي المحض؛ لتتبني نهج الحركة المطالبة بصفة علنية وبالمظهر الشرعي المعتدل للتعبير عن مطالب التونسيين ومطامحهم في ظل فرض الحماية الفرنسية<sup>(2)</sup>، وقد أخذت حركة الشباب التونسي الصبغة الإسلامية التي تمثل جانب الأصالة، إلى جانب المعاصرة من خلال انخراط جمهرة من الطلبة وخرابجي الزيتونة الذين يحملون الفكر التقليدي، وثُلّة من الزيتونيين المتفتحين على العالم الحديث، الذين دعوا للتجديد المناهج والثقافة التقليدية الزيتونية من لغة وعلوم لمواكبة النهضة النضالية لهذه الحركة تطورات العصر ومخاطبة سلطات الحماية بشكل أفضل، ولعل ذلك يقع ضمن المبادئ العامة التي سطرها أقطاب الجامعة الإسلامية في منظومتهم الفكرية الموسومة بالجامعة الإسلامية.

---

(1) لقد شكلت الظروف القاهرة التي كان يمر بها العالم الإسلامي بما فيه البلاد التونسية ظاهرة القابلية للاستعمار، من حيث انخيار السلطة المركزية الحاكمة، ناهيك عن تفهقر الدولة الأم التي شكلت جسم الجامعة الإسلامية السياسية، والمتمثلة في الخلافة العثمانية التي كانت سنة بعد سنة تفقد رقعة إسلامية منضوية تحت لوائها.

(2) للمزيد حول جذور الحركة الوطنية التونسية؛ انظر: علي المحجوبي: **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934)** ، تعريب: عبد الحميد الشابي ، منشورات بيت الحكمة ، قرطاج ، تونس ، 1999.



### ثانياً: منافذ انتقال فكر أقطاب الجامعة الإسلامية لتونس:

لقد وجدت أفكار الجامعة الإسلامية طريقها إلى البلاد التونسية عبر منافذ عدة، شأنها شأن باقي أقطار المغرب العربي، فرسّمت معالم نهضتها الإصلاحية الكبرى، ذلك أن تونس كانت تعاني من الظروف الاستعمارية القاهرة والتخلف الفكري العميق، ولعلّ أهم تلك المنافذ زيارة الشيخ محمد عبده، وتأثير ترسانة صحافة الجامعة الإسلامية، والهجرة إلى بلاد المشرق، وإرسال الدعاة للترويج لمشروع الجامعة.

#### 1 - زيارة الشيخ محمد عبده لتونس:

سعى أقطاب الجامعة الإسلامية زيارة مختلف الأقطار الإسلامية، لبث مشروعهم الإصلاحي القائم على إحياء عنصر الوحدة الإسلامية، والاتّحاد للوقوف في وجه المد الاستعماري الأوربي الزّاحف، وتنبيه المسلمين إلى التخلف العميق الواقعين فيه من حيث العوامل والأسباب، وسبل بذل عناصر التقدم والرقي من خلال التركيز على معطى التجديد الديني والوحدة الإسلامية، ونفته في روع الناشئة للنهوض بالأمة الإسلامية، وقد شكلت هذه المبادئ مجتمعة المركب الفكري للمنظومة الإصلاحية لأقطاب الجامعة الإسلامية، بالرغم من وجود بعض التمايز الفكري في تجسيد مشروع الجامعة الإسلامية<sup>(1)</sup>، والبلاد التونسية مثلت مجالاً خصباً، ذات ظروف توحى بسهولة الاستقطاب

(1) لقد دعا السيد جمال الدين إلى إقامة الجامعة الإسلامية عن طريق أهدافه الثلاثة للإصلاح السياسي، من خلال بناء دولة إسلامية وإحياء الخلافة العثمانية، و ثانياً لحشد وتعبئة المسلمين ضد الاستعمار الغربي، ولاسيما البريطاني. ودعا ثالثاً الدول الإسلامية المستقلة إلى الاتحاد لحماية استقلالها والمساعدة في تحرير البلاد الإسلامية المستعمرة، من جهة أخرى، نصح رشيد رضا سبيل أستاذه من العمل السياسي في بداية مشروعه الإصلاحي فقد كان توجيه أستاذه محمد عبده له نحو الجهاد من أجل الإصلاح الديني والتبوي دون السياسي، كون آراء محمد عبده لم تكن تشجع على ممارسة العمل السياسي قبل الإصلاحي، وهذا ما ميز حركته الإصلاحية عن حركة أستاذه الأفغاني، رغم أن تكوين الشيخ محمد عبده النضالي كان على يد جمال الدين الأفغاني إليه. فبينما اجتمع الأفغاني وعبده على تحقيق هدف نهائي مشترك هو نخضة الأمة الإسلامية، بإتباع نصح الهدى القرآني والسني والاستفادة والانفتاح نحو الحضارات الغربية واخذ ما يفيد، غير أنّهما اختلفا حول الأهداف والوسائل المرحلية المناسبة للإصلاح. فرغم ما للأفغاني من إسهامات إصلاحية في مجالات إصلاح العقيدة والفكر الإسلامي المنحرف، إلا أنه كرس معظم حياته=

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

السريع لأفكار الجامعة الإسلامية، ذلك أنها كانت أحد البلدان الإسلامية التي استخلصها الأوروبيون في إطار تصفية الخلافة العثمانية، في الوقت الذي كان فيه مشروع الجامعة في عصره الذهبي. من هذا المنطلق زار الشيخ محمد عبده تونس، قادما من باريس<sup>(1)</sup> في شهر نوفمبر سنة 1884 استمرت أربعين يوما ظل خلالها يتصل برواد الحركة الإصلاحية وعلماء جامع الزيتونة وكانت له حلق واجتماعات تنظيمية مع أعضاء جمعية العروة الوثقى المركزية الذين انخرطوا فيها بتأثير من المصلح الشيخ محمد السنوسي وكانت هذه الاجتماعات تعقد في بت الشيخ السنوسي في بيته<sup>(2)</sup>، وقد كانت مدة إقامة الشيخ في تونس كافية للتعرف على أوضاع تونس الحقيقية في ظل فرض الحماية، حيث تعرف على قصر الباي والأعيان والعلماء، وحضر الدروس والمحاضرات بجامع الزيتونة ونزل ضيف عند الأعيان والإشراف، واحتك برجال الكتلة الإصلاحية وروادها في لقاءات متكررة -

---

= للإصلاح السياسي في العالم الإسلامي، وكانت دعوة الجامعة الإسلامية جانبا من ذلك الإصلاح، وفي المقابل ناضل عبده من أجل الإصلاح الديني والتعليمي مقلداً من أهمية السياسة في العمل الإصلاحي في العالم الإسلامي. ولعل أهم ما ميز بين حركتي الأفاغني وعبده فيما يتعلق بالإصلاح السياسي هو تباين مواقفهما من إصلاح النظم السياسية في الدول الإسلامية والتحرر من الاستعمار.

(1) إن الملاحظ حول زيارة محمد عبده لتونس انطلاقاً من باريس بعد ثلاث سنوات من انتصاب الحماية، ومكوته في الزيارة الأولى شهر وعشرة أيام يطرح عدة تساؤلات، أهمها لماذا سمحت له السلطات الفرنسية بالسفر إلى تونس، الأمر الذي يجعل بعض الدارسين على حسب توجهاتهم يتوهمون بأن الشيخ كان على صلة بفرنسا وأنه يعمل لصالحها، ولكن في الحقيقة كانت العلاقة الثنائية بين الشيخ محمد عبده وفرنسا متوازنة من حيث النزعة المصلحية البراغماتية، ذلك أن فرنسا كانت تريد استغلال الثقل الروحي للشيخ على البلاد الإسلامية بما فيها تونس، وكذا نزعته الإصلاحية القائمة على تجنب الخوض في القضايا السياسية التي =

= تأليب الأوضاع على المستعمر، والتركيز على الجانب العلمي الثقافي، وتربية النشء على الأسس الحديثة لسرح الحضارة والرقى وكانت مجلته الناطقة باسم الجامعة الإسلامية العروة الوثقى تدعو إلى ذلك من باريس، وكذا بث الدعاية ضد الجلترا. بينما كان الشيخ يريد استغلال فرنسا لتمير مشروعه القائم على التغيير الهادئ، دون الخوض في السياسة وإنما التغيير الهادئ بتصويب الفكر الإسلامي وتصحيح العقائد. من هذا المنطلق فقد زار الشيخ عبده تونس مرتين والجزائر - وسط حملة تطويقية من المخبرين والمراقبين - وعمل على إقناع أقطاب الحركة الإصلاحية في تونس والجزائر بنمطه في التغيير

(2) الطاهر عبد الله: مرجع سابق، ص 32.

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

-أعضاء العروة الوثقى- وتطلع وتعرف على أوضاع البلاد من خلال المعلومات الميدانية من الشكاوى والآلام من سوء حالة البلاد الإسلامية، وتناولت أحاديثهم ما بدأ يفيض على مدينة تونس، فيشير سخطها ونفورها من النّظم البلدي المجافية للدين العابثة بالتقاليد وقد بدأ القلق يظهر على البلديين من جرائها<sup>(1)</sup>.

لقد وجد الشيخ محمد عبده العقول والعقائد الإصلاحية لرجال النخبة في تونس مجهزة لاستقبال مشاريع الإصلاح لأقطاب الجامعة الإسلامية، فقد كان بعض زعماء الإصلاح في تونس والجزائر على صلة بجمعية العروة الوثقى قبل زيارة محمد عبده إلى تونس، فكان الشيخ محمد بيرم الخامس والأمير عبد القادر الجزائري من أعضائها، ولما سافر الشيخ محمد السنوسي إلى المشرق سنة 1882، اتصل بواسطة الأمير عبد القادر ومحمد بيرم الخامس بالجمعية وصار من أبرز أعضائها ورجع إلى تونس عاملا بمبادئها ومروجاً لدعوته، فانخرط فيها بواسطة جهوده رجال من أعيان العلماء والأدباء وعليه فقد كانت القاعدة الإصلاحية على نمط الجامعة الإسلامية موجودة في البلاد التونسية.

من خلال حيثيات زيارة محمد عبده الأولى لتونس سنة 1884 ولقائه برجال الإصلاح التونسيين الذين يحملون فكر الوحدة الإسلامية من هم أعضاء في جمعية "العروة الوثقى" وتوفر الظروف الملائمة لنشر المنظومة الإصلاحية لأقطاب الجامعة الإسلامية باسم الشيخ عبده، فقد ظهرت ثمار ذلك جليةً أثناء وبعد مغادرة الشيخ محمد عبده، حيث تمّ تأسيس فرع سري لجمعية العروة الوثقى في تونس حمل اسم جمال الدين الأفغاني<sup>(2)</sup>، ثم قدم عضو جمعية العروة الوثقى الشيخ محمد السنوسي عريضة مطالب إلى علي باي تضمنت اعتراضات على جملة من قوانين وإجراءات إدارة الحماية، نتج عنها نفي الشيخ محمد السنوسي خارج العاصمة، مما نجم عنه تظاهر واعتصام أهالي العاصمة أمام قصر الباي. وفي ذات الإطار تمّ تأسيس معهد الخلدونية سنة 1898 الذي يعتبر من أبرز ثمار زيارة محمد عبده لتونس، ذلك أنه ركز في دروسه واجتماعه مع التونسيين على ضرورة

(1) محمد الفاضل بن عاشور : الحركة الأدبية والفكرية بتونس ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1972 ، ص 60.

(2) ستعرض لجمعية العروة الوثقى في البلاد التونسية في عنصر مستقل لاحقاً.

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

إصلاح النّظم العلمية والمناهج، خصوصا ما تعلق منها بتفسير النصوص النقلية<sup>(1)</sup> واستخلاص الأحكام المقاصدية الشرعية التي تتكيف مع الظروف والمستجدّات المعاصرة.

وفي أكتوبر سنة 1903 قام الشيخ محمد عبده بزيارة ثانية لتونس، حيث استقبل هناك من طرف رجال الإصلاح التونسيين استقبالا حارا نظرا لقيّمته الروحية لديهم، وفي ذلك أقامت الحركة الإصلاحية، وخاصة جماعة جريدة الحاضرة احتفالا بقدومه إلى البلاد التونسية، ودعي إلى إلقاء محاضرة في الخلدونية، فألقى في قاعة المحاضرات لمعهد الخلدونية محاضرة بعنوان: "العلم وطرق التعليم" أيد فيها بشدة الاتجاهات الإصلاحية التي كان ينادي بها رجالها، من خلال تبنيّ عنصر التجديد والانفتاح نحو الحضارات الأخرى وأخذ ما يفيد منها، دون الانسلاخ عن مقومات الأمة التونسية في إطار الأمة الإسلامية. وتعتبر الأفكار الإصلاحية التي طرحها الشيخ في محاضراته المادة الأساسية التي سينطلق منها أقطاب الإصلاح لتجديد البرامج والمناهج العلمية لجامع الزيتونة، على أنقاض النّظم التقليدية التي كانت سببا في تكييل العقل، واقتصاره على تناول موضوعات معينة في الفقه مثلا ونتيجة لأهمية المحاضرة في ذلك الوقت فقد تم نشرها من طرف جريدة الحاضرة، ونقلتها عنها تباعا كل من جريدة المؤيد وجريدة المنار، كما تم طبعها مرتين مرة في تونس وأخرى في مصر<sup>(2)</sup>.

لقد خلف الشيخ محمد عبده رصيذا علميا إصلاحيا في البلاد التونسية يدعم القاعدة الإصلاحية لأقطاب الجامعة الإسلامية، خصوصا فيما تعلق بنقد العقل الإسلامي التقليدي الذي

---

(1) لقد ركز الشيخ محمد عبده في منهجه في تفسير القرآن الكريم على أعمال العقل واستنباط الأحكام المقاصدية الشرعية الخادمة لظروف العصر للأمة الإسلامية، فلما زار الشيخ الجزائر وتونس سنة 1903، ركز دروسه على الأسباب الحقيقية للنهوض بالأمة من خلال إطلاق العنان للعقل الإسلامي، وفك القيود المفروضة عليه بأن كل شيء مقدر له ويجب على المسلم أن يرضى ويسلم وعدم ذلك يسمى قنوطا، ففي الجزائر فسر الشيخ سورة العصر وما احتوته على دلالات ربانية ترسم نهج الغلبة للأمة فهي توصي الإنسان بالإيمان والعمل الصالح والصبر، وقصد الشيخ بذلك التنظير للمشروع الإصلاحي من خلال الاعتماد على منهج التغيير الهادئ، ذلك أن من شروط الاستخلاف والقوة، الإيمان والعمل الصالح والذي سيتطور ويشكل قاعدة نهضوية تنبذ كل عناصر التخلف بما فيها الاحتلال الغاشم للبلاد الإسلامية، وفي ذات السياق قام الشيخ بإلقاء المحاضرات في معهد الخلدونية بتونس ليبيّن علاقة الدين والإيمان بالعلم الصحيح، والعلم التقليدي القائم على بعض الخرافات والبدع التي تعتبر السبب الرئيسي في تخلف الأمة الإسلامية عن الركب الحضاري.

(2) الطاهر عبد الله: مرجع سابق، ص 34؛ وانظر: محمد الفاضل بن عاشور: مصدر سابق، ص 59.

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

يخدم أهداف الحركة الاستعمارية الأوربية، وتجديده من خلال إطلاق العنان له للخوض في الأسباب الحقيقية العميقة لتخلف المسلمين، وكذا بذل أسباب الوحدة. وبعد مغادرة الشيخ للبلاد التونسية بقيت الصلة النضالية قائمة بين أعضاء جمعية العروة الوثقى في تونس، ورواد الجامعة الإسلامية في المشرق وعلى رأسهم الشيخ عبده نفسه ومحمد رشيد رضا<sup>(1)</sup>، وكان رواد الإصلاح في تونس على صلة وثيقة بمجلة المنار التي كانت تصدر بمصر، ولم تنقطع الصّلات النضالية على مر الزمن، رغم تقلب الأحوال والنظم بين الحركة الوطنية في تونس والحركة المشرقية الأم الممثلة في الجامعة الإسلامية.

### 2 - الهجرة إلى الشرق وإرسال الدعاة:

تعددت أسباب وأغراض الهجرة إلى المشرق، ولعل أهمها أداء ركن الحج الذي أسلفنا ذكر دوره الهام في نقل أفكار الجامعة الإسلامية<sup>(2)</sup>، من خلال التقاء الحجيج من كل فج عميق من المعمور الإسلامي وتبادلهم لمشاعر الأخوة الإسلامية التي تجمعهم في الدين، وكذا نشاط دعاة الجامعة الإسلامية من أمثال الشيخ أبي الهدى الصيادي، والشيخ محمد ظافر المدني، والشيخ أحمد القيصري الذين كانوا يستغلون موسم الحج للترويج للجامعة الإسلامية، خصوصا الرسمية الداعية لمناصرة السلطان عبد الحميد الثاني، باعتباره الخليفة الشرعي للخلافة أو للجامعة الإسلامية السياسية التي ورثها عن أجداده من آل عثمان عن العباسيين.

كما لعب المهاجرون المثقفون المغاربة دورا مهما في الترويج لفكرة الجامعة الإسلامية، مثل الشيخ محمد السنوسي، الشيخ محمد خضر حسين<sup>(3)</sup> حيث استقرت عائلات تونسية بأكملها في الشرق

(1) يعتبر الشيخ محمد رشيد رضا من أبرز الشخصيات التي ارتبطت بالحركة الوطنية التونسية- بالرغم من أنه لم يزرها على غرار البلدان المغاربية الأخرى- بحكم القرب الجغرافي بين مصر مقر مجلة المنار وتونس حزبا إصلاحيا يحمل مبادئ الجامعة الإسلامية خاصة العبدوية منها- الشيخ عبده- انظر: المنصف الشنوفي: "علائق رشيد رضا صاحب مجلة المنار مع التونسيين 1898 - 1935"، حوليات الجامعة التونسية، ع4، تونس، 1967، ص 121.

(2) انظر: عنصر "استمداد أفكار الجامعة من خلال ركن الحج والاعتماد"

(3) الشيخ محمد الخضر حسين من رواد الفكر الإصلاحي في المغرب وتونس ولد سنة 1873 بتونس، تلقى تعليمه بنفطة ثم الزيتونة التي درس بها بعد تخرجه، هاجر إلى المشرق واستقر بدمشق وعمل هناك مدرسا إلى غاية 1917، استدعي إلى اسطنبول وسافر بعدها إلى ألمانيا. أسس بمصر (جمعية تعاون جاليات إفريقيا)، وأسس خلال الحرب العالمية الثانية (جبهة الدفاع عن شمال=

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

وحتى في عاصمة الدولة الجامعة وما تبعها من تأثير على تونس والجامعة الإسلامية، وكذا الطلبة الذين كانوا يجوبون مختلف المنارات العلمية المشرقية كالأزهر في مصر- أين توجد المنار التي كان الطلبة ينهلون من معينها- الذي كان يعج بالطلبة المغاربة على غرار التونسيين. وفي ذات السياق ساهم ثلة من الصحفيين والأدباء والمفكرين من الذين كانوا يفدون على تونس كأبي نظارة، حمزة فتح الله وشكري غانم وخلييل مطران. وكان البعض منهم قد استقر في تونس وكانت له نشاطات فكرية وصحفية، كجريدة البصيرة لصاحبها نجيب الملحمة، والتي كان لها أثرا في بلورة الوعي الإصلاحي لدى جمهور المصلحين التونسيين<sup>(1)</sup>.

لقد سعى السلطان عبد الحميد الثاني للترويج لأهداف الجامعة الإسلامية التي تبناها كسياسية رسمية للدولة العثمانية من خلال تكوين وإرسال الدعاة، من هذا المنطلق فقد عمد السلطان إلى التقرب من الشخصيات الإسلامية ذات الثقل النضالي والروحي في مختلف الأقاليم كالعراق ونجد وبغداد واليمن وطرابلس وتونس والمغرب والجزائر، الأمر الذي جعل من القسطنطينية " مكة ثانية" للمسلمين في العالم، يفدون عليها من كل فج عميق باعتبارها الدولة الأم التي كانت تحمي الديار الإسلامية، الواقعة الآن في قبضة الاحتلال، فكانت الأستانة مساحة زمكانية للحرية وتنسيق النشاط النضالي بمختلف مشاريعه وتوجهاته.

وفي نتيجة الظروف السالفة الذكر، فقد قام السلطان عبد الحميد الثاني بتأسيس مدرسة خاصة لتخريج دعاة للدعاية للجامعة الإسلامية ونشرهم في مختلف أصقاع العالم، وإرسال المناشير التي كانت تطبع في القسطنطينية والداعية للتضامن مع الجامعة الإسلامية العثمانية ، وقد وصل صداها

---

=إفريقيا) له عدة مؤلفات منها: بلاغة القرآن، الشريعة الإسلامية، الحرية في الإسلام، رسائل الإصلاح، توفي سنة 1958. للمزيد انظر: محمد موعدة: محمد الخضر حسين، حياته وآثاره ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1974 ، ص 9.

(1) انظر : أحمد بن ميلاد ومحمد مسعود إدريس: الشيخ عبد العزيز الثعالبي والحركة الوطنية ( 1892 - 1940 ) ، ج 1 ، بيت الحكمة ، تونس ، 1991 ، ص 42 ، 43.

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

إلى الهند والقوقاز، وأفادت بعض التقارير الرسمية الفرنسية<sup>(1)</sup> وصول بعض خريجي المدرسة إلى تونس ففي رسالة بتاريخ 25 سبتمبر 1897 أشار المخبر الفرنسي فيها إلى أن المدعو علي تركي، قد وجه سرا في مهمة إلى تونس للدعاية للجامعة الإسلامية، وهو صاحب مقهى بسوق الشواشية قرب دار الباي، كذلك اتصل المقيم العام بتونس ببرقية من القنصلية العامة لفرنسا بطرابلس الغرب تحيطه علما بمغادرة "متطوعين عثمانيين" وهما علي بن طاهر وإبراهيم بن الحاج لطرابلس عبر سفينة فرنسية في طريقها إلى صفاقس، طالبا منه مراقبتهما، كما أحيط المقيم العام المذكور علما بتوجه أحد الدعاة العثمانيين؛ المدعو صالح باي المحق بوزارة الأوقاف في مهمة إلى الجنوب التونسي<sup>(2)</sup>. كما استهدفت جمعية الأخوة التونسية- الجزائرية التي أسسها صالح الشريف<sup>(3)</sup>، وإسماعيل الصفائح<sup>(4)</sup> سنة 1910 مساعدة المهاجرين المغاربة، وإرسال المناشير الدعائية إلى بلدان المغرب العربي للترويج لفكر الجامعة الإسلامية.

من خلال منافذ أفكار أقطاب الجامعة الإسلامية نحو تونس السالفة الذكر، فإن حركتها الإصلاحية شكلت أنموذجا رائدا في التفاعل مع تلك الأفكار، نظرا للتجليات الظاهرة الدالة على ذلك التفاعل والمرتكزة أساسا حول بلورة الفكر الإصلاحي لدى رواده في تونس، ذلك أن البلاد كانت تعج بالجرائد والمجلات الداعية لتبني فكر أقطاب الجامعة، وأكثر من ذلك بل كانت مركزا شرقيا لمرورها نحو الأقطار الغربية " الجزائر والمغرب الأقصى" وقد كانت هذه الصحف تجسد حضور فكر رواد الجامعة

(1) لقد كان المحبرون الفرنسيون المتواجدون بالقسطنطينية يرسلون التقارير إلى المقيم العام في تونس، يبينون لهم حقيقة الدعاة العثمانيين.

(2) التليلي لعجيلي: مرجع سابق، ص 151.

(3) صالح الشريف (1862 - 1920) من مواليد تونس، وهو من أصول جزائرية، تخرج من معهد الزيتونة ثم درس به. هاجر إلى دمشق سنة 1916 حيث اهتم بالمهاجرين المغاربة في بلاد الشام، ثم انتقل بعدها إلى إسطنبول وشارك في الحرب الليبية الإيطالية. من آثاره: **الجهاد فريضة مقدسة**، طبع بإسطنبول في نوفمبر 1914. انظر: محمد بوذينة: **مشاهير التونسيين**، ط2، الدار التونسية للطبع، تونس، 1992، ص 261.

(4) إسماعيل الصفائح (1853 - 1918) من مواليد تونس، وهو من شيوخ الزيتونية. تولى القضاء الحنفي بتونس العاصمة.

توفي بإسطنبول التي تنقل إليها بعد أداء فريضة الحج سنة 1905. انظر: بلقاسم محمد: **مرجع سابق**، ص 62.

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

الإسلامية في المغرب العربي عامة وفي تونس خاصة، بالرغم من عدم زيارة أقطاب الجامعة للبلاد عدا الشيخ محمد عبده الذي زار الجزائر ( سنة 1903 ) وتونس مرتين ( مرة في 1884 وأخرى في 1903 )، وما صحب ذلك من تأثير فعلي واقعي ومباشر على النخب الإصلاحية التونسية، وبلورة الوعي إلى درجة خلق تيار متشبع بالفكر الإسلامي الجامع، خصوصا فيما تعلق منه بعنصر التجديد الديني، بجعل الدين سبيلا للتقدم والرفي، من خلال الفهم العميق للنص النقل الذي جاء لخدمة المؤمنين والإنسانية جمعاء، وفي مقابل ذلك نبذ النزعة التقليدية المتوقعة حول "الدغمائية"، وكذا الحث على الوحدة والتآزر والوقوف في وجه مخططات الاحتلال، من هذا المنطلق ظهرت كتلة إصلاحية رسمت المعالم الكبرى للنضالية للحركة الوطنية التونسية.

### 3 - صحافة الجامعة الإسلامية:

تعتبر الصحافة المكتوبة من أهم منافذ مرور أفكار أقطاب الجامعة الإسلامية إلى البلاد الإسلامية بما فيها البلاد التونسية<sup>(1)</sup> التي كانت تعجّ بمختلف الجرائد التي تصرح بالدعاية للجامعة الإسلامية في جانبها الحر المتبنى من قبل منظري مشروع الجامعة الإسلامية، بغية الدعاية والترويج للأهداف والمبادئ التي رفعوها وعلى رأسها الوحدة الإسلامية، وكذا في جانبها الرسمي الذي تولته الدولة العثمانية من خلال تبنيها لأفكار رواد الجامعة الإسلامية بصفة رسمية، وعليه تم تأليف ترسانة صحف نشطة لبث أفكار الجامعة الإسلامية الرسمية.

ومن الصحف الناطقة باسم دعاة الجامعة الإسلامية "جريدة طرابلس" التي تأسست في طرابلس الشام سنة 1893، وصحيفة "ثمرات الفنون" التي كانت تصدر ببيروت سنة 1875، وكانت تخوض في القضايا السياسية بتحذير المسلمين من الخطر الأوربي، وجريدة "تركيا" التي خصصت لتونس

(1) لقد كانت تونس بدورها على مر السنين النضالية المغاربية في خضم العصور الحديثة والمعاصرة، منفذا مهما ورئيسا لمرور مختلف الجرائد إلى الجزائر وباقي أقطار بلدان المغرب العربي، خصوصا ما تعلق منها بالصحف التي تروج للجامعة الإسلامية، كما أوردنا ذلك سالفًا.



## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

سلسلة من المقالات بقلم محمود زكي أفندي<sup>(1)</sup> تحت عنوان "الكلام المؤنس على مدينة تونس"، وقد تهجّم في مقالاته على "العساكر الفرنسيين" كما حمل سلطات الحماية مسؤولية تدهور التجارة الخارجية مع بلاد السودان<sup>(2)</sup>، ونتيجة خطورة هذه الجريدة التي اعتبرتها السلطات الفرنسية مصدر تشويش، عمدت إلى منع نقل وبيع وتداول جريدة تركيا، خاصة وأن اسمها يحمل دلالات مشروع الجامعة الإسلامية<sup>(3)</sup>. وتعتبر مجلة المنار لصاحبها محمد رشيد رضا<sup>(4)</sup> من أهم صحف الجامعة الإسلامية الذائعة الصيت<sup>(5)</sup> الخادمة لأهدافها ومبادئها خصوصا فيما تعلق منها بعنصر التجديد والتركيز على الخطاب الديني<sup>(6)</sup>، وكان لها رواجا كبيرا جدا في تونس خاصة بين العناصر

(1) كتب محمود زكي أفندي مقالاته بخصوص تونس، بعد زيارته لها سنة 1897، فتعرف على النظم الاستعمارية المفروضة على البلاد من قبل سلطات الحماية الفرنسية.

(2) لقد شكلت تونس على مر محطاتها السياسية التاريخية؛ مركز عبور للتجارة الإفريقية " الترنزيت " إلى بلاد تونس وأوربا والعكس، وكانت مصدرا تجاريا مهما لرواج الاقتصاد التونسي.

(3) انظر: عن صحف الجامعة الإسلامية وروادها؛ انظر: محمد رشيد رضا: " الجامعة الإسلامية وأراء كتاب الجرائد فيها " ، مجلة المنار، ج 1 ، مج 2 ، 1899 ، ص 337 .

(4) لقد أورد الشيخ محمد رشيد رضا أهداف مجلة المنار الثقافية الخادمة لمشروع الجامعة الإسلامية في إصلاح المنظومات الثقافية للمجتمعات الإسلامية "وغيرها الأول الحث على تربية البنات والبنين، لا الحط من الأمراء والسلاطين، والترغيب في تحصيل العلوم والفنون، لا الاعتراض على القضاة والقانون، وإصلاح كتب العلم وطريقة التعليم، والتنشيط على مجارات الأمم المتقدمة والأعمال النافعة، وطرق أبواب الكسب والاقتصاد، وشرح الدخائل التي مازحت عقائد الأمة، والأخلاق الرديئة التي أفسدت الكثير من عوائدها، والتعاليم الخادعة التي لبست الغي بالرشاد والتأويلات التي شبهت الحق بالباطل"؛ انظر: محمد رشيد رضا: فاتحة السنة الأولى للمنار " ، مجلة المنار ، مج 1 ، ج 1 ، شوال 1315هـ/ فيفري 1898 ، ص 11.

(5) يشير الأمير شكيب أرسلان إلى شهرة مجلة المنار التي تعدت حدود العالم العربي الإسلامي، إلى العالم الإسلامي-لأن الجامعة الإسلامية ليست مشروعا للعرب المسلمين فقط وإنما لكل البقاع التي تتبنى الإسلام كدين- ويورد شهادة مستشرق هولندي يؤكد فيها على أن المنار لم يشرق على القاهرة والعرب وحدهم، بل امتد إلى مسلمي أرخبيل الملايو وأندونيسيا، وأصبح الذين اقتبسوا من نور المنار في مصر منارات صغرى في أندونيسيا بعد أن عادوا إليها؛ انظر: شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا وإخاء الأربعين سنة ، مصدر سابق ، ص 128.

(2) انتهجت المنار وصاحبها الشيخ محمد رشيد رضا نهج الشيخ محمد عبده في فهم النصوص، من خلال تبني نزعة أكثر انفتاحية، ونقد بعض التفاسير والتأويلات للنصوص الشرعية، والتي على حد ضنهم من أسباب تخلف المسلمين، خصوصا فيما تعلق بالأحكام التي تجاوزها الزمن ويجب أن تفسر تفسيراً آخر لأن ظروف القرن التاسع عشر تختلف عن القرون الخوالي، وأن =

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

المثقفة، وبالرغم من مناهضة العديد من العلماء الزيتونيين المحافظين لمنهجها في تفسير النصوص النقلية، فإنها كانت محل إعجاب بعض مشايخ الزيتونة على نهج السلفية الجديدة، كمحمد النخعي والطاهر بن عاشور، كما كان لها عديد المشتركين في عدة جهات من البلاد التونسية<sup>(1)</sup>. وأقبل عليها التونسيون حتى أن العدد الواحد منها كان يدار على العشرات<sup>(2)</sup>.

وإلى جانب هذه الجرائد توجد عناوين أخرى شكلت قنوات مهمة في نقل أفكار أقطاب الجامعة الإسلامية إلى تونس، منها جريدة السعادة التي تأسست عام 1899، وجريدة السلام التي اعتبرتها سلطات الحماية في تونس موالية لتركيا ولها قراء كثير بتونس، ونتيجة لخطر تلك الصحف المشرقية الداعية للجامعة الإسلامية، قامت سلطات الحماية بضبط قائمة مفصلة عن جرائد الجامعة من حيث نوعيتها، ومكان صدورها، ومدى إقبال الأهالي على قراءتها، وأصدرت تعليمات صارمة لتطويقها ومنع دخولها إلى تونس أو الجزائر. وفي ذات الإطار كان للمؤلفات الداعية للجامعة الإسلامية أثرا عميقا في بث أفكار أقطابها، ومن ذلك أن سليمان الحمار كان يعرض بمكتبة القرية قرب جامع الزيتونة منشورات عثمانية باللغة التركية والعربية، كما أن المكتبة العربية "السعادة" الكائنة بسوق الصّوف بتونس لصاحبها محمد بن شعلان، كانت هي الأخرى تعرض كتبها خادمة ومروجة للفكر الجامعة المشرقي<sup>(3)</sup>. وفي نفس الفلك كانت الصحافة الرسمية للجامعة الإسلامية تروج لفكر

=الدين صالح لكل زمان ومكان مهما تطورت حياة الإنسان في مختلف المجالات؛ انظر: محمد رشيد رضا: "تجديد جهاد المنار بينه وبين قرائه"، مجلة المنار، مج 34، ج 10، 30 محرم 1354هـ/ 3 ماي 1935، القاهرة، ص 797، 798.

(3) محمد صالح المراكشي: قراءات في التاريخ العربي الحديث والمعاصر، الدار التونسية للنشر، تونس 1992، ص 98.

(4) التليلي لعجيلي: مرجع سابق، ص 105.

(3) وهي قصيدة نظمها "كمال بك" نذكر منها مجموعة أشعار بعنوان "صوت الحرية والوطن" التي أوردها الأستاذ أحمد توفيق

المدني في مذكراته، نورد منها:

فنحن بنو عثمان كنا كتيبة	أبي الله أن نكون كتائبنا
فسدنا وشدنا دولة ذات صولة	وعدنا وعاد الدهر أصلع شائبا
ونحن بنو عثمان عزت نفوسنا	نفضل عن ذل الحياة الترائبنا
نفضل تراب القبر في حفظ مجدنا	على تربة الذل المخيب دائبا
فلا نخش من حرب لتحرير موطن	ولو صبت الدنيا عليك مصائبنا

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

الوحدة الإسلامية، في مبدئها المرتكز حول مساندة السلطان العثماني والالتفاف حوله، من تلك الصحف نذكر الكوكب العثماني التي كان لها رواجاً في تونس، مما جعل السلطات الفرنسية تعتبرها من الصحف التي لها قراء كثر في تونس. وجريدة المعلومات كذلك كان لها رواجاً كبيراً في تونس وكانت تباع بمكتبة سليمان الحمار قرب جامع الزيتونة، وكان لها مراسلون من ضمنهم المدعو البشير زروق وكذا جريدة الجوانب التي بثت نشاطاً صحفياً حثيثاً للترويج للخلافة الإسلامية والسلطان العثماني<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: الجامعة الإسلامية وتطور الحركة الإصلاحية التونسية:

لقد تزامن حدث احتلال تونس مع إطلاق مشروع الجامعة الإسلامية من قبل أقطابه المتمثلين في "جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، ثم محمد رشيد رضا وشكيب أرسلان وكذا السلطان العثماني عبد الحميد الثاني" ومن خلال أهداف حركة الجامعة الإسلامية الحائثة على مقاومة الاستعمار ومحاربة ظاهرة التخلف فقد كان لها أثراً بالغاً في بلورة الفكر الإصلاحي التونسي القائم على مبدأ الرابطة الإسلامية والتجديد.

### 1 - أثر فكر أقطاب الجامعة الإسلامية في الفكر الإصلاحي للحركة الوطنية التونسية:

لقد توفرت سلسلة من الظروف جعلت من تونس مجالاً خصباً لاستجلاب أفكار أقطاب الجامعة الإسلامية وإنتاجها من خلال تجلياتها الظاهرة، ذلك أن الساحة التضاللية الإصلاحية للبلاد التونسية كانت تحتوي على القاعدة الأساسية للفكر الإسلامي الوحدوي الجامع من خلال نشاط مؤسساتها العلمية الفكرية وتكاملها فجامعة الزيتونة كانت منارة علمية، تبث العقيدة الإسلامية وشريعته السمحة، مع أنها كانت تعاني من داء عضال وهو التقليد والحمول، والاقتران على طرق بعض المواضيع في المجال الديني فقط. ونتيجة تفاعل رواد الفكر الزيتوني مع فكر أقطاب الجامعة

للاستزادة؛ انظر: أحمد توفيق المدني: حياة كفاح (مذكرات)، ج1، مصدر سابق، ص 60.

(1) انظر: التليلي لعجيلي: مرجع سابق، ص 102 - 105. انظر كذلك: عمر بن قفصية: أضواء على الصحافة التونسية، دار بوسلامة للنشر، تونس، 1972، ص 14.

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

الإسلامية كمحمد عبده ومحمد رشيد رضا الداعي إلى تحرير العقل الإسلامي والخروج من دائرة التوقوع إلى حياة فكر يساير الواقع المعاش في البلاد الإسلامية، ومنه فقد حدثت التوأمة بين أصالة الزيتونة ومعاصرة معهد الصادقية والخلدونية، فجامع الزيتونة<sup>(1)</sup> يعتبر القاعدة الفكرية الأساسية والأصيلة التي ستتجاوب مع الأهداف التي أعلنت عليها أقطاب الجامعة الإسلامية خصوصا فيما يتعلق بوحدة العالم الإسلامي في جامعته السياسية العثمانية والوقوف في وجه المعتدي النصراني الزاحف على البلاد الإسلامية، وكذا تجديد المناهج العلمية بما يتماشى مع مقتضيات العصر في بيئة احتلالية تميّزت بتقييد الفكر الإسلامي وجعله ينحرف ويتخبّط في دائرة الخمول والرضى بالاستعمار المحتّم<sup>(2)</sup>.

من هذا المنطلق فقد استقدم معهد الخلدونية جل طلبة الزيتونة من ذوي الفكر المفتوح للتعرف على المناهج العلمية الحديثة والاستزادة من العلوم العقلية الأخرى، أو العلوم الدنيوية النافعة، من أمثال سالم بوحاجب، وقد عارض هذه المؤسسة ثلة من ذوي الفكر الزيتوني المحافظ، الذي استهدف الحفاظ على النظم التعليمية التقليدية المعتمدة منذ تأسيس جامع الزيتونة في القرن الثاني هجري وحثهم في ذلك أن اعتناق مثل هذه المناهج يخرج جمهرة من الطلبة المتأثرة بالحضارة الأوربية، ومن ثم ستكون أداة طيعة في يد المستعمر<sup>(3)</sup>.

---

(1) يعد جامع الزيتونة منارة علمية لنشر علوم الشريعة الإسلامية بمختلف فروعها وأصولها وطود للدفاع عن عناصر الهوية الإسلامية؛ وأحد أقدم وأشهر المساجد في العالم الإسلامي أسسه عبيد الله بن الحبحاب سنة 734م. وظل لروح طويل قاعدة علمية في المغرب يأتيه الطلاب المغاربة من كل فج عميق على غرار بقاع العالم الإسلامي الأخرى، ثم ما فتئ أن دخل في مرحلة طويلة من التراجع والركود، نتيجة قصور المناهج العلمية، المعتمدة على النزعة التقليدية ذات الأسس الدغمائية التي تجعل الطالب متقوق ومنزوي حول محيطه الضيق، والاكتفاء بالعلوم النقلية دون غيرها من العلوم الدنيوية النافعة أو علوم المادة. وقد شهد عدة محاولات عديدة لإصلاحه. فعلى عهد أحمد باي قام بتنظيم التعليم ومناهجه بالجامع بمقتضى الجهود الإصلاحية للوزير المصلح خير الدين باشا.

(2) لقد حرصت السلطات الاستعمارية - طوال فترة سيطرتها على تونس (1881-1956) - على فرض سياستها التعليمية الإدماجية على جامع الزيتونة لسلبه عن أهدافه، باعتباره معقلا من معقل المقاومة الثقافية ضدّ الغزو الثقافي الفرنسي في البلاد. ورغم ذلك، تواصلت وتيرة المطالبة بإصلاح التعليم بالجامع.

(3) خليفة الشاطر وآخرون: مرجع سابق، ص 65.

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

وفي ذات السياق يعتبر معهد الخلدونية<sup>(1)</sup> من أبرز تجليات فكر أقطاب الجامعة الإسلامية خصوصا "محمد عبده ومحمد رشيد رضا" في البلاد التونسية ذلك أنه تبني فكرهم، من حيث المعاصرة والتجديد وبت الفكر الإصلاحي الإسلامي بين الحركات الوطنية، للشعوب الإسلامية المضطهدة في المعمورة، وقد بدأت بوادر إنشاء هذا المعهد قبيل انتصاب الحماية، تجاوبا مع الارهاصات الأولى لمشروع الجامعة الإسلامية في بدايته، مع مشروع الوزير المصلح الوزير خير الدين باشا الذي لم يكتب له النجاح خصوصا فيما تتعلق بإجهاض مشروع الحماية، غير أنه خلف وترك القاعدة الفكرية التجديدية للأجيال الآتية.

من هذا المنطلق فقد شرع رواد الحركة الإصلاحية التونسية المتشبعين بفكر رواد الجامعة الإسلامية في تأسيس المعهد والجمعية الخلدونية لإحداث التكامل بينها وبين جامعة الزيتونة، من خلال تطوير مناهج التعليم الزيتوني التقليدي، والخوض في العلوم العقلية، واللغات الأجنبية الحية، وقد حظي المشروع بدعم المقيم العام " لويس ريني ميري" (1895 - 1900) الذي كان معجبا بالحضارة العربية الإسلامية، كما حظي برعاية الباي وكبار أعوانه لذلك وافقت الحكومة على تأسيس هذه الجمعية أواخر ديسمبر 1896 وتم افتتاح المعهد في 15 ماي 1897 وقد أقبل على الدروس الليلية للخلدونية طلبة جامع الزيتونة المتعطشين للعلوم العقلية كالفلسفة والجغرافيا والتاريخ والطب والرياضيات...<sup>(2)</sup>. وأدرك التونسيون من خلال إقدامهم على إنجاز هذه التجربة فضل الإسهام في هذا المجال، لذلك أنشئوا جمعيات أخرى من أبرزها جمعية "قدماء الصّادقية" في ديسمبر 1905 والتي تعتبر من أبرز تجليات الفكر الاصلاحى للجامعة الإسلامية.

(1) سمي المعهد والجمعية بالخلدونية نسبة إلى العلامة عبد الرحمان بن خلدون، توسما وإحياء واعتزازا بالتراث الثقافي العلمي المغاربي الغابر. و هي جمعية وطنية ثقافية تونسية ذات أبعاد سياسية خفية ( بسبب الظروف الاستعمارية القاهرة لم يكن بمقدور رواد الجمعية الخوض في القضايا السياسية، وإنما انتهج أسلوب المراوغة والتكيف حسب الظروف).

(2) لقد ظهرت الصبغة الأكاديمية العلمية على المعهد، من خلال تلقينه للغات الأجنبية والمحاضرات، التي كان يلقيها محاضرون تونسيون كالبشير صفر وأجانب، في مختلف الفنون والعلوم.

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

لقد شكلت هذه الجمعية خطورة واضحة بفكرها الإصلاحية المهجين بين الأصالة الإسلامية الحاملة لفكر الجامعة الإسلامية والمعاصرة الغربية، ذلك أن التيار المعادي للجمعيات الإصلاحية والمتمثل في تيار المعمرين الذين رفضوا بتاتا مثل هذه التجارب النضالية في الحركة الوطنية التونسية، إذ يرى زعيمهم "فكتور دي كزنيار" أن هذه الجمعية ليست إلا وكرا للدعاية للجامعة الإسلامية الرسمية الهادفة إلى إعادة لم الشتات السياسي للمسلمين، وجمعهم تحت لواء الخلافة العثمانية بقيادة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وكذا كبح الحركة الاستعمارية الأوربية بالإعتماد على رابطة الإسلام، كما يرى " فيكتور " أن دروس الخلدونية ومحاضراتها - وسط ظروف الجمود في البيئة الثقافية الفكرية التونسية- سوف تحدث الاستفاقة، من خلال التعرف على أصول ومبادئ الحضارة المعاصرة خصوصا ماتعلق منها بالقيم الأوربية المتعلقة بالحرية والعدالة والمساواة إذ تفتح أبصار التونسيين على قيم ومبادئ فلسفة التنوير<sup>(1)</sup>، كالمساواة والحرية وحق تقرير المصير وتجعلهم يطالبون فرنسا بتطبيق هذه المبادئ في تونس<sup>(2)</sup>.

وفي الاطار ذاته يبين العقيد "بارون" في تقرير له حول خطر المؤسسات الثقافية ذات النزعة المطلبة (الزيتونة الخلدونية، الصادقية) والتي تعد من أبرز مظاهر وتجليات الفكر التجديدي لحركة الجامعة الإسلامية خصوصا فكر محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، على أن السلطات الفرنسية تساهلت مع ذلك مما أدى إلى ظهور الحركة التونسية وجاء في التقرير: « إن الحركة التونسية نشأت

---

(1) لقد كان المحاضرون التونسيون يلقون دروسا متعلقة بالتاريخ الأوربي والتحولت التي شهدتها أوربا نتيجة ظهور فلسفة التنوير على أنقاض العصور الوسطى المظلمة، والتي تميزت بسيطرة الكنيسة الكاثوليكية على العقل الأوربي وتكبيله دون الخوض في القضايا العقلية التي تتعارض مع مبادئ الكنيسة وبابواتها، حتى وإن كان العلم يثبت صحتها؛ وكل مخالف لتلك التعليم هو معرض للمحاكمة التي تصل إلى الإعدام كما حدث لـ "غاليليو" الذي قال بكروية الأرض، ومن زاوية محددة، فقد كانت أوضاع الأمم الإسلامية مشابهة لتلك الأوضاع على غرار الأمة التونسية التي كانت تعاني من تخلف فكري يفرضه بعض العقائد الطرقية المنحرفة وانتشار البدع والخرافات والأباطيل، من هذا المنطلق فقد اضطلع المعهد بمهمة إيقاظ العقل الإسلامي بنزعة انفتاحية خصوصا وأنه يحمل النزعة الفكرية التجديدية لأقطاب الجامعة الإسلامية من حيث عنصر التجديد وبذل الأسباب الحقيقية للحاق بالركب والنهوض بالأمة التونسية.

(2) خليفة الشاطر وآخرون : مرجع سابق ، ص 65.

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

من إقبال الأهالي المنتمين إلى الطبقة العليا بحماس على دراسة العلوم ولا سيما القانون والنظريات الاجتماعية الحديثة، ولقد سهل ممثلو فرنسا وشجّعوا تلك الدراسات، التي كان يشرف عليها بعض أساتذة الجامعة الخلدونية، أمثال البشير صفر، وعبد الجليل الزاوش، وخير الله بن مصطفى وكانوا يقرنون دروسهم بنقد نظام الحماية<sup>(1)</sup>.

لقد ظهرت تجليات تأثير الجامعة الإسلامية، ومؤسساتها الثقافية في تونس، والمتأثرة بمبادئها الإصلاحية الهادئة بصفة واضحة، فعندما زار الشيخ محمد عبده تونس سنة 1884 لنشر دعوة "جمعية العروة الوثقى" وتأسيس شعبة لها هناك، وجد الأرض على حد تعبير الشيخ "محمد الصادق بسيس" محروثة وخصبة، بعد أن وجد ثلثة<sup>(2)</sup> من أنصار فكر الوزير خير الدين الإصلاحي التجديدي، فلم يجد منهم أي تحفظ أو اعتراض عن الانخراط في الجمعية، للنهوض بالأمة التونسية القابعة تحت وطأة ونير الحماية الفرنسية،<sup>(3)</sup> فلم تمض على سفر الشيخ محمد عبده شهور عديدة حتى ظهرت في مدينة تونس حركة احتجاجية هائلة، خرجت فيها مظاهرة كبرى من مدينة تونس إلى ضاحية المرسى، حيث القصر الملكي، وقابل وفدها الملك، وقدم له عريضة مطالب واحتجاجات أرغمت الحكومة على الرجوع في قراراتها إلى مقرراتها، وعلى تنقيح نظم البلدية ومجالسها، بما يتماشى مع تطلع الوطنيين، فهدأت الأحداث<sup>(3)</sup>.

وعليه يمكن القول أن البيئة الثقافية للبلاد التونسية شكّلت المناخ الملائم لنمو أفكار أقطاب الجامعة الإسلامية، ذلك أن فرض الحماية الفرنسية على تونس تزامن مع ولادة تلك الأفكار، التي استهدفت بقاع العالم الإسلامي المتخلف المحتل أو السائر في طريق الإحتلال، مما أدّى إلى ظهور تجليات التأثير بفكر الجامعة منذ وقت مبكر على يد المصلح الوزير خير الدين التونسي خاصة وأن جامع الزيتونة لازال يعتبر منارة علمية تحاكي أفكار منظري مشروع الجامعة الإسلامية.

(1) عبد العزيز الثعالبي: تونس الشهيدة، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1984، ص 301.

(2) كما اشترنا سالفا فقد كان للشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني حزب على مستواهم الفكري النضالي شأن الجزائر التي وجد بها الشيخ محمد عبده "الحزب العبدوي" ومن أهم أولئك؛ محمد بيرم الخامس، ومحمد السنوسي، وأحمد الورتاني، وكل هؤلاء كانوا أعضاء وأنصارا لخير الدين.

(3) محمد السنوسي: مصدر سابق، ص 63.

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

ثم واصل مثقفي تونس من معتنقي فكر الجامعة في خلق مؤسّسات ثقافية لنشر مبادئ الجامعة الإسلامية خصوصا فيما تعلق بعنصر التجديد كالحلدية والصادقية، ومما ساعد على تجذير الفكر الإسلامي الوحدوي الجامع، زيارة محمد عبده لتونس وإقامته هناك، وتسرب فكر أقرانه عن طريق ترسانة من الصحف التي كانت تدخل تونس، كالعروة الوثقى لصاحبها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والمنار لصاحبها محمد رشيد رضا، وكذا الصحف التي تأسست في تونس ونادت بأهداف الجامعة الإسلامية.

### 2 - تطور الحركة الإصلاحية للجامعة الإسلامية في تونس:

لقد رسمت الجامعة الإسلامية بصدى فكر أقطابها في تونس الملامح الكبرى لحركتها الإصلاحية التي مثلت أحد أبرز الاتجاهات النضالية للحركة الوطنية التونسية الناشئة والتي ظهرت بسّم حركة الشباب التونسي أو تونس الفتاة، التي تأثر جمهرة من شبابها ممن تبنوا الفكر الإصلاحي التّجديدي لأقطاب الفكر الجامع الإسلامي، وكذا الفكر السياسي الرّامي إلى تأليف وحدة سياسية إسلامية تركز على عنصر الخلافة الجامعة، ومن خلال ما يلي نورد العلاقة التأثيرية التطورية للجامعة الإسلامية على الحركة الإصلاحية التونسية:

#### أ - حركة العروة الوثقى في تونس:

تعتبر الجامعة الإسلامية من إحياء السيد جمال الدين الأفغاني التي يُعد الأب الروحي لها، من خلال تأسيسه سنة 1882 لجمعية سرية في كلكوتة تُعتبر بمثابة نواتها الأولى تدعى العروة الوثقى ويظهر أن اسمها مقتبس من القرآن الكريم قال تعالى ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ وأسست لها فروع سرية في مناطق عدة من العالم الإسلامي، وضمت شخصيات إسلامية من مختلف أنحاء العالم الإسلامي<sup>(1)</sup>، بما فيها أقطار المغرب العربي كالأمير عبد القادر الجزائري، والشيخ محمد بيرم الخامس ومحمد السنوسي وسالم بوحاجب، من الذين كان لهم دورا كبيرا في نشر مبادئ العروة الوثقى. وعند زيارة الشيخ محمد عبده لتونس سنة 1884، شرح لهم أهداف ومبادئ جمعية

(1) جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده : مصدر سابق ، 48.



## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

العروة الوثقى، فأقبل عليها رواد الإصلاح وأعجبوا بأهدافها، فكتب الشيخ محمد عبده إلى جمال الدين الأفغاني رسالة يوضح له فيها عزمه على تأسيس شعبة للجمعية في تونس بعد أن وجد المناخ المناسب (( لقد استقبلني علماء تونس وأمراؤها استقبالا حسنا، وتعرفت عليهم جميعا، كما أنهم يعرفونكم وقلت لهم: إن العروة ليست اسم جريدة، بل هي جمعية كان قد أسسها السيد جمال الدين بجيدر أباد بالهند، كما أنّ لها شعبا أخرى في بلاد مختلفة، ولكن كل شعبة لا تعرف الأخرى ورئيس كل شعبة هو المعروف فقط، وأني أرغب في أن أكون شعبة هنا، وحين عرضت عليهم الفكرة سروا بها وأنا اليوم مجدّد لتكوين هذه الشعبة... استقبلت هذه الدعوة بجملة كبيرة وخصصتُ كامل وقتي من أجل وضع أسسها وقد رأينا أن نُطلق على خلية تونس اسمك الأفغاني... التونسيين لهم رغبة واضحة في هذا العمل السري وفي حمايته والدفاع عنه))<sup>(1)</sup>

ثم إن رواد العروة الوثقى بتونس تبرعوا بأموالهم من أجل تنشيط وتفعيل الجمعية؛ ويشير خير الدين باشا أن الشيخ محمد عبده جمع من تونس ثمانية آلاف فرنك، كما تبرع خير الدين نفسه بخمسة آلاف فرنك، وكان على صلة وثيقة بالجمعية المركزية للعروة الوثقى، وتبرّع رستم باشا بمثلها<sup>(2)</sup>.

وقد ساهم أعضاء جمعية العروة الوثقى التونسيون في تأسيس مجلة العروة الوثقى بباريس، وعند صدورها كتب الشيخ محمد السنوسي رسالة إلى الشيخ محمد عبده، يصف فيها حال العالم الإسلامي المتشتت المفرق؛ جاء فيها: (( أمة فؤادها عليل قد منيت أطوارها بالتبديل وتلاشت منها وعظم بها الوجى فأصبحت رهينة آلام أوهت منها قوة الاعتصام، تطرّق حدقاتها إلى نيل العز القديم مستكشفة ما شخص من ذلك الأديم الذي لا تستطيع إليه نوحوا، وقد رأت حبل اعتصامها به منقوصا، فعزّ دواؤها وأحاط بها أعداؤها))<sup>(3)</sup>. ثم نظم قائلا:

(1) محمد الصادق بسيس : مصدر سابق ، ص 53.

(2) محمد الصادق بسيس : نفسه ، ص 54.

(3) الطاهر عبد الله: مرجع سابق ، ص 32.

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

لئن دجت الأحلاك بالغيب لأبقى      وضلت حلوم بعد أن طرقت طرقا  
فقد وضع الصبح الذي بان عندما      أنيط جمال الدين بالعروة الوثقى

لقد كان لجمعية "العروة الوثقى" صدى واسعا وعميقا على الحركة الإصلاحية التونسية نتيجة تأثر الثلة الإصلاحية بفكرها وأهدافها ومبادئها، وانخراطها في الجمعية المركزية، ثم تأسيس فرع في تونس كل هذه العوامل جعلت من البلاد التونسية مجالا خصبا لتجسيد أهدافها، فبعد مغادرة الشيخ محمد عبده لتونس سنة 1884 اندلعت مظاهرات عارمة ضد سلطات الحماية، كتعبير عن رفض الاستعمار، وتبني مبادئ حركة العروة الوثقى الداعية لاستنهاض همم الشعوب وتحريكهم للثورة ضد الاحتلال.

### ب - تطور الحركة الصحفية التونسية المروجة لأفكار أقطاب الجامعة الإسلامية:

نتيجة النشاط الإصلاحي الحثيث الذي بثه جمال الدين الأفغاني مع حركة العروة الوثقى، وزيارة الشيخ محمد عبده لتونس، ووصول أفكار محمد رشيد رضا وشكيب أرسلان إلى تونس عبر مجلة المنار، فقد ارتسمت معالم الحركة الصحفية الإصلاحية، التي سارت على نهج الفكر الإصلاحي لأقطاب الجامعة الإسلامية، من خلال ظهور العديد من الصحف ذات العناوين الإصلاحية المعبرة والموحية بالانطلاقة الفعلية للنشاط الصحفي باسم الجامعة الإسلامية، ولعل أهم وأعرق تلك الصحف "جريدة الحاضرة" التي أسسها ثلثة من الشّباب التونسي سنة 1888 بقيادة علي بوشوشة والبشير صفر، وكان مقر الجريدة هو المعقل الذي يتجمع فيه رواد حركة العروة الوثقى بتونس، والذين شنوا حملات إعلامية لكبح السياسة الفرنسية في تونس، من خلال الترويج لأفكار الجامعة الإسلامية. وفي سنة 1889 تم تأسيس جريدة أخرى اسمها "الزهرة" على يد عبد الرحمان الصّندالي الذي درس على يد عضو العروة الوثقى محمد بيرم الخامس، وقد نهجت هذه الجريدة سبيل الحاضرة في تبني أفكار الجامعة الإسلامية<sup>(1)</sup>

(1) الطاهر عبد الله: مرجع سابق، ص 32، 33.

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

وفي سنة 1893 أصدر إنجلي نجيب ملحمة "جريدة البصيرة" استهدفت مناصرة السلطان العثماني والجامعة الإسلامية. وفي سنة 1896 ظهرت "جريدة لسان الحق" لصاحبها محمد بورقيبة وكانت تدعو إلى الوحدة والتضامن بين المسلمين، ثم أصدر الجعابي سنة 1904 "جريدة الصواب" التي كانت موالية لتركيا والجامعة الإسلامية، وأصدر عثمان عمر سنة 1907 "جريدة الحقيقة" التي دافعت عن شرعية الخلافة العثمانية وجامعتها الإسلامية السياسية وفكر أقطابها، وفي ذات السنة أسس محمد الصادق المحمودي "جريدة المعارف" للترويج لأهداف محمد عبده وجمال الدين الأفغاني وغيرهم من أقطاب الجامعة الإسلامية، ولذات الأهداف أسس الطيب بن عيسى "جريدة المشير"<sup>(1)</sup> وفي سنة 1910 أصدر الشيخ عبد العزيز الثعالبي جريدة "سبيل الرشاد" التي تعتبر كذلك من أبرز منابر الدعاية للجامعة الإسلامية، ذلك أن مؤسسها نهل من معين فكر أقطابها خصوصا بعد هجرته إلى معقلها بمصر والأستانة وفي هذا الصدد يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور "عاد منها غريب الشكل والنزعة والمنطق والقلم يتكلم بأفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ومعجبا بالكواكبي وحسن حسني الطويراني، ويدعو إلى التطور والحرية وفهم أسرار الدين وأسرار الوجود ويعجب بمقالات الحكماء والطيّعين، ذلك هو الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي لم يكذب يرجع من مصر حتى أحاطت به هالة من أهل العلم والأدب"<sup>(2)</sup>، ثم أصدر الثعالبي سنة 1911 جريدة موحية بقيمة التضامن والوحدة الإسلامية باسم: الاتحاد الإسلامي، وفي السياق نفسه كانت "جريدة التونسي" لحركة الشباب التونسي "متشعبة بالأفكار الوحدوية للجامعة الإسلامية، وتدعو للجماعة والتضامن مع الشعوب الإسلامية.

### ج - تأثير آراء أقطاب الجامعة الإسلامية على الفكر الإصلاحى لحركة "تونس الفتاة":

تعتبر حركة الشباب التونسي أو تونس الفتاة أحد البواكير الأولى للحركة الوطنية التونسية كما أسلفنا الذكر، وعليه فقد ظهرت هذه الحركة سنة 1907 نتيجة عدّة ظروف وعوامل مساعدة

(1) انظر: التليبي العجيلي: مرجع سابق، 130. كذلك: الطاهر عبد الله: مرجع سابق، ص 31.

(2) محمد الفاضل بن عاشور: مصدر سابق، ص 80.

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

ولعل أهمها وجود قاعدة إصلاحية فكرية متشعبة بأفكار أقطاب الجامعة الإسلامية، خصوصا بعد الزيارة الأولى للشيخ محمد عبده سنة 1884، والذي نقل أفكار إخوانه في المنظومة الإصلاحية للجامعة الإسلامية، خصوصا فيما تعلق بالجانب الثقافي الديني وكيفية الخوض في السياسية من خلال المروعة، وهو المبدأ الذي وافقه فيه الشيخ محمد رشيد رضا، على خلاف جمال الدين الأفغاني وشكيب أرسلان، وكذا وجود بعض المصلحين التونسيين الذين كانوا أعضاء في جمعية العروة الوثقى التي أسسها جمال الدين الأفغاني، وجمعيات نهل أعضاؤها من معين الفكر الإسلامي الجامع كالصادقية والخلدونية، وكذا الجرائد الداعية للجامعة والتي كان لها دورا في تنمية أفكار "حركة الشباب التونسي" وعلى رأسها جريدة الحاضرة.

لقد اضطلعت "حركة الشباب التونسي" بمهمة الدفاع عن حقوق التونسيين المهضومة، ونتيجة نشاطها الحثيث، فقد اتهمها خصومها من المعمّرين بأنها موالية للحكم العثماني الذي اعتلته "حركة الشباب التركي" أو "تركيا الفتاة" هذا ما يؤكد العقيد "بارون" في تقريره حول الحركة<sup>(1)</sup> وقد كانت الحركة تتكون من مزيج ثقافي متكامل في غالب الرؤى التجديدية النضالية<sup>(2)</sup>، شكّله الشباب المزدوج الثقافة العربية الإسلامية والغربية وهم في معظمهم من خريجي المدرسة الصادقية، ومن أبرزهم علي باش حامبة<sup>(3)</sup> وأخوه محمد، وحسن فلاّتي وعبد الجليل الزّاوش، والشباب الزيتوني المتأثر بفكر

(1) عبد العزيز الثعالبي: مصدر سابق، ص 301.

(2) لقد طرحت مثلا مسألة الكتابات جدلا واسعا بين دعاة المغالين في المحافظة ونظرائهم التجديدين، فقد كانت هذه المسألة محل اهتمام خير الله بن مصطفى الذي حلل أسباب تدهورها وطالب بإبقائها مع وجوب تحديثها. لكن هذا الموقف قوبل برفض عدد من افراد "حركة الشباب التونسي" وفي مقدمتهم علي باش حمبة الذي أوصى على أعمدة الصحافة بإلغاء الكتابات نهائيا نظرا إلى اعتمادها على الحفظ والتلقين ورفضها العلوم الحديثة، وقد طالب بتعويضها بالمدراس العصرية الفارنكو-عربية وهو ما رفضه الزيتونيون المحافظون خوفا من أن تصبح تلك المدارس مراكزا للدعاية الغربية. وقد أدى ذلك فيما بعد إلى إضراب طلبة الزيتونة المتفتحين، وتشكيل جمعية طلبة الزيتونة انظر: خليفة الشاطر وآخرون: مرجع سابق، ص 73، 75.

(3) علي باش حمبة (1875-1918) من أعلام المصلحين التونسيين ودعاة الوحدة المغاربية، ولد بتونس حيث تلقى تعليمه العربي الإسلامي، ثم انتقل إلى باريس وحصل على شهادة الليسانس في الحقوق، قاد حركة الشبان التونسيين، وأسس جريدة "التونسي"، انتقل إلى تركيا واستقر في اسطنبول حيث بث نضالا ضد السياسة الاستعمارية الفرنسية في الأقطار المغاربية إلى أن توفي سنة 1918. للمزيد من المعلومات؛ انظر:

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

أقطاب الجامعة الإسلامية، أمثال الشيخ سالم أبو حاجب، محمد بيرم الخامس وعبد العزيز الثعالبي. وللتعبير عن مطالب التونسيين تم تأسيس جريدة أسبوعية فرنسية اللسان تعبر عن آرائها ومطالبها اسمها "جريدة التونسي"، صدر لها ملحق باللغة العربية سنة 1909 كان يشرف على تحريره الشيخ الثعالبي. ومع مرور الوقت برز التوجه الإسلامي الوجدوي لمزدوجي الثقافة الإسلامية-الغربية في حركة "تونس الفتاة" المستمد من مبادئ الجامعة الإسلامية التي دعا إليها أقطابها، خصوصا جمال الدين الأفغاني وشكيب أرسلان<sup>(1)</sup> لتوحيد النضال ضد الاستعمار الأوربي هذا ما عبّر عنه علي باش حمبه: « إنه ليس من قصد الشباب التونسي قطع صلته بماضيه المجيد ولا بالجماهير الشعبية التي يستمد منها الدعم والعون، ولا يمكن أن نتخذ سياسة تصطدم بالشعور الوطني والقومي الذي نتعاون على خدمته مع الصحافة الوطنية العربية». ثم أوضح علي باش حمبه صراحةً في "جريدة التونسي" عن تبني الحركة لفكر رواد الجامعة الإسلامية خصوصا فيما تعلق بالوحدة والجماعة والتضامن مع أقطار العالم الإسلامي بقوله: « إن كل عربي مسلم أو غير عربي مسلم هو من أنصار وحدة العالم الإسلامي وأن التونسيون قاطبة أنصار ومؤمنون بوحدة العالم الإسلامي ومتعلقون بالرابطة العثمانية التي هي نتيجة تلك الفكرة ومظهرها الباهر، وإذا كانت ثقافتنا الغربية قد أكسبتنا عقلية جديدة فإننا بصفة كوننا مسلمين فإننا قد احتفظنا بولائنا الخالص لإخواننا المسلمين في جميع الأقطار فالأتراك والمصريون والسوريون يوحون لنا بهذا الإحساس، كما يوحي به إلينا إخواننا في الجزائر والشعوب الآسيوية في الشرق الأقصى»<sup>(2)</sup>.

---

Pierre Bardin : **Algériens et Tunisiens dans l'empire Otman de 1848à 1914**, Ed du CNRS, Aix en Province, Paris 1979, p195.

(1) خصصنا بالذكر كل من جمال الدين الأفغاني وشكيب أرسلان لأن منهجهم في التغيير يعتمد بالأساس على الخوض في السياسة وتحريض الحركات الوطنية الإسلامية والمغاربية على مباشرة العمل السياسي، بينما يتجه فكر الشيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضا نحو التنظير والتربية.

(2) الطاهر عبد الله: مرجع سابق، ص 44.

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

وفي إطار سياسة الجامعة الإسلامية الرسمية الدّاعية للوحدة والتّضامن بين المسلمين فقد شهدت حركة الشباب التونسي بعد صدور قرار إيطاليا في 5 نوفمبر 1911 لاحتلال ليبيا العثمانية سنة 1911 نشاطا حثيثا<sup>(1)</sup>، من خلال التضامن مع السلطان العثماني الممثل الروحي والسياسي للخلافة وللجامعة الإسلامية، وتنظيم حملات لتقديم الدعم المالي والبشري، وعليه كانت أحداث "الزلاّج" و"مقاطعة الترامواي"<sup>(2)</sup>. ومع مرور الوقت تمكن رواد حركة الشباب التونسي من تنظيم جهودهم بصفة رسمية وبمظهر شرعي مع تأسيس الحزب الدّستوري الجديد سنة 1919 بقيادة عبد العزيز الثعالبي، واستمر الحزب في المنافحة عن حقوق التونسيين المهضومة من أمد طويل وقد كان لأفكار جمال الدين والشيخ عبده ورشيد رضا وباقي أقطاب الجامعة الإسلامية بالغ الأثر في تنمية التوجه الإصلاحية الإسلامي للحزب وأعضائه. وقد كان شكيب أرسلان على صلة وثيقة بحركة الشباب التونسي ثم الحزب الدستوري الحر وزعيمه عبد العزيز الثعالبي ومعظم رجالات الحركة الوطنية والإصلاحية التونسية، وأدرجت جريدة الأمة العربية لصاحبها أرسلان القضية التونسية ضمن أعدادها عام 1933 للوقوف ضد السياسة الثقافية الفرنسية في تونس الرامية لاجتثاث مقومات الأمة. كما خصصت جريدة "الحركة التونسية" لسان حال الحزب الدستوري التونسي الجديد عدداً كاملاً لشكيب أرسلان في 1937 أوضحت فيه جهود الأمير ودعمه للقضية التونسية في المناسبات المختلفة. ثم انضم شكيب أرسلان إلى "هيئة استقلال الجزائر وتونس" التي أسسها التونسيان الشيخ صالح الشريف وإسماعيل الصفائحي في سويسرا عام 1916، للعمل ضد الجبهة الفرنسية ولمساندة الخلافة العثمانية وألمانيا في حربها ضد القوى الاستعمارية الكبرى فرنسا وبريطانيا<sup>(3)</sup>.

(1) للمزيد؛ انظر: نور الدين الدقي : حركة الشباب التونسي ، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية التونسية ، تونس ، 1999.

(2) خليفة الشاطر وآخرون: مرجع سابق ، ص 76.

(3) انظر:

Juliette Bessis: " Chakib Arsalan et les mouvements nationalistes au Maghreb "

Revue historique , N° 526 , avril – juin 1978 , p 470.

### 3- صدى سياسة الجامعة الإسلامية في تونس خلال الحرب العالمية الأولى:

لقد واصل السلطان العثماني محمد الخامس علي بن السلطان عبد المجيد الأول سياسة الخليفة عبد الحميد الثاني في تبني أفكار أقطاب الإصلاح في المشرق، والتي تمحورت حول مشروع الجامعة الإسلامية، ومع اقتراب الحرب العالمية الأولى استهدف السلطان العثماني اللّعب على وتر أحد أبرز عناصر النهضة لدى جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا والأمير أرسلان، في المنظومة الإصلاحية النهضوية؛ وهو الوحدة والتضامن مع الخلافة الإسلامية الشرعية التي اعتلى عرشها آل عثمان منذ 1299، بالاعتماد على مقوم الإسلام القاسم المشترك بين مختلف أقطار العالم الإسلامي في المعمورة، من هذا المنطلق عمد السلطان إلى التّحالف مع ألمانيا التي تبنت سياسة إسلامية مؤصلة القائمة على أصول الفقه والتشريع وأهمها النصوص النقلية، والتي صاغها مفكروها المستشرقون وعلى رأسهم "ماكس أوبنهايم" - كما أوردنا ذلك سالفًا - من جهته استهدف السلطان العثماني استصدار الفتوى الشرعية، من شيوخ الإسلام بالاعتماد على النصوص النقلية القرآنية والسنية، والتي تجعل مهمّة الدّفاع عن الجامعة الإسلامية العثمانية جهادا مفروضا على كل مسلم يجاهد في سبيل حماية رمز المسلمين، وهي الخلافة التي أسّسها النبي صلّى الله عليه وسلّم في المدينة المنورة بعد هجرته إليها، وعليه فقد تم تلوين القتال لجانب العثمانيين ضد الدول الحلفاء باللون الروحي العقدي؛ والذي له أهمية بالغة في تحريك الشعوب نحو الهدف المنشود.

وقد استهدفت الدعاية العثمانية الشعوب المغاربية الواقعة تحت النفوذ الاستعماري الفرنسي، بما فيها الشعب التونسي الذي كانت تصله بعض الجرائد الدّاعية للوقوف مع الخلافة الإسلامية العثمانية الجامعة الإسلامية الرسمية والشرعية للمسلمين؛ ونصرتها ضد الاحتلال البريطاني والفرنسي المعتدي على بلاد المسلمين والمضطهد لشعوبها، منها جريدة "الشباب التركي" و"جريدة العدل" بالرغم من الرقابة الصارمة من طرف سلطات الحماية لمنعها من دخول تونس. كذلك كانت تونس تعج بالملصقات الحائطية الدّاعية إلى التّحالف مع الخلافة العثمانية، وقد وجدت في المحلات والبيوت والأماكن السرية لاجتماع أنصار الجامعة الإسلامية الرسمية، وقد وقف الشعب التونسي بكل أطيافه

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

مع الخلافة العثمانية، بما فيه طائفة المثقفين والطلبة، وقد عبر عن ذلك نظمُ الأشعار والأغاني الشعبية المادحة للسلطان الدامة لفرنسا المحتلة.

وفي ذات السياق وقف رواد الإصلاح ذوي النزعة الإصلاحية القائمة على الأسس الفكرية لأقطاب الجامعة الإسلامية إلى جانب الجامعة العثمانية، وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي والشيخ صالح الشريف الذي مارس نشاطا فكريا حثيثا، لتحريك الحس الجهادي لدى التونسيين والشعوب الإسلامية، ومما كتبه "الجهاد فريضة مقدسة" و"إرشاد العباد إلى حقيقة الجهاد" و"شرح دسائس الفرنسيين ضد الإسلام والخليفة".

لقد ساهمت الدعاية العثمانية- الألمانية إلى حد بعيد في تعبئة الجماهير التونسية لصالح الخلافة العثمانية، كتجسيد لأفكار أقطاب الجامعة الإسلامية والتي كانت قد رسمت المعالم الكبرى للحركة الإصلاحية التونسية القائمة على التجديد والتضامن مع الجامعة الإسلامية السياسية العثمانية، من خلال اعتناق ثلة من المصلحين التونسيون لمبادئ وأفكار أقطابها، وانخراطهم في تنظيمها السري "العروة الوثقى". من هذا المنطلق فقد شارك التونسيون الخلافة العثمانية في حربها، بالرغم من الحملة الدعائية الفرنسية المضادة<sup>(1)</sup> للدعاية العثمانية-الألمانية لتجنيد التونسيين لصالح الجيش الفرنسي، من خلال استغلال عنصر الدين واستصدار الفتوى الشرعية والتجنيد الإجباري، ومع ذلك فقد تم تسجيل أكثر من أربعمئة حالة فرار من الجيش الفرنسي إلى جيوش التحالف العثماني-الألماني وكذا اندلاع العديد من الثورات في الجنوب التونسي التي جعلت السلطات الفرنسية توليها الأهمية العسكرية القصوى في الوقت الذي كانت فيه الحرب العالمية الأولى على أشدها، الأمر الذي أدى استنزاف الجيش الفرنسي وإضعافه، وجعل البلاد تنهياً لشن سلسلة من الثورات المسلحة خاصة في الجنوب التونسي على التحوم الغربية الجزائرية أو الشرقية الليبية.

(1) كنا قد أشرنا إلى سياسة فرنسا الدعائية في المغرب العربي بغرض كبح الدعاية الألمانية العثمانية في "صدى الجامعة الإسلامية الرسمية في الجزائر"



## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

ومن أبرز تلك الثورات ثورة الودارنة التي امتدت خلال الفترة الواقعة بين (1915-1916) شملت أقصى الجنوب الشرقي التونسي، ثورة الدغباجي اندلعت سنة 1916 واستمرت إلى غاية 1921 قادها محمد بن الصالح الدغباجي، ثورة بني زيد اندلعت سنة 1917 شملت قبائل بني زيد في الجنوب التونسي، ثورة البشير بن سديرة التي قادها البشير بن سديرة في الجنوب التونسي ضمت مجموعة من الجنود الفارين من الجيش الفرنسي<sup>(1)</sup>:

ومن أبرز مظاهر وتجليات تأثير فكر أقطاب الجامعة الرسمية في تونس والمغرب العربي تأسيس لجنة "تحرير المغرب العربي"، من قبل زعماء "حركة تونس الفتاة" المنفيين في الأستانة وعلى رأسهم علي باش حمبة بعد اتّصالهم بعدد من رواد الإصلاح من أمثال محمد فريد المصري، وسليمان الباروني الليبي، والأمير شكيب أرسلان حيث تشكّلت اللجنة سنة 1917، بهدف تأليف فرقة عسكرية من المغاربة بمساعدة الدولة العثمانية لتحرير أقطار المغرب العربي، وفي ذات الوقت أصدر محمد باش حمبة بجنيف "مجلة المغرب" وألف عدة نشرات أهمها "الشعب الجزائري التونسي وفرنسا" و"الحماية الفرنسية بتونس"، وبالموازاة مع ذلك كان يقوم بجهود لتنسيق النضال بين المغاربة والاتّصال بالشخصيات ذات الثقل النضال، من أمثال عبد العزيز جاويش والأمير شكيب أرسلان، وعلي الحمامي كما أسس الشيخ صالح الشريف لجنة "استقلال تونس والجزائر"<sup>(2)</sup>. وإن الحديث عن نضال التونسيين والمغاربة في الخارج، يسوقنا للحديث عن شخصية فذة نضالية تعد من أبرز حملة فكر الجامعة الإسلامية في جانبه السياسي شخصية "شكيب أرسلان" الذي اتخذ من الأراضي الألمانية مجالا لبث نضاله القائم على نصرته الشعوب الإسلامية في العالم، حيث يشير "ورنير أند" <sup>(3)</sup> إلى أنه دخل في علاقات رسمية باعتباره نائب في مجلس الأمة العثماني مع شخصيات سياسية ألمانية، وعلى رأسها "ماكس أوبنهايم"

(1) انظر: فتحي ليسيير : قبائل أقصى الجنوب التونسي تحت الإدارة العسكرية الفرنسية (1881-1939) ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمنشورات ، زغوان ، تونس ، 1998 ، 161-180.

(2) خليفة الشاطر وآخرون: مرجع سابق ، ص 83 ، 84.

(3) أستاذ في معهد الدراسات الشرقية بجامعة هامبورج بجمهورية ألمانيا الاتحادية. وأورد هذه المعلومات في محاضرة ألقاها في المركز الثقافي الإسلامي بالجزائر العاصمة يوم 13 أفريل 1976، وتم طبعها وإصدارها في مجلة الأصاله.

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

منظر سياسة ألمانيا الإسلامية، وعمل على بث الفكر النضالي القائم على إعلان الولاء للجامعة الإسلامية العثمانية والوقوف ضد طموح الاستعمار الفرنسي والبريطاني، وتنسيق جهود المغاربة هناك أمثال الشيخ الخضر حسين ومحمد العتابي وصالح الشريف ورايح بوكابوية، والأمير علي بن الأمير عبد القادر الجزائري، وقد تم إقامة معسكر خاص بالمسلمين " معسكر الهلال"، وإصدار مجلّة الجهاد لبث الدعاية بين المسلمين خصوصا الأسرى المسلمين<sup>(1)</sup>.

نحن نعلم أن تبني ألمانيا لسياسة إسلامية من أجل الدفاع عن الشعوب الإسلامية، ما هو إلا لعبة حرب هدفها إضعاف دول الحلفاء، واستنزاف طاقاتها الحربية من خلال تشجيع ظاهرة الفرار من الجيش الفرنسي إلى جيش التحالف الألماني-العثماني، وكذا إشعال لهيب الثورات في البلدان المغربية ولكن ساهم ذلك في بثّ الحسّ الوحدوي الذي أطلقه أقطاب الجامعة الإسلامية، وأدى إلى تدعيم القاعدة النضالية الإصلاحية لدى الحركة الوطنية التونسية وباقي الحركات المغاربية.

لقد مثلت تونس بحق على غرار البلدان المغاربية الأخرى مساحة نضالية خصبة لأفكار أقطاب الجامعة الإسلامية وارتبطت بصلات مباشرة مع أقطاب الجامعة الإسلامية، والتي رسّخت دعواتها في تونس من خلال انتشار أفكار الوحدة والتضامن والالتفاف حول الخلافة العثمانية؛ وكانت مظاهر وتجليات هذا التأثير ظاهرة جلية، من خلال تأسيس العديد من الجمعيات والنوادي التي جعلت من سياسة الجامعة الإسلامية منهاجا نضاليا لها كالحلدونية والصادقية، وبث روادها نشاطا حثيثا لنفث الفكر الإصلاحي لدى الشعب التونسي.

ولعل أهم جمعية تأسست في تونس هي جمعية العروة الوثقى التي أسست في وقت مبكر رديف للصحوّة واليقظة، وقد حملت اسم قطب الجامعة الإسلامية أبوها الأول ومنظرها جمال الدين الأفغاني وتعد امتداد للجمعية السرية الأم التي أسست في باريس وغيرها من الجمعيات باعتبارها الجامعة

(1) وزير أئنه : مقال سابق ، ص 47-63.

## الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في تونس.

---

الإسلامية الرسمية، ثم ظهور حركة صحفية نشيطة حملت عناوين معبرة عن انطلاق الحركة الإصلاحية على نمط الجامعة الإسلامية.

وأهم تجليات ومظاهر تفاعل التونسيون على غرار النخب المثقفة، وبان ذلك التأثير من خلال وقوف التونسيون إلى جانب الدولة العثمانية رغم حيلولة فرنسا دون ذلك وبثها لدعاية مضادة، وكذا إشعال لهيب الثورات خصوصا في الجنوب التونسي، لإضعاف الجيش الفرنسي وتشتيته، وفي ذات الوقت نهض رواد الإصلاح التونسيون بتأسيس جملة من التّنظيمات للدفاع عن تونس وأقطار المغرب العربي.

## الفصل الخامس: صدى أقطاب الجامعة الإسلامية

### في ليبيا والمغرب الأقصى.

أولاً: صدى أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا.

1 - جذور الجامعة الإسلامية في ليبيا وتطورها.

2 - الحركة السنوسية وآراء أقطاب الجامعة الإسلامية.

3 - أقطاب الجامعة الإسلامية والمقاومة الليبية.

ثانياً: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في المغرب الأقصى.

1 - علاقة المغرب الأقصى بالجامعة الإسلامية العثمانية.

2 - صدى سياسة الجامعة الإسلامية في المغرب الأقصى خلال الحرب

العالمية الأولى.

3 - أقطاب الجامعة الإسلامية والحركة الإصلاحية المغربية.

## الفصل الخامس: صدى أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

يعتبر قطر ليبيا والمغرب الأقصى كباقي أقطار المغرب العربي - في العصور الحديثة والمعاصرة - من حيث وقوعهما تحت هيمنة النفوذ الأوربي، وكذا تأثر نخبهم المثقفة بأقطاب الإصلاح في المشرق الممثلين في السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا، والأمير شكيب أرسلان، وهم بالجملة الذين نظروا لمشروع الجامعة الإسلامية كخيار وحدوي للوقوف في وجه المخاطر المحيطة بالعالم الإسلامي وأعظمها التخلف والحركة الاستعمارية الأوربية، وعليه فقد وجدت الأفكار الإصلاحية لروّادها المشاركة طريقها لليبيا، والمغرب الأقصى لتقف على مكامن الداء الذي كان ينخر في جسمهما السياسي والحضاري.

ولعل العلاقة التأثيرية للجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى تختلف عن علاقتها بتونس والجزائر، ذلك أن مشروع الجامعة الإسلامية في جانبه التحرري الذي بثّه جمال الدين الأفغاني «الأب الروحي للمشروع» رفقة الشيخ محمد عبده، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كان قد سبق وقوع ليبيا تحت النفوذ الإيطالي، والمغرب الأقصى تحت النفوذ الفرنسي الإسباني، من هذا المنطلق فقد ارتكزت علاقة الجامعة الإسلامية، بالقطرين من حيث تنبيههم لخطر الحركة الاستعمارية الأوربية التي كان ساستها يحكون المخططات ويبدلون الدّرائع لاستكمال احتلال باقي أقطار العالم الإسلامي، بما فيها ليبيا والمغرب الأقصى، وكذا بث المنهج التجديدي للخروج من دائرة التخلف خصوصا في المجال الروحي والديني الذي كانت لعلومه حصة الأسد على حساب العلوم العقلية الأخرى ناهيك عن انتشار البدعة والخرافة، والتقليد والخمول العلمي، كلها عوامل مساعدة رسّخت ظاهرة القابلية للاستعمار، في القطرين على غرار تونس والجزائر.

وعليه فإن صدى فكر أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب يحمل خصوصية، من حيث محاولة صناعة طوق مناعي ضد النفوذ الأوربي قبل وقوع الاحتلال، من خلال بث عناصر وأسباب

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

الحصانة، ووضع اللبّات الأساسية للقاعدة الإصلاحية ( الحركة السنوسية في ليبيا وقاعدة الفكر السلفي التجديدي في المغرب للشيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضا...) وكذا بلورة أفكار هذه القاعدة بعد وقوع الاحتلال لتكون منطلقا رئيسيا لانطلاق الحركة الوطنية الإصلاحية في القطرين.

### أولا: صدى أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا.

كما أوردنا سالفا فقد كانت البلاد الليبية مجالا خصبا لاستقطاب أفكار رواد الجامعة الإسلامية بالمشرق، في خضم المساحة الزمنية التي سبقت الاحتلال الإيطالي، خاصة وأن أفكار أولئك الرواد (جمال الدين والشيخ عبده...أرسلان) تكاد تجمع على ضرورة الالتفاف حول الدولة العثمانية وتمديد العمر السياسي للجامعة الإسلامية العثمانية، من خلال الدّعوة لحماية أقاليمها في المعمور الإسلامي وفي هذا الوقت لازالت ليبيا منضوية تحت التاج السياسي للجامعة العثمانية، مما جعل نجبها تتبنى بقوة أفكار الوحدة والجماعة التي أطلقها أقطاب الإصلاح المشاركة، وفي ذات الإطار استمرت تلك الأفكار في النمو والتبلور للتحويل إلى تيار إصلاحي بعد وقوع الغزو الإيطالي في ليبيا سنة 1911. وعليه فإن منافذ أفكار أقطاب الجامعة كانت تتمحور حول الاتصال المباشر للسلطان العثماني ممثل الجامعة الإسلامية بليبيا خصوصا رواد الحركة السنوسية.

### 1 - جذور الجامعة الإسلامية في ليبيا وتطورها:

#### أ- في مفهومها التاريخي (العلاقة التاريخية):

لقد انضوت البلاد الليبية تحت التاج السياسي للجامعة الإسلامية التاريخية منذ ظهورها بشكل جلي على عهد الجامعة الراشدية، إبان عهد عمر بن الخطّاب الذي كلف عمرو بن العاص والي مصر بفتحها فأرسل هذا الأخير قوة إلى برقة بقيادة الفاتح العظيم "عقبة بن نافع الفهري"، ففتحها وأسلم على يده جماعة أعجبوا بعمق إيمانه واستقامة سيرته، وقد وصل عقبة بالفتح إلى الفزان. واكتفى بن العاص بالنجاح الذي أحرزه عقبة في برقة، ومع قيام الجامعة الإسلامية السياسية الأموية أصبحت ليبيا ضمن ولاية القيروان التي أسسها عقبة بن نافع سنة 50 هـ، واستمرت البلاد الليبية منضوية تحت تاج الجامعة الأموية إلى غاية قيام الجامعة الإسلامية العباسية سنة 132 هـ، حيث ورثت

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

هذه الأخيرة الرقعة السياسية للجامعة الإسلامية الأموية، ومنه فقد دخلت ليبيا ضمن المجال السياسي للنفوذ العباسي، واستمرت كذلك إلى غاية ولادة الأفكار الانفصالية ذات النزعة العقديّة في المشرق والتي سيكون لها صدى واسعاً في أقطار المغرب الإسلامي، فانفصل المغرب الأدنى (تونس وليبيا) بقيادة إبراهيم بن أغلب التميمي<sup>(1)</sup>. ثم انضوت البلاد تحت الحكم الفاطمي واستمرت كذلك إلى غاية ميلاد الدول القومية التي جسّدت القومية المغاربية، والممثّلة في المرابطية (434-541هـ) ثم الموحدية (515-668هـ) التي وحدت كل أقطار المغرب في كتلة سياسية، وبعد انهزامها في معركة حصن العقاب سنة 1269 تشتت المغرب إلى ثلاث وحدات سياسية منها الدولة الحفصية التي ضمت تونس وليبيا التي عمرت ما يزيد عن ثلاثة قرون، تميزت بالضعف مما جعلها محل استقطاب الغارات الإسبانية التي احتلت جل سواحلها.

وسط هذه الظروف التي تلونت بحالة الفراغ القيادي للسلطة الجامعة، بغياب الجامعة الإسلامية التي مثلت منذ ظهورها السلطة المركزية للبلاد الإسلامية في مختلف أنحاء المعمورة، وقعت ليبيا تحت السيطرة الإسبانية سنة 1510 بعد حروب الاسترداد وضمن مسمى التحرش الإسباني بسواحل الشمال الإفريقي<sup>(2)</sup> وسلّمت البلاد إلى "فرسان مالطا" الذين اضطهدوا الأهالي وحكموهم بالقهر في الوقت الذي ظهرت فيه الجامعة السياسية العثمانية كقوة إسلامية جسّدت الخلافة الإسلامية وعمرت الفراغ القيادي الذي خلفته الجامعة العباسية، وعليه فقد ورثت الخلافة الجديدة العباسية في الرقعة الجغرافية للعالم الإسلامي وكذا مسؤولية الدفاع وحماية الأقاليم الإسلامية.

(1) لقد كانت مدينة القيروان في تاريخ المغرب الإسلامي منطلق الفتح العربي الإسلامي للمغرب كله منذ عهد عمر بن الخطاب وكانت عاصمة لولاية إفريقية الممتدة من حدود مصر إلى المحيط. ونتيجة نشاط الحركات الانفصالية المذهبية؛ بدأت تنفصل الوحدات السياسية المغاربية، فانفصلت عنها الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط والإدرسية بالمغرب الأقصى، وفي عهد هارون الرشيد زمن الدولة العباسية عرض إبراهيم بن أغلب التميمي منحه ولاية ليبيا، فوافق وراسل الخليفة هارون الرشيد يفتحه في ذلك شريطة أن يجعل الولاية ملكاً متوارثاً في آله على أن يدفع للخلافة المركزية في بغداد ضريبة سنوية مرتفعة، فوافق هارون الرشيد على طلبه سنة 184هـ.

(2) أتوري روسي: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، ترجمة: خليفة محمد التليسي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1974، ص 133.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

من هذا المنطلق فقد استنجد أهالي طرابلس بسultan الخلافة العثمانية على عهد سليمان سنة 1536 فأجاب السلطان استنجادهم، وأرسل إليهم احد قواده العسكريين وهو "مراد آغا"<sup>(1)</sup> الذي بذل جهودا رفيعة القائد درغوث باشا، وكذا تعاون الأهالي المعادين للتواجد النصراني على أراضيهم وبدعم مباشر من السلطة المركزية الممثلة في السلطان العثماني تم تجهيز حملة عسكرية قوية وفق خطة عسكري محكمة إلى طرابلس الغرب، تمكنت الجيوش العثمانية على إثرها من إجلاء القوات المالطية سنة 1551<sup>(2)</sup>. وانطلاقا من هذا التاريخ أصبحت البلاد الليبية ضمن المجال السياسي للجامعة الإسلامية العثمانية، وعيّن السلطان العثماني قائد الفتح "مراد آغا" حاكما على طرابلس باسم الخلافة العثمانية؛ فعمد إلى تنظيم البلاد إداريا عسكريا<sup>(3)</sup> ومرت ليبيا العثمانية بأربع مراحل سياسية كبرى في خضم تباعيتها السياسية للخلافة العثمانية، شأنها شأن الجزائر العثمانية<sup>(4)</sup> أو تونس العثمانية بداية بمرحلة قواد البحر ورياسه وهم البيلربايات ( 1551 – 1606 ) ومرحلة الدايات ( 1606 – 1711 ) ومرحلة الأسرة القرمانيّة<sup>(5)</sup> ( 1711 – 1835 ) ومرحلة الباشوات ( 1835 – 1911 ).

(1) انظر: محمود علي عامر ومحمد خير فارس : تاريخ المغرب العربي الحديث ، المغرب الأقصى - ليبيا ، منشورات جامعة دمشق ، سوريا ، (د.ت) ، ص 159-162.

(2) انظر: عزيز سامح أتر: مرجع سابق ، ج2 ، ص 51.

(3) لقد قسم مراد آغا البلاد إلى متصرفتين؛ طرابلس الغرب وبنغازي تشتمل الأولى على أربع سناجق طرابلس، الخمس، غدامس الفزان، وتشتمل الثانية على سنحقين ودرنة وحصن العاصمة طرابلس للوقوف في وجه الغزو الصليبي، واهتم بالطرق البرية والتجارية ونظم القبائل وفرض الضرائب؛ انظر: محمود علي عامر ومحمد خير فارس : مرجع سابق ، ص 167-169.

(4) لقد اشتركت الایالات العثمانية في طبيعة الحكم خاصة خلال العهد الأول للعثمانيين في منطقة المغرب، غي أن الجزائر

استمرت التبعية الشبه مباشرة للسلطة المركزية، ولكن في ليبيا وتونس تحول الحكم إلى ملك سياسي متوارث لدى بعض الأسر.

(5) تنتسب الأسرة القرمانيّة إلى أحمد القرماني الذي اعتلى عرش ليبيا سنة 1710 بعد إعلان الثورة، وينتسب القرمانيون إلى قرمان بالأناضول، قدم مؤسسا لهذه الأسرة إلى طرابلس كبحار، ثم امتلك بعض المزارع في منطقة المنشية المجاورة لطرابلس، ومع مرور الوقت أصبح له نفوذ واسع، وقد وصل ابنه يوسف إلى رتبة باش آغا الفرسان في منطقة الساحل خلال عهد الوالي خليل باشا، وبذل ابنه أحمد جهودا جعلت له ولأسرته ثقلا سياسيا في ليبيا مما جعل السلطة المركزية في الباب العالي توافق على حكم هذه العائلة للبلاد الليبية. للاستزادة؛ انظر: رودلفو ميكالي: طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانيّة ، ترجمة: طه فوزي ، معهد الدراسات العربية العالمية ، 1961 ، ص 16.



## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

ومع تغير موازين القوى لصالح الدول الأوروبية في الوقت الذي ظهرت الأطماع الأوروبية في بلاد المغرب العربي خصوصا بعد نجاح الحملة الفرنسية على الجزائر، تجلّى للخلافة العثمانية الخطر المحدق بإيالتها، وقد أخذت الدروس والعبر من حركة محمد علي باشا، سارعت السلطة المركزية في الأستانة لإنهاء حكم الأسرة القرميلية، وربط البلاد الليبية بالحكم العثماني مباشرة للقضاء على مسببات الانفصال، وكذا الحيلولة دون سقوطها في أيدي الأوربيين، فتم إرساء نظام الباشوات الذي سيحكم البلاد إلى غاية احتلالها من طرف إيطاليا سنة 1911<sup>(1)</sup>.

### ب - في مفهومها المعاصر (حركة الجامعة الإسلامية):

خلال مرحلة حكم الباشوات، ظهر بشكل جلي الخطر الأوربي، خاصة بعد احتلال مصر وتونس وعليه فقد وجدت أفكار الجامعة الإسلامية بمفهومها المعاصر كمشروع أطلقه أقران جمال الدين الأفغاني، لإحياء الخلافة السائرة في طريق السقوط والانحلال، وتنبيه الأقطار غير المحتملة للخطر الأوربي للحيلولة دون احتلالها وبذل أسباب النهضة من خلال بث عنصر التجديد، خاصة بعد تبني السلطان عبد الحميد الثاني لمشروع الجامعة الإسلامية، وجعله كسياسة رسمية للدولة، من هذا المنطلق فقد شرع ولاية السلطان على ليبيا في بث المشاريع الإصلاحية على نمطه في الإصلاح - السلطان عبد الحميد الثاني - نذكر منهم: أحمد راسم، ونامق باشا، وحافظ باشا، ورجب باشا، وإبراهيم باشا وكلهم اهتموا بالتنظيم الإداري والتحصين العسكري وتحديد مناهج التعليم<sup>(2)</sup>.

ونتيجة نشاط أقطاب الجامعة الإسلامية في تنبيه الليبيين للزحف الأوربي، وظروف العالم الإسلامي والمغاربي المنذرة بالخطر الوشيك الداهم، فقد عثر الباحث الليبي "عمار جحيدر" على مخطوط - شبيه بمنشور ثوري - ألفه الشيخ محمد النعاس بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد النبي أبو يوسف، بلغة عصره؛ أورد فيه الشيخ مبادئ السيد جمال الدين الأفغاني ثم شكيب أرسلان في الحث على الوحدة السياسية للعالم الإسلامي والجهاد، ومبادئ الشيخ محمد عبده ثم محمد رشيد

(1) جلال يحيى: مرجع سابق، ج2، ص 446.

(2) محمود علي عامر ومحمد خير فارس: مرجع سابق، ص 245 - 249.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

في الاجتهاد وبالجملة هي مبادئ الجامعة الإسلامية، ومما جاء في المخطوط بلغة المؤلف «<sup>(1)</sup> والوجوب العيني - في الجهاد - هو أن يأتوك في بلدك، وأظن أنهم إذا أتوا لموضع بيعك وشرائك كبلدك، خصوصا إذا جامعته الحكومة لأجل الذي يملكه يبغى يأتيتك. وتتعذر عليك أسباب المعاش، فمدافعته مع غيرك قبل وصوله إليك أولى من إهمالك له بانفراد؛ إذ لعله يغلب ويأتك كيفما أتاه وتغلب كغلبه، وإذا كان كذلك فعمالة طرابلس غرب حكومة واحدة، ونفعها من بعضها خصوصا مرساها، إذا قدر الله تعالى أمرا فلا يتكلم أحد على أحد، وكونوا يدا واحدة على من سواكم من الكفار أعداء الله، فهو أقرب لنصركم وحفظكم كما ورد في الأحاديث... وإنما حملني على كتب (كتابة) ذلك إليكم لأني اسمع عن بعض الصالحين أنهم يأتون طرابلس وعلامات ذلك تموا (كذا) مع ما نسمع من سطوتهم وحكومتهم في كل بلد.... ولكن الشرع الشريف أوجب علينا الحذر والاستعداد لهم، فتستعدوا لهم بنية الامتثال؛ فإن أتوا نكون على عدة وجد واجتهاد، ويكون على الله الاعتماد، وإن لم يأتوا فلنا أجر النية والله بكل شيء عليم»<sup>(1)</sup>.

ثم أورد الشيخ البعد الجهادي في إطار الجامعة الإسلامية والخلافة العثمانية: «ولا تلتفتوا إلى قول الحمقاء (كذا) الجاهلين: إن الكلام على الجهاد والاستعداد للكفار، وتعليم الخيل والضرب لأجل ذلك والحض عليه سبب فتنة من السلطان، كما وقع لي بنفسي، وإنما ذلك لغلبة الطبيعة الكفرية عليهم ورضاهم بفعالهم وذمهم حتى ظنوا السلطان بظن السوء، وحملوه على ما هم عليه من الخباياث إذا علمتم ذلك... فاعلموا أنني ما كتبت هذا الجواب إلا عن إذن من لا تسعني مخالفته وها أنا إنشاء الله نبعث لكل وطن وما قاربه نسخة، وأنتم انسخوا لكل ناحية نسخة، وقرؤوا على جملة الناس والعوام، وفهموهم معناه وحضوهم على مراده ومقصده..»<sup>(2)</sup>.

لقد كانت البلاد الليبية مجالا خصبا لاستجلاب أفكار الجامعة الإسلامية في المرحلة التي سبقت احتلالها من طرف إيطاليا؛ ذلك أنها قريبة جدا من معقلها في مصر أين كان ينشط السيد جمال

(1) عمار جحيدر: آفاق ووثائق في تاريخ ليبيا الحديث، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1991، 39، 40.

(2) عمار جحيدر: مرجع نفسه.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، ثم الشيخ محمد رشيد رضا، وكذا بقائها تابعة لنفوذ الخلافة العثمانية لوقت متأخر مقارنةً مع باقي أقطار المغرب العربي؛ كلها ظروف جعلت البلاد الليبية تحظى باهتمام أقطاب الجامعة الإسلامية، المفكرين والمنظرين وعلى رأسهم -من الناحية العملية الواقعية- الأمير شكيب أرسلان، وكذا سلاطين الدولة العثمانية أهمهم السلطان عبد الحميد الثاني، باعتبارهم أقطاب سياسيون لنونا مشروع الجامعة الإسلامية بالصبغة الرسمية، وجعلوا البلاد الليبية ضمن اهتماماتهم القصوى للحفاظ عليها ضمن الجامعة السياسية العثمانية والحيلولة دون سقوطها في يد الاحتلال الأوربي<sup>(1)</sup>. ويشير قطب الجامعة الإسلامية الشيخ محمد رشيد رضا إلى جهود السلطان عبد الحميد الثاني في تحصين طرابلس وبث أسباب النهضة؛ بقوله: «... وقد كنا نسمع منذ وعينا أن دولة إيطالية طامعة فيها وكامن الحكومة الحميدية على سياستها قد عنيت بتعليم أهل طرابلس النظام العسكري فأنشأت فيها فرقا من الفرسان " الآليات الحميدية" كما فعلت في بلاد الأكراد فقلنا يومئذ أن للسلطان عبد الحميد في هذه الدولة حسنتين: سكة الحديد الحجازية والآليات الحميدية»<sup>(2)</sup>.

لقد كانت فيه الدول الأوربية تسعى لقطع الروابط بين أقطار العالم الإسلامي المبنية على الأخوة الإسلامية والاتحاد وكذا تشتيت الجامعة الإسلامية؛ الأمر الذي جعلها تتجراً على بلدان العالم الإسلامي بما فيه ليبيا والمغرب الأقصى وإيران؛ هذا ما عبر عنه الشيخ محمد رشيد رضا في مجلة المنار بقوله: «يظهر أن دول الاستعمار لا سيما إنجلترا وفرنسة يعتقدان أن العالم الإسلامي قد مات شعوره، وتقطعت روابطه بما نفثت فيه أوربة من سموم الجنسية الوطنية واللغوية والقومية. ومن التعاليم

---

(1) لقد نجحت القوى الأوربية في تقسيم الأملاك السياسية للدولة العثمانية منذ نجاح الحملة الفرنسية على الجزائر والاحتلال البريطاني لمصر ثم احتلال تونس؛ ناهيك عن الحركات الانفصالية، كل ذلك جعل الدولة العثمانية تتمسك بليبيا وتتخذ موقفا صارما وحازما تجاه الأخطار التي تهدد أحرر معقل لها في إفريقيا الشمالية والمغرب العربي، هذا ما تجسد في الحرب الإيطالية الليبية.

(2) محمد رشيد رضا: " محاربة إيطالية لطرابلس الغرب " ، مجلة المنار ، ج10 ، مج14 ، شوال 1329 / 22 أكتوبر 1911 القاهرة ، ص 781.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

الفاصلة المزعزعة لأركان الإيمان المغربية بالنعيم والشهوات، وقوى اعتقادها هذا بعدم ظهور الغيرة والحماية الإسلامية عند العبث باستقلال دولة المغرب الأقصى، ودولة إيران فتجرأ على العبث باستقلال الدولة العثمانية، ولم يحفلن باعتقاد المسلمين أنها دولة خلافة، وأن بذها بما يكون زوال الحكم الإسلامي من الأرض، وهو الذي يجب على كل مسلم أن يبذل ماله ونفسه في سبيله<sup>(1)</sup>.

لقد سعى أقطاب الجامعة الإسلامية لتمرير أفكارهم إلى البلاد الليبية، لعلها تجمعها أكثر مناعة وحصانة، من خلال التجديد الديني والذي سينبثق عنه تيارا دينيا تبني التجديد كمبدأ في الاجتهاد وهو التيار السنوسي - كما سنرى لاحقا-، وكذا تنبيه الليبيين للخطر المحدق بهم خاصة بعد احتلال معظم بقاع العالم الإسلامي، والإسراع لتحسين البلاد وتجهيزها عسكريا بالاعتماد على الطاقات المحلية - وسط انهيار السلطة المركزية العثمانية- وذلك لتهدئة الأعداء وتحول دون ليبيا، وتجعلهم يجنحون للحل السلمي، ويظهر ذلك جليا من خلال النصائح التي قدمها الشيخ محمد رشيد رضا للسلطان عبد الحميد الثاني من خلال قوله: « وقد اقترحنا على الدولة العلية منذ أكثر من عشر سنين أن تعمم التعليم العسكري في طرابلس الغرب وفي سائر البلاد العثمانية وتجعل فيها مستودعات للسلاح ليكون الأهالي مستعدون للدفاع عن أنفسهم إذا فاجأهم الطامعون وتعذر على الدولة أن تدمهم بالجند الكافي، بل وقلنا إن الطامعين إذا علموا أن أهل البلاد مستعدون للحرب والكفاح يحجمون عن مهاجمة البلاد لأن أورة -ولا خوف منها- تؤثر الفتح السلمي الذي لا تخسر فيه الكثير من أبنائها وأموالها على الفتح الحربي<sup>(2)</sup>».

### 2 - الحركة السنوسية وآراء أقطاب الجامعة الإسلامية:

تعتبر الحركة السنوسية من أبرز مظاهر وتجليات صدى أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا، ذلك أنها جسدت بعد الجامعة الإسلامية التجديدي الذي استهدف نقد النظم الفكرية ذات الأساس

(1) محمد رشيد رضا: " المسألة الشرقية واعتداء إيطاليا على طرابلس الغرب " ، مجلة المنار ، ج10 ، مج14 ، شوال 1329 / 22 أكتوبر 1911 ، القاهرة ، ص 754.

(2) محمد رشيد رضا: " محاربة إيطاليا لطرابلس الغرب " ، مقال سابق ، ص 781.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

العقدي الديني والذي تلون بالتقليد والتقييد، مما جعل الفكر الشرعي مكبلا داخل دائرة التخلف عاجزا عن مواكبة التطورات الحاصلة على مستوى العلوم العقلية، ومنه كانت النواة الأولى للحركة الإصلاحية لليبيا المحتملة. من جهة أخرى ارتبطت الحركة السنوسية بعلاقات مع الجامعة الإسلامية الرسمية التي هندسها جمال الدين الأفغاني وأصحابه في الفكر الإصلاحي، وتبناها السلطان عبد الحميد الثاني كسياسة رسمية للخلافة العثمانية، وفي ما يلي نتعرض لعلاقة الحركة السنوسية بالفكر التجديدي الذي أطلقه أقطاب الجامعة الإسلامية، خصوصا رائد الفكر التجديدي الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا، ثم علاقة الحركة بالجامعة الإسلامية الرسمية.

### أ - الفكر التجديدي لأقطاب الجامعة الإسلامية وتأثيره على الحركة السنوسية:

تنتسب الحركة السنوسية إلى الشيخ محمد بن علي بن السنوسي<sup>(1)</sup>، الإمام المغاربي المجدد، الذي لاحظ أحوال المسلمين وأوضاعهم المنحطّة، وسواد البدع والخرافات التي كانت تحول دون تقدمهم وهو في تنقله بين مناطق كثيرة من العالم العربي الإسلامي، خاصة تونس التي كانت له فيها وقفة على أوضاع جامع الزيتونة، الذي وصله المدد الفكري لأقطاب الجامعة الإسلامية في وقت مبكر.

كما تنقل إلى فاس بالمغرب الأقصى والتي كانت الرحلة إليها مهمة بالنسبة لشخصية السنوسي العلمية، والدعوية خاصة ما تعلق بنقد الطرقية وتمحيصها من حيث مرتكزاتها العقيدية والفكرية<sup>(2)</sup>

---

(1) هو الشيخ محمد بن علي بن السنوسي بن العربي بن محمد بن عبد القادر، ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن طريق الأدارسة، ولد في 12 ربيع الأول سنة 1202هـ، بضاحية "ميثا" الواقعة على ضفة وادي الشلف التابعة لولاية مستغانم بالجزائر، توفي والده بعد عامين من ولادته، نشأ في بلدته، حفظ القرآن الكريم وتلقى العلوم الأولية على يد شيوخ مستغانم؛ ومنهم بن قمشع الطهراوي وابن عمه الشيخ محمد السنوسي، كان الشيخ السنوسي يميل في صغره إلى الإنفراد ويمضي وقتا طويلا في التفكير العميق، ويتألم لحال الأمة وما وصلت إليه من ضعف وهوان، وكان يبحث عن بواعث النهوض وأسباب وحدة الأمة الإسلامية، وإحياء الشريعة الإسلامية الصحيحة في الوقت الذي شابها الانحراف، وبعد تنقله بين العديد من أقطار العالم الإسلامي في المشرق والمغرب عاد إلى ليبيا ليثب حركته التجديدية على نمط الجامعة الإسلامية. للاستزادة؛ انظر: محمد الصلابي: الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، ج 1، ط 1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، 2005، ص 21 وما بعدها؛ كذلك: محمد فؤاد شكري: السنوسية دين ودولة، دار الفكر، القاهرة، 1948، ص 11-14.

(2) علي محمد الصلابي: الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، ج 1، مرجع سابق، ص 24.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

ثم دخل مصر سنة 1824 والتي لاحظ أن أزهرها أصبح يدرّس العلوم الجامدة الراكدة ويكبل العقل ومبدأ الاجتهاد للخوض في القضايا المستحدّة -لصنع فقه وسياسة شرعية تتكيف مع الظروف المستحدّة والمعاصرة- حيث وقف هناك على تيارين فكريين متناقضين؛ تيار التجديد الذي نظّر له الشيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضا، ينادي بنبذ مبدأ "اعتقد ولا تنتقد" وتيار تبني مبدأ المحافظة على النظم الفكرية دون تجديد واجتهاد، بحجّة الابتعاد عن البدعة والاستحداث في الدين، وتزعم هذا التوجه "الشيخ عlish".

وأثناء زيارة الشيخ محمد بن علي السنوسي للحجاز سنة 1825 تعرف هناك إلى العلماء المجددين ودعاة الجامعة الإسلامية، من أبرزهم دعاة الحركة الوهابية الذين جالسهم عن كثب وتعرف عن أصول دعوتهم السلفية<sup>(1)</sup> خاصة فيما تعلق منها بمبدأ الاجتهاد، كخيار إصلاحي لا بد منه ونهجها السياسي تجاه أوضاع العالم الإسلامي من حيث القيادة المركزية -الدولة العثمانية- وقد ساهمت إقامته بمكة في صقل نهج الشيخ التجديدي والذي سيحوله إلى دعوة ذات ميول سلفية تظهر تجلياتها مع ميلاد الحركة السنوسية في بلاد المغرب وليبيا عن طريق إنشاء عدة زوايا<sup>(2)</sup> تتبنى الطريقة السنوسية كعقيدة دينية ذات أبعاد فكرية وسياسية؛ تعبر عن التّمط العلمي المعتدل للطريقة السليمة الصحيحة<sup>(3)</sup>.

(1) انظر: لثورب ستودارد: مصدر سابق ، ج 1 ، ص 295.

(2) أنشأ الشيخ السنوسي عددا كبيرا من الزوايا في مناطق عدة من العالم الإسلامي العربي في المشرق والمغرب وصارت تعتبر كوحدات دينية تتبنى طريقة تربوية ومنهجاً دينياً، وسياسية بلغ عددها ما يزيد عن 188 زاوية؛ انظر: محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي ، مرجع سابق ، ص 263.

(3) اختار الشيخ السنوسي الأراضي الجنوبية الليبية؛ بسبب بعدها عن المدينة وتوفرها على عناصر اجتماعية تعتمد على البساطة في الحياة، ولها من الصفات ما يجعلها مجالاً خصبا للنهضة في روعها أصول الدين الصحيح، والذي يهيئها لإعلان الولاء المطلق للزعيم الديني وكذا بعدها عن السلطة العثمانية .

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

من هذا المنطلق ارتسمت المعالم الكبرى للحركة السنوسية والتي تعتبر من أبرز تيارات الجامعة الإسلامية<sup>(1)</sup> في مجال التجديد الديني الذي نادى به السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضا ثم الأمير شكيب أرسلان، ويمكن أن نورد أهم تعاليم الحركة السنوسية الفكرية على ضوء تأثير أقطاب الجامعة الإسلامية عليها:

### ب - الفكر الديني العقدي التربوي للحركة السنوسية:

لقد تبنت الحركة السنوسية منهج أقطاب الجامعة الإسلامية في التجديد ونقد النظم العقدية التقليدية التي لازمت الطريقة منذ أمد طويل، فاستهدفت نقد العقيدة من أجل تنقيتها من الشوائب والبدع والخرافات، والتي وضع شيوخ الإسلام المحافظين الخط الأحمر عندها فلا يجب الخوض فيها وأكدوا على ضرورة التقليد وتقييد العقل الإسلامي.

وأثناء مكوث محمد بن علي السنوسي في مصر تعرف على دعاة الجامعة الإسلامية وعلى رأسهم الشيخ محمد عبده الذي تأثر بفكره في نبذ التقليد والجمود وغلق باب الاجتهاد، فوقف معه وسانده في موقفه الفكري، مما جعل الشيخ السنوسي يتعرض للهجوم من قبل شيخ المحافظين "عليش" ويشير إلى ذلك الشيخ محمد عبده بقوله: " ألم يسمع السامعون أن الشيخ السنوسي كتب كتابا في أصول الفقه زاد فيه بعض المسائل على أصول المالكية، وجاء في الكتاب ما يدل على دعواه أنه ممن يفهم الأحكام من الكتاب والسنة مباشرة وقد يرى ما يخالف رأي المجتهد أو المجتهدين، فعلم بذلك أحد المشايخ المالكية وكان المقدم من علماء الجامع الأزهر الشريف فحمل حربة وطلب الشيخ السنوسي لطنه بها لأنه خرق حرمة الدين وتبع سبيلا غير سبيل المؤمنين، وربما كان يجترئ الأستاذ على طعن الشيخ بالحربة لو لاقاه، وإنما الذي خلّص السنوسي من الطعنة ونجّ الشيخ المرحوم من سوء المغبة

---

(1) أشرنا إليها كذلك في الفصل التمهيدي؛ على أنها تقع ضمن أبرز التيارات الفكرية للجامعة الإسلامية والتي تأثرت بمبادئ أقطاب الجامعة الإسلامية في عنصر التجديد والاجتهاد والتغيير الديني والدعوة لتحرير العقل من القيود التي فرضته عليها المحافظة المبالغ فيها إلى درجة التقليدية مما جعل أوضاع العالم الإسلامي في المجال الثقافي والفكري في الحضيض.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

وارتكاب الجريمة باسم الشريعة وهو مفارقة السنوسي للقاهرة»<sup>(1)</sup>.

لقد سلك السنوسي منهج الطريقة، ولكن بصورة تختلف عن العقائد التقليدية التي يجنح بعضها إلى الخرافة والشعوذة وغيرها من الطقوس والشطحات<sup>(2)</sup> وإنما اعتمد على منهج تربوي استمدته من أصول التشريع ودرايته بمعالم بالطرق الصوفية التي محص معظمها، وانتقد أخطائها العقدية، وعمل على تصفية ذلك من خلال بث منهج قويم يسلكه مريديه. وعليه فقد نادى السنوسي بالتصوف السني القائم على أصول شرعية، وقد قال في ذلك: «فاعلم أن سبيل القوم إتباع النبي صلى الله عليه وسلم في الجليل والحقير وأعمالهم موزونة بميزان الشريعة»<sup>(3)</sup>. وقال كذلك في رسالة بعث بها إلى أهل " أوجنقة " «أسألكم باسم الإسلام أن تطيعوا الله ورسوله فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ ويقول كذلك ﴿ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾ وقال ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ نسألكم أن تطيعوا أوامر الله ورسوله فتؤدّون الصلوات الخمس كل يوم وتصومون شهر رمضان وتؤدّون الزكاة وتؤتون فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، وتجتنبون ما نهى الله عنه من قول الكذب والغيبة وابتزاز أموال الناس بغير حق، وشرب الخمر وتأدية شهادة الزور وغير ذلك مما أمر الله باجتنابه، فإذا فعلتم ما أمر الله به ورجعتم عما نهى الله عنه أسبل عليكم نعمة الإسلام ومنحكم الخير والرزق الدائمين»<sup>(4)</sup>

(1) عن نزعة عليش العلمية التقليدية أثناء حوار مع الشيخ محمد عبده؛ انظر: محمد عبده : الأعمال الكاملة ، ج3 ، مصدر سابق ، 194. كذلك عباس محمود العقاد: الإسلام في القرن العشرين، حاضره ومستقبله ، ط2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، 1969 ، ص 130.

(2) لقد تعرف الشيخ السنوسي أثناء تنقلاته بين أقطار العالم الإسلامي على ما أخذ بعض العقائد وعبورها من تروج للخرافة كوضع المناجل الساخنة على اللسان، والمشي على الزجاج وإقامة " الشطحات " التي لا علاقة للدين الإسلامي بها، في الوقت الذي كانت الدول الأوروبية تشجع ذلك من جهة، ومن جهة أخرى تقطع أشواطاً في النهضة العلمية هي تهندس الخطط العملية لاحتلال العالم الإسلامي وتشتيت جامعته الإسلامية إلى وحدات حتى يسهل عليها السيطرة عليه.

(3) محمد الصلابي: الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا ، ج1 ، مرجع سابق ، ص 112.

(4) علي محمد الصلابي: نفسه ، 88.



## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

وكان من أبرز مبادئ وأسس الحركة السنوسية نبذ التواكل والقدرية، التي ساهمت في إظهار الخنوع والذل للاستعمار وعدم جهاده على أنه قدر مقدّر عليم، وأكثر من ذلك جعلت المسلم يتواكل، ولا يقدم أسباب النهضة والبعث، وهذه المعالم العقديّة تدل على عدم الفهم السليم لمبدأ التوكل الذي يقدم فيه المسلم الأسباب مع تفويض الأمر لله تعالى، وحرّيت السنوسية التواكل الذي انتشر في كثير من العقائد الصوفية، ولعلّ تصحيح مفهوم التوكل كان من أبرز أهداف المنظومة الإصلاحية لأقطاب الجامعة الإسلامية، مما أثر أثراً بالغاً على حركة النهضة الإسلامية وجعل المسلمين يقفون على فقه واقعهم المر الذي تلوّن بكل مظاهر التخلف.

وفي ما يخصّ الجهاد فقد سعت الحركة السنوسية إلى تربية أتباعها على الاستعداد للجهاد في سبيل الله، من خلال تنبيه الليبيين والمغاربة<sup>(1)</sup> للخطر الأوربي، وهو أهم هدف نادى به أقطاب الجامعة الإسلامية خصوصاً جمال الدين الأفغاني، فكان أتباع الحركة السنوسية يحثون على الجهاد والتعبئة له من خلال استنفار الليبيين بالخطب والدروس الحاثّة على الجهاد، ودعوة شيوخ الزوايا للتحضير العسكري الفعلي من خلال جلب السلاح والذخيرة لأجل مسمى. لقد أعطت الحركة السنوسية مفهوماً آخر للزاوية التي كانت تضطلع بمهمة التربية الروحية للمريدين، ويتخلل بعضها عقيدة القدرية أي أن كل شيء "مكتوب" بما فيه الاستعمار الأوربي للعالم الإسلامي، من خلال هندسة قواعد سياسية للزاوية كوحدة اجتماعية تضطلع بمهام التربية والعلم والاجتهاد والجهاد، وفق نظم إدارية وعسكرية وقوانين صارمة جعلتها فيما بعد قوة سياسية وعسكرية تقف في وجه الغزو الإيطالي لليبيا<sup>(2)</sup>.

(1) تعتبر الطريقة السنوسية الأكثر انتشاراً وشيوعاً وتأثيراً في بلاد المغرب العربي في المجال السياسي من خلال الدعوة إلى التضامن والوحدة، نتيجة ثقلها الروحي والسياسي، وأفكارها الجهادية المحرّضة على الجهاد، ففي الجزائر كانت تنسق مع رجال المقاومة وتدعم الثورات الشعبية في الجنوب الشرقي؛ انظر:

Ageron Ch R : **Les Algériens musulmans et la France 1871 - 1919**, T<sub>1</sub> ,  
presse université de France , Paris , 1968 , p 303.

(2) انظر: محمود عامر: **تاريخ ليبيا المعاصر** ، منشورات جامعة دمشق ، سوريا ، 1991 ، ص 133.

### ج- الفكر السياسي للحركة السنوسية وموقفها من الجامعة الإسلامية الرسمية:

تشارك الحركة السنوسية مع الحركة الوهابية في أسس المنهج التجديدي الاجتهادي النقدي للنظم العقدية الطرقية، وتختلف عنها في موقفها السياسي للجامعة الإسلامية العثمانية<sup>(1)</sup> من خلال إعلان الولاء للجامعة السياسية العثمانية، والمناداة بضرورة الالتفاف حول السلطان العثماني على أنه الخليفة الشرعي للمسلمين في العالم الإسلامي، ولزوم الجماعة والعروة الوثقى التي لا انفصام لها والدعوة للاتحاد والتضامن، والوقوف في وجه الأطماع الأوربية الرامية إلى تشتيت الخلافة وفصمها إلى وحدات سياسية تقتسمها القوى الكبرى في أوروبا، وهي بالجمله أفكار أقطاب الجامعة الإسلامية وعلى رأسهم السيد جمال الدين الأفغاني وشكيب أرسلان.

ومن منطلق إعلان الولاء للجامعة السياسية العثمانية، طلب السلطان عبد الحميد الثاني في بداية عهده من الشيخ محمد المهدي بن علي السنوسي إرسال قوة من رجاله ببرقة لمساعدة الدولة العثمانية في حربها ضد روسيا عام 1877 إلا أن السنوسي امتنع بسبب انشغاله بالتربية والدعوة والاستعداد للجهاد، مما جعل السلطان عبد الحميد يتحرى في حقيقة الدعوة السنوسية وعلاقتها بالسلطة المركزية ومدى استعدادها للعمل ضمن سياسة الجامعة الإسلامية، ومن أجل التحقق الميداني في ذلك طلب من الوالي العثماني على طرابلس موافاته بمعلومات عن الحركة ونشاطها، فأجاب الوالي "كمال باشا" بعد أن اطمأن من نوايا وأهداف الحركة في رسالته بعث بها إلى الباب العالي، أكد فيها على أهمية الدور العلمي والاجتماعي لزواياها المنتشرة في الصحراء الكبرى بين أعراب البادية، وأكد الوالي على ولاء الحركة وصرف الطاعة روادها في كل زواياها إلى دولة الخلافة العثمانية<sup>(2)</sup>.

وفي ذات الإطار أوفد السلطان عبد الحميد وفدا يرأسه رشيد باشا والي بنغازي ومعه الصادق المؤيد إلى "واحة الجغبوب" سنة 1889 ومما لاحظته أعضاء البعثة أن المهدي السنوسي قد أحسن

(1) تصنف الحركة الوهابية ضمن تيارات الجامعة الإسلامية، في الجانب الاجتهادي، بينما لها رؤاها السياسية من الجامعة السياسية التي حصرتها في الجنس العربي القرشي نظرا للأحداث الواردة في ذلك، وعليه فقد سحبت بساط الولاء من تحت قدمي العثمانيين

(2) انظر علي محمد الصلابي: الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، ج2، مرجع سابق، ص 233.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

استقبالهم وأتاح له الوقوف على "زاوية الجغبوب" و أعمال أتباع السنوسية، وأن المهدي السنوسي يدعو بالتأييد للدولة العثمانية وللسلطان عبد الحميد الثاني. وللتأكيد على صرف الولاء التام للسلطان العثماني أرسل المهدي السنوسي عام 1895 أحد أتباعه إلى الباب العالي بالأستانة ليطالب منه تأكيد الفرمانات السلطانية الخاصة بالحركة. كل تلك العوامل أدت بالسلطان العثماني إلى ربط صلات مع الحركة مبنية على الثقة والتضامن، مما جعله يعتبرها كقاعدة في إفريقيا الشمالية والجنوبية لنشر مبادئ وأهداف الجامعة الإسلامية الفكرية والسياسية خاصة الدعوة الإسلامية في القبائل الجنوبية لإفريقيا<sup>(1)</sup>. ويشير إلى ذلك في مذكراته قائلا: "و إذا كان هناك أحد عليه الدفاع عن حقوقنا، فهو الشيخ السنوسي، لأنه قادر على أن يجمع حوله ثلاثين ألفاً من الرجال، ولن يتخلى عن بنغازي إلا بعد قتال، ثم إن صلته بمئات الألوف من أتباع الطرق والمريدين قوية؛ فإذا قام السنوسيون قومتهم فلا بد أن يجرؤوا الإيطاليين إلى صراع دموي أشد مما شهدته السودان في ثورة المهدي، لقد جهزنا السنوسي بمقدار كاف من الأسلحة والذخائر"<sup>(2)</sup>.

وعليه يمكن أن نقول أن الحركة السنوسية في ليبيا؛ مثلت بحق مبادئ رواد الجامعة الإسلامية في كل زواياها وجوانبها، ففي الجانب الفكري حاربت النظم العقيدية التقليدية والتي كانت سببا في تخلف المسلمين، فأصبحت زواياها المنتشرة في كل أنحاء ليبيا- على غرار باقي مناطق العالم الإسلامي- منارات علمية تنشر الوعي والعلم الصحيح، وفي الجانب السياسي دعت إلى نصرته الخلافة العثمانية والالتفاف حول سلطانها، ونشر معاني الوحدة والتضامن والجماعة بين المسلمين في العالم.

والمستشرق لوثير ستودارد يورد كلاما بليغا اختصر فيه أهداف ومبادئ الحركة السنوسية الدينية والسياسية الخادمة لمنهج أقطاب الجامعة الإسلامية، من حيث التجديد الفكري وضرورة الوحدة السياسية للعالم الإسلامي؛ بقوله: "... فجميع هذا إنما يبرهن أن السنوسي لا ينفخ في غير ضرم، بل

(1) علي محمد الصلابي: الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، ج 2، مرجع سابق، ص 243 وما بعدها.

(2) انظر: مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني: مصدر سابق، ص 147.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

إنه البرهان الذي لا يرد على أن السنوسي جاد جدا غير منقطع في إعداد ما يستطيعه من الوسائل والذرائع الكافية للإصلاح الديني والتهذيب النفساني والخلقي فخطته التي ينوي القيام بها بعد اكتمال العدة التي يجاهد في سبيلها الآن، إنما هي افتتاح جميع البلاد الإفريقية ثم سائر الأقطار الإسلامية، ثم جعل العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه مملكة واحدة على رأسها خليفة واحد، وهذه المملكة العظمى يربط بعضها ببعض بالجامعة الإسلامية الكبرى على أن السنوسي لموقن تمام الإيقان أن تحرر المسلمين التحرر السياسي من رقة السيطرة الغربية النصرانية، يجب أن يسبقه انتشار التجدد الروحاني والدعوة الأخلاقية في المسلمين، فلهذا هو يفتأ يجاهد نحو إدراك هذه الغاية بتهذيب أخلاق رعيتيه وترقيتها، وإيتاء نفوسها التربية الصحيحة، وتنشئتها على الفضائل الإسلامية العليا، وهو لم يقتصر الأمر على هذا فحسب، بل يجد أيضا جدا اقتصاديا في سبيل تحسين أسباب المعاش وتوفير وسائل الكسب فكثرت فلاحه الواحات الخصبة، ونمت الزراعة واحترفت الآبار الحديثة وابتنت الأنزال على طريق القوافل، وشرع في إنشاء وسائل التجارة على نطاق رحب...»<sup>(1)</sup>.

### 3 - أقطاب الجامعة الإسلامية والمقاومة الليبية:

استهدفت الجامعة الإسلامية بمبادئ أقطابها تحذير الشعوب الإسلامية وتنبههم للأخطار المحيطة بهم من كل جانبه، بما فيهم الشعب الليبي الذي كان يعيش في خضم ظروف سياسية وثقافية حضارية تنذر بالخطر الوشيك، من هذا المنطلق فقد تمكن دعاة الجامعة من بث مشروعهم الإصلاحية الرامي إلى نبذ التخلف واستنهاض الهمم للنهوض بالأمة الليبية، ثم الدعوة إلى التضامن والالتفاف حول الجامعة الإسلامية العثمانية؛ على أنه السبيل الأمثل لكبح جماح الغزو الأوربي ولعل الحركة السنوسية تعتبر من أبرز تجليات ومظاهر صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في المغرب العربي وليبيا من خلال تجسيدها لأهدافهم بكل واقعية وفعالية.

(1) لثوب ستودارد: مصدر سابق، ج1، ص 299.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

لقد ارتبط الشعب الليبي ونخبة المثقفة بمشروع الجامعة الإسلامية وفكر أقطابه، بما فيهم السلطان الحميد الثاني الذي تبني الدعوة ودعا الشعوب الإسلامية لاعتناقها، ويظهر ذلك من خلال تضامن الليبيين مع الجامعة الإسلامية السياسية العثمانية، فعند اندلاع الحرب العثمانية اليونانية جنح أهالي طرابلس لمساعدة الدولة بتشكيل اللجان لجمع التبرعات المالية على شكل إعانات جهادية وبلغ مجموع التبرعات قرابة (مائة ألف فرنك). وفي ذات السياق أشاد الشيخ سليمان الباروني<sup>(1)</sup> بالدولة العثمانية وسلطانها، بمناسبة انتصارها في حربها مع اليونان.

ومن مظاهر تأثير آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في البلاد الليبية نشاط الصحافة المروجة لأفكار السيد جمال الدين وشكيب أرسلان في الجانب السياسي ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا في المجال الفكري، من هذا المنطلق ظهرت في ديسمبر 1908 "جريدة الكشاف" التي كانت تعمل على بث أفكار الجامعة الإسلامية، وفي ذات السنة صدرت جريدة "العصر الجديد" السياسية العلمية والتي كانت كذلك خادمة لشعار الجامعة الإسلامية وفكر روادها في المشرق. وفي اسطنبول أصدر الزعيم الليبي عبد الوهاب عبد الصمد صحيفة "دار الخلافة"، وجعلت هدفها الأول الدفاع عن الخلافة والجامعة الإسلامية<sup>(2)</sup>.

كما أسس سليمان الباروني سنة 1908 مطبعة "الأزهار البارونية" والتي حدّد هدفها قائلاً: «أن تكون خادمة للدين، سائرة في ركاب الجامعة الإسلامية،» وقد صدرت عن المطبعة جريدة "الأسد الإسلامي" التي جعلها سليمان الباروني تروج لأفكار الجامعة الإسلامية، السياسية والفكرية وقد ورد في افتتاحية العدد الأول منها ما يدل على الدعوة للعودة إلى الدين الصحيح والعقيدة الصّافية الدّاعية للوحدة والعمل وترك التقاعس والخذلان «... فقد كان الرشاد في الأمة في زمن انقياد أفرادها

(1) سليمان باشا الباروني ولد سنة 1870 في مدينة "جادو" بليبيا، كان عضواً في مجلس المبعوثان العثماني ويعتبر من أهم رواد الحركة الوطنية الليبية والمغربية الذين تبنا مشروع الجامعة الإسلامية بعد الغزو الإيطالي لليبيا، توفي سنة 1940. بعد مرض عضال.

انظر: محمد مسعود جبران : سليمان الباروني، آثاره ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، 1991.

(2) انظر: محمد المصري: صحافة ليبيا في نصف قرن ، دار الكشاف ، بيروت ، لبنان ، 1960 ، ص 100.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

بطبيعتهم لقوانين الشرع الشريف، و وقوفهم عند مناهيه، ثم لما دارت الأيام بدوران الدهر، وتغيرت الطبائع باختلاف أصناف البشر، وقع التساهل في أمر الدين، وانحلت عرى الاتحاد وساد الشقاق»<sup>(1)</sup>.

لقد تميزت الظروف قبيل ميلاد الحركة الوطنية الليبية بالانتشار الواسع لأفكار الجامعة الإسلامية من خلال تحذير الشعب الليبي بكل طبقاته من مغبة الاستعمار الأوربي والذي بدأت بوادره توهي بالأطماع الإيطالية، وظهور المخططات الإيطالية في البلاد الليبية<sup>(2)</sup>.

وقد كانت سياسة الجامعة الإسلامية الرسمية برعاية السلطان عبد الحميد الثاني متيقظة لتلك الأطماع، من خلال نشاط الاستخبارات العثمانية والتي أكدت بأن للايطاليين بمدارسهم وبنوكهم ومؤسساتهم الخيرية التي يقيمونها في البلاد الليبية، هدفها هو التجسيد لبعض الامتيازات ووسائل بسط النفوذ الإيطالي في البلاد، وعليه فقد قام السلطان باتخاذ كافة الإجراءات لكبح الأطماع الإيطالية، من خلال المدد العسكري للبلاد الليبية الذي قدر بخمسة عشر ألف جندي وظلت الخلافة المركزية يقظة تجاه التحركات الإيطالية، في إيطاليا وروما بواسطة، سفير الدولة العثمانية في روما وحاكمها في طرابلس الغرب، الأمر الذي جعل الساسة الايطاليين يؤجّلون مشروعهم في احتلال ليبيا، إلى غاية تنحية السلطان عبد الحميد وتولي جمعية الاتحاد والترقي لأمر الدولة العثمانية<sup>(3)</sup>.

(1) انظر إلى ما كتبه الباروني في صحافة أبو اليقظان: محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1984؛ محمد مسعود جبران : مرجع سابق ، ص 42 وما بعدها.

(2) ذلك أن إيطاليا كانت تستهدف ضم شمال إفريقيا، لإحياء أمجاد الإمبراطورية الرومانية الغابرة، على أن شمال إفريقيا ميراث إيطالي باعتبار التبعية التاريخية وأن البحر المتوسط كان يسمى بحر الروم دلالة على السيطرة والنفوذ الإيطالي بالمنطقة، خاصة وأن فرنسا احتلت تونس، وانكلترا احتلت مصر، ولم يبق أمام إيطاليا إلا ليبيا. واستطاعت مخبرات السلطان عبد الحميد الثاني أن تكشف سياسة إيطاليا في ليبيا التي كانت على ثلاث مراحل: المرحلة الأولى خلق امتيازات بطريقة سلمية، من خلال إنشاء المدارس والبنوك وغيرها من " مؤسسات خدمية". المرحلة الثانية العمل على أن تعترف الدول بآمال إيطاليا في احتلال ليبيا، بالطرق الدبلوماسية. المرحلة الثالثة إعلان الحرب على الدولة العثمانية والاحتلال الفعلي.

(3) علي محمد الصلابي : الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا ، ج2 ، مرجع سابق ، ص 284 - 286.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

لقد كان مشروع الجامعة الإسلامية العثمانية يضعف، نتيجة الانقلاب الذي قاده جمعية الاتحاد والترقي ضد السلطان عبد الحميد سنة 1908<sup>(1)</sup>، وتولية السلطان محمد رشاد<sup>(2)</sup> والذي أصبحت في عهده الجامعة الإسلامية السياسية أقل تماسكا وسط المؤامرات المحاكة من طرف الدول الأوروبية خاصة إيطاليا التي دخلت حلبة التنافس الاستعماري متأخرة، و وضعت نصب عينها البلاد الليبية التي نجحت في احتلالها سنة 1911 بعد أن بذلت الخلافة العثمانية مجهودات عسكرية لصد الحملة الإيطالية، ولكن من دون جدوى بسبب تشتت قواها في بقاع عدة مما جعلها تسير نحو الانهيار والتقهقر الأمر الذي جعل سلطة الاتحاد والترقي تجنح إلى عقد الصلح مع السلطات الإيطالية بوساطة بريطانية في لوزان بسويسرا في أكتوبر 1912، وعليه اضطلع الأهالي بدعم عربي إسلامي<sup>(3)</sup> بمهمة المقاومة، والتي كانت فعالة نتيجة نشاط تيار الجامعة الإسلامية في البلاد الليبية والمتمثل في التيار السنوسي بقيادة محمد بن علي السنوسي، ثم ابنه المهدي ثم ابنه الثاني أحمد الشريف السنوسي الذي شرع في بث التربية الجهادية منذ ما قبل الحملة الإيطالية على البلاد من خلال الإعداد الفعلي

(1) انظر: محمد فريد بك : مصدر سابق ، 709.

(2) لقد كان الانقلاب مدعوما ومدفوعاً من قبل اليهود، والماسونية، والدول الأوروبية، نتيجة خطر السلطان عبد الحميد الثاني وسياسة الجامعة الإسلامية على مشاريعهم الاستعمارية في العالم الإسلامي خاصة اليهود الذين رفض تسليمهم فلسطين ليتخذونها كوطن قومي، من هذا المنطلق فقد اهتز مشروع الجامعة الإسلامية السياسي و وجد الأوروبيون فرصتهم السانحة للانقضاض على العالم الإسلامي بما فيه البلاد الليبية التي وجد فيها الإيطاليون معطيات الاستعمار، وظل جامدا وسط نشاط سياسة الجامعة الإسلامية والحركة السنوسية، وفي ذات الوقت كان يتحين الفرصة إلى غاية تنحية السلطان عبد الحميد الثاني.

(3) من مظاهر وتجليات أثر فكر الجامعة الإسلامية على بلدان المغرب التضامن والوحدة الإسلامية التي نادى بها جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده...وعليه وقفت الشعوب المغربية مع ليبيا على إثر العدوان الإيطالي عليها، خاصة مصر وتونس التي تضامن شعبها مع الشعب الليبي وبذل قصارى جهده لمساعدتهم بجميع الطرق المتاحة لديه وتم تكوين اللجان الشعبية والجمعيات لجمع التبرعات والأسلحة للمجاهدين وانسابت القوافل عبر الحدود متجهة نحو طرابلس تحمل المؤن والذخائر، بالرغم من الحراسة المشددة التي حاول الفرنسيون فرضها، مساعدة منهم لإيطاليا على احتلال ليبيا، وقد تمكن عدد كبير من المغربية من الوصول إلى طرابلس والالتحاق بصفوف المقاتلين، واستشهد كثير منهم على أرض المعركة. وما تبع ذلك من وقوع أحداث الترام والجلاص في تونس؛ انظر : الطاهر عبد الله: مرجع سابق ، ص 47.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

لصد أي عدوان أوروبي بالدعوة الشرعية للجهاد، وكذا التجهيز العسكري بالتعاون مع السلطان المخلوع عبد الحميد الثاني.

لقد كان حدث الاحتلال لليبيا بالغ الأثر على أقطاب الجامعة الإسلامية، فهذا محمد رشيد رضا جعل مجلته المنار منبرا صحفيا للتنديد بالعدوان الإيطالي، والدعوة للوحدة والجامعة للوقوف في وجه الاستعمار الأوربي؛ ويشير إلى ذلك بقوله: "عدوان إيطالية على الدولة العثمانية هو فتح لباب المسألة الشرقية، دفعت إليه أوربة أشد دولها حماقة وغرورا وأقلها بصرا بالعواقب، وأن فرنسا وانكلترا لا يطيب لهما مجاورة إيطالية لتونس ومصر لولا الضرورة، وهما تعلمان أن طرابلس الغرب لا تكون لقمة سائغة كما ساغت حماية تونس للأولى واحتلال مصر للثانية... العثمانيون مؤلفون من عناصر وملل شتى وقد رضيت دولتهم التركية العنصر إسلامية الدين، بأن يكونوا كلهم شركاء لعنصرها فيها [الجامعة الإسلامية]... بل يجب أن يعلم كل عنصر وأهل ملة أنه لا توجد دولة أوربية تعاملهم بمثل ما تعاملهم به الدولة العثمانية وتعطيهم من الحقوق مثلما تعطيهم هي، فإن الأوربيين قد تألهاوا بالعظمة والكبرياء، فهم يرون أنفسهم آلهة للشرقيين وإن شاركوهم في الدين فعلى من لم يعم التعصب الديني قلبه ولم تفسد الوسوس الأجنبية لبه أن يفكر بخطر العبودية، والحرمان من المساواة وحقوق الحاكمية اللذين يتهددان به بسقوط الدولة العلية لسمح الله..."<sup>(1)</sup> وفي نفس الإطار جنح أقطاب الإصلاح والمقاومة في ليبيا ذوي العقائد الإصلاحية الناهجة سبيل أقطاب الجامعة الإسلامية في أفكارهم وآرائهم الإصلاحية إلى جعل صحافة الجامعة الإسلامية وسيلة إعلامية لنشر أفكار الجهاد والحث عليه ولملمة الشتات السياسي لليبيين ودعوتهم للوحدة، ضد الاحتلال الإيطالي ومن مظاهر ذلك نشر الشيخ محمد الشريف السنوسي في مجلة المنار خطابا يحث فيه الليبيين على الجهاد من منطلق النصوص النقلية<sup>(2)</sup>

(1) محمد رشيد رضا: " حث الهند ومصر وتونس والجزائر على المساعدة " ، مجلة المنار ، ج11 ، مج14 الثلاثاء 30 ذي القعدة 1329/21 نوفمبر 1911 ، القاهرة ، ص 833 - 836.

(2) نشر محمد رشيد في المنار دعوة محمد الشريف السنوسي لجهاد الإيطاليين. انظر: أحمد الشريف السنوسي: " دعوة السنوسي إلى جهاد الإيطاليين " ، مجلة المنار ، ج2 ، مج15 ، صفر 1330هـ/ فيفري 1912 ، القاهرة ، ص 109. انظر الملحق رقم 08.



## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

ثم ينادي محمد رشيد رضا المسلمين من منطلق مبدأ الجامعة الإسلامية في الوحدة والتضامن أن يعينوا الدولة العثمانية وليبيا لصد الحملة الإيطالية "... للدولة على المصريين حق الأخوة الإسلامية وحق السيادة السياسية، ولولاية طرابلس عليهم حق ثالث وهو حق الجوار، فيجب أن يكونوا هم السابقين إلى كل أنواع المساعدات الممكنة وهم أهل لذلك فلا يألون ولا يدّخرون وسعا ... فالواجب عليهم أن يرفعوا أصواتهم ويكذبوا " هانتوتو" في زعمه أن فرنسا قد فصلت ولاية تونس من مكة، أي بترت هذا العضو من جسم الملة الإسلامية... فادعوا المسلمين إلى التطوع، أَدعُوهم إلى إظهار شعورهم بالقول والكتابة<sup>(1)</sup> والمظاهرة والاحتجاج ... ثم أَدعُوهم إلى مقاطعة التجارة الإيطالية وترك معاملة الطليان بكل نوع من أنواع المعاملة، وأرى أن كل مسلم في أي بلد يعامل طليانيا معاملة مالية أو زراعية فهو مستحق لعنة الله والملائكة والناس أجمعين... ثم أَدعُوهم إلى مساعدة الدولة العلية وجمعه بالاكتتاب المنظم، وليتذكروا أن الله تعالى قدّم ذكر الجهاد بالأموال على ذكر الجهاد بالأنفس ...»<sup>(2)</sup>

وفي ذات السياق نبه الشيخ محمد رشيد رضا في المنار الشعب الليبي ونخبه المثقفة إلى الدعاية الإيطالية ذات الأبعاد الدينية المروجة للمشروع الاستعماري "الحضاري" من خلال المنشور الذي وزّعته السلطات الإيطالية عشية الاحتلال، ويشير إلى ذلك الشيخ رشيد رضا: " وزعت إيطالية في طرابلس الغرب بعد احتلالها عدة منشورات تحادع بها ... وهم يظنون أنهم يخاطبون أطفالا يصدقون كل ما يسمعون ونحن ننشر أهم هذه المنشورات لأجل الاعتبار بها في الحال والاستقبال"<sup>(3)</sup>.

(1) لقد استحباب رواد الإصلاح لنداء الشيخ محمد رضا في الدعوة إلى النشاط الإعلامي الصحفي للتبديد بالعدوان الإيطالي والتأكيد على التزام النخب المغاربية بخط الجامعة الإسلامية، فأسس علي باش حمبه والشيخ عبد العزيز الثعالبي " جريدة الاتحاد الإسلامي" لدعوة المسلمين إلى الجماعة وتوحيد الطاقات للوقوف في وجه الزحف الأوربي. انظر: خليفة الشاطر وآخرون: مرجع سابق، ص 76.

(2) محمد رشيد رضا: " حث الهند ومصر وتونس والجزائر على المساعدة " ، مقال سابق ، ص 837.

(3) محمد رشيد رضا: " منشورات إيطالية الخداعية في طرابلس الغرب " ، مجلة المنار ، ج12 ، ص14 ، الخميس 30 ذي الحجة 1329 / 20 ديسمبر 1911 ، ص 934.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

كما ساهم الأمير شكيب أرسلان في تنبيه الشعب الليبي باعتباره يقطن ولاية عثمانية من خلال مباشرة نشاط في إطار الجامعة الإسلامية للحيلولة دون تحقيق المطامع الإيطالية في المنطقة، كما وقف ضد احتلال إيطاليا لليبيا في عام 1911 فكتب إلى القادة العثمانيين يستحثهم على تقديم الدعم العسكري بمختلف أشكاله، كما راسل الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار والشيخ علي يوسف صاحب "جريدة المؤيد" وغيرها من علماء الدين ورجال السياسة يحرضهم على الحث على الجهاد في منابرهم الإعلامية بالقلم والكلمة وتعبئة الجماهير الإسلامية وكسب الرأي الدولي للتعاطف ومناصرة الشعب الليبي في مقاومته الاحتلال الإيطالي من أجل الدفاع عن سيادته ومقدساته<sup>(1)</sup>، كما قاد قافلة إمدادات إلى المجاهدين الليبيين، وفي سنة 1912 سافر إلى الأستانة لإبقاء جسور المعونة مستمرة لليبيين<sup>(2)</sup>

لقد ظلت المقاومة الليبية مشتتة، في الوقت الذي كانت فيه الحرب العالمية الأولى على الأبواب وفي خضمها كان موقف الشعب الليبي ونخبه واضحا من خلال الوقوف إلى جنب الدولة العثمانية باعتبارها الجامعة الإسلامية الأم؛ في الحرب ضد إيطاليا وحلفائها<sup>(3)</sup>، ونتيجة ثقل الثورة في ليبيا بقيادة أحمد الشريف السنوسي وسليمان الباروني، وكذا الشيخ عمر المختار فيما بعد، اضطرت السلطات الإيطالية للتفاوض مع قيادة المقاومة الليبية السنوسية، انتهت بتوقيع معاهدة جاء فيها اعتراف ضمني بالسيادة الليبية على بعض المناطق.

واستمر لهيب المقاومة والثورة ضد الاحتلال الإيطالي وسط مساندة إسلامية مثلها رجال الإصلاح الذين تبنا خيار الوحدة والجماعة والتضامن الإسلامي كأسلوب لنضال الأمم الإسلامية

---

(1) لقد مكث شكيب أرسلان أربعين يوما في مصر خلال الغزو الإيطالي، وكتب في جريدة المؤيد أربعين مقالا حول التنديد بالغزو؛ انظر: أحمد الشرباطي: مرجع سابق، ص 301.

(2) قاسم بن مخلوف الرويس: مرجع سابق، ص 14.

(3) لم يكن التحالف العثماني-الألماني في حاجة إلى بث الدعاية الداعية للقتال لجنب الخلافة والجامعة الإسلامية الرسمية بالقدر الذي حدث في تونس والجزائر نتيجة حداثة الاحتلال، وحداثة انقطاع الصلة بين ليبيا والدولة العثمانية باعتبار أن الاحتلال الإيطالي لليبيا كان اعتداء على الجامعة الإسلامية العثمانية الأم، من هذا المنطلق سيشارك الليبيون في الحرب العالمية الأولى لصالح الخلافة ويستغل ظروف الحرب لتصعيد المواجهة والضغط على الجبهة الإيطالية.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

من خلال التنديد بالاحتلال الإيطالي ودعوة الأقطاب الإسلامية للتضامن مع الشعب الليبي، وكذا تنسيق العمل النضالي مع رجال النخبة الليبية كسليمان الباروني ولجنة تحرير المغرب العربي، وبث أفكارهم التحررية لدى رجال الإصلاح الليبيين، ورسم المعالم الكبرى للحركة الوطنية والإصلاحية الليبية<sup>(1)</sup> فيما بعد، في الوقت الذي بدأت الخلافة العثمانية والجامعة السياسية تسير نحو التقهقر والضعف ثم الزوال نهائيا بعد إلغاء الخلافة سنة 1924، بعد أن سجلت دورا مشرفا في الدفاع عن ولاية ليبيا العثمانية خاصة قبيل الاحتلال من خلال كبح الأطماع الإيطالية والحد منها زمن السلطان عبد الحميد الثاني.

لقد استمر أقطاب الجامعة الإسلامية في دعمهم لصالح القضية الليبية، فإلى جانب نشاط محمد رشيد رضا كان شكيب أرسلان قد بدأ نشاطا عمليا، من خلال استنفار الشعوب الإسلامية طلبا للتكتل، حيث كتب إلى مختلف الجهات، وأبرق إلى المسؤولين، يحثهم على إمدادهم بالأموال والسلاح، فجاءته برقية من شوكت باشا ناظر الحربية تفيض شكرا وتقديرا، كما كتب رسائل إلى المصريين يستجيشهم بها لمعاونة إخوانهم الطرابلسيين<sup>(2)</sup> منها الرسالة التي بعثها إلى الشيخ محمد رشيد رضا<sup>(3)</sup>، وفي ذلك يقول: «أكتب جريدة المؤيد بمقالات متوالية أستجيش بها حمية العالم الإسلامي لمعاونة الدولة وإنقاذ طرابلس الغرب. فإني كنت أرى هذا الرأي وهو أن التساهل في قضية طرابلس الغرب يفضي إلى مصائب على الإسلام والأمة العربية بنوع خاص أعظم جداً مما يتصورون لأن

---

(1) تتميز الحركة الوطنية الليبية بجملة من الخصائص التي جعلتها تختلف عن نظيرتها الجزائرية ثم التونسية ذلك أنها انطلقت في مساحة زمنية ضيقة بالنظر إلى الاحتلال الذي جاء متأخرا نسبيا، في الوقت الذي ظهرت فيه تجليات ونتائج النضال الثقافي والسياسي لدى الحركات الوطنية المغاربية والتي برهنت على عمقه وعدم فعاليته، في الوقت الذي كانت فيه أقطاب السياسة لولاية ليبيا العثمانية على بصيرة من ذلك، ناهيك عن الحصانة السياسية والعسكرية التي حاولت الجامعة الإسلامية العثمانية إحاطتها بالولاية، وكذا نشاط أقطاب الجامعة الإسلامية وبث فكرهم الداعي إلى التحرر من قيود التخلف، والحث على الجهاد والتحضير له وهو الدور الذي اضطلع به رجال السنوسية، من هذا المنطلق فقد مزجت الحركة الوطنية الليبية العمل السياسي مع العمل المسلح الذي ما فتى الشعب الليبي ونخبه يجيدون عنه كخيار لنيل الاستقلال.

(2) أحمد الشرباطي : مرجع سابق ، ص 29.

(3) للاطلاع على نص الرسالة؛ انظر الملحق رقم 09.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

الإسلام في نظر الأوروبيين سلسلة مرتبطة بعضها ببعض<sup>(1)</sup>، كما شارك شكيب أرسلان الليبيين المقاومة، عندما دخل طرابلس عن طريق مصر سرا، حيث اشترك هناك مع القائد العثماني أنور باشا وكانت آراؤه سديدة في الشؤون السياسية والعسكرية، حتى قال الزعيم الليبي " سليمان الباروني فيما بعد: "لو أخذت الحكومة العثمانية بتفاصيل الخطة التي رسمها الأمير أرسلان ونفذت بحذافيرها لما ضاع الأمل في إنقاذ طرابلس وبرقة، أو لاستطعنا على الأقل إطالة الحرب ثلاث أو أربع سنوات أخرى<sup>(1)</sup>، وفي ذات السياق يورد شكيب أرسلان في كتابه "لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم" أنه عاب على المصريين عدم استماتتهم في الدفاع عن ليبيا من منطلق الأخوة والجامعة الإسلامية، أو حتى بدافع مصلحة استراتيجي؛ يقول: "وكنت مرة أشكو إلى أحد كبار المصريين إهمال إخواننا المصريين لمجاهدي طرابلس وبرقة الذين إن لم تجب عليهم بخدمتهم قياما بواجب الأخوة الإسلامية والجوار، وجبت عليهم احتياطا من وراء استقلال مصر واستقبال مصر، لأنه كما أن وجود الانكليز في السودان هو تهديد دائم لمصر، فوجود الطليان في برقة هو تهديد دائم أيضا<sup>(2)</sup>". كما نهض شكيب بنشاط استهدف منه تدويل القضية الليبية من خلال إرسال بيان احتجاج إلى عصبة الأمم ندد فيه بسياسة الحكومة الإيطالية في ليبيا تجاه الشعب الليبي، وقيامها بإعدام رموز الوطنية الليبية التي رفضت الظلم والاضطهاد المسلط على شعبهم؛ مثل الشيخ عمر المختار بطل المقاومة الليبية، كما ألف الأمير شكيب أرسلان كتبا تخص البلاد الليبية وأبطال المقاومة فيها، فكتب المقالات عن أقطاب العائلة السنوسية، وكتب مؤلفا عن أحمد الشريف السنوسي بمسمى "مناقب أحمد الشريف السنوسي" وأرد فيه مآثر وصفات الرجل، وكتاب آخر عن "طرابلس وبرقة".

لقد ساهمت الجامعة الإسلامية بفكر أقطابها الأربعة " جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، محمد رشيد رضا وشكيب أرسلان"، وكذا دعم السلطان عبد الحميد الثاني في تأخير الاحتلال الإيطالي لليبيا إلى أجل مسمى، ثم رسم المعالم الكبرى للمقاومة الليبية في شقيها، ومساندتها بكل الوسائل

(1) أحمد الشرباطي : مرجع سابق ، ص 33.

(2) شكيب أرسلان: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ، مصدر سابق ، ص 54.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

والطرق المتاحة ثم إن التأثير الفكري للرباعي على البلاد الليبية ظهر جليا مع ميلاد الحركة السنوسية التي تصنف ضمن أبرز التيارات الفكرية للجامعة الإسلامية ذات الأسس العقيدية الدينية المرتكزة على التجديد وللاجتهاد والجهاد

### ثانيا: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في المغرب الأقصى

إن الحديث عن صدى أقطاب الجامعة الإسلامية في المغرب الأقصى يسوقنا للخوض في ثلاثة مسائل رئيسية أولها: علاقة المغرب بالدولة العثمانية باعتبارها الخلافة الأم أو الجامعة السياسية الإسلامية التي يجوز لها من منطلق طبيعتها السياسية والشريعة أن تضم كل البقاع الإسلامية إلى نفوذها السياسي ولوائها الإسلامي، وثانيها: علاقة المغرب بالجامعة الإسلامية الرسمية كمشروع فكري ذا صبغة سياسية نظر له رواده في المشرق وعلى رأسهم الرباعي " جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا، والأمير شكيب أرسلان" وتبناه السلطان عبد الحميد الثاني وخلفاؤه والذي يدعو للانتفاخ حول الدولة العثمانية من أجل إحياء نظام الخلافة الآيل للزوال والتلاشي، والوقوف مع الخلافة في حروبها ضد القوى الأوربية الاستعمارية، وكذا الاتحاد والوحدة الإسلامية لكبح الزحف الأوربي على البلاد الإسلامية، وثالثها: علاقة المغرب الأقصى وحركته الوطنية بالأفكار الإصلاحية للرباعي الإصلاحية المشرقية، الذي رسّخ جملة من الأسس والمبادئ تتمحور حول التجديد الديني العقدي والفكري.

### 1 - علاقة المغرب الأقصى بالجامعة الإسلامية العثمانية:

لقد ارتبط المغرب الأقصى بالجامعة الإسلامية التاريخية منذ نشأتها زمن الخلافة الراشدة، بحيث كان المغرب الأقصى يقع ضمن ولاية المغرب الإسلامي، واستمر كذلك خلال عهد الدولة الأموية وعلى عهد العباسيين، انفصل المغرب سنة 172هـ على يد الأدارسة الذين ينتهي نسبهم إلى الأشراف من ذرية علي بن أبي طالب، وانطلاقا من هذا التاريخ ستصبح سمة "الشريفية" أو "الشرفة" أحد أهم عناصر وشروط الملك السياسي في المغرب، نتيجة الولاء المطلق الذي يكتنه أهل المغرب لآل

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

النبي صلى الله عليه وسلم، انطلاقاً من عنصر القرشية الذي يحصر الخلافة وجامعتها السياسية الإسلامية في قريش<sup>(1)</sup>.

وعليه فقد قامت على أراضي المغرب الأقصى بعد الدولة الإدريسية عدة دول ادعى مؤسسوها النسب الشريف، كالموحدية التي كان ظهورها السياسي سنة 515هـ، كدولة جامعة ذات صبغة قومية مغاربية وحدت كل أقطار المغرب العربي من حدود مصر إلى المحيط الأطلسي، ومن منطلق معطى "الشريفية" فلم يعترف الموحدون بخلافة العباسيين واعتبروا أنفسهم خلفاء، وأن مركز الخلافة مدينة مراكش وليس بغداد، ودعموا شرعية خلافتهم بالادعاء بأن المهدي بن تومرت وعبد المؤمن مؤسسي الدولة الموحدية من آل الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق الأدرسة، واتخذوا اللون الأخضر شعاراً لهم كي يظهروا ميلهم وتعاطفهم مع الدعوة العلوية باعتبار أن الإدريس الأكبر من ذرية على رضي الله عنه<sup>(2)</sup>.

لقد أسست "الزعة الشرفية" ذات الأبعاد الدينية العقدية للمنهج السياسي<sup>(3)</sup> الذي ستحذو سبيله الكيانات السياسية القطرية القائمة على أرض المغرب الأقصى، ذلك أن التراكمية الفكرية السياسية للفرد المغربي على مر السنين رسّخت لديه أحقية العرب الأشراف بالخلافة انطلاقاً من ثقلهم الروحي كونهم ينتمون إلى العائلة الهاشمية الشريفة عائلة النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(1) يذهب بعض منظري السياسة الشرعية إلى جعل العروبة والقرشية شرطاً أساسياً لتولي الخلافة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الخلافة في قريش وعليه فإن الخلافة التي قامت على غير القرشية تفتقر إلى الشرعية ولا يحق لها بسط نفوذها على العالم الإسلامي، كما لا يجب على أقطار العالم الإسلامي الانضواء تحت تاجها وإعلان الولاء لها.

(2) أبي بكر علي الصنهاجي : أخبار المهدي بن تمورث وبداية الدولة الموحدية ، دار المنصورة ، الرباط ، المغرب ، 1971 ص 18.

(3) لقد أصبح الفرد المغربي ينظر بعين القداسة للعربي ذو الأصول الشريفية القرشية، نظراً لتجذر الدين الإسلامي لديهم منذ زمن الفتح الإسلامي، وعليه صار الفرد المغربي الأمازيغي يكن الاحترام المطلق لكل شيخ عربي شريف، مما جعل ذلك سمة متأصلة في النظام السياسي المغربي إلى غاية يومنا هذا ( العائلة العلوية ).

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

من هذا المنطلق فقد بذلت الأنظمة السياسية المغربية في عصورها الحديثة ما في وسعها للحيلولة دون وقوعها ضمن النفوذ السياسي للجامعة السياسية العثمانية، منذ بداية توسعها في أقطار المغرب العربي انطلاقاً من الجزائر سنة 1518، في ظروف تميزت بتكالب الاستعمار الإسباني والبرتغالي على شمال إفريقيا، بحيث وقعت جل المناطق الساحلية للأقطار المغربية تحت السيطرة الأوربية، بما فيها سواحل المغرب الأقصى والتي لا يزال بعضها محتلاً إلى غاية يومنا هذا، ويعتبر المغرب الأقصى القطر الإسلامي الوحيد الذي عزف عن التاج السياسي للجامعة الإسلامية العثمانية، على أنها لا تتوفر على ركن الخلافة الأساسي وهو القرشية أو النسب الشريف كونهم أتراك لا صلة لهم بآل النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد كان يحكم المغرب زمن الفتح العثماني الدولة السعدية<sup>(1)</sup> شريفة النسب عربية الأصل، وعليه فقد قاوم خلفاء الدولة السعدية محاولات العثمانيين في ضم المغرب انطلاقاً من الجزائر، ورفضوا كل عروضهم في إعلان الولاء للجامعة السياسية العثمانية، بدعوى أن مؤسسوها عجم لا عرب، وأن السعديين هم الأولى بالخلافة من غيرهم. من هذا المنطلق فقد قاومت الدولة السعدية مشروع الجامعة الإسلامية بقيادة آل عثمان<sup>(2)</sup> في وقت مبكر جداً وسط ظروف تميّزت بنشاط الاستعمار الأوربي

---

(1) ينتسب السعديون إلى أسرة عربية وتنتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن قوم حليلة السعدية مرضعة النبي صلى الله عليه وسلم، انتقلوا من أرض الحجاز إلى بتاكمادارت ناحية درعة بجنوب المغرب الأقصى، وظلوا هناك يعيشون حياة بسيطة حتى مطلع القرن السادس عشر بدأ بروزهم السياسي، حين تكالب الإسبان والبرتغال على أراضي المغرب في الوقت الذي عجز فيه الوطاسيون باعتبارهم يجسدون السلطة المركزية للدفاع عن البلاد، فتوجهت أنظار أهل الجنوب إلى السعديين لقيادة المقاومة ضد البرتغاليين بقيادة أبي عبد الله محمد بعد مشاورات بين الفقهاء وأهل الحل والعقد الذين قرروا عقد البيعة له في مدينة تدسي بالسوس سنة 1510 من طرف خمسين قبيلة، ومن هذا التاريخ ظهرت الدولة السعدية كقوة، انطلاقاً من الجنوب المغربي لتصبح ذات ثقل سياسي وعسكري نتيجة التفاف أهل المغرب حولها على أنها من أصول شريفة يجب ائتمان الولاء لها. وقد كان الجنوب المغربي على مر السنين خزاناً بشرياً يمد السلطة السياسية بعنصر الشرف. انظر: كريم عبد الكريم: المغرب في عهد الدولة السعدية، ط2 شركة المطبع للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1977، ص 20؛ كذلك: محمد الأمين محمد ومحمد علي الرحمان: مرجع سابق، ص 191.

(2) للاطلاع على العلاقات المغربية العثمانية على عهد السعديين؛ انظر: عزيز سامح التير: مرجع سابق، ص 341.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

الاسباني والبرتغالي واستهداف جل المناطق الساحلية للمغرب، وهي ظروف شبيهة إلى حد ما بظروف القرن التاسع عشر، حيث ظهرت القوى الاستعمارية الأوربية بقيادة فرنسا وبريطانيا ثم ألمانيا وإيطاليا في الوقت الذي أطلق فيه أقطاب الإصلاح المشاركة مشروع الجامعة الإسلامية كمشروع فكري سياسي يستهدف إحياء الخلافة العثمانية ويدعو الشعوب الإسلامية وحكوماتهم وحركاتهم للالتفاف حول الجامعة العثمانية، وقد كان لهذه الدعوة صدى في المغرب الأقصى بخلاف رد السعديين ثم العلويين الأوائل.

لقد ظلّت بلاد المغرب الأقصى في العهد السعدي بعيدة عن متناول الجامعة وخلافتهم بسبب تشبّثهم بعقيدتهم الدينية -السياسية ذات الأبعاد الشريفة، ورفضهم لكل حكم يفتقر إلى القرشية والهاشمية، وكذا قوة الدولة السعدية المتنامية والتي حالت دون نجاح الحملات العسكرية المسيرة من الجزائر بقيادة "العلاج علي"، خصوصا بعد انتصار السعديين على البرتغاليين في معركة وادي المخازن الشعواء وهزيمتهم هزيمة منكرة<sup>(1)</sup>، وما صاحبه من صدى على العالم الإسلامي آنذاك، حيث بعث المنصور السعدي رسولا إلى السلطان العثماني وهو أحمد بن يحيى الهوزلي ولسائر ممالك الإسلام المجاورين للمغرب، ومنها الجزائر يخبرهم بالنصر، واستهدف المنصور من ذلك إظهار قوة دولته التي قهرت البرتغال بهزيمة شنعاء، وأنها قادرة على توحيد أقطار المغرب، الأمر الذي جعل العثمانيون يوقفون الحملة التي كانوا يعدونها لمهاجمة المغرب، ولكن السّفير العثماني طالب المنصور تعيين إسماعيل بن عبد الملك -المقيم في الجزائر مع أمه التركية في الجزائر- حاكما على فاس بالمغرب الأقصى. وكان هدف العثمانيين من ذلك إضعاف المنصور وإيجاد عميل موالي لهم في شمال المغرب، مما يقوي عزمهم في بسط نفوذهم على المغرب، ولكن المولى المنصور أهمل السّفير ورفض الرد عليه، وقد تمكّن المنصور من مقاومة كل المناورات العثمانية انطلاقا من الجزائر الرامية إلى بث الشقاق داخل العرش السعدي

(1) جميل بيضون وآخرون: تاريخ العرب الحديث، دار الأمل للنشر، الأردن، 1992، ص 51.



## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

وإرغامه على إعلان الولاء للدولة العثمانية<sup>(1)</sup>.

وقد كان المنصور ينتهج دبلوماسية تركز على المرونة في بعض الأحيان للحيلولة دون تسيير حملة عسكرية من الباب العالي، وعليه فقد تكررت الاتصالات الدبلوماسية بين الطرفين، وبالرغم من الجملات فإن أسباب الفرقة السياسية بين المغرب والجامعة الإسلامية العثمانية الأم كانت موجودة نتيجة تمسك السلطة المركزية بطموحها الرامي إلى ضم المغرب إلى نفوذ الباب العالي بحكم الطبيعة السياسية للدولة العثمانية على أنها وريثة الجامعة الإسلامية العباسية. وكذا رغبة المنصور المستمرة في تأكيد رفضه للتابعة العثمانية، واعتبر نفسه سلطاناً نَدًا للسلطان العثماني، من جهة أخرى فإن تكاليف القوى الاستعمارية جعلت العلاقة بين الطرفين تتسم ببعض المودة، ذلك أن السلطان العثماني مراد أرسل سنة 1580 رسالتين إلى المنصور يقترح فيها التحالف على أن يقدم السلطان العثماني ثلاثمائة سفينة للمغرب، كما اقترح السلطان العثماني ابنته زوجة للمنصور، لتحقيق التقارب الناتج عن الزواج السياسي<sup>(2)</sup>.

ونتيجة لذلك تحسنت العلاقات بين الطرفين؛ خاصة وأن الدولة العثمانية كانت منشغلة بالجبهة الأوربية النصرانية، وفي ذات الوقت كانت الساحة السياسية في الجزائر العثمانية توحى بالاضطراب وعدم الاستقرار، نتيجة تغير النظام السياسي للبيرايات وتعويضه بنظام الباشوات.

لقد استمر خلفاء الدولة السعدية في صراعهم مع الأتراك العثمانيين، الذين شكّلوا قاعدة لهم على أراضي الجزائر، وكان السعديون يستهدفون توحيد أقطار المغرب تحت قيادتهم "الشريفة" حيث وصل نفوذهم زمن محمد الشيخ إلى نواحي شلف، غير أن الأسرة السعدية كانت خلال النصف الأول من القرن السابع عشر تسيير نحو التقهقر والسقوط نتيجة تنازع الحكم بين أفراد الأسرة الملكية. وبعد سقوطها ظهرت على أراضي المغرب الأقصى سنة 1666 دولة أخرى ذات صبغة

(1) للاستزادة؛ انظر: شحاتة إبراهيم: أطوار العلاقات المغربية العثمانية، دار منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1982، ص22.

(2) شحاتة إبراهيم: مرجع سابق، ص 98.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

شريفية" تدعي النسب إلى القاسم بن محمد النفس الزكية بن عبد الكامل بن الحسن المثنى ينتهي نسبها إلى علي بن أبي طالب من الأسرة الهاشمية الشريفة، وكان ظهور العائلة العلوية السياسي بشكل جلي على عهد مولاي رشيد بن علي الشريف مؤسس الدولة العلوية الحقيقي، حيث تمكن من توحيد الوحدات السياسية التي طفت على الساحة السياسية عقب سقوط السعديين<sup>(1)</sup>.

سارت الأسرة العلوية ذات الأصول الشريفية سيرة السعدية في التعامل مع الدولة الإسلامية العثمانية- الجامعة، فاستمرت في رفض الارتباط السياسي مع الباب العالي، وأكثر من ذلك فقد كانت تطمح في ضم الجزائر إلى نفوذ الدولة العلوية، ويبدو أنها كانت تستهدف لتوحيد كامل أقطار المغرب شأن المرابطين والموحدين، وقد تلقى المولى إسماعيل ضربة عسكرية عثمانية سنة 1679 حيث تفرقت قبائل الجيش المغربي، وحقق العثمانيون انتصارا باهرا على العلويين، ولكنهم لم يستثمروا هذا النصر بسبب الظروف الدولية التي كانت تعيشها الخلافة العثمانية، وعليه كاتبوا المولى إسماعيل مطالبين إياه بالكف عن التعرض للبلاد الجزائرية وأن يلتزم بالتخوم التي أقرها أسلافه السعديين وأجداده العلويين<sup>(2)</sup>.

لقد استمرت العلاقة العدائية بين المغرب الأقصى والجامعة الإسلامية السياسية، وتخللها عدد من المواجهات وصدامات عسكرية، والتي لم تضع حدا للصراع، ذلك أن سلاطين السعديين لم يكونوا يملكون الوسائل اللازمة من إمكانيات حربية ليضموا الجزائر أو ليوحدوا المغرب تحت قيادتهم بدل آل

(1) عزيز سامح أثير: مرجع سابق، ص 381.

(2) بعد هذه المراسلة الدبلوماسية لم يطمئن العثمانيون من النوايا التوسعية للمولى إسماعيل، فسعوا إلى تحريض خصومه واتفقوا مع منافسه بن محرز، واغتنموا فرصة انشغال السلطان العلوي بالداخل فاسترجعوا بني يزناسن سنة 1682 ولكن المولى إسماعيل تصدى لهم وجعلهم يتراجعون حتى تلمسان، ولكنه لم يستطع المكوث داخل أراضي الجزائر، وحاول أن يمارس السفارة والدبلوماسية مع باي تونس سنة 1692 من أجل تنسيق هجوم على العثمانيين في شمال إفريقيا، ولكنه لم يفلح في ذلك، ثم هاجم الجزائر العثمانية ابنه المولى زيدان حاكم تازا سنة 1701، ثم توجه المولى إسماعيل ليشرف بنفسه على العمليات العسكرية ضد العثمانيين ولكنه هزم وأصيب وكاد يقع في الأسر، ثم حاول مهاجمة الجزائر من ناحية الجنوب، لكن الثورة كانت قد اندلعت في أوساط الدولة العلوية بسبب تنازع العرش بين أبناء إسماعيل. انظر: عزيز سامح أثير: مرجع نفسه، ص 382 وما بعدها.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

عثمان، خاصة وأن بعض أراضيهم لازالت محتلة من طرف الأوربيين وكان عليه استرجاعها، وكذا فرض السلطة المركزية العلوية على القبائل المغربية التي كانت تمثل وحدات سياسية يصعب صهرها في بوتقة واحدة، ولم يكن العثمانيون من جانبهم يرغبون في تشتيت قواهم العسكرية واستنزافها في الجبهة الغربية بسبب الأوضاع السياسية الغير مستقرة في الجزائر العثمانية.

ومع نهاية القرن الثامن عشر كانت علاقات المغرب بالجامعة الإسلامية العثمانية تسير نحو التحسن، نتيجة التراكمية التاريخية في العلاقات والتي تميزت في الغالب بالحرب والعداء، تلك العلاقات التي فرضت عليها جملة من الظروف مبدأ التغيير نحو الأحسن للتكتل ضد العدو المشترك وهو الاستعمار الأوربي، ففي عهد المولى محمد بن عبد الله استقرت العلاقات، ومن مظاهر ذلك إرسال السلطان المغربي وفدا يحمل هدايا قيمة متمثلة في مجموعة خيول المغربية الجيدة مع سروجها المذهبة والمرصعة بالأحجار الكريمة، فكان لها بالغ الأثر على السلطة المركزية في الأستانة فبعث السلطان العثماني مصطفى الرابع بدوره إلى سلطان المغرب هدية نفيسة وهي عبارة عن مركب بحري موسوق بآلات حربية من مدافع ومهاريس وبارود ولوازم حربية بحرية، وقد أوحى ذلك بالبداية الفعلية للتقارب العثماني-المغربي وسط ظروف سياسية وعسكرية قاهرة تميزت بتكالب الاستعمار الأوربي على أقطار العالم الإسلامي، بما فيه المغرب الأقصى الذي ظل بعيدا عن إعلان الولاء للخلافة العثمانية<sup>(1)</sup>

مع بداية القرن التاسع عشر بدأ السلاطين العثمانيون يدركون الخطر المحدق بالعالم الإسلامي وبالخلافة الإسلامية، من خلال الزحف الأوربي المتنامي على أقطاره؛ فبدؤوا ييثون عنصر التضامن الإسلامي والوحدة في أوساط الشعوب الإسلامية، كبادرة أولى لإطلاق مشروع إحياء وتجديد الجامعة الإسلامية السائرة نحو الضعف والتقهقر، وعليه فقد سارع سلطان المغرب مولاي أحمد للتودد للسلطان العثماني بإرسال وفد آخر يحمل هدية قيمة، وعاد ذلك الوفد بهدية أعظم من الأولى وهي

(1) محمد الأمين محمد ومحمد علي الرحامي: مرجع سابق ، ص 228 ، 229.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

عبارة عن مركب مشحون بالمدافع ولوازم بحرية، وثلاثين مهندسا وفنيا تركيا للعمل في المؤسسة العسكرية المغربية، و وزع أولئك الفنيون على مختلف المدن والتّغور ليعمل كل واحد منهم ضمن اختصاصه. وعليه نلاحظ اهتمام الدولة العثمانية بأقطار العالم الإسلامي بإرسال الهدايا العسكرية كتعبير عن دعم الخلافة العثمانية لشعوبها، بما فيها المغرب الأقصى بالرغم من الخلافات السياسية التاريخية، لمواجهة الأطماع الأوربية وهو أصدق مظهر للجامعة الإسلامية التي تدعو للوحدة والتضامن والجماعة تحت لواء الإسلام ومثله السياسي الرسمي المتمثل في الخلافة العثمانية أنذلك وعليه فقد كانت البوادر الأولى لتفاعل النظام المغربي مع مشروع الجامعة الإسلامية الذي بثه أصحاب جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبد عبده، ومحمد رشيد رضا وشكيب أرسلان، وثلة آخرين من أقطاب الإصلاح في المشرق الإسلامي، وكذا مع ممثله في الخلافة العثمانية السلطان عبد الحميد الثاني.

### 2 - صدى سياسة الجامعة الإسلامية في المغرب الأقصى خلال الحرب العالمية الأولى:

بالرغم من العلاقات التاريخية بين الخلافة العثمانية الأم والأسر المغربية الحاكمة ذات الأصول الشريفية الهاشمية العربية، التي رفضت إعلان الولاء وصرف الطاعة للجامعة السياسية العثمانية، فقد تفاعل المغرب الأقصى مع حركة الجامعة الإسلامية في مفهومها الحديث والمعاصر على أنها مشروع ظهر خلال القرن التاسع عشر على يد رواده ( جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، شكيب أرسلان ومحمد رشيد رضا) يستهدف إحياء الخلافة ويدعو كل الشعوب الإسلامية للتحرر من قيود التخلف الفكري، وللتضامن والتكاتف والتآزر ضد المد الاستعماري الأوربي، ونتيجة سلسلة من العوامل والظروف الدولية والتي كانت تنذر باندلاع وشيك لحرب كونية، فقد كثف سلاطين الدولة العثمانية وعلى رأسهم السلطان حميد الثاني ( قبل خلعه) نشاطهم الدّعائي لصالح الجامعة الإسلامية من خلال استنهاض الهمم الجهادية للمسلمين واستنفراهم وتعبئتهم إلى جنبها، بما فيهم مسلمي المغرب الأقصى، وحكومته العلوية التي وقعت تحت نفوذ الحماية الفرنسية -الاسبانية منذ سنة 1912.

ولأجل ذلك تبنت السياسة العثمانية الإسلامية إستراتيجية تستهدف كسب موقف المغرب الأقصى تجاه الصراع العثماني- الأوربي النصراني، لذلك فقد كان النصف الثاني من القرن التاسع

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

مساحة زمنية خصبة لتجديد العلاقات المغربية العثمانية خصوصا خلال عهد السلطان عبد الحميد الثاني، السلطان الروحي لفكرة الجامعة الإسلامية السياسية التي جعل منها مشروعا لإحياء خلافة أجداده السائرة في طريق الزوال والتلاشي، ونتيجة لحنمية التعاون والتآزر والإتحاد من منطلق معطى الإسلام فقد دخلت الحكومة العلوية في علاقات حسنة و ودية مع الخلافة العثمانية الأم ، ويظهر ذلك جليا من خلال المراسلات المتبادلة بين السلطان عبد الحميد والسلطان المغربي مولاي الحسن والتي أظهرت الرغبة الفعلية الحسنة التي تحذو الطرفين في طي صفحات الخلاف التاريخي التي كانت بين أسلافهم، والمساعدة إلى توثيق التعاون المبني على التآزر الإسلامي ضد الأخطار الأوربية ضمن الجامعة الإسلامية<sup>(1)</sup>.

ويورد محمد المنوني مسار التقارب العثماني العلوي وتطوره والذي بدأ بشكل جلي مع سفارة "الحاج العربي بريشة التطواني" للأستانة، سنة 1880 حيث استقبله السلطان عبد الحميد الثاني استقبالا حارا، كان يوحى برغبته في تحسين العلاقات، وعليه فقد تم الاتفاق على تبادل التمثيل الدبلوماسي بين الخلافة والحكومة العلوية، وشرح لتمثيل المغرب في الباب العالي الشيخ إبراهيم السوسي، كما رشح الأمير محي الدين الجزائري، وقد فشلت تلك المساعي الدبلوماسية بفعل مؤامرة قام بجبكها قناصل الدول الأوربية في طنجة، الأمر الذي جعل الحركة الصحفية في المشرق والمغرب تنوّه بأهمية التعاون العثماني المغربي في إطار الجامعة الإسلامية ومنها جريدة " المغرب " وجريدة " ثمرات الفنون " وجريدة الصباح"<sup>(2)</sup>.

وفي ذات الإطار تواصل السلطان عبد الحميد الثاني مع الملك المغربي الحسن الأول بعدة رسائل أورد المنوني نصوصها، منها الرسالة التي بعثها المفتي السلطاني حسن خير الله يخاطب فيها الوزير

---

(1) لقد تمخض عن الظروف التي كان يعيشها العالم الإسلامي في بقاع المعمور إبان القرن التاسع عشر، حتمية نسيان وتجاوز العداة التقليدية والخلاف بين سلاطين الدولة السعدية ثم العلوية والخلافة العثمانية وما صاحبها من حروب وأهوال، وبناء علاقات جديدة، ضد العدو الأكبر، وهو الاستعمار الأوربي.

(2) انظر: محمد المنوني: **مظاهر يقظة المغرب العربي الحديث**، ج 1، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985، ص 66، 67.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

الحاجب موسى بن احمد، بعد إذن السلطان العثماني مع مبعوث الملك المغربي الشيخ إبراهيم السنوسي سنة 1876، ورسالة من وزير خارجية الدولة العثمانية إلى وزير خارجية المغرب تمحور فحواها حول موضوع إنشاء سفارة عثمانية بطنجة سنة 1877.

وفيما يلي نورد بعض نصوص رسالة السلطان عبد الحميد للملك المغربي سنة 1876 « بسم الله الذي رفع من اتقى، وأيد من حدوده وقى، أن بارك عنوان ما بدئ به: بسم الله الذي لا واضع لما رفع، ولا دافع لما حكم وقضى ووضع، ولا واصل لما قطع، ولا مفرق لما جمع ... وجعل نظام هذه الأمة المحمدية باتحاد كلمتها وأن شط المزار بينهم وجمعهم كشع، ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لوقع ما وقع... أما بعد إهداء ما تتعطر به أنوف الأسماع من نفحات التحية الوداد، وإسداء صحيفة المحبة الدالة على الإتحاد، إلى جناب أئحينا في الله على الحقيقة وهو معنا والله الحمد على خير طريقة... هذا ونحن وإن كانت المراسلة بيننا مقطوعة، ومأكلة المودة ممنوعة، إلا أن عهد المودة بين أسلافنا دعا إلى تجديد عهدها بين أخلاقنا، كما قيل وصحت بذلك الأبناء: محبة الأباء تراثها الأبناء، ومع ذلك فالإتحاد في الدين ومذهب أهل السنة يوجب كمال الألفة... كيف والإتحاد مما حثت به الآيات الكريمة البيئات، والأحاديث الشريفة الواردة من سيد الكائنات، قال تعالى لإيقاظ كل ذي نخوة ( إنما المؤمنون إخوة )، وقال صلى الله عليه وسلم ( المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)... فيجب علينا معاشر المسلمين كافة الإتحاد والتعاقد والتناصر لدفع كيد المشركين... »<sup>(1)</sup>

لقد استمر التقارب العثماني-المغربي طلية عهد السلطان عبد الحميد الثاني، ثم السلطان محمد رشاد، وعلى عهده وقعت الحماية المزدوجة الاسبانية-الفرنسية على المغرب الأقصى، وكما أشرنا سالفا فقد كان على الدولة العثمانية أن تسعى لكسب موقف السلطة العلوية ثم تُخب الحركة الوطنية المغربية لصالحها ضمن إطار الجامعة الإسلامية لمواجهة الأطماع الأوربية قبل وإبان الحرب العالمية الأولى، ومعلوم أن الدولة العثمانية قد شاركت الحرب ألمانيا ضد دول الحلفاء، وعليه فقد بثت دعاية واسعة في أوساط شعوب المغرب العربي، بما فيه شعب المغرب الأقصى و رواد حركته الوطنية، وكان

(1) محمد المنوني: مرجع سابق، ج1، ص 69، 70.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

محور الدعاية هو الدعوة إلى الجهاد المقدس لصالح التحالف العثماني الألماني وما احتواه المصطلح من أبعاد عقدية وأحكام شرعية فقهية توجب الدفاع عن الخلافة العثمانية وجامعتها الإسلامية. من جهة أخرى فقد استهدفت سلطات الحماية الفرنسية بمساندة إسبانية انتهاج سياسة مضادة لسياسة الجامعة الإسلامية، التي تبناها سلاطين الدولة العثمانية وجعلوها كورقة رابحة لتحزيب الأحلاف الإسلامية، وتعبئتهم للجهاد مع الخلافة الإسلامية العثمانية ضد الدول الأوربية المستعمرة من خلال عزل المغرب الأقصى عن العالم الإسلامي، على أنه وحدة سياسية مستقلة عن الأمة الإسلامية بمميزات الطبيعة والعرقية<sup>(1)</sup>، وحاولت أن تشغل همم المغاربة وتوجههم إلى الثورة العربية في الحجاز ضد الدولة العثمانية وسياسة الجامعة الإسلامية<sup>(2)</sup>. وهدف فرنسا من وراء ذلك إظهار الثورة العربية على أنها الثورة التي جسدت الرغبة القومية العربية في الاستقلال عن تاج الأعاجم، وتأسيس كيان سياسي قرشي هاشمي خاصًا بهم يدين له كل العالم الإسلامي، وهذه الأفكار كانت قد شكلت نزعة الرفض للدولة العثمانية من قبل السعديين ثم العلويين، وعليه حاولت فرنسا أن تمازج بين الشعور التاريخي ذي البعد السياسي-الديني الذي واصل رفضه لكل ما هو تركي عثماني إلى غاية القرن التاسع عشر- والثورة العربية المعادية للعثمانيين والتي سيتمخض عنها إنشاء خلافة ذات أصول عربية هاشمية يعلن لها المغرب ولاءه. ومنه فقد حاولت السياسة الفرنسية أن تحيي ذلك الشعور العدائي الذي بدأ يزول مع التقارب العثماني العلوي خلال عهد السلطان عبد الحميد الثاني والملك المغربي الحسن الأول. غير أن الحكومة العلوية مسلوبة السيادة كانت قد تشبعت بأفكار أقطاب الجامعة الإسلامية في المشرق الداعية إلى الجماعة ونبد الخلاف من اجل الوحدة، الأمر الذي حال

---

(1) لقد ذهب ثلثة من المستشرقين والمؤرخين الفرنسيين على اعتبار المغرب الأقصى وحدة سياسية ذات أبعاد ثقافية وجغرافية وسياسية شريفية جعلته منفردا عن العالم الإسلامي وشكل أمة مغربية سعت لتحقيق الوحدة المغاربية من مطلق عناصر القومية المغاربية أيام المرابطين والموحدين ثم إنعزلت عن العالم الإسلامي زمن الخلافة العثمانية، ورفضت أنظمتها السياسية إعلان الولاء للجامعة الإسلامية العثمانية. انظر: شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تـــــــير، القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية ترجمة: مجموعة من الأساتذة، الدار التونسية للنشر، تونس-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص 163.

(2) انظر: إبراهيم حسن شحاتة: مرجع سابق، ص 523.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

دون فلاح خدعة فرنسا للمغرب- ناهيك عن عدم نجاح الثورة العربية في تحقيق أهدافها بإقامة خلافة عربية-.

ولكن المقيم العام الفرنسي في المغرب "ليوطي" لم ينل إعجاب مشروع ربط المغاربة بثورة الشريف حسين في مكة، ذلك أنه كان ينتهج سياسة في المغرب تميزه عن باقي المقيمين العاملين في بلدان المغرب المحتلة<sup>(1)</sup> إرتكزت على مبدأ الحفاظ على خصوصيات المغرب الأقصى، وجعله قطبا دينيا ينافس العثمانيين في جامعتهم السياسية من منطلق نظامه السياسي، الذي يتوفر على عناصر وشروط الخلافة الإسلامية، لقد كان "ليوطي" يريد أن يوجد خلافة في المغرب منفصلة عن تلك الموجودة في المشرق تجمع تحت لوائها السياسي- على حد قوله- مسلمي شمال إفريقيا، وفي النهاية تشرف فرنسا على هذا المشروع السياسي<sup>(2)</sup>. وقد اعتمدت الدعاية العثمانية-الألمانية في المغرب الأقصى على المناشير والرسائل المحرّضة على الثورة ضد فرنسا، والتي كانت تسرّب إلى المغرب الأقصى و باقي أقطار المغرب العربي عن طريق إشبيليا بإسبانيا<sup>(3)</sup>، كذلك لعبت الجرائد دورا مهما في بعث الرابطة الإسلامية

(1) لقد ارتبطت السياسة الفرنسية في المغرب برجل عسكري-سياسي يدعى "ليوطي" الذي تولى منصب المقيم العام منذ فرض الحماية 1912 واستمر إلى غاية 1925، واشتهر بسياسته التي تغلبت على المقاومات الشعبية المسلحة، ذلك أنه وضع أسس ومبادئ الإدارة الفرنسية وفق فلسفته التي جسدت سلوكه وأفعاله، إلى حد ما، من خلال تعريفه لمفهوم الحماية بقوله " تتضمن فكرة الحماية أن الدولة المحمية تحتفظ بأنظمتها وحكومتها الخاصة، وأن تحكم نفسها بنفسها عن طريق هيئات المنظمة ... ومراكز دولة مستقلة تتعهد فرنسا بحمايتها على أن تظل تحت سيادة السلطان مع الاحتفاظ بنظام الحكم الذي اتخذته، ومن الواجبات التي نيظت بي ضمان وحدة هذه الحكومة والحفاظة على نظام الحكم القائم بها". انظر: صلاح العقاد: مرجع سابق ص 274 ، 275.

(2) لقد استهدف "ليوطي" تأسيس ملك سياسي فرنسي في شمال إفريقيا ذا طبيعة جامعة للعالم الإسلامي من منطلق الخلافة الإسلامية التي يتوفر النظام السياسي المغربي العلوي عليها، ولعل أهمها القرشية والعروبة، كون العلويين ينتسبون إلى آل النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق علي بن أبي طالب بن عم النبي صلى الله عليه وسلم، وعليه فقد أراد "ليوطي" توظيف تلك المعطيات لتأسيس خلافة مغاربية عاصمتها المغرب الأقصى لينافس بها الخلافة العثمانية والثورة العربية بقيادة الشريف حسين المدعوم من طرف بريطانيا. انظر: التليلي لعجيلي: مرجع سابق ، ص 408-410.

(3) يشير الأستاذ عبد القادر جغلول إلى أن فرار أحد الجنود الجزائريين من الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى، وأصبح محرر لجريدة معادية للدعاية الفرنسية وهي "صحيفة الواجب" التي كانت تسرب رقعة المناشير عبر منفذ إشبيليا انظر: عبد القادر جغلول : مرجع سابق ، ص 130.



## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

لدى المغاربة وعلى رأسها "جريدة الحق" التي كان يصدرها اللبّاني الشيخ "نعمة الله الدّحّاح" ويروّج لها العملاء الألمان و"جريدة إظهار الحق" لصاحبها أبي بكر بن عبد الوهّاب، وجريدة "لسان المغرب" لصاحبها فرج الله نمور، كما شهد المغرب نشاط جماعة من الصحفيين السوريين، والذين أسسوا قبيل الحماية فرعاً لجمعية الإتحاد والترقي<sup>(1)</sup>. وفي ذات السياق لعب رواد الحركة الإصلاحية المغربية دوراً كبيراً في نشر أفكار الجامعة الإسلامية ورفض القتال لصالح الجيش الفرنسي، وربط صلات نضالية بين منظرها وأقطابها في المشرق والحكومة العلوية في المغرب، ومنهم الشيخ محمد العتّابي الذي يعد من أبرز المغاربة اعتناقاً لفكر أقطاب الجامعة الإسلامية؛ غادر مراكش بعد فرض الحماية المزدوجة على المغرب بعام أي سنة 1913 وتوجه إلى الحجاز، ثم انتقل إلى عاصمة الخلافة الإسلامية الأستانة حيث كانت له اتصالات رفيعة المستوى فقابل السلطان العثماني محمد رشاد الخامس وتحدث له عن أوضاع المغرب الأقصى في ظل الحماية الأوربية المزدوجة، وعن موقف المغاربة من الدولة العثمانية في خضم الحرب العالمية الأولى والذي تمحور حول الوقوف إلى جنب الخلافة الإسلامية وحليفها ألمانيا غير أن فرنسا تجندهم لصالحها جبراً ليخوضوا غمار الحرب ضدّها، ونتيجة لذلك خطط السلطان لتقديم الدعم العسكري للحركة المراكشية والسّلطة العلوية<sup>(2)</sup>. كذلك الشيخ محمد العدلي الذي شارك في الصياغة الفقهية للفتوى الشريفة في الباب العالي التي تحرّض المسلمين على الجهاد، وتجعله فرضاً عليهم من المنطلق العقدي<sup>(3)</sup>.

كما استهدف التحالف الألماني العثماني ربط اتصالات سياسية مع الملك المغربي المولى عبد الحفيظ، الذي تنازل عن العرش بعد فرض الحماية من أجل إقناعه بالعودة للمغرب للجلوس على

(1) محمد المنوني: مرجع سابق ، ج2 ، ص 313 ، 314. وانظر:

Laroui. A: **Les origines sociales et culturelle du nationalisme Marocain (1830 – 1912)** , François Maspero , 1977 , p 380.

(2) انظر: علال الفاسي: **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي** ، ط2 ، دار الطباعة المغربية ، تطوان ، المغرب الأقصى ، 1948 ، ص 147.

(3) سعدون خالد محمد: مرجع سابق ، ص 294.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

عرشه<sup>(1)</sup>، وقد كان الألمان والعثمانيون يستهدفون خلق نظام سياسي شريفي موازي لسلطة المولى يوسف بن الحسن المسير من طرف نظام الحماية، من خلال تعبئة القبائل الجنوبية وحثهم على الانضواء تحت لواء السلطان السابق، الأمر الذي سيحدث القلاقل السياسية والأمنية داخل نظام الحماية وما يتبعه من استنزاف للطاقات العسكرية الحربية الفرنسية في الوقت الذي كانت فيه منهمكة في جبهات القتال الأوربية.

لقد كان المغرب الأقصى على صلة وثيقة مع الخلافة الإسلامية العثمانية إبان القرن التاسع عشر وزادت توثقا خلال النصف الثاني من ذات القرن، على عهد السلطان عبد الحميد والمولى الحسن الأول، كل ذلك ساهم في صقل وعي المغاربة بضرورة الاتحاد والوحدة الإسلامية، ومنه ستتشكل القاعدة الفكرية الأساسية حول موقف المغاربة تجاه الدولة العثمانية في ظل المستجدات الدولية والتي وجهت رأيهم للوقوف إلى جنب الجبهة العثمانية الألمانية خلال الحرب العالمية الأولى، ومما زاد في التأثير على المغاربة الدعاية العثمانية-الألمانية التي ساهمت في تعبئة الشعب المغربي لصالحها، من منطلق توظيف الإسلام والجهاد المقدس، فأحدث ذلك نوعا من التخاذل لجنود المغرب داخل صفوف الجيش الفرنسي وجعلهم يفرون إلى الجيوش العثمانية-الألمانية، وأما الأسرى منهم فقد كانوا مجالا خصبا لبث دعاية الجهاد القائمة على أسس شرعية دينية، ولعل أهم مظهر لصدى أفكار أقطاب الجامعة الإسلامية في المغرب خلال الحرب العالمية الأولى هو ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي وعبد الملك الجزائري<sup>(2)</sup> وعليه فقد أظهر رواد الإصلاح والمناضلين من كل أصقاع المغرب العربي على غرار المغرب الأقصى مدى تمسكهم بالدولة العثمانية وسياسة الجامعة الإسلامية لمجابهة الحركة

(1) Les seize mois de la guerre au Maroc , Bulletin du comité de l'Afrique du Nord n° 10 , 12 , octobre- décembre , 1915 , p 299.

(2) عبد الملك الجزائري بن الأمير عبد القادر الجزائري بن محي الدين الحسني، نشأ في دمشق وأصبح من الشخصيات العثمانية المرموقة، حيث ترأس البرلمان العثماني، ويعتبر من الشخصيات التي كرسست جهودها النضالية لخدمة مشروع الجامعة الإسلامية ومنه شن ثورته العارمة في المغرب الأقصى على أنها بلد إسلامي، قتل في إحدى المعارك -سيدي غريب- ودفن بتطوان بالمغرب الأقصى في أوت 1924، انظر: أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية ، ج 2 ، مرجع سابق ، ص 224 - 230.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

الاستعمارية وإعادة صهر الوحدات السياسية الإسلامية في دولة مركزية قوامها الخلافة الإسلامية.

### 3 - أقطاب الجامعة الإسلامية والحركة الإصلاحية المغربية:

لقد تأثرت الحركة الوطنية المغربية بمبادئ وأفكار أقطاب الجامعة الإسلامية الفكرية الرامية إلى التجديد ونقد الأفكار الدينية التقليدية التي كانت سببا في تخلف المسلمين، والسياسية التي تمحورت حول الوحدة السياسية الإسلامية بقيادة آل عثمان - كما أوردنا ذلك سالفًا - ومعلوم أن بلاد المغرب الأقصى كانت تعجّ بالطرق الصوفية التي عثّشت في مختلف ربوعها، وأن أصحاب مشروع الجامعة استهدفوا نقد نظمها العقديّة القائمة في بعضها على مبدأ القدرية و"المكتوب"، وما له من تبعات سياسية لصالح المستعمر، من هذا المنطلق ستكون أرض بلاد المغرب الأقصى صالحة لاحتضان تلك الأفكار؛ لوجود العلل التي وصف لها أقطاب الإصلاح المشاركة خصوصا محمد عبده ومحمد رشيد رضا الحلول المناسبة لإحداث التغيير الديني والاجتماعي، وهو الذي سيؤدي إلى ميلاد الحركة الإصلاحية السلفية بالرغم من معارضة بعض شيوخ المحافظين إلى درجة التزمّت.

تعددت منافذ مرور أفكار أقطاب الجامعة الإسلامية إلى المغرب الأقصى، وارتكزت بالجملة حول المهاجرين المغاربة في بلاد المشرق، الذين عادوا وهم يحملون أفكار الرباعي الإصلاحية: جمال الدين الأفغاني ثم شكيب أرسلان حول الوحدة الإسلامية السياسية ونبد التخلّف، والشيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضا في التجديد الديني، ومن أولئك المهاجرين نذكر: محمد بن مصطفى بن محمد بن سعد التّازي، الحاج علي زبير السلوي، عبد الله القباج الفاسي، محمد إدريس بوعشرين المكناسي وعبد الحكيم بن محمد المزوغي، ومحمد القباج الفاسي الذي كان من تلامذة جمال الدين الأفغاني يحضر دروسه الليلية رفقة الشيخ محمد عبده، كما كان رفيقا لسعد زغلول وعبد الله النديم، وعن طريق "محمد القباج الفاسي" تعرّف المغاربة على المبادئ الإصلاحية لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده باعتباره عايش الشيخين ميدانيا، خصوصا السيد جمال الدين الأفغاني<sup>(1)</sup>.

(1) محمد المتوني: مرجع سابق، ج 2، ص 308.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

كما لعب المهاجرون المسلمون الوافدون من المشرق والمغرب العربي دورا مهما في نقل آراء أقطاب الجامعة الإسلامية، ولعل أهم الشخصيات المغاربية الحاملة لفكر الجامعة الإسلامية الشيخ محمود النوري السفاقسي وخير الدين التونسي الذي بعثت به جمعية الإتحاد والترقي للمغرب، حيث أقام بمدينة مراكش مدة سنتين وكانت له اتصالات برواد الإصلاح منهم الشيخ محمد بن عبد الكبير. وقد وصل من المشرق عدة شخصيات مثلت أوعية لأفكار أقطاب الجامعة الإسلامية، ومنهم علي زكي المصري الصحفي صاحب "جريدة المؤيد" المصرية الذي حل بالمغرب سنة 1906، والشيخ السوري عبد الكريم بن عمر الشامي الذي نزل بالزاوية الكتانية بالمغرب سنة 1906، ولعب دورا مهما في تجديد المناهج العلمية، ثم محمد شاكر بن الشريف الدمشقي، وأبي بكر بن عبد الوهاب مدير "جريدة إظهار الحق" كذلك قطب الجامعة الإسلامية في مصر مصطفى كامل<sup>(1)</sup>

نتيجة لتوفر منافذ مرور أفكار أقطاب الجامعة الإسلامية، ظهر التيار الإصلاحى المغربي كأبرز تيار ضمن الحركة الوطنية المغربية الذي أخذ طابع السلفية العبدوية<sup>(2)</sup>، من حيث المنهج الإصلاحى والعقيدة الدينية والنظرة السياسية للخلافة العثمانية، وعليه فقد اقتفى مصلحو المغرب أثر أقطاب الإصلاح السلفيين المشاركة في الأسس التي سطرها للتّهوض بالأمّة الإسلامية من خلال بذل أسباب التّقدّم ونقد النّظم التّعليميّة القديمة المقتصرة على العلوم النقليّة والرّوحيّة-الصوفية دون علوم المادّة النّافعة التي برع فيها الغرب النّصراني، وهو ما كانت عليه جامعة القرويين.

(1) لقد ساهمت الشخصيات السالفة الذكر سواء كانت مغربية أو مشرقية في نقل أفكار أقطاب الجامعة الإسلامية في الجناح السياسى والفكرى-العقدى؛ انظر: محمد المنوي: مرجع سابق، ج2، ص 309 - 317.

(2) تُعتبر الفترة الزمنية التي أعقبت وقوع الاحتلال المساحة الزمنية التي ظهرت فيها السلفيات المغاربية- الجزائر، تونس، ليبيا المغرب الأقصى - والتي شكّلت أبرز تيارات الحركات الوطنية المغاربية، وتُعتبر امتدادا لحركة الجامعة الإسلامية التي نادى بها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده والتي تمخّض عنها ميلاد الحركة الوهابية في بلاد الحجاز، والسّنوسية في ليبيا، والمهدية في السودان ومثلها في الجزائر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة عبد الحميد بن باديس، محمد البشير الإبراهيمي وثلة من المصلحين ومثلها في تونس الشيخ محمد السنوسي، ومحمد بيزم الخامس، وعبد العزيز الثعالى، في جمعيات ومعاهد وأحزاب أهمها الحزب الدستورى الحر، ومثلها في المغرب جماعة من المصلحين على رأسهم محمد بن العربي العلوي، وأبو شعيب الدكالي.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

تزعّم التيار الإصلاحى ثلّة من علماء المغرب وعلى رأسهم الشيخ "أبو شعيب الدكالى" المتأثر بمنهج السلف الصّالح الذى أحياه رواد التجديد الممثلين فى موقظ الشرق جمال الدين الأفغانى ورفيقه محمد عبده، ثم الشيخ محمد رشيد رضا وشكيب أرسلان، فى الأسس العقديّة-التربويّة والإصلاحية ذات الأبعاد السياسيّة، بعد أن وقف على حقيقة الإصلاح الدّيني فى المشرق وجهود العلماء فى دحض الشرك شأن محمد بن عبد الوهاب. ثم الشيخ محمد بن جعفر الكتاني<sup>(1)</sup>، والشيخ محمد بن العربي العلوي<sup>(2)</sup>، الذى رأى أن أحوال المسلمين قد تبدّلت وساد الشرك وأصبح المسلمون يشبهون فى عباداتهم طقوس الجاهليّة، وعليه نهض أولئك بنشاط إصلاحى ارتكز على توزيع الكتب والمناشير السلفيّة المطبوعة بمصر، وإلقاء الخطب والدروس الدّاعية إلى بذل أسباب النهضة وترك أعمال الدّجل والخرافة والشّعوزة التى ما للدين بها من صلة<sup>(3)</sup>.

وقد كان لنشاط أولئك العلماء صدى واسعاً فى الأوساط المغاربيّة المثقفة، خصوصاً الطبقة الطلّابية التى لها قابليّة لمنهج نقد واستهجان النّظم العقديّة التقليديّة، وما شابهها من خرافات طقوس وشطحات جعلت المسلمين يتخبّطون فى غيابات الجهل، خاصّة رواد جامعة القرويين التى كانت على العصور السّالفة منارة علميّة إسلامية فى المغرب العربي، ثم غشيتها الجمود والركود بفعل سيطرة بعض شيوخ شأن الأزهر والزيتونة، ومنه فقد كان الطلاب أكثر تجاوباً مع حركة الجامعة الإسلاميّة الفكرية-السلفيّة العبدويّة- وشكلوا تيار الشّباب المغرب الإصلاحى، الذى نادى بإصلاح التّعليم فى جامعة القرويين بالكفّ عن تكبيل العقول المغربية وتجميدها من دون الاجتهاد والابتكار

(1) يشير الأمير شكيب أرسلان أنه التقى به فى المدينة المنورة وكان من العلماء الذين استفاد منهم. انظر شكيب أرسلان: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، مصدر سابق، ص 83.

(2) عبد الكريم غلاب: تاريخ الحركة الوطنيّة بالمغرب، من نهاية الحرب الريفيّة إلى إعلان الاستقلال، ج 1، الشركة المغربيّة للطّب والنّشر، الدّار البيضاء، المغرب، 1976، ص 60. انظر كذلك: رأفت الشيخ: تاريخ العرب المعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعية، 1996، ص 153.

(3) علاّ الفاسي: مصدر سابق، ص 153.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

ومن أشهر الطلاب نشاطا وعلما: محمد المكي الناصري، محمد القزّي، الشيخ محمد الزبيدي وعلال الفاسي<sup>(1)</sup>.

لقد وقف الشيخ محمد عبده والأمير شكيب أرسلان على معضلة الجمود الفكري التي أصابت العالم الإسلامي بما فيه المغرب؛ ويروى في ذلك أنّ الشيخ "إبراهيم التادلي" من كبار علماء المغرب الأقصى المهاجرين في بلاد المشرق، قدّم في بيروت درسا في الجامع الكبير حضره شكيب أرسلان والشيخ محمد عبده، رفقة جمع غفير من المسلمين، وكان الشيخان ينتظران من الشيخ التادلي أن يخوض غمار موضوع جديد معاصر يسلط الضوء على قضايا العالم الإسلامي الحديثة، ولكنّ الشيخ لم يفعل بل اقتصر على درسه على تفسير البسمة وما تضمّنته من الأحكام الفقهيّة والعقدية، الموجودة في كتب العلماء القدامى، مما جعل شكيب وعنده يعيبان على التادلي نزعتة العلميّة التقليديّة، كون المسلمين في أمسّ الحاجة إلى تنوير عقولهم بالدروس الهادفة إلى بعث الحضارة العربيّة الإسلاميّة، وتنبههم للأخطار المحيطة بهم، من منطلق النصوص النقلية القرآنية أو السنية الحاثّة على ذلك<sup>(2)</sup>.

وفي ذات السياق نصّح شكيب أرسلان في حديث له نشر في "مجلة الفتح" قطب الحركة الإصلاحية المغربية أحمد بلافريج بطرق أبواب العلوم غلق باب الجمود والتحجر، والنهل من العلوم الحديثة للأوربيين؛ يقول: "أنصح المغاربة أن يقتبسوا العلوم الأوربية مع المحافظة على معتقداتهم

---

(1) لقد استهدف الشّباب المغربي ذوي التّزعة الإصلاحية المستوحاة من فكر الجامعة الإسلامية العبدوية وعلى رأسهم علّال الفاسي؛ نقد التّظم التعليميّة التقليديّة في جامعة القرويين التي كانت مقتصرة على العلوم النقلية، دون غيرها من العلوم المادّية والاجتماعيّة وكذا الاكتفاء بالشّروح وشرح الشّروح... كل ذلك خلق نوعا من الجمود الفكري والعلمي والحضاري للمغاربة والعالم الإسلامي، لذلك بادر ثلّة من الطّلاب الشّباب الفاسيين بقيادة علّال إلى إنشاء مجلة إصلاحية شهريّة باسم "أم البنين" وعدة مدارس إصلاحية لنشر العلم الصحيح وبثّ اليقظة في روع المغاربة في فاس ومراكش. كان أولئك المصلحون يجنحون إلى الصّحف الجزائريّة التي تسير على نهج مبادئ الإصلاح والتّغيير على نمط الجامعة الإسلاميّة لنشر آرائهم الإصلاحية، مثل الشّهاب لسان حال جمعيّة العلماء المسلمين، ومنبر السّلفيّة الإصلاحية في الجزائر التي عجّت بالمقالات ذات الأرقام المغاربية، التي عاجلت قضايا فكريّة مختلفة.

(2) أحمد الشرباطي: شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، مرجع سابق، ص 230.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

ومشخصاتهم وأنا لا أعتقد أن هناك علما أوريبا وعلما شرقيا، فالعلم مشاع بين البشر أجمعين واليابانيون أخذوا عن الغرب ما نفعهم، وحافظوا على شخصيتهم ودينهم، والتفرج في نظري شر الأشياء، والأمم مهما كانت فمن شأنها أن تحافظ على كيانها، فكيف بأمة عظيمة لها تاريخ مجيد<sup>(1)</sup> لقد تبلور التيار الإصلاحى المتأثر بفكر أقطاب الجامعة الإسلامية التجديدي بشكل جليّ مع تكتل "جمعية أنصار الحقيقة"<sup>(2)</sup> الذي ضمّ جماعة النخبة بالثقافة الأوربية<sup>(3)</sup> مع جماعة علاّل الفاسي سنة 1927 في كتلة "العصبة المغربية" وكونوا مزيجا نضاليا متكاملا يجمع بين الثقافة الغربية وأسسها التحررية الانفتاحية والثقافة الإسلامية ذات النهج الإصلاحى لأقطاب حركة الجامعة الإسلامية المشاركة. وفي الجبهة الإسبانية فقد نهض عبد السلام بنونة، وابنه محمد بنونة، وعبد الخالق الطريس بنشاط حثيث استهدف من خلاله التأسيس للقاعدة الإصلاحية السلفية ذات النزعة التجديدية العبدوية (محمد عبده)؛ فظهرت تجليات ذلك في 1916 مع معهد "المجمع العلمى المغربى" ومجلته "الإصلاح" وقد كان الهدف من ذلك بثّ الأفكار الإصلاحية، والتركيز على مسألة إصلاح التعليم باعتباره الدعامة الأساسية في حركة التغيير، بتقويم مناهجه التقليدية الكلاسيكية إلى مناهج أكثر حداثة، وعليه يكون المسار النضالي سوياً وصحيحاً<sup>(4)</sup>.

لقد بدا واضحا تأثر الحركة الإصلاحية المغربية بفكر أقطاب الجامعة الإسلامية في نزعتهم التجديدية النقدية للنظم الدينية الشرعية والعقدية، خاصة الشيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضا وعليه

(1) انظر: أحمد الشرباطي: مرجع سابق، ص 235.

(2) أسسها أحمد بالفريخ في 2 أوت 1926، ضمت كل من المكّي الناصري، محمد القبّاج، محمد بنونة، ثم صار لها فروع في الإقليم المراكشي، منها فرع تطوان الذي تولاه الشيخ عبد السلام بنونة، وفرع طنجة الذي ترأسه كل من عبد الله ككون ومحمد الحدّاد ومحمد بودقة؛ انظر: عبد الكريم غلاب: مرجع سابق، ج 1، ص 38.

(3) على غرار الحركة الوطنية التونسية، فقد تبى الشباب المغربى الحامل للثقافة الغربية مبادئ الجامعة الإسلامية الفكرية والسياسية وأهمهم: الزبير سيكرج، أحمد الجبلي، الطاهر بن الحاج الأودي، الطيب المصطفى بن عبد السلام الزاودي الطنجي؛ انظر: محمد المتونى: مرجع سابق، ج 2، ص 308.

(4) لقد بدأت محاولات إصلاح التعليم في المغرب وجامعة القرويين منذ الفترة التي سبقت الحماية على عهد السلطان عبد الحفيظ حيث كلف محمد بن الحسن الحجوي بمهمة تنفيذ مشروع إصلاح التعليم. انظر: أحمد مالكي: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1994، ص 242.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

فقد كان الهدف الأسمى للحركة الإصلاحية المغربية الإعراض عن مبدأ " اعتقد ولا تنتقد " الذي تمخّض عنه ميلاد ظاهرة الجمود وعدم الابتكار والخوض في القضايا المستحدّة<sup>(1)</sup>.

وقد جسّد هذه الأمراض الثقافية الحضارية، بعض الطّرق الصّوفيّة ذات المبادئ التي حادت عن المنهج التّصوّف السنيّ في الصفاء والزهد والتّقشّف والجهاد<sup>(2)</sup>، وتحوّلت إلى منابر لنشر الشّرك كالتمبّك بالأشجار والأحجار والاستغاثة بقبور الأولياء، وبثّ القدرة إلى عقائد المسلمين المغاربة على أنّ الاستعمار قدر محتمّ كتبه الله عليهم، وسيرفعه عنهم في أجله المسمّى من دون بذل أيّ سبب فعليّ ومنهم بعض شيوخ الطّرفيين الذين كانوا أداة تحكم روحية في يد الاستعمار الأوربي لتهدئة بلدان المغرب العربيّ في الجزائر وتونس، على غرار المغرب الأقصى الذي كان يعج بمختلف ألوان وفروع الطّرقية<sup>(3)</sup>.

من جهة أخرى فقد جعل الشيخ محمد رشيد رضا مجلة المنار منبرا لبث الفكر التجديدي مما ساهم في وضع القواعد الفكرية للحركة الإصلاحية المغربية، بصرفها إلى السبل الحقيقية-الواقعية والفعّالة من دون الاعتقاد الواهي المؤسّس على القدرات الخارقة لكرامات الأولياء، لدوّء الخطر واجتثاث العوامل والظروف المساعدة على الاستعمار؛ يشير إلى ذلك الشّيخ محمّد رشيد رضا بقوله: «... فدخلت عاصمة المملكة الحنية [فرنسا] ولم تمنعها كرامات مولاي إدريس من دخولها كما كان يقول المغاربة...»<sup>(4)</sup>، وفي ذات السياق فقد حدّر الشيخ محمد رشيد رضا سنة 1898 (السنة

(1) لقد كان المنهج التجديدي للشيخ عبده محل تأثير على علماء المغرب، كالشيخ مهدي الوزاني الذي راسل الشيخ محمّد عبده يستفتيه في ذبائح أهل الكتاب؛ انظر الملحق رقم 10.

(2) لقد مثّلت الطّرق الصّوفيّة ذات المبادئ القومية السوية منطلقا لمختلف الحركات الجهادية التي جسّدتها الثورات الشعبية في بلاد المغرب العربيّ، من ذلك أن جل المقاومات في الجزائر قادها الطّرفيين وعلى رأسهم الأمير عبد القادر الجزائري، وفي ليبيا فقد شكّلت الحركة السنوسية بمختلف زواياها سداً عسكرياً وعلمياً منيعاً في وجه المد الإيطالي، من جهة أخرى ساهمت الطّرق في الحفاظ على مقومات الهوية المغربية، نتيجة النشاط العلمي للزوايا.

(3) عبد الكريم غلاب: مرجع سابق، ج 1، ص 44.

(4) محمّد رشيد رضا: " احتلال فرنسا لمملكة المغرب الأقصى "، مجلّة المنار، مج 14، ج 5، الأحد 29 جمادى الأولى 1329/ 28 ماي 1911، القاهرة، مصر، ص 352.



## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

الأولى للمنار) مباشرة الجهاز الحكومي العلوي من مغبة المستقبل الذي يُوحى بظروف حاضره؛ حتمية الاستعمار ويُشير إلى ذلك: « حذرنا مملكة المغرب الأقصى من هذه العاقبة في السنة الأولى من سنتي المنار وجزمنا بأنها إذا دامت على تلك الحال من الجهل والفساد فإنها لا بد أن تقع في يد أوربة وبيّنا لها طريق النجاة التي تحفظ لها استقلالها، وأعدنا الذكرى وكرزناها بعد ذلك، وكان المنار يرسل إلى السلطان وكبار رجاله ولكنهم قوم لا يعقلون، وقد أبسل السلطان الذي يسمونه جاهلا، ولم يعتبر السلطان الذي يسمونه عالما، بل أبسل المملكة بأسرها، وتلك عاقبة الجهل والغرور والله عاقبة الأمور»<sup>(1)</sup>.

كما تصدر الشيخ محمد رشيد رضا للدفاع عن الهوية المغربية بتنبيه زؤاد الإصلاح المغاربة إلى خطر السياسة الفرنسية الزامية إلى فصم الوحدة العرقية للمغرب الأقصى وتفريقها إلى أمازيغ وعرب وزرع الفتنة بينهم بحجج تاريخية واهية، وهو ما يُعرف بسياسة الظهير البربري من خلال تخصيص جزء كبير من مجلة المنار للتحذير من ذلك وكشف المخططات الفرنسية بالغة الخطورة على وحدة الشعب المغربي ظل طلية قرون ولازال ضمن إطار العالم الإسلامي؛ ومبدأ محمد رشيد رضا في ذلك لا جنسية في الإسلام.

وفي ذات السياق نهض قطب الجامعة الإسلامية الأمير شكيب أرسلان بنشاط مكثف لصالح أقطار المغرب العربي، بما فيه المغرب الأقصى، وكانت البداية مع ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي التي ساندها ودعا إلى مساندها<sup>(2)</sup> ثم لعب أدوارا مهمة في تنشيط الحركة الإصلاحية المغربية، من خلال

(1) محمد رشيد رضا: " احتلال فرنسا لمملكة المغرب الأقصى " مقال سابق ، 352.

(2) لقد كان لثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي بالغ الأثر على الحس النضالي لشكيب أرسلان، إلى درجة تصنيفه ضمن الأبطال المسلمين، وعليه فقد دعا الشيخ محمد رشيد لرضا إلى مسانده و التنويه به وبثورته التي يواجه من خلالها القوات الاسبانية ببسالة وضاوة. ولم يكتف بذلك بل سانده ثورة الريف بماله حيث يصرح بأنه تبرع بأربعمائة جنيه لتكون قدوة للمساعدين أولي الألباب. انظر: شكيب أرسلان: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ، مصدر سابق ، ص 59. كذلك: أحمد الشرباطي: أمير البيان شكيب أرسلان ، ج2 ، معهد الدراسات العربية ، 1963 ، ص 644 ، 645.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

صلاته النضالية مع أقطابها في المهجر مثل أحمد بلافريج ومحمد حسن الوزاني ومحمد الفاسي<sup>(1)</sup>، غير أنه ارتبط بعلاقات نضالية مع أب الحركة الوطنية والإصلاحية المغربية عبد السلام بنونة<sup>(2)</sup>، وتوثقت أكثر بعد زيارة الأمير شكيب للمغرب سنة 1930، للوقوف ضد سياسة فرنسا الفاصمة التي أطلقت باسم "الظهير البربري"<sup>(3)</sup>. وقد أقام شكيب أرسلان بالمغرب عند عبد السلام بنونة تسعة أيام؛ تنقل بين مدن المغرب في المنطقة الإسبانية والفرنسية، وتعرف أكثر على النخبة المغربية الإصلاحية، منهم: محمد المصمودي، محمد الوزاني، عبد السلام الطنجي، محمد باغوز، حسين بن عبد الوهاب، محمد عبد عزيان، محمد بن عبود، محمد بن العباس القباج، ومحمد بن أحمد بن الزبيدي<sup>(4)</sup>.

وقد تمخض عن هذه الزيارة بلورة الوعي الإصلاحي القائم على أسس الجامعة الإسلامية لدى نخبته المغربية، والذي ظهرت تجلياته واضحة مع تأسيس "الهيئة الوطنية السرية" الأولى بشمال المغرب بتطوان في سبتمبر 1930، والتي ستلعب أدوارا مهمة في مسار الحركة الإصلاحية والوطنية المغربية وكذا تأسيس الجمعية السرية المعروفة بـ "الزاوية" بفاس وفروعها المعروفة بالطائفة، وتأسيس لجنة للدفاع عن المغرب التي عُرفت بـ "جمعية الدفاع عن المغرب" في القاهرة، بقيادة عبد الخالق الطريس في 23

(1) Ben Jelloun Abdelamjid : pages d'histoire du Maroc, le patriotisme Marocain face du protetorat espagnol , El maàrif al Jadida , Rabat ,1993 , p 205 , 206.

(2) وقع أول اتصال بين عبد السلام بنونة والأمير شكيب أرسلان في شهر مارس 1930. انظر: حكيم محمد بن عزوز : أب الحركة الوطنية المغربية الحاج عبد السلام بنونة، حياته ونضاله ، ج 1 ، مطبعة الساحل ، الرباط ، المغرب الأقصى ، 1987 ، ص 429.

(3) لقد زار شكيب أرسلان المغرب الأقصى نتيجة سلسلة من العوامل وأسباب ولعل أهمها سياسة الظهير البربري الخطيرة. انظر: حكيم محمد بن عزوز : وثائق حول زيارة الأمير شكيب أرسلان للمغرب الأقصى ، مطابع الشويخ ، تطوان ، المغرب الأقصى ، 1980 ، ص 20 ، 21.

(4) للمزيد حول الزيارة انظر: حكيم محمد بن عزوز : وثائق حول زيارة الأمير شكيب أرسلان للمغرب الأقصى ، مرجع سابق ، ص 21-40.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

نوفمبر 1930<sup>(1)</sup>. وبعد مغادرة شكيب للمغرب استمرت علاقاته النضالية مع نواة الحركة الوطنية في فرنسا وهم طلبة المغرب في فرنسا، الذين أسسوا رفقة إخوانهم المغاربة " إتحاد طلبة شمال إفريقيا المسلمين"، وكذا برواد الحركة الإصلاحية المغربية خاصة عبد السلام بنونة من خلال المراسلات للتعرف على أوضاع المغرب وتوجيه المسار النضالي خصوصا فيما يتعلق بالظهير البربري<sup>(2)</sup>، الذي شن شكيب إرسال حملة ضده، من خلال التعريف بسياسة فرنسا التي لا تحترم وحدة الشعوب في أصولهم ودينهم في جريدته الأمة العربية، وعن طريق مراسلة مختلف الجرائد كالشورى والفتح والمؤيد والمنار التي عمل صاحبها محمد رشيد رضا، على تخصيص جزء كبير من المجلة للتنديد بتلك السياسة الخطرة<sup>(3)</sup>.

كما كان لشكيب دورا في تأسيس "الحزب الإصلاحي الوطني"، من خلال توجيهاته للحاج عبد السلام بنونة الذي استشاره حول ذلك في مراسلاته له<sup>(4)</sup>، فبارك الأمير إرسال هذه الخطوة النضالية التي عبّرت عن مدى تبلور الوعي الإصلاحي، وأسدى له عديد النصائح لتكون مصدر توجيه قويم بالنسبة لحزب يعيش مخاضه أو في طور التكوين، باعتبار خبرة شكيب في الميدان. وعند انعقاد المؤتمر الإسلامي بالقدس ( 7 - 17 ديسمبر 1931 ) لتدارس أوضاع وأحوال الشعوب الإسلامية حضر وفدًا لتمثيل المغرب الأقصى<sup>(5)</sup> وبدعم من شكيب إرسال الذي جعل أولى اهتماماته التأكيد على وحدة المغرب الأقصى ضمن إطاره الإسلامي، تم إدراج مسألة "الظهير البربري" في برنامج

(1) لقد حاز في نفس شكيب إرسال ما وصل إلى الغرب من الدسّ والمؤامرة الهادفة إلى تشتيت المسلمين فرقا وطوائف ومنها دسياسة الظهير البربري، التي شنع بها وشنع بعملائها الذين روجوا لها من المسلمين المغاربة. انظر: شكيب إرسال: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ، مصدر سابق ، ص 64 ، 65. حكيم محمد بن عزوز: أب الحركة الوطنية المغربية ... ، ج 2 ، مرجع سابق ، ص 9-19.

(2) للاستزادة؛ انظر: بنونة الطيب: نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب إرسال والحاج عبد السلام بنونة ، مطبعة الأمل ، طنجة ، المغرب الأقصى ، 1980.

(3) انظر: بوعيداد الحسن : الحركة الوطنية والظهير البربري ، دار الطباعة الحديثة ، الدار البيضاء ، المغرب الأقصى ، 1979 ، ص 184.

(4) بنونة الطيب: مصدر سابق ، ص 316 ، 317.

(5) مثل المغرب في مؤتمر القدس كل من محمد المكي ومحمد بنونة الذي كان طالبا بنابلس.

## الفصل الخامس: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.

المؤتمر، حيث قام المؤتمرون بتحرير بيان ندد السياسة الفرنسية الخطيرة الهادفة إلى قسم المجتمع المغربي بضربه في وحدته العرقية والشعبية<sup>(1)</sup>. كما بعث إرسالان برقية مطولة إلى كل من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، ورئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي بتاريخ 14 أكتوبر 1925 شرح فيها الأوضاع الاستعمارية القاسية التي تعيشها مراكش وسوريا، وطالب أمريكا باتخاذ الإجراءات وما يلزمها تجاه هذه الأوضاع، وأن ترسل بعثات صحفية تخفف بها ويلات الحرب وتخلص الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال المعرضين للموت بآلات الحرب الجهنمية<sup>(2)</sup>. وعن جهود شكيب أرسلان وحرصه على استقلال المغرب الأقصى وباقي أقطار المغرب؛ يقول محمد بن عبود المراكشي: «يتذكر المغاربة ما قدمه إليهم من خدمات، ويذرفون دمعا حارا على الرجل الذي فكر فيهم وعمل لقضيتهم، ويوم نسى الكثيرون أن المغرب جزء لا يتجزأ من العالم العربي، واليوم لم يكن صوت في الدنيا يدافع عنه سوى صوت الأمير شكيب أرسلان رحمه الله»<sup>(3)</sup>.

لقد ارتبطت الحركة الإصلاحية المغربية بأقطاب الجامعة الإسلامية الأربعة؛ حيث استمدت منهم آراءهم الإصلاحية التي رسمت الخطوط العريضة لمسارها، خاصة فيما تعلق بتجديد النظم العقديّة التقليدية القائمة على المحافظة، وما صاحب ذلك من جمودٍ ومُحْمَلٍ على مستوى النزعة الابتكاريّة والإبداعية للعقل المغربي، والاعتماد على القدرات الخارقة للأولياء الصالحين لدفع المضار وجلب المصالح، في الوقت الذي كانت فيه بلدان الاستعمارية قد قطعت شوطا في تطوير العلوم. وكما ساند أقطاب الجامعة الحركة الوطنية -الإصلاحية المغربية، منذ زمن فرض الحماية، بطريقة ميدانية مباشرة وتسخير صحافة الجامعة الإسلامية لتمرير أفكار المصلحين المشاركة، وإلهام رواد الحركة الإصلاحية المغربية بأسباب النهضة والخروج من دائرة التخلف خاصة الديني. ومنه فقد ظهر التيار السلفي التجديدي على أرض المغرب وتشكلت قاعدته الأساسية والتي امتدت حتى وقتنا الحاضر.

(1) انظر: بنونة الطيب: مصدر سابق، ص 282 - 286.

(2) أحمد الشرباطي: شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، مرجع سابق، ص 128، 129.

(3) أحمد الشرباطي: مرجع نفسه، ص 130.

خاتمة

### خاتمة:

إن فكرة الجامعة الإسلامية قديمة، تعود بجذورها إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم، حيث بثّ معانيها وأصولها بين المسلمين على أرض المدينة، على أساس الأخوة والوحدة العالمية من منطلق رابطة الدين الإسلامي، بعيدا عن ميزة الأجناس والأعراق، ثم أورث مراميها الشرعية-السياسية من بعده للجامعات الإسلامية السياسية التي تعاقبت على حكم العالم الإسلامي، بداية بجامعة الراشدين ونهاية بجامعة العثمانيين، التي شهد العالم الإسلامي في أواخر عهدها بالسلطة ضعفا وتقهقرا شمل كل الميادين، خاصة المجال الحضاري الذي اتسم بالتخلف والجمود، الأمر الذي هيأ البيئة الملائمة لاستقطاب الاستعمار الأوربي، و وسط هذه الظروف برز أقطاب الإصلاح لرأب الصدع وبعث أسباب الوحدة والحضارة الإسلامية، فهندسوا منظومة إصلاحية ضمّوها آراءهم لإحياء أصول الجامعة الإسلامية التي كانت تتلاشى وسط بيئة استعمارية قاهرة.

من هذا المنطلق ظهر كل من جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، محمد رشيد رضا وشكيب أرسلان؛ كأقطاب إصلاحيين جمعهم الإحساس الدائم بالمسؤولية تجاه أوضاع ومصير العالم الإسلامي وكذا الأفكار والآراء التي أرست معالم حركتهم الإصلاحية المرتكزة حول إحياء الوحدة السياسية للعالم الإسلامي بقيادة الدولة العثمانية، ثم بث الحس التجديدي لدى الفكر الإسلامي الذي كان على قدر كبير من الجمود والتحجر؛ بنذ التقليد والركود والتجديد على مستوى المناهج التعليمية ونمط التعامل مع النصوص النقلية، خصوصا ما تعلق منها بعقيدة الجبر والقدر، ثم الوقوف في وجه المد الاستعماري الأوربي الزاحف، وقد تبنى السلطان عبد الحميد الثاني هذه المنظومة الإصلاحية وجعلها سياسة رسمية للدولة العثمانية، وسعى لتحقيقها ودعم أقطابها، خصوصا ما تعلق منها بالوحدة السياسية، تحت قيادة السلطة المركزية للدولة العثمانية.

وقد كان المغرب العربي جزءا لا يتجزأ من العالم الإسلامي، انضوى تحت تاج الجامعة الإسلامية السياسية منذ ظهورها وإلى غاية تلاشيها على عهد الخلافة العثمانية. ومن منطلق فكرة "تأثير المشرق

## خاتمة

الإسلامي على المغرب العربي" فقد كانت أفطاره محل استجلاب لأفكار أقطاب الجامعة الإسلامية، ذلك أنه توفر على عوامل استقطابها، فقد كان مبتورا عن الجامعة الإسلامية السياسية واقعا تحت الهيمنة الاستعمارية، ناهيك عن شيوع التخلف الفكري الناجم عن الخمول والتقليد والاقتصار على الاهتمام بقشور بعض العلوم النقلية التي كرسّت عقيدة القدرية والتواكل والجبر، حيث شاعت البدع والخرافات والأباطيل، الأمر الذي خلق بيئة "القابلية للاستعمار".

من هذا المنطلق وجدت الآراء الإصلاحية لأقطاب الجامعة الإسلامية طريقها إلى المغرب العربي عبر منافذٍ رئيسيةٍ، تمثّلت في عودة الحجاج والمهاجرين المغاربة من المشرق الإسلامي إلى بلدانهم، بعد أن نهلوا من معين فكر الجامعة الإسلامية بطريقة ميدانية، كونهم عايشوا روادها ودعاتها. وكذا مطيئة الصحافة التي كانت تبث أفكارهم وآراءهم، خاصة مجلة العروة الوثقى والمنار التي كانت تدخل بلدان المغرب العربي عبر مصر وتونس، ومنه فقد راج الفكر الإصلاحي ببعده التجديدي لكل من الشيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضا كونهما ركّزا على مسألة التغيير الهادئ، الذي ينجح إلى بناء العقول السليمة ذات الفكر القادر على التغيير، عن طريق التربية الدينية-الاجتماعية للناشئة من المسلمين والفكر التحرري من الآراء النارية للسيد جمال الدين؛ ذلك أنه كان يسعى لتحقيق الوحدة السياسية للعالم الإسلامي بطريقة عملية انطلاقا من مبدأ المباشرة والتعجيل، اعتمادا على السلطة المركزية للدولة العثمانية والبلدان الإسلامية التي لم يصلها المد الاستعماري. وكذا أفكار الأمير شكيب الذي ما فتئ يبذل جهودا جبارة لصالح الوحدة السياسية للعالم الإسلامي، ومساندة رواد الحركات الوطنية المغاربة بطريقة ميدانية.

كما استهدف رواد الجامعة الإسلامية زيارة مختلف الأقاليم الإسلامية بما فيها أقطار المغرب حيث تمكّن الشيخ محمد عبده من تونس والجزائر، واطلع على الأوضاع الفكرية للقطين وسط بيئة استعمارية قاهرة، وقد كانت نافذة لتمرير أفكاره للأوساط الشعبية والنخب المثقفة التي تؤسس للفكر الإسلامي الإصلاحي وأساليب التغيير الهادئ، وفي السياق ذاته زار الأمير شكيب أرسلان كل من ليبيا والمغرب الأقصى لشحن المهتم واستنهاضها في القطين.

## خاتمة

لقد ساهم أقطاب الجامعة الإسلامية بأرائهم في بث حس اليقظة لدى شعوب المغرب العربي والنخبة المثقفة، ويظهر ذلك جليا من خلال اندلاع العديد من الثورات والانتفاضات الشعبية تجاوبا مع حركة الجامعة الإسلامية، ثم التأسيس لقاعدة الفكر الإسلامي الإصلاحي المرتكز على عنصر الاجتهاد والتجديد، ذلك أن البيئة الدينية-العقدية للمغرب كانت توحى بتجدد التخلف المتلون بالجمود والركود، وغلق باب الاجتهاد للخوض في المسائل الحيوية ذات الأبعاد النهضوية، الأمر الذي رسخ فكر عقيدة الجبر و"المكتوب" التي ترخص للمسلم القناعة والرضا بواقع التخلف والاستعمار دون تقديم أسباب النهضة، كونه قدرا محتملا.

من هذا المنطلق ظهر التيار الإصلاحي في الجزائر على يد ثلثة من المصلحين، الذين تأثروا بآراء أقطاب الجامعة الإسلامية الحائثة على إطلاق العنان للعقل الإسلامي للخوض في فقه النوازل والسياسة الشرعية، والوحدة السياسية بقيادة الدولة العثمانية، أمثال عبد الحليم بن سماية، مولود بن موهوب وبن خوجة، الذين ساروا على نهج التغيير الهادئ والتكيف حسب الظروف، ثم أورثوا هذا المنهج القويم إلى الرعيل الذي سيخرج التيار الإصلاحي بصفة عملية تنظيمية من خلال تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتي رفعت أهداف ومبادئ أقطاب الجامعة الإسلامية، وساهمت في التحضير لمرحلة الكفاح المسلح بتأليف العقول ذات العقائد الصحيحة، وقد امتد تأثير الفكر السلفي للجامعة الإسلامية في الجزائر المعاصرة.

ونفس الأثر ظهرت تجلياته في البلاد التونسية وبدرجة أكثر، من خلال تأسيس فرع سري لجمعية العروة الوثقى سنة 1884 بعد الزيارة الأولى للشيخ محمد عبده لها، وما تبع ذلك من يقظة اضطلع أعضاؤها الزيتونيون بمهمة بثها داخل المجتمع التونسي، فظهر معهد الخلدونية وقدماء الصادقية، وتخلي معهد الزيتونة عن مبدأ المحافظة-التقليدية، وتبنى النمط الفكري التجديدي لأقطاب الجامعة الإسلامية، فظهرت حركة التجديد الديني وراجت الصحف المناصرة لمبادئ التآزر والتضامن والوحدة الإسلامية، بقيادة السلطة المركزية الجامعة الممثلة في الخلافة العثمانية، وأكثر من ذلك صارت البلاد التونسية منفذا رئيسيا لمرور الصحف الشرقية للجهات الغربية. من هذا المنطلق ظهرت الحركة



## خاتمة

الإصلاحية في تونس كتيار ذات ثقل نضالي إصلاحي؛ ساهم بدرجة كبيرة في نشر تعاليم الدين الإسلامي النهضوية، ومبادئ عقيدته الصحيحة الحائثة على العمل وبذل أسباب الاستخلاف، وبث عناصر اليقظة للمطالبة بحق الشعب التونسي في الحرية، ثم الرقي والحضارة.

كما لعب أقطاب الجامعة الإسلامية أدوارا مهمة في تنبيه أقطار المغرب التي تأخر احتلالها، شأن المغرب الأقصى وليبيا، من خلال حث أنظمتهم السياسية القطرية، وسلطة الخلافة المركزية على الوحدة والجماعة، وبذل أسباب الحصانة، للحيلولة دون وقوعها تحت النفوذ الاستعماري أو -حتمية الاستعمار- وتأسيس القاعدة الإصلاحية ذات المرتكزات الدينية الإسلامية، لتكون منطلقا فكريا للتغيير والبناء، وتظهر تجليات ذلك من خلال ميلاد تيار رديف للجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب العربي، بمسمى السنوسية ذات منظومة عقديّة تتبنى الفكر السلفي-التجديدي لأقطاب الجامعة الإسلامية، وما صاحب ذلك من حركةٍ لإحياء تعاليم الدين الصحيحة الحائثة على العمل والاجتهاد والانفتاح الشرعي نحو الحضارات الأخرى، كما كانت البيئة الحضارية والسياسية للمغرب الأقصى محل استجلاب لأفكار رواد الجامعة الإسلامية، بالرغم من انتشار بعض المعتقدات المعادية للفكر السلفي-التجديدي، وكذا عدم إعلان المغرب الأقصى الولاء للجامعة الإسلامية العثمانية، ويظهر ذلك جليا من خلال ميلاد تيارٍ إصلاحي سلفي اتخذ من مرامي رواد الجامعة الإسلامية الفكرية مادة لحياكة المنظومة العقديّة ذات أبعاد سياسية، أرسّت معالم الحركة الإصلاحية.

## قائمة الملاحق

- الملحق رقم 01: يمين الانخراط في "جمعية العروة الوثقى السرية".
- الملحق رقم 02: جريدة العروة الوثقى لمحررها جمال الدين ومحمد عبده ومجلة المنار لمحررها الشيخ محمد رشيد رضا.
- الملحق رقم 03: رسالة الشيخ علي بن عبد الرحمن مفتي وهران إلى الشيخ بن سماية يستقصيه حول حقيقة الفكر التجديدي لقطب الجامعة الإسلامية "محمد عبده" وتأثيره على السلوك الديني للفرد الجزائري، ومرجعته الدينية.
- الملحق رقم 04: رد الشيخ عبد الحلیم بن سماية على رسالة الاستقصاء لمفتي وهران حول حقيقة منهج الشيخ محمد عبده التجديدي.
- الملحق رقم 05: صورة تذكارية لزيارة الشيخ محمد عبده للجزائر سنة 1903، وإلى جانبه الشيخ عبد الحلیم بن سماية.
- الملحق رقم 06: قصيدة من نظم الشيخ عبد الكريم العقون نشرت في جريدة البصائر سنة 1949 ترثي قطب الجامعة الإسلامية "شكيب أرسلان" وتنوه بدوه في الحركة الإصلاحية في الجزائر، والحركات الإصلاحية العربية.
- الملحق رقم 07: قصيدة شعبية بعنوان: "الحاج غليوم" تبين تفاعل الجزائريين مع سياسة الجامعة الإسلامية خلال الحرب العالمية الأولى.
- الملحق رقم 08: مقطع من دعوة أحمد الشريف السنوسي نشرها محمد رشيد رضا في المنار، تدعوا للجهاد في طرابلس ضمن الجامعة الإسلامية.
- الملحق رقم 09: رسالة من شكيب أرسلان إلى محمد رشيد رضا يحثه فيها على استنهاض همم المسلمين في العالم لمساعدة المجاهدين في ليبيا
- الملحق رقم 10: رسالة الشيخ المهدي الوزاني إلى الشيخ محمد عبده يستقصيه حول منهجه التجديدي-الانفتاحي سنة 1903.

### الملحق رقم 01: يمين الانخراط في "جمعية العروة الوثقى السرية".

« أقسم بالله العالم بالكلي والجزئي، والجلي والخفي، القائم على كل نفس بما كسبت، الآخذ لكل جارحة بما اجترحت، لأحكمَنَّ كتابَ الله تعالى في أعمالي وأخلاقي، بلا تأويل ولا تضليل. ولأجيبَنَّ داعيه فيما دعا إليه، ولا أتقاعد عن تلبيته في أمر ولا في نهي، ولأدعون لنصرتي، ولأقومَنَّ بها ما دمت حياً، لا أفضِّل على الفوز بها مالاً ولا ولداً. أقسم بالله مالك روجي ومالي، القابض على ناصيتي المصرف لإحساسي ووجداني، الناصر لمن نصره، الخاذل لمن خذله، لأبذلن ما في وسعي لإحياء الأخوة الإسلامية، ولأنزلنها منزلة الأبوة والبنوة الصحيحتين، ولأعرفنها كذلك لكل من ارتبط برابطة العروة الوثقى، وانتظم في عقد من عقودها، ولأراعينها في غيرهم من المسلمين، إلا أن يصدر عن أحد ما يضر بشوكة الإسلام، فإني أبذل جهدي في إبطال عمله المضر بالدين، وآخذ على نفسي في أثره مثل ما آخذ عليها في المدافعة عن شخصي. أقسم بهيبة الله وجبروته الأعلى أن لا أقدم إلا ما قدّمه الدين، ولا أوخر إلا ما أخره الدين، ولا أسعى قدماً واحدة أتوهم فيها ضرراً يعود على الدين جزئياً كان أو كلياً، وأن لا أخالف أهل العقد الذين ارتبطت معهم بهذا اليمين في شيء يتفق رأي أكثرهم عليه. وعليَّ عهد الله وميثاقه أن أطلب الوسائل لتقوية الإسلام والمسلمين، عقلاً وقدرَةً بكل وجه أعرفه، وما جهلته أطلب علمه من العارفين، لا أدع وسيلة حتى أحيط به بقدر ما يسعه إمكاني الوجودي. وأسأل الله نجاح العمل، وتقريب الأمل، وتأييد القائم بأمره والناشر لواء دينه. آمين».

الملحق رقم 02: جريدة العروة الوثقى لمحررها جمال الدين ومحمد عبده، ومجلة المنار

لمحررها الشيخ محمد رشيد رضا.

السنة الأولى	العدد الثاني عشر	
<p>المحررون الشيخ محمد عبده Jamal-ud-Din</p> <p>CHIEF MANAGERS AGENTS</p> <p>من هذا ان بعث البنا بشارته لرسائل لدى موسى كني وادباً فخرها به البرهان في القديس اهل امرهم فخرها الى الطريق الكبرياء بهذا العنوان 6 rue Marol, à Paris</p>	 <p>العروة الوثقى لا تشبه غيرها</p>	<p>مدير السياسة جمال الدين الكسبي الاثري Jamal-ud-Din</p> <p>GENERAL-ED-OR</p> <p>رئيس التحرير الشيخ محمد رشيد رضا</p> <p>المصدر الشيخ محمد رشيد رضا</p>
 <p>جريدة سياسية أدبية لشهر العشر</p>		
١٠ يوليو سنة ١٩٠٤	يوم الخميس ٢٢ رمضان سنة ١٣٠١	

المجلد الثالث الجزء الاول

<p>فيسر عبادي الذين يستمعون القول فينبهون أحسنه أو تلك الذين هداهم الله وأولى هم أو أول الألباب</p>	<h1>الملاحق</h1> <p>١٣١٥</p>	<p>يقول الحكيم من يشاء ومن يوثق الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يتذكر أول الألباب</p>
<p>قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوت و«مناراً» كمنار الطريق</p>		
<p>مصر في يوم السبت عمرة ذي القعدة سنة ١٣١٧ * ٢٠٠٣ مارت (آذار) سنة ١٩٠٤</p>		

المصدر: جريدة العروة الوثقى ومجلة المنار (النسخة الأصلية المصورة).

الملحق رقم 03: رسالة الشيخ علي بن عبد الرحمن مفتي وهران إلى الشيخ عبد الحليم بن سماية يستقصيه حول حقيقة الفكر التجديدي لقطب الجامعة الإسلامية "محمد عبده" وتأثيره على السلوك الديني للفرد الجزائري، ومرجعته الدينية.

«... قد كثرت علينا القلاقل في شأن ذلك الرجل الفرد الكامل الجليل الشيخ عبده الوارد لحضرتكم السعيدة ما بين قادح ومادح فمن قائل السيد من أهل الاجتهاد عالم بالمعقول والمنقول ذابا على الشريعة والدين سالك المحجة البيضاء. ومنهم من يقول أنه سني في فروع المعتزلة في الاعتقاد إلى غير هذا وتزاحمت علينا أقوالهم وتراكمت أهوائهم وخادمكم بحمد الله لا تزحزحه عواطف الأقوال ولا تزلزله عن موقفه لواعج البطالين من غير بيان قصارى الأمر، تزاحمت القلاقل من غير ترجيح فالذي يقتضيه النظر الصحيح هو الوقوف حتى يتبين الحق من غيره في قوله تعالى ﴿فتبينوا﴾ ولما أخرجته مسلم في صحيحه من قوله صلى الله عليه وسلم: (( كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما يسمع )) وهذا السيد الجليل العالم الفريد ينزهه جانبه بالمأرجحات منها حسن الضن المطلوب ومنها العدالة أصل وجرح طارئ كما هو عند الإمام الأعظم، ومنا أنه نشأ ببلدة أهلها سنيون وقرأ مع قوم على علماء سنيين وأدرك مرتبة الإفتاء الكبرى على علماء سنيين، فبعيدا أن يكون معتقده على خلاف أهل السنة والجماعة، هذا الذي اقتضاه نظر الخادم وإن كنت لست بشيء، ولعل هذا السيد سنن ابتلائه بهوس القاصرين كلامه في تأثير القدرة الحادثة الذي هو مذهب العارفين كالحاتمي وأضرابه وهي مسألة في غاية الغموض عند المقلدين الذين يزعمون أنهم خرجوا عن التقليد بإتباعهم لأقوال لا يعرفون لها رأسا ولا ذنبا وهم إلى الآن غارقون في بحر التقليد. قال صلى الله عليه وسلم (( الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أين وجدها ))، قال بعض تلامذة العارف أفلاطون الحكيم اليوناني: (( أحب أفلاطون والحق ما اتفقا فإن اختلفا فالحق )) وقوله في حق أفلاطون العارف خلاف ما يعتقد القاصرون من أنه فلسفي كافر يقال لهم وإن كان أفلاطون رئيس الفلاسفة في زمانه، ومعلمهم فهو من الحكماء المشائين، فالفلسفة ما دامت لاسمها، فعلم الفلسفة علم إلهي أتى به نبي الله إدريس على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، فإذا الفلسفي قال معناه يجب الحكمة والله يقول: ﴿يوتي الحكمة من يشاء

## الملاحق

ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ﴿ نعم دخل القيل والقال في الفلسفة من جهة آراء الفلاسفة والعقول الكاسدة تكلموا في الإلهيات بعقول ونبذوا الكتب الالهية وراء ظهورهم وسدوا أبواب الحضرة في وجوههم. ومسألة القدر الحادة هي إحدى المسائل التي وقع فيها الخلط والسخط والتكفير. والزندقة للعارفين من غيرهم ومنها مسألة وحدة الوجود ومنها مسألة النعيمية الصفات، ومنها مسألة العينية الذاتية والقرب الذاتي، ومنها مسألة تعلق السمع والبصر بالمعلوم الذي علم الله أنه سيوجد ومنها مسألة سببية المعدوم الذي علم الله وجوده، ومنها مسألة الحي لقولهم الحياة لا تتعلق بشيء مع اتفاق العارفين أنه لا تعطيل في سماء في أسماء الله، ومنها مسألة الكلام القديم بحروف وأصوات قديمة ومنها مسألة الآن الدائم المعبر عنه بالزمن. فنرغب من أحيانا تنعشنا مما علمتم من ذلك الهمام وترسل لنا رسائله في علم الكلام والله يبلغكم أقصى المرام“ .

17 ربيع الثاني 1322 / 1903.

المصدر: المهدي البوعبدلي: " جوانب مجهولة من آثار زيارة محمد عبده للجزائر عام 1903 / 1322 " ، مجلة الأصالة ، وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر ، العدد 54-55 ، السنة السابعة ربيع الأول - ربيع الثاني / فيفري - مارس ، 1978 ، ص 78 ، 79.

الملحق رقم 04: رد الشيخ عبد الحليم بن سماية على رسالة الاستقصاء لمفتي وهران حول حقيقة منهج الشيخ محمد عبده التجديدي.

«مشرفنا الذي شرفنا بشموس أنواره ورياضه طيب حياتنا الذي نتعش باستنشاق أزهاره مولانا وسيدنا علي بن عبد الرحمن أمدنا الله من همته العالية ما يبلغنا إلى المراقب ويدفع عنا كل ما يلم من المصائب والحواجب، أزكى السلام ينفح الزهر في الكمام، ويكافل قطر الغمام. وقد انهالت على رحمة ونعمة بكتابكم الشريف الذي عمي أمسه. ومما تضمنه كتابكم الرفيع استبداد رأيي فيما أعلم من فضيلة العلامة الذي شاع ذكره واشتهر أمره وأي عملا بالواجب على كل متدين من الذب عن أهل الله وإن لم يكن العلماء أولياء فليس لله ولي أصدع بما اطلعت عليه من خصائص الرجل في هذا الزمان الشبيه بزمان الفطرة. فأقول: هذا الرجل الجليل حنكته تجارب الزمان واستقصى أحوال الأمم حتى ميز منها ما شان وما زان، وتطلع من الفنون على اختلاف أنواعها ومواضعها وأعمل فكره أعمق تدبر وتفكر في الحبل المتين والقرآن المبين فأدرك قوله عز وجل لنبيه الكريم: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ فهو يرى أن كل خير صدر أو يصدر في الوجود إنما هو لمحة من شعاعه وبركة ناشئة من إتباعه فما من سعد من سعد من الأمم إلا بإتباع سنته والاهتداء بأنواره وقد أفصح عن ذلك في مقالة له طويلة يتأسف فيها على المسلمين من تركهم العمل بما أنزل عليهم من الأمر بالتعاون والتناصر واتخاذهم بدل ذلك التخاذل والتقاطع والكذب والخداع إلى أن صاروا حجة لغيرهم على دينهم وفتنة للذين كفروا، وتأخروا وتقدم غيرهم بما كانوا يتقدمون إليه في الأزمنة السالفة. قيس أضاء بالشرق ونوره بالمغرب ويرمي في جميع أبحائه إلى بيان المنازع التي منها ثار تأخر الإسلام وشقاقهم وتفرقهم، وقد بين في صدر رسالته في التوحيد بأن سبب أول شقاق بين المسلمين في الاعتقاد هو عدم اقتصارهم على كتاب الله فيما أرشدهم إلى الوقوف عند حده وإدخالها هوس الفلسفة وإعجابهم بما ينقل عن أرسطو وأفلاطون حتى تعمقوا بذلك، واشربوا إلى أمور ومباحث لا تطيقها عقولهم فتنازعوا وفرقوا دينهم وكانوا شيعا، وكثيرا ما سمعته يستدل إذا ذكر هذا وأمثاله بقوله تعالى: ﴿أن

## الملاحق

الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء ﴿١٠٠﴾، ولقد شاهدت منه كما سمعت منه قولاً أن يفر من الاختلاف فراره من الأسد، ومن عجيب أمره أنه ما خالفه مخالف في مجلسه إلا وتمكن من إلقاء القبض عليه بجند الحق حتى يوقفه لحده، وكل ذلك بكلام لا يخالطه الضغط وعقل لا يستفزه الطيش وخلق لا يأتي على وسعه ضيقاً بمقدمات ينتزعها من وجدان مخاطبه، حتى يضطر إلى الإقرار والاعتراف بنفسه من نفسه، ولعلها وراثه من شيخه جمال الدين الأفغاني، الذي تضافرت الروايات عنه أنه ما خاصم أحداً إلا وغلبه وهذا أمر معروف حتى بين علماء أوربا، ورسالته العجيبة التي ألفها في الرد على الطبائعيين، كما يشهد بهذا تلميذه الذي نحن بصدد الكلام عليه، ما أنشأه من المقالات العجيبة في الرد على الوزير "هانوتو" بما أفحمه وسيره يتشفع ويستغفر من الكلام ويعترف بغزارة علم الرد عليه عند تعرضه للطعن في الديانة الإسلامية وفي مثل هذا المقام تتبين الرجال من ريات الحجاب وتظهر أرباب الغيرة من أصحاب الحيرة، وبعدما رد عليه وأسمعه أليم الكلام، وجرعه مر الزعاف مر على بلده عند سفره إلى الجزائر وهو باق في سطوة وزارته منطو على بث في ضمائره فأضافه وأكرم ماث وأرسل إلى النواحي يريد التجول فيها بالوصايا للقائمين بها على إكرامه وإسعافه في بجولاته ومثلكم لا تخفى عليه هذه الأسرار. وإني لفي أول ملاقات بيني وبينه في محل ذكرته فيما عليه طلبة الزمان من اقتناعهم بتحصيل قواعد العلم دون تحصيل ملكة راسخة في النفس التي هي المقصود بالذات من العلم، فقال لي هذا الذي نحن قائمون بالبحث عليه، واننا لنرى أن تحصيل اللغة على وجه المطلوب هو رابطة هذا الدين القويم والدين كله كلام الله العظيم الذي لما سمعه أعرابي سجد لفصاحته فمرادنا أن الناس بالأقل يتعلمون لسانه تعلماً حقيقياً، فيدركون ولو رتبة هذا الأعرابي واغرورقت عيناه بالدموع. وبالجملة يتلخص من أحوال هذا الرجل أن لا يرضى لهذه الأمة من علم اللسان إلا أفصحه، ومن علم العقائد إلا أوثقه وأصدقه ومن علم الفقه إلا أوفقه وأجمعه وأبعده ويبين لهم أنه يمكنهم الاجتماع و إن تعددت المذاهب فإن دين الله واحد يرجع إلى شريعة واحدة ويمكن لكل إنسان أن يعمل بجميع المذاهب و بالتقليد والتأفيق وذلك أولى من التنافر و التفريق الذي صير الأمة طرائق قددة و ملخص التزام مذهب معين تحجير على الأمة التي اتسعت بتعدد المذاهب ولا



## الملاحق

ي عقل أن هذه المذاهب رحمة إلا إذا كان العمل بها مفتوح لجميع الخلق فكل من عمل يقول من أقوال المذاهب فهو على شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم. ولذلك دعى العلماء على أن يجمعوا من المذاهب مذهباً لا يخرج عن أقوالها يتيسر به العمل لجميع الناس ويرتفع بينهم الخلاف وروغان القضاة في الأحكام وجريهم على حسب الأغراض والأقوال التي تلائم أغراضهم ويجنح على من حضه بأن الناس كانوا قبل زمن الأئمة الأربعة رضي الله عنهم يعملون بكل ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسأل أحدهم سيدنا علي رضي الله عنه وكرم وجهه مثلاً فيعمل بما أخبره به وصحابي آخر فيعمل به وهكذا فلما بدل هذا المنوال بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم ، وله من مثل هذه الأمور التي يقصد بها رفع الخلاف بين الأمة وجرهم إلى الوفاق في كل مقام يلوح له فيه مثار الخلاف ما لا يمكن أن يعد ولا يحصى وهو مقاله في هذا المقام لا يتغير ولا يتكرر ولا يألم من قدح قاده

في جميع أوقاته على تدبر آية القرآن واستنباط وجوه الحكم من كلامه وكفك ما بلغنا أنه إذا بلغ شهر رمضان لا يخرج إلى أحد من الناس. الأيام ثم يتعرض لموقف معاصره منه وما جره له خصومه من الاتهامات . إلا أن الجدل لما كان ينزل في كلامه للعقول بما ألفتها من الإنكار و الأفكار والإنضار والعلوم الجارية وكثيراً ما يجاري الأفهام بما ألفتها فتجد الناس في أمرهم بين فرقتين فرقة ألفت العبير بالعبارات القديمة وكادت أن تتخذ عندهم ما يتعبد بذكره ولا تحصل البركة والنفع إلا بلفظه فرمما تطرق إلى أذهانهم أنه زنديق يحاول بعباراته تدريج الناس إلى الأخلاق والأفكار الأوروبية خصوصاً مع كونه أنه قد دارس العلوم الأوروبية وأتقن ألسنتهم فكان ذلك ما يقوي الشبهة فيه والله يعلم أنه ممن يستمع القول فيتبع أحسنه“ الفقير إلى مولاه عبد الحليم بن سماية في 29 ربيع الثاني 1322هـ / 1903.

المصدر: المهدي البوعبدلي : " جوانب مجهولة من آثار زيارة محمد عبده للجزائر عام 1903 / 1322 " ، مجلة الأصالة ، وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر ، العدد 54-55 ، السنة السابعة ربيع الأول - ربيع الثاني / فيفري - مارس ، 1978 ، ص 79-82.

## الملاحق

الملحق رقم 05: صورة تذكارية لزيارة الشيخ محمد عبده للجزائر سنة 1903، وإلى جانبه

الشيخ عبد الحلیم بن سماية



المصدر: سليمان بن رابح: العلاقات الجزائرية العربية بين الحربين ، رسالة ماجستير ، إشراف : صالح فركوس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم التاريخ وعلم الآثار ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2007 – 2008 ، 177.

## الملاحق

الملحق رقم 06: قصيدة من نظم الشيخ عبد الكريم العقون نشرت في جريدة البصائر سنة 1949 ترثي قطب الجامعة الإسلامية "الأمير شكيب أرسلان" وتنوه بدوه في مؤازرة الحركة الإصلاحية في الجزائر، والحركات الإصلاحية العربية.

هوى كوكب الشرق المنير أرسلان  
هوى بعد نور ساطع متألق  
هوى بعد أن أدى الرسالة وأثنى  
قضى فبكته العرب شرقا ومغربا  
فهيأ استمع للشعر بيكيك حسرة  
فقدنا الذي يحمي حمانا من العدى  
فقدنا سياسيا خطيرا مدريا  
فقدنا نصيرا للحقوق محاميا  
فقدناك يا خذن المعالي منافحا  
وخلقت جرحا للعروبة داميا  
فوارحمنا للعرب تبكي فقيدها  
لنا الله من خطب به انهد ركننا  
خلقت لين الله والضاد صارما  
ثمانون عاما في الكفاح قضيتها  
فيا علما قد كان في الشرق خافقا  
بني العرب والإسلام في كل موطن  
فها هو ذا شعب الجزائر رافعا  
لقد غاب من كان للعرب حاميا  
وقفت بوجه الغرب تزار طالبا  
فكل فؤاد فيه هم وأحزان  
فوا أسفا قد ودع البدر لبنان  
إلى العالم بالحق والعدل يزدان  
وناح عليه الشعر والشعر وهان  
فللشعر في ذكرك دمع وألحان  
ويقدم مثل الليث والليث غضبان  
أخا عزمات لا يجاريه انسان  
يدافع عنها فهو للحق معوان  
عن العرب تبني مجدهم أين ما كانوا  
وجزنا به تصلى قلوب وأبدان  
شكيبا لها دمع مدى الدهر هتان  
وفي الشرق ما تنفك تنهد أركان  
فأنت لعمر -الله- للمجد عنوان  
ذيادا عن الفصحى به الغرب حيران  
به يجتمي حق مهان وأوطان  
عزاء جميلا أن تولى أرسلان  
تعازيه يحدوها عويل وأرنان  
فتبنا نعاني الهم والقلب أسوان  
حقوقا بما تحيا الشعوب والبلدان

المصدر: جريدة البصائر ، العدد 17 ، السنة الثانية ، الاثنين 14 جمادي الأولى 1368 / 14 مارس 1949 ، ص 07.

## الملاحق

الملحق رقم 07: قصيدة شعبية بعنوان: "الحاج غليوم" تبين تفاعل الجزائريين مع سياسة الجامعة الإسلامية خلال الحرب العالمية الأولى.

الجزائر ماشي ديا لك	يا الفرنسيس واش في بالك
لابد ترجع كيــــــــف زمان	يجي لالمان يديها لك
الحاج غيــــــــوم يطلع سعده	أي أي كي نعمــــــــل له
نحنونا من عنــــــــد والدينا	يا رب واش هذا الغينا
دابا ناكلوا صــــــــوبة في الغامبلا	كنا ناكلوا كوارع وتفينا
كيف الغنم يحسبــــــــو فينا	كيف اركبنا في الماشينا
يا رب واش هــــــــذا الغينا	ووالدينا بيكــــــــو علينا
اداونا لاولاد والشبــــــــان	أي يا لهذا لالــــــــمان
والمكحلة في يــــــــده	كان اوليدي في الطرانشي
أو خلات له دمــــــــه سواقــــــــي	حكمااته رصاصة في جبينه
الحاج غيــــــــوم يطلع سعده	أي أي كــــــــي نعمل له
بسناجق ترفرف خضــــــــرا	الجــــــــزائر لك البشري
وسفاينا تمشــــــــي وتروح	الدرديليل أصبح مفتوح
الله ينصر الحــــــــجاج غيوم	يا حــــــــي يا قيوم
الله يخذل جيش الموســــــــكو	يا رب يا ذا الملــــــــك
الله يذل جيــــــــش لافرانص	نتســــــــول لك بالخواص
أخلي الملــــــــك من جنس الإنجليز	يا جــــــــار يا عزيز
أمين يا رب العالمــــــــين	أمين اميــــــــن

المصدر: جفلول عبد القادر: الاستعمار و الصراعات الثقافية في الجزائر، ترجمة: سليم قسطون، دار الحداثة للنشر و التوزيع، بيروت، 1984، 187.

الملحق رقم 08: مقطع من دعوة أحمد الشريف السنوسي نشرها الشيخ محمد رشيد رضا في مجلة المنار، تدعوا لجهاد الإيطاليين الكفار في طرابلس ضمن الجامعة الإسلامية.

## دعوة سيدي أحمد الشريف السنوسي ( إلى جهاد الإيطاليين في طرابلس. القرب و بركة )

المشور الذي نصره في القرب

( بسم الله الرحمن الرحيم )

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

انه من عباد ربه سبحانه احمد بن السيد محمد الشريف بن السيد علي السنوسي الخطابي الحسني الادريسي الى كل واقف عليه من عموم المسلمين خصوصاً البلاد التي استولى عليها أعداء الدين

الحمد لله العزيز الجبار ، والصلاة والسلام على من أطال عن الدين بالبنار ، وعلى آله الانصار ، القانتين بإجاب ( قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ) الصادقين ما هادوا الله عليه ، القانتين من حلاوة الشهادة ما أحبوا منارفة النعم المقيم للرجوع اليه ، أما بعد اهدائي أطيب السلام ، والدعاء ثبات الاقدام ثبات الدين بالبنار ، اطسوا « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ، فاستبشروا ببيعكم وجاهدوا متخذين نصره سيفا وولايته جنة ، وأصموا ما نهيكم به على الوفاء بتسليم للبيع من الوعد بالرجح الجسيم ، في قوله « هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم \* تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأتسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون \* ينفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار خالدن فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم \* وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » واحذروا ما توعد به المماطل من السذاب والتدمير ، في قوله « ما لكم اذا قيل لكم اتقوا الله انما قلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل \* إلا تقروا بصدقكم عذابا ألياً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضرهم شيئاً والله على كل شيء قدير »

المصدر: مجلة المنار ، ج 2 ، مج 15 ، صفر 1330هـ/ فيفري 1912م ، ص 109.

## الملاحق

الملحق رقم 09: رسالة من شكيب أرسلان إلى محمد رشيد رضا سنة 1911 يحثه فيها على استنهاض همم المسلمين في العالم لمساعدة المجاهدين في ليبيا.

«سيدي الأخ الفاضل. أعلم أن جهادكم في تهذيب الأنفس وإقامة الشريعة على قواعد العالم وأخذ المؤمنين بحقيقة الدين، وإثلاج الصدور ببرد اليقين، هو الجهاد الأكبر والبلاء الأسنى، والذي فيه استكمال الحسنى وأن الأمة التي تفهم الدين فهمكم، وتفقه الشرع فقهمكم، لا يخشى عليها من اعتداء إيطالي واستبداد أجنبي. ولكن جهادكم هذا غرس لم يحن ايناعه، وزرع لم يئن ارتفاعه، ودون وصول ثمرته إلى درجة الوفاء بالغرض أيام وليالي. ونحن الآن في خطب مستعجل الرب... وقد ظهر لنا بعد تقلب وجوه الحيل كلها، وتمحيص آراء الإغاثة بأجلها، أنه لم يبق إلا طريق البر، وأن هذا الطريق مهما كان شاقا صعبا طويلا معطشا، فإنه الوصلة الوحيدة والممر الممكن. وإن طريقا سلكه آباؤنا مرارا في فتوحاتهم ومغازيهم لجدير بأن نسلكه نحن في أخرج موقف أضيق حال، فإن لم تساعد السياسة على إمرار جنود منظمة، فلا أقل من متطوعة، وإن لم يمكن نحوض متطوعة فلا أقل من تسرب الذخائر وأرزاق على ظهور الجمال، فإن طرابلس وبنغازي والصحراء ومن قوم السنوسي رجالا يشاغلون سنسن طوال لو جرى مسألة معيشتهم إذ ذاك، إذ هناك رجالات كثيرة، وفروسية ونجدة وبغضاء للعدو، ولدى الدولة عدة آلاف من الجند وأسلحة وعدة وإنما يخشى على أولئك من الجوع وقلة الطعام. أفلا ينهض الإسلام في كل هذه الممالك إلى إغاثتهم بما يمسك أرقامهم على الأقل حتى تطول الحرب، ويستمر الدفاع، فإن طول الحرب يستدعي تدخل الدول، ويفت في عضد تجارة إيطالية. أفلا يمكنكم في مصر عقد الاجتماعات لوضع هذه الإعانة في موضع التحقيق، وإيفاد السعاة إلى الهند وإلى السنوسي... قصدت استيراء زندقكم في هذا الغرض، وليس ذلك على همتمكم بعزيز، ونحن في انتظار الجواب، شد الله بكم الأزر، و وفقكم إلى هذه الغاية، أفندم». أخوكم أرسلان

المصدر: الشرباطي أحمد: شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، المؤسسة المصرية العامة للتأليف

والنشر، القاهرة، مصر، 1963، ص 30 - 32.

## الملاحق

الملحق رقم 10: رسالة الشيخ المهدي الوزاني إلى الشيخ محمد عبده، يستقصيه حول منهجه التجديدي-الانفتاحي في نازلة الذبائح أهل الكتاب، بعد زيارته للجزائر سنة 1903.

« الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله. سيدنا الإمام، المتبحر مفتي الأنام القائم بشريعة الإسلامية، الحائز قصب السبق، في الفضل والتقديم والمجد، الأستاذ مفتي الديار المصرية أبو عبيد الله سيدي محمد عبده، سلام على سيادتكم ورحمة الله. أما بعد: فالمقصود الإعلام بأننا على محبتكم وودادكم وإن لم نركم بالأبصار، لكن نرجو الله تعالى بفضله أن يجمعنا بكم في هذه الدار، وقد أخبرني عن سيرتكم ومحاسنكم صاحبنا وحبينا الفقيه الوزير العلامة الأسعد، البركة الفاضل الأجد أبو عبد الله سيدي محمد القباص الفاسي وزير الحرب الآن الذي كان سفيرا بالجزائر قبل هذا الوقت، وإن كان لم يتلاق معكم أيضا هناك وقد تأسف على ذلك. وجاءه خبركم وهو بوجدة فرجع سريعا للجزائر بقدر ذلك فلم يلحقكم هناك، وإن كان تلاقي معكم بجله المبارك الميمون سيدي محمد لكنه لم يكتف بذلك، ولا زلنا جميعا نرجو الله تعالى أن يجمعنا بسيادتكم على أحسن حال، بجاه النبي والآل. ثم أنه كان سألني بعد قدومه من الجزائر عن ذبيحة أهل الكتاب فأجبت بما قاله الإمام ابن العربي وغيره من حليتها، وقد كانت وقعت فيها بفاس مذاكرة قبل هذا الوقت فكتبت فيها جوابا بذلك فإذا جاءتنا جريدة من محروسة قصر فيها فتواكم عن ثلاث مسائل، فأعجبني وسررت بها غاية السرور، وضمنتها كتابا لي في النوازل لحسنها، ثم لما رأيت في تلك الجريدة نفسها كلاما لبعض المارقين من الدين اغتظت لذلك، وعزمت أن أوجه لكم بعض ما كنت قيدته فيها من كلام الأئمة المهتدين فشاورت في ذلك الوزير المذكور، فحث علي في تقديم إرساله على جميع الأمور، وأعجبه ذلك مظهرها به غاية الفرح والسرور. ومسلما عليكم أيضا وطالبا أدعيتكم في الخلوتكم وجلوتكم والسلام»

المهدي الوزاني بفاس.

المصدر: المنوني محمد: مظاهر يقظة المغرب العربي الحديث، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1985، ص 327، 328.

قائمة

المصادر والمراجع



## قائمة المصادر والمراجع

### قائمة المصادر والمراجع:

#### 1 - المصادر والمراجع بالعربية:

##### أ - المصادر:

- 1 - الإبراهيمي محمد البشير : آثار البشير الإبراهيمي ، ج1 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1978.
- 2 - ابن أبي الضياف أحمد: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، ج5 ، الدار التونسية للنشر ، 1990.
- 3 - أرسلان شكيب : السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة ، تعليق : مدحت يوسف السبع ، دار الفضيلة ، القاهرة ، مصر ، 2006.
- 4 - أرسلان شكيب : السيرة الذاتية ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، 1969.
- 5 - أرسلان شكيب : بنو معروف أهل العروبة والإسلام ، تقديم : سعيد المولى ، دار الدعوة ، بيروت ، لبنان ، (د.ت).
- 6 - أرسلان شكيب : لماذا تأخر المسلمون، ولماذا تقدم غيرهم ، مراجعة: الشيخ حسين تميم ، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، (د.ت).
- 7 - الأفغاني جمال الدين : الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني ، دراسة وتحقيق : محمد عمارة ، ج1، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، مصر ، 1968.
- 8 - الأفغاني جمال الدين : رسالة الرد على الدهريين ، ترجمة: الشيخ محمد عبده ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، مصر ، 1925.
- 9 - الأفغاني جمال الدين ومحمد عبده : العروة الوثقى ، إعداد وتقديم : سيد هادي خسرو شاهي ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، 2002.
- 10- أمين أحمد : زعماء الإصلاح ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، 1971.
- 11 - بروكلمان كارل : تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط10 ، 1984.
- 12 - بن عاشور محمد الفاضل: الحركة الأدبية والفكرية بتونس ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1972.
- 13 - بن عاشور محمد الفاضل: تراجم الأعلام ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1970.
- 14 - بن عبد الوهاب محمد : رسالة التوحيد ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، مصر ، (د.ت) .

## قائمة المصادر والمراجع

- 15 - بيرم محمد الخامس : القطر التونسي في صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار ، تحقيق وترجمة : علي الشنوفي وآخرون ، بيت الحكمة ، قرطاج ، تونس ، 1989.
- 16 - الحصري ساطع : الدولة العثمانية والبلاد العربية ، ط2 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1960.
- 17 - حلیم إبراهيم بك : الدولة العثمانية العلية ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، 1988.
- 18 - خير الدين التونسي: أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ، تحقيق : منصف الشنوفي ، ط2 ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1986.
- 19 - رضا محمد رشيد : المنار والأزهر ، مطبعة المنار ، القاهرة ، مصر ، 1934.
- 20 - رضا محمد رشيد : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده ، ج1 ، ط2 ، دار الفضيلة ، 2006.
- 21 - رضا محمد رشيد: الخلافة ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، 1994.
- 22 - ستودارد لوثيرب: حاضر العام الإسلامي ، تعريب : عجاج نويهض ، تعليق : شكيب أرسلان ، (ج1+ج2) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (د.ت).
- 23 - السنوسي محمد : النازلة التونسية ، تحقيق محمد الصادق بسيس ، ط1 ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1976.
- 24 - عبد الحميد الثاني (السلطان) : مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني ، ترجمة وتقديم : محمد حرب ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، 1991.
- 25 - عبد القادر الجزائري (الأمير): ديوان الأمير عبد القادر ، تحقيق وشرح : زكرياء صيام ، ديوان المطبوعات الجامعية - المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، 1988.
- 26 - عبده محمد : الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ، تحقيق وتقديم : محمد عمارة ، ج3 ، ط1 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1993.
- 27 - عبده محمد : رسالة التوحيد ، تحقيق محمد عمارة ، دار الشروق ، بيروت - لبنان ، القاهرة - مصر ، دار الفكر الإسلامي ، 1994.
- 28 - الفاسي علال: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي ، ط2 ، دار الطباعة المغربية ، تطوان ، المغرب الأقصى ، 1948.
- 29 - الكواكبي عبد الرحمان: أم القرى ، ط1 ، مؤسسة ناصر الثقافية ، بيروت ، لبنان ، 1981.
- 30 - الكواكبي عبد الرحمان: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، ط1 ، مؤسسة ناصر الثقافية ، بيروت ، لبنان ، 1950.

## قائمة المصادر والمراجع

- 31 - المدني أحمد توفيق : حياة كفاح، مذكرات، (1925-1954)، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
- 32 - الناصري أبو العباس بن خالد : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج7، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.
- ب - المراجع:
- 1 - إبراهيم سعد الدين : اتجاهات الرأي العام العربي نحو مسألة الوحدة، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1985.
- 2 - إبراهيم شحاتة: أطوار العلاقات المغربية العثمانية، دار منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1982.
- 3 - أبو الأجفان محمد : بناء المغرب العربي، سلسلة الدراسات الاجتماعية، تونس، 1983.
- 4 - أبو زيد فاروق: أزمة الفكر القومي في الصحافة المصرية، القاهرة، مصر، 1976.
- 5 - أتوري روسي: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، ترجمة: خليفة محمد التليسي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1974.
- 6 - أجيرون شارل روبيير: تاريخ الجزائر المعاصر، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1986.
- 7 - أحمد صلاح زكي: أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، مركز الحضارة العربية، القاهرة، مصر، (د.ت).
- 8 - آل حمزة خالد بن فوزي بن عبد الحميد: محمد رشيد رضا طود وإصلاح دعوة وداعية، ط2، دار علماء السلف، المملكة العربية السعودية، 1994.
- 9 - آلتحان جواد رفعت : الخطر المحيط بالإسلام، ترجمة : وهبي عز الدين، (د.م)، بغداد، 1965.
- 10 - الأمين محمد ومحمد علي الرحماني : المفيد في تاريخ المغرب، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب (د.ت).
- 11 - أنطيوخس جورج : يقظة العرب، ط3، ترجمة : ناصر الدين الأسد وإحسان حقي، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، (د.ت).
- 12 - أنيس محمد : الدولة العثمانية والشرق العربي، 1514-1914، دار تكنو-برنت للطباعة، القاهرة مصر، 1985.
- 13 - أوزتونا يلماز : تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سليمان، مج1، مؤسسات فيصل للنشر، إسطنبول، تركيا، 1988.

## قائمة المصادر والمراجع

- 14 - أيوب إبراهيم : التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، 1989.
- 15 - باربارو نيقولو : الفتح الإسلامي للقسنطينية، يوميات الحصار العثماني 1453 ، ترجمة : حاتم عبد الرحمان ، ط1 ، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية ، مصر ، 2002.
- 16 - بسيس محمد الصادق: محمد السنوسي حياته وآثاره ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1976.
- 17 - بن المرجة موفق: صحوة الرجل المريض ، صقر الخليج للنشر ، الكويت ، 1984.
- 18 - بن سلامة البشير : ثورة بن غداهم ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1967.
- 19 - بن عبد الجليل أبو مكرم: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في شبه القارة الهندية بين مؤيد ومعارض ، مطبعة الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1988.
- 20 - بن عزوز حكيم محمد: أب الحركة الوطنية المغربية الحاج عبد السلام بنونة، حياته ونضاله ، ج1 ، مطبعة الساحل ، الرباط ، المغرب الأقصى ، 1987.
- 21 - بن عزوز حكيم محمد: وثائق حول زيارة الأمير شكيب أرسلان للمغرب الأقصى ، مطابع الشويخ ، تطوان المغرب الأقصى ، 1980.
- 22 - بن قفصية عمر: أضواء على الصحافة التونسية ، دار بوسلامة للنشر ، تونس ، 1972.
- 23 - بن ميلاد أحمد ومحمد مسعود إدريس: الشيخ عبد العزيز الثعالبي والحركة الوطنية (1892-1940) ، ج1 ، بيت الحكمة ، تونس ، 1991.
- 24 - بن نبي مالك : مذكرات شاهد القرن ، ج1 ، دار الفكر ، الجزائر ، 1984.
- 25 - بن نبي مالك: شروط النهضة ، ترجمة : عمر كامل مسقاوي و عبد الصبور شاهين ، ط4 ، دار الفكر، دمشق سوريا ، 1987.
- 26 - بن نبي مالك: وجهة العالم الإسلامي ، ط5 ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1986.
- 27 - بنجامين سطورا: مصالي الحاج رائد الحركة الوطنية الجزائرية 1898 - 1974 ، ترجمة: الصادق
- 28 - عماري ومصطفى ماضي ، منشورات الذكرى الأربعين ، الجزائر ، 1998.
- 29 - بوحوش عمار: تاريخ الجزائر السياسي، من البداية ولغاية 1962 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1997.
- 30 - بوذينة محمد: مشاهير التونسيين ، ط2 ، الدار التونسية للطبع ، تونس ، 1992.
- 31 - بوعزيز يحي : الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية من خلال النصوص 1912/1948 ، ط1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1991.

## قائمة المصادر والمراجع

- 32 - بوعيداد الحسن : الحركة الوطنية والظهير البربري ، دار الطباعة الحديثة ، الدار البيضاء ، المغرب الأقصى ، 1979.
- 33 - بوعيداد محمد محمود آخرون : المجتمع العربي والقضية الفلسطينية ، تقديم : حسن الساعتي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1981.
- 34 - التليلي العجيلي : صدى حركة الجامعة الإسلامية بالمغرب العربي 1876 - 1918 ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، 2005.
- 35 - الجابري محمد صالح: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900 - 1962 ، الدار العربية للكتاب الجماهيرية العربية الليبية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1983.
- 36 - جبران محمد مسعود : سليمان الباروني، آثاره ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، 1991.
- 37 - جغلول عبد القادر : الاستعمار و الصراعات الثقافية في الجزائر ، ترجمة : سليم قسطون ، دار الحداثة للنشر و التوزيع ، بيروت ، 1984.
- 38 - الجندي أنور : الوحدة الإسلامية وضرورتها والوسائل العلمية لتحقيقها ، دار الصحوة ، القاهرة 1994.
- 39 - الجندي أنور : اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار منذ ظهورها إلى أوائل الحرب العالمية الأولى ، دار الاعتصام ، القاهرة ، (د.ت).
- 40 - الجندي أنور: السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية ، دار ابن زيدون ، بيروت ، لبنان 1997.
- 41 - الجندي أنور: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة 1965.
- 42 - جوليان أندري: إفريقيا الشمالية تسير، القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية ، ترجمة: مجموعة من الأساتذة ، الدار التونسية للنشر، تونس-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1976.
- 43 - جيلالي صاري : بروز النخبة المثقفة الجزائرية ، (1850-1950) ، ترجمة : عمر المعراجي ، الوكالة الوطنية للنشر والإشهار ، الجزائر 2007.
- 44- الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام ، ج 4 ، ط 2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر- دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1982.

## قائمة المصادر والمراجع

- 45 - حراز السيد رجب : الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب 1840 - 1909 ، معهد البحوث والدراسات العربية ، مصر ، (د.ت).
- 46 - حران تاج السر أحمد : حاضر العالم الإسلامي ، ط1 إشبيليا للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، 2001.
- 47 - حرب محمد : السلطان عبد الحميد الثاني ، ط2 ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، 1991.
- 48 - الحسيني محمد الهادي : نجوم ورجوم ، الشروق للإعلام والنشر ، الجزائر ، 2012 .
- 49 - الحفناوي عمائرية : الصحافة وتجديد الثقافة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1998.
- 50 - حلمي مصطفى: نظام الخلافة في الفكر الإسلامي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2004 .
- 51 - حلوش عبد القادر : سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر 1870/1914 ، شركة الأمة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 1999.
- 52 - الخربوطي علي حسون : الإسلام والخلافة ، دار بيروت للطباعة ، لبنان ، 1969.
- 53 - خليفة الشاطر وآخرون : تونس عبر التاريخ ، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال ، ج3 ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ، 2005.
- 54 - دبور محمد علي : نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة ، ج1 ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، 2007.
- 55 - دروزة محمد عزة : نشأة الحركة العربية الحديثة ، ط2 ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت لبنان ، 1971.
- 56 - الدقي نور الدين : حركة الشباب التونسي ، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية التونسية ، تونس ، 1999.
- 57 - الدهان سامي : الأمير شكيب أرسلان ، حياته وأثاره ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1960.
- 58 - الدوري عبد العزيز : التكوين التاريخي للأمة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، 1984.
- 59 - رودلفو ميكالي: طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية ، ترجمة: طه فوزي ، معهد الدراسات العربية العالمية ، 1961.
- 60 - الرويس قاسم بن خلف: سوانح أفكار لأمير البيان شكيب أرسلان ، جداول للنشر والترجمة والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2014.

## قائمة المصادر والمراجع

- 61 - الزركلي خير الدين: الأعلام قاموس تراجم الأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين ، ج3 ، ط2 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1995.
- 62 - زين نور الدين : نشوء القومية العربية مع دراسة في العلاقات العربية التركية ، دار النهار للنشر ، بيروت ، لبنان ، 1986.
- 63 - سعد الله أبو القاسم : أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، ج 3 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990.
- 64 - سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج5 ، ط6 ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009.
- 65 - سعد الله أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج4 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، 1996.
- 66 - سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية ( 1900 - 1930 ) ، ج1 ، ط4 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1992.
- 67 - الشاذلي ثابت : المسألة الشرقية ، دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية 1299-1923 ، مكتبة وهبة ، مصر ، 1989.
- 68 - شاکر محمود : التاريخ الإسلامي، العهد العثماني ، ج8 ، ط1 ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1986.
- 69 - الشرباطي أحمد: شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، مصر ، 1963.
- 70 - الشريف محمد الهادي : تاريخ تونس ، تعريب : محمد الشاوش ومحمد عجينة ، ط3 ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993.
- 71 - الشريف محمد الهادي: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاحتلال ، تعريب: محمد شاوش ومحمد عجينة ، ط3 ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993.
- 72 - شلش علي: جمال الدين الأفغاني بين دارسيه ، ط1 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 1987.
- 73 - الشناوي عبد العزيز محمد : الدولة العثمانية المفترى عليها ، ج2 ، ط1 ، المكتبة الأنجلو-مصرية ، مصر ، 1984.
- 74 - الشيخ رأفت : تاريخ العرب الحديث ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، القاهرة ، 1994.
- 75 - الشيخ رأفت: تاريخ العرب المعاصر ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 1996.

## قائمة المصادر والمراجع

- 76 - صاري أحمد : قضايا وشخصيات في تاريخ الجزائر المعاصر ، المطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر ، 2002.
- 77 - الصعيدي عبد المتعال : المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر ، دار الحمامي للطباعة ، القاهرة ، مصر ، (د.ت).
- 78 - الصنهاجي أبي بكر علي : أخبار المهدي بن تمورت وبداية الدولة الموحدية ، دار المنصورة ، الرباط المغرب ، 1971.
- 79 - الصلاحي محمد علي : الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا ، ج1+2 ، ط1 ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة - مصر ، 2005.
- 80 - الصلاحي محمد علي : الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط ، ط1 ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 2004 .
- 81 - ضناوي حسين : السيد رشيد رضا، فكره، نضاله السياسي ، ط1 ، دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر لبنان ، 1995.
- 82 - طهاري محمد : مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1992.
- 83 - طوران مصطفى : أسرار الانقلاب العثماني ، ترجمة : كمال خوجة ، ط2 ، دار السلام ، بيروت ، 1978.
- 84 - عباد صالح : المستوطنون والسياسة الفرنسية في الجزائر 1870 - 1900 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984.
- 85 - عباس محمود العقاد : الإسلام في القرن العشرين، حاضره ومستقبله ، ط2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1969.
- 86 - عبد الرزاق محمود إسماعيل : الخواارج في بلاد المغرب ، ط2، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1985.
- 87 - عبد القادر محمد الخير : نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية ، ط1 ، مكتبة وهبة ، 1985.
- 88 - عبد الله الطاهر : الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة 1830 - 1956 ، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة ، تونس ، 1975.



## قائمة المصادر والمراجع

- 89 - العثيمين عبد الله صالح : الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره ، ط1 ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1992.
- 90 - العروي عبد الله: مجمل تاريخ المغرب، من الغزو الإيبيري إلى التحرير ، ط1 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1999.
- 91 - العزاوي قيس حواد : الدولة العثمانية، قراءة جديدة لعوامل الانحطاط ، ط2 ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، لبنان ، 2003.
- 92 - عزيز سامح ألتز : الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة: محمود علي عامر، بيروت لبنان ، 1989.
- 93 - العقاد صلاح : المغرب العربي دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة ، مكتة الأنجلو -مصرية ، القاهرة ، مصر ، 1993.
- 94 - عمار جحيدر: آفاق و وثائق في تاريخ ليبيا الحديث ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، 1991.
- 95 - عمار طالبي: ابن باديس حياته وآثاره ، ج1 ، ط2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1983.
- 96 - عمارة محمد : الجامعة الإسلامية وفكرة القومية، نموذج مصطفى كامل ، ط1 ، دار الشروق ، بيروت-القاهرة ، 1994.
- 97 - عمارة محمد : الجامعة العربية و الجامعة الإسلامية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، بيروت ، 1982.
- 98 - عمارة محمد: جمال الدين الأفغاني المفترى عليه ، ط1 ، دار الشروق ، بيروت- القاهرة ، 1984.
- 99 - غزال مصطفى فوزي بن عبد اللطيف : دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام ، ط1 ، دار طيبة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1983.
- 100 - غلاب عبد الكريم: تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، من نهايه الحرب الريفية إلى إعلان الاستقلال ، ج1 ، الشركة المغربية للطبع والنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1976.
- 101 - كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1984.
- 102 - كامل مصطفى : المسألة الشرقية ، ط1 ، مطبعة الآداب ، القاهرة ، مصر ، 1889.
- 103 - لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية ، ترجمة : عفيفة البستاني ، ط7 ، دار الفراي ، بيروت ، لبنان ، 1980.
- 104 - مالكي أحمد: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1994.

## قائمة المصادر والمراجع

- 105 - المحافظة على : الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914 ، ط 2 ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1978.
- 106 - المحجوبي علي: جذور الحركة الوطنية التونسية ( 1904-1934 ) ، تعريب: عبد الحميد الشابي ، منشورات بيت الحكمة ، قرطاج ، تونس ، 1999.
- 107 - محمد سعدون خالد: الجهاد خلال الحرب العالمية الأولى، الدعوة والاستجابة ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، بنغازي ، ليبيا ، 1999.
- 108 - محمود عامر: تاريخ ليبيا المعاصر ، منشورات جامعة دمشق ، سوريا ، 1991.
- 109 - محمود علي عامر ومحمد خير فارس : تاريخ المغرب العربي الحديث ، المغرب الأقصى- ليبيا ، منشوات جامعة دمشق ، سوريا ، (د.ت).
- 110 - محمود قاسم : جمال الدين الأفغاني: حياته وفلسفته ، مكتبة الانجلو-مصرية ، القاهرة ، (د.ت).
- 111 - المخزومي محمد : خاطرات جمال الدين الأفغاني ، دار الحقيقة ، بيروت ، لبنان ، 1980.
- 112 - المراكشي محمد صالح: قراءات في التاريخ العربي الحديث والمعاصر ، الدار التونسية للنشر، تونس 1992.
- 113 - المصراقي محمد: صحافة ليبيا في نصف قرن ، دار الكشاف ، بيروت ، لبنان ، 1960.
- 114 - مصطفى أحمد عبد الحليم: أصول التاريخ العثماني ، دار الشروق ، بيروت ، 1993.
- 115 - المغربي عبد القادر : جمال الدين الأفغاني ، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة ، مصر ، 1948.
- 116 - المنوني محمد: مظاهر يقظة المغرب العربي الحديث ، (ج 1 + ج 2) ، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان 1985.
- 117 - منير موسى: الفكر العربي في العصر الحديث ، دار الحقيقة ، القاهرة ، مصر ، (د.ت).
- 118 - موعدة محمد: محمد الخضر حسين، حياته وآثاره ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1974.
- 119 - المودودي أبو الأعلى : الخلافة والملك ، ترجمة : أحمد عزت ، شركة الشهاب ، الجزائر ، 1988.
- 120 - ناصر محمد : أبو اليقظان وجهاد الكلمة ، ط 2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1984.
- 121 - ناصر محمد : الصحف العربية 1843/1939 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980.

## قائمة المصادر والمراجع

- 122 - نایت بلقاسم مولود قاسم : شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية ، ج 1 ، دار الأمة ، الجزائر، (د.ت).
- 123 - نصر الدين عبد الحميد نصر : مصر و حركة الجامعة الإسلامية (1882-1914) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1984.
- 124 - النعيمي أحمد نوري : اليهود والدولة العثمانية ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، القاهرة ، 1997.
- 125 - الهاشمي عبد المنعم: الخلافة العثمانية، ط1 ، دار ابن حزم، بيروت ، لبنان ، 2004 .
- 126 - الهلالي محمد مصطفى : السلطان عبد الحميد الثاني بين الإنصاف والجحود ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق سوريا ، 2004.
- 127 - ليسير فتحي : قبائل أقصى الجنوب التونسي تحت الإدارة العسكرية الفرنسية (1881-1939) ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمنشورات ، زغوان ، تونس ، 1998
- 128 - يحيى جلال: المغرب الربيع الحديث والمعاصر ، ج1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية مصر ، 1983.
- 129 - يوسف السيد : رشيد رضا والعودة إلى منهج السلف ، ط1 ، ميريت للنشر ، القاهرة مصر ، 2000.
- ج - المراجع بالأجنبية:

1- Ageron (Ch. R) : **Les Algériens musulmans et la France 1871 - 1919** , T<sub>1</sub> , presse université de France , Paris , 1968.

2- Anawati : **Histoire de la philosophie musulmane**, Librairie philosophique J. Vrin , Paris, 1974.

3- Bardin (P): **Algériens et Tunisiens dans l'empire Otman de 1848à 1914**, Ed du CNRS, Aix en Province, Paris 1979.

4- Ben Jelloun (A) : pages d'histoire du Maroc, le patriotisme Marocain face du protetorat espagnol , El maàrif al Jadida , Rabat ,1993.

- 5- Brigmon (J) et Amin(A) : **Histoire du Maroc** , Librairie national , Casablanca , Maroc , 1967.
- 6- Chater (K) : **Dépendance et mutations précoloniales , la Régence de Tunis de 1815 a 1857** , publications de l'Université de Tunis , 1984.
- 7- Gainage (J): **Histoire contemporaine du Maghreb de 1830 à nos jours** , 1994.
- 8- Hammami (A): **idris roman nord africain, Alger, avec un introduction de cheikh Bouamrane**, entreprise nationale du livre , 1988 .
- 10- Keddie ( N.R.) : **An Islamic Response to Imperialism, political and Religious Writings of Sayyed Jamal Al-Afghani** , University of California Press , 1968.
- 11- Kedourie (A): **Afghani and Abduh – An Essay on Religious unbelif and Political Activism in modern Islam** , New york , 1966.
- 12- Landau : **the politics of panislam ideologie and organisation** , oxford , 1988.
- 13- Laroui (A) : **L' histoire du Maghreb un essai synthese** , Maspero , Paris , 1971.

## قائمة المصادر والمراجع

- 14- Laroui (A): **Les origines sociales et culturelle du nationalisme Marocain (1830 – 1912 )** , François Maspero , 1977.
- 16- Melia ( J): **L'Algérie et la guerre** , 1914-1918 , Plon , Paris , 1918.
- 19- Michel (A): **L 'Islam dans sa civilisation du 7° au 20é Siècle** édition Armand colin, 1977.
- 20- Mustapha (k) : **La Tunisie précoloniale** , tom 1 , état gouvernement administration , Tunis , 1979
- 21- Tapièro (N) : **Les idées réformistes d' Elkawakibi** , Paris , 1956.

### 2 - الرسائل والأطاريح الجامعية:

- 1 - أبو رمان محمد سليمان عبد الله : **السلطة السياسية في فكر محمد رشيد رضا** ، رسالة ماجستير ، إشراف: مصطفى منجود ، معهد بيت الحكمة ، جامعة آل البيت ، 2000.
- 2 - بلقاسم محمد: **الإتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910/1328 – 1954/1373** ، رسالة ماجستير ، إشراف: أبو القاسم سعد الله ، معهد التاريخ ، 1993 - 1994.
- 3 - سليمان بن رايح: **العلاقات الجزائرية العربية بين الحربين** ، رسالة ماجستير ، إشراف : صالح فركوس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم التاريخ وعلم الآثار ، 2007 – 2008.
- 4 - قن محمد: **الخلافة العثمانية وصدى سقوطها في الجزائر ومصر** ، رسالة ماجستير ، إشراف: بن يوسف تلمساني ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة الجزائر ، 2006 - 2007.

## قائمة المصادر والمراجع

5 - مكّي جلول : المساهمة الجزائرية في النهضة العربية ببلاد الشام من خلال نشاط الأمير عبد القادر والشيخ الطاهر الجزائري ، دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث ، معهد العلوم الاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، السنة الجامعية 1979 - 1980.

### 3- الدوريات (المقالات):

#### أ - الدوريات (المصدرية) بالعربية:

1 - أحمد الشريف السنوسي: " دعوة السنوسي إلى جهاد الإيطاليين " ، مجلة المنار ، ج 2 ، مج 15 ، صفر 1330هـ/ فيفري 1912 ، القاهرة.

2 - أرسلان شكيب: "الإسلام والحضارة المعاصرة" (نقلا عن مجلة الزهراء) ، جريدة المنتقد ، السنة الأولى ، العدد 15 ، الخميس 19 ربيع الأول 1344/8 أكتوبر 1925.

3 - الأفغاني جمال الدين: " اتبعوا ما انزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء - التعصب - " ، العروة الوثقى ، ج 4 ، 13 مارس 1884.

4- بن باديس عبد الحميد: " عبداويون ثم وهابيون " ، مجلة السنة ، السنة الأولى ، العدد: 3 ، الاثنين 29 ذي الحجة 1351/ 24 أفريل 1933 ، قسنطينة ، الجزائر.

5 - بن جلول عبد الحميد: "الثلاثة الذين استشهدوا" ، جريدة البصائر ، العدد 106 ، 19 ربيع الأول 1369/ 09 جانفي 1950.

6 - رضا محمد رشيد: " فاتحة السنة الثانية عشرة " ، مجلة المنار ، مج 12 ، ج 1 ، القاهرة ، محرم 1327/ فيفري 1909.

7 - رضا محمد رشيد : " احتلال فرنسا لمملكة المغرب الأقصى " ، مجلة المنار ، مج 14 ، ج 5 ، الأحد 29 جمادى الأولى 1329/ 28 ماي 1911 ، القاهرة ، مصر.

8 - رضا محمد رشيد : " الإصلاح الديني المقترح على مقام الخلافة الإسلامية ، مجلة المنار ، مج 1 ، ج 40 ، القاهرة ، شعبان 1316هـ/ يناير 1899.

9 - رضا محمد رشيد : " الجامعتان الإسلامية والعثمانية " ، مجلة المنار ، مج 15 ، ج 10 ، 30 شوال 1330 هـ / 11 أكتوبر 1912م ، القاهرة.

## قائمة المصادر والمراجع

- 10- رضا محمد رشيد: "الجمع بين مسألة الذكور والإناث في المدارس ومسألة التجديد و التجدد"، مجلة المنار، مج2، ج2، القاهرة، صفر 1348هـ/ يوليو 1929.
- 11- رضا محمد رشيد: "مشائخ الطرق الصوفية"، مجلة المنار، مج1، ج21، القاهرة، ربيع الأول 1316هـ/ أغسطس 1898.
- 12 - رضا محمد رشيد: "الجامعة الإسلامية وآراء الكتاب فيها"، مجلة المنار، مج2، ج22، القاهرة، ربيع الثاني 1317/ أغسطس 1899.
- 13- رضا محمد رشيد: "الجامعة الإسلامية"، مجلة المنار، ج1، مج2، 1899.
- 14 - رضا محمد رشيد: "المسألة الشرقية واعتداء إيطاليا على طرابلس الغرب"، مجلة المنار، ج10، مج14 شوال 1329/ 22 أكتوبر 1911، القاهرة.
- 15 - رضا محمد رشيد: "المشروع الحميدي الأعظم"، مجلة المنار، مج3، ج14، القاهرة، محرم 1318/ ماي 1909.
- 16- رضا محمد رشيد: "حث الهند ومصر وتونس والجزائر على المساعدة"، مجلة المنار، ج11، مج14 الثلاثاء 30 ذي القعدة 1329/ 21 نوفمبر 1911، القاهرة.
- 17- رضا محمد رشيد: "محاربة إيطاليا لطرابلس الغرب"، مجلة المنار، ج10، مج14، شوال 1329/ 22 أكتوبر 1911، القاهرة.
- 18 - رضا محمد رشيد: "منشورات إيطالية الخداعية في طرابلس الغرب"، مجلة المنار، ج12، مج14، 18- الخميس 30 ذي الحجة 1329/ 20 ديسمبر 1911.
- 19 - رضا محمد رشيد: "تجديد جهاد المنار بينه وبين قرائه"، مجلة المنار، مج34، ج10، 30 محرم 1354هـ/ 3 ماي 1935، القاهرة.
- 20 - الزاهري (الأستاذ): "وهايون سنيون حنابلة"، الصراف، السنة الأولى، العدد: 5، الاثنين 26 جمادي الثانية 1352هـ/ 16 أكتوبر 1933، قسنطينة، الجزائر.
- 21 - الزغداني بلقاسم: "الغريلة قوام الحياة"، مجلة الشريعة النبوية المحمدية، السنة الأولى، العدد 4، الاثنين 15 ربيع الثاني 1352 / أوت 1933، قسنطينة، الجزائر.
- 22 - العظم رفيق: "الجامعة الإسلامية" مجلة المنار، مج10، ج8، شعبان 1325 / 18 أكتوبر 1907، القاهرة.

## قائمة المصادر والمراجع

- 23 - الفاسسي علال: " الشيخ محمد عبده، موقفه من الشبه والمتشابه " ، مجلة دعوة الحق ، وزارة عموم الأوقاف ، المغرب الأقصى ، العدد 9 ، السنة الأولى ، شعبان 1388 / مارس 1957.
- 24 - القليبي محي الدين: "الأستاذ علي الحمامي " ، جريدة البصائر ، العدد: 100 ، 02 ربيع الأول 1369 / 26 ديسمبر 1949.
- 25 - المدني أحمد تويق: "شكيب أرسلان بطل الجهاد في كل الميادين" ، مجلة الثقافة ، العدد 76 جويلية ، الجزائر ، 1976.

### ب - الدوريات (المعاصرة) بالعربية:

- 1 - أمين عثمان: " جمال الدين الأفغاني والتجديد الإسلامي " ، مجلة الأصالة ، العدد 52 ، السنة السادسة ، ذو الحجة 1397 / ديسمبر 1977 ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزائر.
- 2 - أنده ورنير: " الوطنيون العرب ونشاطهم السياسي والصحفي في ألمانيا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى " ، مجلة الأصالة ، العدد: 52 ، السنة السادسة ، ذو الحجة 1397 / ديسمبر 1977 ، الجزائر.
- 3 - بلحاج ناصر: "دور الدعاية العثمانية-الألمانية في رفض التجنيد الإجباري بالجزائر، والدعاية الفرنسية المضادة، خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918)" ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، عدد 3 ، ديسمبر 2008 ، غرداية ، الجزائر.
- 4 - بن عيسى حنفي: "تأثير جمال الدين الأفغاني على الفكر الجزائري المعاصر " ، مجلة الثقافة ، السنة السابعة ، العدد 38 ، أبريل-ماي 1977.
- 5 - البوعبدلي المهدي : " دور الأفغاني في يقظة الشرق ونهضة المسلمين " ، مجلة الأصالة ، العدد 44 ، السنة السادسة ، ربيع الثاني 1397 ، أبريل 1977 ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزائر.
- 6 - البوعبدلي المهدي : " جوانب مجهولة من آثار زيارة محمد عبده للجزائر عام 1903 / 1322 " ، مجلة الأصالة ، وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر ، العدد 54-55 ، السنة السابعة ربيع الأول - ربيع الثاني / فيفري - مارس 1978.
- 7 - الريموي سهيلة " صفحات من تاريخ الجمعيات في بلاد الشام 1850 - 1908 من الجمعيات العلمية إلى الجمعيات السياسية" ، مجلة دراسات تاريخية ، عدد 7 ، جانفي 1982.



## قائمة المصادر والمراجع

- 8 - الرماوي سهيلة: " تطور مفهوم اللامركزية عند العرب العثمانيين 1900 - 1918 " مجلة دراسات تاريخية ، العدد 14 ، أكتوبر 1983 ، سوريا.
- 9 - السليمانى أحمد حسين: "نزع الملكية العقارية للجزائريين 1871/1830م" ، مجلة المصادر ، العدد 06 ، 2002 ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ، الجزائر ، 2002.
- 10 - سنو عبد الرؤوف : " الدعوة إلى الإسلام والعلاقات الدولية؛ قراءة في الوعي السياسي في مطلع القرن العشرين " ، مجلة الاجتهاد ، بيروت ، لبنان ، عدد 46/45 ، 2000 .
- 11 - سنو عبد الرؤوف: " الدبلوماسية الألمانية ومحاولات إحياء الجامعة الإسلامية بين السلطنة العثمانية والمغرب الأقصى (1870-1890) " ، حوليات بيروت ، عدد 6 ، 1991 - 1992.
- 12 - الشنوفي المنصف : " علائق رشيد رضا صاحب مجلة المنار مع التونسيين 1898 - 1935 " حوليات الجامعة التونسية ، ع4 ، تونس ، 1967.
- 13 - صاري أحمد : " الجديد عن زيارة محمد عبده إلى الجزائر قسنطينة " ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، العدد 2 ، مارس 2003.
- 14 - قنان جمال: " لمحة حول نشاط الجامعة الإسلامية من خلال المراسلات الدبلوماسية 1900-1924 " ، مجلة الأمير عبد القادر ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، عدد 19 ، رمضان 1426 / أكتوبر 2005 ، قسنطينة ، الجزائر.
- 15 - قنان جمال: " نظرة حول حركة الإصلاح الإسلامي والجامعة الإسلامية في القرن التاسع عشر " ، مجلة المصادر ، العدد 11 ، السداسي الأول ، 2005.
- 16 - محمود قاسم : " الإصلاح بين الكواكبي والسنوسية " ، مجلة الثقافة ، العدد 95 ، سبتمبر 1986 ، الجزائر.
- 17 - مياصي إبراهيم : "إرهاصات الحركة الوطنية الجزائرية 1914/1900" ، مجلة المصادر ، العدد 06 ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ، الجزائر ، 2002.

- 1 - Bernard (A): L'Allemagne et l'Afrique du Nord, "Algérie" dans :Bulletin du comité de l'Afrique du Nord, Avril 1915, p. 88.
- 2 - Bessis(J): " Chakib Arsalan et les mouvements nationalistes au Maghrab " Revue historique , N° 526 , avril – juin 1978.
- 4 - Desparmet(J ): "Quelques échos de la propagande allemande a Alger", Bulletin de la Société de Géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord, Tome. 10, 1915, p. 48.
- 5 - Les seize mois de la guerre au Maroc , Bulletin du comité de l'Afrique du Nord n° 10 , 12 , octobre- décembre , 1915.
- 6 - MERAD (A) : " La Turcophilie dans le débat national en Algérie au début du siècle 1911-1918", Revue d'histoire Maghrébine , N° 31-32 , Tunis , 1983.

# الفهارس العامة:

1- فهرس الشخصيات

2- فهرس الأماكن والبلدان

3- فهرس التنظيمات والتيارات

الفكرية الإسلامية

4 - فهرس الموضوعات

1 - فهرس الشخصيات:

أ -

- أبو بكر الصديق: ص 42.
- أبو بكر بن عبد الوهاب: ص 257.
- أبو جعفر المنصور: ص 30.
- أبو حامد الغزالي: ص 97.
- أبو شعيب الدكّالي: ص 260 ، 261.
- أبو عبيدة بن الجراح: ص 42.
- أبو بكر بن زياد الادريس: ص 230.
- إحسان الجابري: 164
- أحمد الشريف السنوسي: ص 239 ، 204 ، 285.
- أحمد الشريف: 174.
- أحمد العراقي: ص 72.
- أحمد القيصري: 152 ، 196.
- أحمد أمين: ص 33.
- أحمد باي: ص 24 ، 26.
- أحمد بلافريج: 262.
- أحمد بن الحسن الحفصي: ص 182.
- أحمد بن عرفان الشهيد: ص 48.
- أحمد بن مراد بن التركي: 160.
- أحمد بن يحيى الهوزالي: ص 248.
- أحمد بوضربة: ص 132 .
- أحمد توفيق المدني: ص 135 ، 140 ، 166.
- أحمد راسم باشا: ص 225.
- إبراهيم ابن أغلب التميمي: ص 223.
- إبراهيم التادلي: ص 262.
- إبراهيم السنوسي: ص 254.
- إبراهيم باشا: 225.
- إبراهيم بن الحاج: 199.
- إبراهيم رودسلي: 183.
- ابن البيطار: 111.
- ابن التهامي: ص 140.
- ابن الرحال: ص 140.
- ابن العنابي: ص 121 ، 125.
- ابن الهيثم: 111.
- ابن بريهمات أحمد: ص 132
- ابن تيمية: ص 46 .
- ابن سينا: 111.
- ابن قمشع الطهراوي: ص 229.
- ابن موهوب: ص 135
- أبو القاسم الحفناوي: 147.
- أبو القاسم سعد الله: ص 134 ، 135 ، 164.
- أبو الهدى الصيادي: 152 ، 196.
- أبو الهدى الصيادي: ص 61.
- أبو اليقظان إبراهيم: 166.

- ج -

- جمال الدين قاسمي: ص 48.  
جورج أنطنيوس: ص 20.  
جورج كامفماير: 174.

- ح -

- الحاج أحمد: ص 121.  
حسن باشا سامي: ص 98.  
الحسن بن علي رضي الله عنه: ص 43 ، 69.  
حسن خير الدين: ص 83.  
حسن خير الله: ص 253.  
حسن قلاقي: 213.  
حسين بن علي (باي): ص 184.  
حمدان العدلي: ص 174.  
حمدان بن عثمان خوجة: ص 121 ، 125.  
حمدي فخر الإسلام: ص 147.  
حمزة فتح الله: 198.  
حمود أرسلان: ص 104.  
حمودة باشا: ص 184.

- خ -

- خالد بن الهاشمي (الأمير): ص 141 ، 142.  
155.  
الخدويو إسماعيل: ص 85 .  
خليفة بن عسكر: ص 217.

أحمد زكي باشا: ص 106.

أحمد سعد وغيرهم: ص 61.

أحمد شوقي: ص 106.

أسعد فيصل: ص 105.

إسماعيل الصفائحي: ص 175 ، 176 .

إنجلي نجيب ملحمة: ص 211.

أنور باشا: ص 114 .

أنور باشا: ص 243.

أوبنهايم: ص 114 ، 171 ، 215 ، 219 .

أوجيست كونت: ص 89.

أورخان: ص 119.

- ب -

باشي نيازي: 63.

البشير بن سديرة: ص 217.

البشير زروق: ص 160.

بطرس البستاني: ص 54.

بلفور: ص 64.

بلقاسم الزغداني: 149

بلقاسم بن سديرة: ص 143.

بيجو: ص 126.

بيكو جورج: ص 64.

- ت -

تحسين أفندي: ص 71.

- خليل مطران: ص 198.  
 الخوارزمي: ص 111.  
 الخيدوي عباس: 84.  
 خير الدين التونسي: ص 25 ، 48 ، 192 ، 207 ، 260.  
 خير الدين بروس: ص 120 ، 181.
- د -
- درغوث باشا: ص 182 ، 224.  
 دوست محمد خان: ص 70.  
 الدوق دومال : ص 131.  
 ديارمي: ص 173.
- ر -
- رشيد باشا: 234.  
 رضا بن حمدان خوجة: 123.  
 روستان (قنصل): ص 187.  
 روكسلان: ص 17.
- س -
- ساطع الحصري: ص 21 .  
 سالم بوحاجب: ص 190 ، 205 ، 209 ، 213.  
 سايكس مارك: ص 64.  
 سعد زغلول: ص 106.  
 سعد عبد الفتاح حمادة: ص 158.  
 سعود بن عبد العزيز: ص 98.
- سليم الأول (سلطان) ص 15 .  
 سليم الثاني (سلطان) ص 17.  
 سليمان الباروني: ص 218 ، 237 ، 242 ، 243.  
 سليمان الحمار: ص 160.  
 سليمان القانوني ص 15 ، 16 ، 17.
- ش -
- شارل جونار: ص 124.  
 شارلكان: ص 181.  
 الشريف حبيلس: 140.  
 الشريف حسين: ص 156.  
 الشريف عون: 152.  
 شكري غانم: 198.  
 شير علي خان: ص 70.
- ص -
- الصادق المؤيد: 134.  
 صالح الشريف: ص 175 ، 199 ، 216 ، 218.  
 صديق حسين خان: ص 48.
- ط -
- الطاهر الجزائري: 155.  
 الطيب العقبي: ص 140 ، 155 ، 166.

عبد القادر المغربي: ص 68 ، 75.  
 عبد القادر مجاوي: ص 134 ، 135.  
 140 .  
 عبد الكريم العقون: ص 168 ، 283.  
 عبد الكريم بن عمر الشامي: ص 160.  
 عبد الله البستاني: ص 105.  
 عبد الله القباج الفاسي: ص 259.  
 عبد الله بوكابوية: ص ، 176 ، 218.  
 عبد الملك الجزائري(الأمير): ص 155 .  
 عبد المؤمن بن علي الكومي: ص 246.  
 عبد رحمان الكوكبي: ص 21 ، 45.  
 عثمان بن أرطغرل: ص 119.  
 عثمان بن عفان رضي الله عنه: ص 42  
 118.  
 عثمان دن فوديو: ص 48.  
 العربي عز الإسلام: ص 174.  
 عزت باشا: 123.  
 عقبة بن نافع الفهري: 222.  
 علال الفاسي: ص 167 ، 262 ، 263  
 264.  
 علج علي: ص 182.  
 علي الحمامي: 167 ، 168.  
 علي الشريف: ص 26.  
 علي باش حمبه: ص 176 ، 213 ، 214  
 215 ، 241.

- ع -

عبد الأعلى بن جريح: ص 118.  
 عبد الجليل زاوش: ص 213.  
 عبد الحليم بن سماية: ص 134 ، 135  
 136 ، 137 ، 140 ، 143 ، 145  
 146 ، 147 ، 148 ، 277 ، 279  
 282.  
 عبد الحميد الثاني (سلطان): ص 20 ، 21  
 22 ، 50 ، 53 ، 54 ، 55 ، 56 ، 57  
 58 ، 59 ، 60 ، 61 ، 62 ، 63 ، 78  
 79 ، 102 ، 112 ، 121 ، 122  
 124 ، 143 ، 152 ، 153 ، 171  
 198 ، 226 ، 229 ، 234 ، 235  
 252 ، 253 ، 254.  
 عبد الحميد بن باديس: ص 33 ، 48  
 135 ، 140 ، 142 ، 156.  
 عبد الخالق الطريس: ص 266.  
 عبد الرحمن بن خلدون: 205.  
 عبد السلام بنونة: ص 267.  
 عبد العزيز الثعالبي: ص 191 ، 211  
 212 ، 213 ، 216 ، 241.  
 عبد العزيز جاويش 176.  
 عبد القادر الجزائري (الأمير): ص 57 ، 121  
 122 ، 123 ، 162 ، 195

– ف –

- فارس الشدياق: ص 160.  
فران: ص 28.  
فرج الله نمور: 257.  
فرحات عباس: ص 128.  
فرونسوا الأول ص: 16.  
فضل العلوي: ص 151.  
فكتور دي كرنيار: 207.

– ق –

- القاسم بن محمد النفس الزكية: ص 250.  
قرة يزجي ص: 17.  
قونيا علاء الدين قيقباد الثالث: ص 119.  
قيصر كرم: ص 159.

– ك –

- كارل بيكر: ص 174.  
كششنز: ص 50.

– ل –

- لوثورب ستودارد: ص 30 ، 37 ، 41  
162 ، 151.  
لويس ريني ميني: ص 206.  
ليوطي: ص 156.  
ليون: ص 53.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه 26 ، 42 ، 43 ، 69.

علي بن خليفة: 187.

علي بن طاهر: ص 199.

علي بن عبد الرحمن: ص 145.

علي بن عبد القادر: ص 176.

علي بن غداهم: ص 25.

علي زبير السلوي: ص 259.

علي زكي المصري: ص 260.

علي كاهية: ص 191.

علي يوسف: ص 106.

علي يوسف: ص 242.

عمار جحيدر: ص 225.

عمر المختار: ص 242.

عمر المرادي: ص 118.

عمر الورغي: ص 174.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ص 42 ، 99.

عمر بوضرية: ص 140.

عمر راسم: ص 136 ، 143.

عمرو بن شعيب: ص 37.

عناية الله خان: ص 68 .

– غ –

غرش (يهودي): ص 53.

غليوم (إمبراطور): ص 53 ، 177 ، 284.



- محمد المنوني: 153.
- محمد النخعي: 202.
- محمد النعاس بن محمد: ص 225.
- محمد الوزاني: ص 266.
- محمد اليزيدي: ص 262 .
- محمد باش حمبة: ص 218.
- محمد باغوز: ص 266.
- محمد بطيخ: ص 174.
- محمد بن العباس القباج: ص 266.
- محمد بن العربي العلوي: ص 260 ، 261.
- محمد بن جعفر الكتاني: 261.
- محمد بن خوجة: ص 137 ، 138 ، 145 ، 148 .
- محمد بن رجال: ص 132.
- محمد بن شعلان: 203.
- محمد بن عبد السلام بنونة: ص 267.
- محمد بن عبد الكبير: ص 260.
- محمد بن عبد الكريم الخطابي ص: 168 ، 158 ، 265.
- محمد بن عبد الله: ص 26.
- محمد بن عبد الوهاب: ص 31 ، 32 ، 46 ، 261.
- محمد بن عبود: ص 266.
- محمد بن علي بن السنوسي: ص 229 ، 203 ، 132.
- مالك بن نبي: ص 43 ، 129.
- المأمون (خليفة): ص 30.
- مبارك الميلي: ص 167.
- محمد أحمد المهدي: ص 49.
- محمد إدريس بوعشرين المكناسي: ص 259.
- محمد الأعظم خان: ص 70.
- محمد البشير الإبراهيمي: ص 48 ، 135 ، 140 ، 156.
- محمد الثالث (سلطان) ص: 17.
- محمد السنوسي: ص 57 ، 190 ، 191 ، 192 ، 195 ، 198 ، 209.
- محمد الصادق باي: ص 187.
- محمد الصادق بسيس: 207.
- محمد الطاهر بن عاشور: ص 161 ، 202 ، 211.
- محمد الطاهر نيفر: ص 190.
- محمد العتايي: 257.
- محمد العتايي: ص 218.
- محمد العدلي: ص 157.
- محمد العيد آل خليفة: ص 166.
- محمد الفاتح ص: 15 ، 17.
- محمد القباج الفاسي: ص 259.
- محمد المصمودي: ص 266.
- محمد المكي الناصري: 262 .

- محمد بن مصطفى التازي: ص 259.  
 محمد بن مقاتل العكي: ص 223.  
 محمد بورقيبة: ص 211.  
 محمد بيرم الخامس: ص 211 ، 213.  
 محمد خضر حسين: ص 198.  
 محمد رشاد الخامس(سلطان): ص 239 ، 254 ، 257.  
 محمد شاكر بن الشريف الدمشقي: ص 260.  
 محمد ضافر المدني: 152 ، 196 .  
 محمد عبد عزيمان: ص 266.  
 محمد علي باشا ص: 17 ، 18 ، 24 ، 26 ، 185 .  
 محمد فريد المصري ص : 218.  
 محمود أبو الشمات: 61.  
 محمود النوري السفاقسي: ص 260.  
 مدحت باشا: ص 20.  
 مراد قورصو: ص 183.  
 مرعى شاهين سلمان: ص 105.  
 مزراحي قراصو: ص 53.  
 مسيرة المدغري: ص 118.  
 مصالي الحاج: 163 ، 164 ، 165 .  
 مصطفى خزندار: ص 24 ، 185 .  
 مصطفى رضا باشا: ص 71.  
 مصطفى عبد الرزاق: ص 68.  
 مصطفى كامل أتاتورك: ص 64 ، 65 .
- مصطفى كامل: ص 260.  
 مصطفى كامل: ص 38.  
 مصطفى لطف الله: ص 174.  
 معاوية بن أبي سفيان: ص 43.  
 المعتصم (خليفة): ص 19.  
 مكى بن عزوز: ص 143 ، 191 .  
 ملود بن موهوب: ص 134 ، 140 ، 143 .  
 المنذر بن ماء السماء اللخمي: 104.  
 مهدي السكاوي: 154.  
 المهدي بن تومورت: ص 246.  
 المهدي بن علي السنوسي: ص 239.  
 المهدي الوزاني: ص 287.  
 موسى بن احمد: ص 254.  
 مولاي حسن (ملك): ص 27 ، 253 .  
 مولاي رشيد (ملك): ص 26.  
 ومحمد القزّي: ص 262 .  
 ومحمد بن أحمد بن الزبيدي: ص 266 .
- ن —
- نامق باشا: ص 225.  
 النعمان بن بشير (رضي الله عنهما) ص 36.  
 نعمة الله الدحاح: ص 257.  
 نيقولا الأول ص: 16.

### - ه -

الهادي السبعي: ص 191.

هارون الرشيد: ص 30.

هرتزل: ص 53 ، 63.

الهمام سيدي محمد بن الطاهر: ص 229.

### - و -

ورنير آنده: 219.

ويلسون: ص 141.

### - ي -

ياصف اليازجي: ص 54.

2 - فهرس الأماكن والبلدان:

<p>57 ، 50 ، 23 ، 22 ، 18 إنجلترا: ص</p> <p>195 ، 153 ، 86 ، 82 ، 71 ، 58</p> <p>.244 ، 238 ، 226</p> <p>الأندلس: 29 ، 44.</p> <p>اندونيسيا: ص 47 .</p> <p>أوريا: ص 15 ، 16 ، 30 ، 38 ، 39</p> <p>.119 ، 72 ، 57</p> <p>إيران: ص 67 ، 68 ، 70 ، 72 ، 226.</p> <p>إيطاليا: 53 ، 168 ، 238 ، 239 .</p> <p>.244 ، 242 ، 241 ، 240</p> <p style="text-align: center;">- ب -</p> <p>باريس: ص 72 ، 86 ، 141 ، 168</p> <p>.213</p> <p>بجاية: ص 29.</p> <p>البحيرة: ص 83.</p> <p>البرتغال: ص 24 ، 246.</p> <p>برلين: ص 176.</p> <p>بروكسل: ص 163.</p> <p>البصرة: ص 46.</p> <p>بغداد 48 ، 198 ، 246.</p> <p>بلغاريا: ص 54.</p> <p>البلقان: ص 15 ، 17 ، 39 ، 53 ، 54.</p> <p>البندقية: ص 16.</p>	<p style="text-align: center;">- أ -</p> <p>أذربيجان: ص 58.</p> <p>إسبانيا: ص 24 ، 78 ، 221 ، 246.</p> <p>256</p> <p>الأستانة: ص 19 ، 21 ، 61 ، 63 ، 70</p> <p>.218 ، 216 ، 199 ، 122 ، 105</p> <p>.257 ، 235</p> <p>اسعد آباد: ص 67 ، 70.</p> <p>آسيا: ص 17 ، 22 ، 119 ، 169</p> <p>إشبيليا: 256.</p> <p>أغادير: ص 27 .</p> <p>إفريقيا: ص 18 ، 47 ، 117 ، 128</p> <p>. 169</p> <p>أفغانستان: ص 57 ، 58 ، 68 ، 70</p> <p>.174</p> <p>ألبانيا: ص 153.</p> <p>ألمانيا: ص 53 ، 64 ، 114 ، 168.</p> <p>254 ، 176 ، 175 ، 174 ، 169</p> <p>.284 ، 257</p> <p>أمريكا: ص 24 ، 268.</p> <p>الأناضول: ص 119 ، 224.</p>
--	---

## فهرس الأماكن والبلدان

215 ، 214 ، 213 ، 212 ، 211  
216 ، 217 ، 218 ، 238 ، 264 .

### - ج -

الجزيرة الخضراء: ص 124

جنيف: ص 163 ، 218

الجزيرة العربية: ص 15 ، 47 .

الجزائر: ص 18 ، 22 ، 28 ، 29 ، 48

54 ، 59 ، 116 ، 117 ، 118 ، 119

120 ، 121 ، 122 ، 123 ، 124

125 ، 126 ، 127 ، 128 ، 129

130 ، 132 ، 133 ، 134 ، 135

136 ، 137 ، 138 ، 139 ، 141

142 ، 143 ، 144 ، 145 ، 146

147 ، 148 ، 149 ، 152 ، 153

154 ، 155 ، 156 ، 157 ، 159

160 ، 161 ، 162 ، 163 ، 164

165 ، 166 ، 167 ، 174 ، 180

181 ، 195 ، 196 ، 198 ، 199

202 ، 221 ، 246 ، 264 ، 284 .

### - ح -

الحامة: ص 149 .

الحجاز: ص 46 ، 61 ، 70 ، 118

155 ، 198 ، 156 ، 230 ، 255

257 .

بنزرت: ص 187 .

بنغازي: ص 234 ، 286 .

بني يزناسن: ص 250 .

بوسعادة: ص 141 .

البيروني: ص 78 .

بيروت: ص 86 ، 104 ، 105 ، 158 ،  
200 .

تطوان: ص 266 .

### - ت -

تافيلالت: ص 26 .

تايلاند: ص 47 .

تركيا: ص 106 .

ترهونة: ص 124 .

تلمسان: ص 29 ، 131 ، 250 .

تونس: ص 18 ، 22 ، 24 ، 25 ، 26

48 ، 59 ، 118 ، 124 ، 154 ، 158

159 ، 160 ، 174 ، 180 ، 181

182 ، 182 ، 183 ، 184 ، 185

186 ، 187 ، 188 ، 189 ، 190

191 ، 192 ، 193 ، 194 ، 195

196 ، 197 ، 198 ، 199 ، 200

201 ، 202 ، 203 ، 204 ، 205

206 ، 207 ، 208 ، 209 ، 210

- 62 ، 64 ، 70 ، 78 ، 79 ، 80 ، 98 ،  
228 ، 238 ، 239 .  
الدولة الفاطمية: ص 116 ، 119 .  
الدولة المرابطية: 119 .  
الدولة الموحدية: ص 119 .
- ر -
- روسيا: ص 22 ، 23 ، 55 ، 72 ، 72 ،  
153 .
- س -
- سجلماسة: ص 26 .  
سطيف: ص 176 .  
سمراء: ص 19  
السودان: ص 22 ، 49 ، 50 ، 86 .  
174 ، 235 ، 244 .  
سوريا: ص 17 ، 63 ، 141 ، 162 ،  
168 .  
السوس: 118 .  
سوسة: ص 160 .  
سويسرا: ص 164 .  
سيدان: ص 68 .
- ش -
- الشام: ص 15 ، 21 ، 48 ، 55 ، 57 ،  
61 ، 64 ، 96 ، 106 ، 155 ، 162 ،  
199 .
- حزرموت: 152 .  
حلب: 152 .  
حمص: 152 .  
الخوران: ص 106 .  
حيدر أباد: 71 .
- خ -
- الخرطوم: ص 49 .  
الخليج العربي: ص 22 .
- د -
- الدار البيضاء: ص 27 .  
درعة: ص 146 .  
الدرعية: ص 48 .  
دلس: ص 154 .  
دمشق: ص 55 ، 141 ، 171 ، 199 .  
دنقلة: ص 49 .  
الدول الأوربية: ص 16 ، 18 ، 21 ، 26 ،  
53 ، 106 ، 112 ، 122 ، 226 .  
227 ، 232 .  
الدولة الأدرسية: ص 116 .  
الدولة الأموية: ص 29 ، 118 .  
الدولة الرستمية: ص 116 .  
الدولة العباسية: ص 29 ، 50 ، 90 .  
الدولة العثمانية: ص 15 ، 17 ، 18 ، 20 ،  
19 ، 29 ، 44 ، 48 ، 53 ، 54 ، 55 .

- العراق: ص 17 .  
 عنابة: ص 131 .  
 عين عنوب: 105 .  
 العيننة: ص 46 .  
**– ف –**  
 فاس: ص 229 ، 248 ، 266 ، 287 .  
 فرنسا: ص 16 ، 23 ، 28 ، 29 ، 57  
 58 ، 72 ، 78 ، 82 ، 106 ، 122  
 122 ، 123 ، 124 ، 125 ، 126  
 127 ، 127 ، 128 ، 129 ، 130  
 131 ، 133 ، 134 ، 135 ، 136  
 147 ، 153 ، 161 ، 162 ، 164  
 169 ، 176 ، 186 ، 189 ، 216  
 218 ، 221 ، 226 ، 238 ، 255  
 267 .  
 الفزان: 222 .  
 فلسطين: ص 17 ، 53 ، 162 .  
 فيرساي: ص 141 .  
 الفيليبين: ص 35 .  
**– ق –**  
 قابس: ص 188 .  
 القاهرة: ص 70 ، 84 .  
 قبرص: ص 18 .  
 القدس: ص 267 .
- شبراخيت (مصر): ص 83 .  
 شبشير (مصر): 83 .  
 شلف: ص 229 ، 249 .  
 شمال إفريقيا: ص 17 ، 22 ، 23 ، 58  
 153 ، 160 ، 162 ، 238 ، 256 .  
 شوف (لبنان): ص 106 .  
 الشويفات (لبنان): ص 104 ، 106 .  
 الشيشان: ص 58 .  
**– ص –**  
 الصرب: ص 54 .  
 صفاقس: 188 ، 199 .  
 الصويرة: ص 27 .  
 الصين: ص 57 ، 58 ، 61 ، 112 .  
**– ط –**  
 الطائف: ص 20 .  
 طرابلس الشام: ص 98 .  
 طرابلس الغرب: ص 17 ، 64 ، 123  
 152 ، 160 ، 162 ، 182 ، 198  
 124 ، 226 ، 237 ، 243 ، 285  
 286 .  
 طنجة: ص 118 ، 254 .  
 طنطا: ص 83 .  
 طهران: ص 69 ، 70 ، 174 .  
**– ع –**

- القرم: ص 16.  
 قرمان: ص 224.  
 القسطنطينية: ص 15 ، 17 ، 30 ، 198  
 قسنطينة: ص 29 ، 126.  
 قفصة: 182.  
 القلمون: ص 96.  
 القوقاز: ص 22.  
 القيروان: ص 118 ، 188 ، 222.
- ك –
- كابل: ص 67 ، 70.  
 كلكتوة: ص 72.  
 كنيسة القيامة: ص 17.  
 كورسيكا: ص 183.
- ل –
- لبنان: ص 95.  
 لكتر: ص 67.  
 لندن: ص 72 ، 86.  
 ليبيا: ص 18 ، 22 ، 124 ، 221 ، 222  
 223 ، 224 ، 225 ، 226 ، 227  
 228 ، 229 ، 230 ، 231 ، 237  
 238 ، 239 ، 240 ، 241 ، 242  
 243 ، 244 ، 245 ، 286.
- م –
- ماليزيا: ص 35 .
- متيجة: ص 124.  
 محلة نصر: ص 83.  
 المدينة المنورة: ص 46 ، 55 ، 152.  
 مراكش: ص 246 ، 257 ، 260 ، 268.  
 مرسييا: ص 147.  
 مستغانم: ص 229.  
 مسلاتة: ص 224.  
 مصر: ص 17 ، 21 ، 22 ، 24 ، 26  
 33 ، 48 ، 50 ، 57 ، 70 ، 71 ، 72  
 85 ، 86 ، 98 ، 104 ، 106 ، 174  
 185 ، 198 ، 212 ، 230 ، 231  
 238 ، 243 ، 264 ، 286.  
 المغرب الأقصى: ص 18 ، 22 ، 27 ، 28  
 35 ، 120 ، 124 ، 154 ، 174  
 226 ، 228 ، 229 ، 245 ، 246  
 247 ، 248 ، 249 ، 250 ، 251  
 252 ، 253 ، 254 ، 255 ، 256  
 257 ، 258 ، 259 ، 260 ، 261  
 262 ، 263 ، 264 ، 265 ، 266  
 المغرب العربي: ص 15 ، 21 ، 24 ، 26  
 37 ، 43 ، 47 ، 48 ، 116 ، 120  
 198 ، 221 ، 222 ، 224 ، 264  
 265 ، 266 ، 267 ، 268.  
 مكة: ص 57 ، 153 ، 256.



– ن –

النجف: ص 70.

نجد: ص 198.

نابلس: ص 267.

– ه –

الهرسك: ص 54 .

همذان: ص 67.

الهند: ص 22 ، 23 ، 47 ، 48 ، 57

58 ، 71 ، 72 ، 112 ، 153 ، 286.

– و –

واحة الجغبوب: ص 234 ، 235.

وجدة: ص 124 ، 287.

وهران: ص 126 ، 145 ، 277 ، 279.

– ي –

اليابان: ص 111.

اليمن: ص 61 ، 198.

اليونان: ص 237.

3 - فهرس التنظيمات والتيارات الفكرية الإسلامية:

- أ -  
الإتحاد العثماني: ص 21.  
إتحاد طلبة شمال إفريقيا المسلمين: ص 267.
- ت -  
تركيا الفتاة: ص 21 .  
تيار الإسماعيلية: ص 50.  
تيار السلفية: ص 47 ، 84 ، 100 ، 116 ، 230 ، 261.  
التيار العثماني: ص 51.
- ج -  
جمعية إحياء العلوم الإسلامية: ص 87.  
جمعية الاتحاد والترقي: ص 22 ، 63 ، 238 ، 239 ، 257 ، 260.  
جمعية الأخوة التونسية: ص 199.  
الجمعية الشرقية: ص 54.  
جمعية العروة الوثقى: ص 72 ، 78 ، 86 ، 121 ، 147 ، 158 ، 196 ، 209 ، 216 ، 275.  
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: ص 141 ، 165.  
جمعية العلوم والفنون: ص 54.  
جمعية العهد: ص 21.
- ح -  
الحركة السنوسية: ص 31 ، 48 ، 49 ، 228 ، 229 ، 230 ، 231 ، 232 ، 233 ، 234 ، 235 ، 236 ، 242.  
حركة الشباب التونسي (تونس الفتاة) : ص 115 ، 192 ، 193 ، 208 ، 212 ، 115 ، 218.  
حركة الشبان الجزائريين: ص 132 ، 140 ، 149.  
الحركة المهديّة: ص 31 ، 49.  
الحركة الوهابية: ص 18 ، 32 ، 45 ، 46 ، 47 ، 48 ، 49 ، 98 ، 99 ، 142 ، 230 ، 234.  
الحزب الإصلاحى الوطنى: ص 267.  
الحزب الدستورى الحر: ص 114 ، 115.  
الحزب الوطنى الحر: 85 ، 86 .
- خ -  
الخوارج: ص 42 ، 43 ، 116 ، 136.

- ش -

الشعبة 42 ، 43 ، 46 ، 62 ، 136.

- ط -

الطرق الصوفية: ص 30 ، 48 ، 49 ، 60  
61 ، 78 ، 84 ، 100 ، 152 ، 231  
.264 ، 232

- ف -

فرقة الأشعرية: ص 94 ، 99.  
فرقة المعتزلة: ص 94.

- ل -

لجنة استقلال الجزائر وتونس: ص 175.  
لجنة الدفاع عن صالح المسلمين الجزائريين: ص  
140.  
لجنة تحرير المغرب العربي: ص 218 ، 243.

- ن -

نجم شمال إفريقيا: ص 163.

3 - فهرس الموضوعات:

الإهداء.

شكر وعرهان.

مقدمة ..... ب - ز.

الفصل الأول (التمهيدى): الجامعة الإسلامية نشأتها وتطورها. 15 - 65.

أولاً: أوضاع العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر..... 15 - 34.

1- الأوضاع السياسية..... 16.

2- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية..... 22.

3- الأوضاع الثقافية والحضارية..... 29.

ثانياً : ظهور حركة الجامعة الإسلامية وتطورها..... 35 - 52.

1 - مفهوم الجامعة الإسلامية..... 35.

2- جذور الجامعة الإسلامية وتطورها..... 39.

3- تياراتها وأهدافها..... 44.

ثالثاً: الجامعة الإسلامية والسلطان عبد الحميد الثاني..... 52 - 65.

1 - الجامعة الإسلامية الرسمية (العثمانية)..... 53.

2 - وسائل تحقيق الجامعة الإسلامية الرسمية..... 58.

3 - خلع السلطان عبد الحميد الثاني وإلغاء الخلافة العثمانية..... 62.

- الفصل الثاني: أقطاب الجامعة الإسلامية وآراؤهم..... 67 – 114.
- أولاً: جمال الدين الأفغاني..... 67 – 82.
- 1 - مولده ونشأته..... 67.
- 2- معالم فكر السيد جمال الدين الأفغاني..... 73.
- 3 - جمال الدين الأفغاني والجامعة الإسلامية السياسية..... 78.
- ثانياً: الشيخ محمد عبده..... 83 – 95.
- 1 - المولد والنشأة..... 83.
- 2 - ملامح فكر محمد عبده..... 87.
- 3 - منهج الشيخ محمد عبده في الإصلاح..... 92.
- ثالثاً : محمد رشيد رضا..... 95 – 104.
- 1 - المولد والنشأة..... 96.
- 2 - منهج الشيخ محمد رشيد رضا في الإصلاح..... 99.
- 3 - الشيخ محمد رشيد رضا والجامعة الإسلامية السياسية..... 102.
- رابعاً: شكيب أرسلان..... 104 – 114.
- 1 - المولد والنشأة..... 104.
- 2- الفكر الإصلاحى عند شكيب أرسلان..... 107.
- 3- الجامعة الإسلامية السياسية وشكيب أرسلان..... 112.

الفصل الثالث: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في

الجزائر ..... 116-178.

أولاً: جذور الجامعة الإسلامية السياسية في الجزائر وبواد

النهضة واليقظة..... 117 - 143.

1 - الجذور التاريخية للجامعة الإسلامية في الجزائر.....118.

2 - بوادر النهضة واليقظة في الجزائر.....125.

3 - الجامعة الإسلامية والحركة الإصلاحية الجزائرية.....133.

ثانياً: منابع آراء أقطاب الجامعة الإسلامية وتطور القاعدة

الإصلاحية في جزائر..... 143 - 168.

1 - وفود الشيخ محمد عبده للجزائر ..... 143.

2- استمداد أفكار أقطاب الجامعة الإسلامية من بلاد المشرق الإسلامي وأثرها

على الحركة الإصلاحية في الجزائر..... 150.

3- نشاط الحركة الصحفية لأقطاب الجامعة الإسلامية وأثرها ..... 156.

4 - جهود شكيب أرسلان لصالح الحركة الوطنية الجزائرية.....161.

ثالثاً: صدى الجامعة الإسلامية الرسمية في الجزائر خلال الحرب العالمية

الأولى..... 168 - 178.

1 - الجامعة الإسلامية الرسمية في إستراتيجية الحرب الألمانية.....169.

2- الجامعة الإسلامية في الدعاية الألمانية-العثمانية وصدائها في الجزائر.....172.

الفصل الرابع: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في

تونس.....180 – 219.

أولاً: جذور الجامعة الإسلامية العثمانية في تونس، وميلاد الحركة الإصلاحية

التونسية.....180 – 193.

1- جذور الجامعة الإسلامية العثمانية في تونس وتطورها.....180.

2- فرض الحماية الفرنسية على تونس.....186.

3- بؤادر الحركة الإصلاحية التونسية.....189.

ثانياً: منافذ انتقال فكر أقطاب الجامعة الإسلامية لتونس.....193 – 203.

1 - زيارة الشيخ محمد عبده لتونس.....193.

2 - الهجرة إلى الشرق وإرسال الدعاة.....197.

3 - صحافة الجامعة الإسلامية.....200.

ثالثاً: الجامعة الإسلامية وتطور الحركة الإصلاحية التونسية....203 – 219.

1 - أثر فكر أقطاب الجامعة الإسلامية في الفكر الإصلاحي للحركة الوطنية

التونسية.....204.

2 - تطور الحركة الإصلاحية للجامعة الإسلامية في تونس.....208.

3- صدى سياسة الجامعة الإسلامية في تونس خلال الحرب العالمية الأولى..215.

الفصل الخامس: صدى أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا والمغرب الأقصى.....	221 – 268.
أولاً: صدى أقطاب الجامعة الإسلامية في ليبيا.....	222 – 245.
1 – جذور الجامعة الإسلامية في ليبيا وتطورها.....	222.
2 – الحركة السنوسية وآراء أقطاب الجامعة الإسلامية.....	228.
3 – أقطاب الجامعة الإسلامية والمقاومة الليبية.....	236.
ثانياً: صدى آراء أقطاب الجامعة الإسلامية في المغرب الأقصى.....	245.
1 – علاقة المغرب الأقصى بالجامعة الإسلامية العثمانية.	
2 – صدى سياسة الجامعة الإسلامية في المغرب الأقصى خلال الحرب العالمية الأولى.....	252.
3 – أقطاب الجامعة الإسلامية والحركة الإصلاحية المغربية.....	259.
خاتمة.....	270 – 273.
الملاحق.....	275 – 287.
الفهارس.....	308 – 328.
1 – فهرس الشخصيات.....	308.
2 – فهرس الأماكن والبلدان.....	316.
3 – فهرس التنظيمات والتيارات الفكرية الإسلامية.....	322.
4 – فهرس الموضوعات.....	324.



## ملخص بالعربية:

تعتبر بلاد المغرب العربي مجالا خصبا لاستقطاب مختلف الأفكار الوافدة من المشرق العربي، فمذ انضوائه تحت تاج الجامعة الإسلامية السياسية للعالم الإسلامي ارتبطت أقطاره بصلات سياسية وفكرية ودينية عقديّة مع المشرق، وبانت تجليات ذلك في ميلاد دول مذهبية، وظهور مختلف المنظومات العقديّة. وخلال القرن التاسع عشر ظهر مشروع لإحياء الجامعة الإسلامية ووحدها السياسية وحضارتها المندثرة - نتيجة نشاط الحركة الاستعمارية الأوروبية وتفشي التخلف الفكري- على يد ثلة من أقطاب الإصلاح في المشرق، وأبرزهم جمال الدين الأفغاني محمد عبده، محمد رشيد رضا وشكيب أرسلان. وقد كان موضوع الجامعة الإسلامية وتأثير أفكار أقطابها على بلدان المغرب العربي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين محور دراستنا هذه التي أوضحنا فيها صدى وتأثير تلك الأفكار وأبرز مظاهر وتجليات ذلك.

**الكلمات المفتاحية:** الجامعة الإسلامية، أقطاب الجامعة الإسلامية، الاستعمار الأوربي، الحركات الإصلاحية المغاربية.

## Résumé en français:

La région du Maghreb est considérée comme un terrain fertile pour adhérer aux idées émanant du moyen orient (arabe). Depuis son intégration au panislamisme et sous le règne politique de cette union, ses différents états ont eu des relations politique, idéologiques et religieuses avec le moyen orient(arabe) et cela s'est manifesté par l'émergence d'Etats doctrinaires caractéristiquement religieux. Pendant le 19<sup>ème</sup> siècle émerge un projet pour redonner naissance à l'unité islamique et politique et faire revivre la civilisation islamique disparue par l'effet de l'activité coloniale mais aussi l'inertie intellectuelle. A la tête de ce mouvement les précurseurs de la réforme dans le moyen orient dont :Djamel Eddine El Afghani, Mohamed Abduh, Mohamed Rachid Rédha et chakib Arslane. Le thème de panislamisme et l'impact des idées de ses précurseurs dans les pays du Maghreb au cours de la 2<sup>ème</sup> moitié du 19<sup>ème</sup> siècle et le début du 20<sup>ème</sup> siècle est l'objet de cette étude ou nous avons montré l'imbact et les conséquences de ses idées

**Mots-clés:** le panislamisme, Les pionniers de panislamisme, colonisation européenne mouvements réformistes du Maghreb.

## English summary:

It was in the nineteenth (19<sup>th</sup>) century that a group of leaders like Jamaluddin Afghani Muhammed Abduh, Mohammed Rashid Rida and Shakib Arsla, who took the initiative to review panislamisme, its political unity and extincted civilization which were the results of European colonialism and the widespread of intellectual underdevelopments This study highlights the panislamisme and tries to demonstrate the influence of its ideas on the Arab Maghreb states during the second half of the nineteenth century and the beginning of the twentieth century .

**Key words:** panislamisme, the leaders of panislamisme, European colonialism, reform movements of the Arab Maghreb.